

للحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن
ابن الجوزي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية سنة ١٣٦٨ هجرية
إدارة الطباعة المنيرية
بمساعدة بعض علماء الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى سلم ميزان العدل إلى أكف ذوى الألباب . وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب . وأنزل عليهم الكتب مبينة للخطأ والصواب وجعل الشرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب(١) . أحمده حمد من يعلم أنه مسبب الأسباب . وأشهد بوحدانيته شهادة مخلص فى نيته غير مرتاب . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله ، وقد سدل الكفر على وجه الإيمان الحجاب . فنسخ الظلام بنور الهدى وكشف النقاب . وبين للناس مانزل إليهم ، وأوضح مشكلات الكتاب . وتركهم على المحجة البيضاء لا سَرَبَ فيها (٢) ولا سراب . فصلى الله عليه وعلى جميع الآل وكل الأصحاب . وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والحساب . وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فان أعظم النعم على الإنسان العقل ، لانه الآلة فى معرفة الإله سبحانه والسبب الذى يتوصل به إلى تصديق الرسل ، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد ، بُعِثت الرسُل وأنزلت الكتبُ ، فمثال الشرع الشمس ، ومثال العقل العين ، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس . ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة ، سلم إليهم واعتمد فيما يخفى عنه عليهم .

ولما أنعم الله على هذا العالم الإنسى بالعقل افتتحه الله بنبوة أبيهم آدم عليه السلام . فكان يعلمهم عن وحى الله عزوجل فكانوا على الصواب إلى أن انفرد

(١) عاب عيباً فهو عائب والاسم عاب كما هنا .

(٢) السَّرَب بفتحتين الوكر والسراب الذى تراه نصف النهار كأنه ماء ولاماء يشير المصنف إلى ماروواه ابن ماجه فى سننه عن أبى الدرداء مطولا من قوله صلى الله عليه وسلم «وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء» .

قابيل بهواه فقتل أخاه ثم تشعبت الأهواء بالناس فشردتهم فى بيداء الضلال حتى عبدوا الأصنام واختلفوا فى العقائد والأفعال اختلافاً خالفوا فيه الرسل والعقول اتباعاً لأهوائهم ، وميلا إلى عاداتهم ، وتقليداً لكبرائهم ، فصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين .

﴿فصل﴾ واعلم أن الأنبياء جاءوا بالبيان الكافى ، وقابلوا الأمراض بالدواء الشافى ، وتوافقوا على منهاج لم يختلف . فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبهاً ، وبالدواء سما ، وبالسبيل الواضح جرداً(١) مضلا ، ومازال يلعب بالعقول إلى أن فرق الجاهلية فى مذاهب سخيفة ، وبدع قبيحة ، فأصبحوا يعبدون الأصنام فى البيت الحرام ، ويحرمون السائبة(٢) والبحيرة والوصيلة والحام ، ويرون وأد البنات ، ويمنعونهن الميراث ، إلى غير ذلك من الضلال الذى سوله لهم إبليس(٣)

(١) يقال مكان جرد أى لا نبات فيه ، ويقال أيضاً : جرذ بالمعجمه .

(٢) هى الناقة المنذورة تسيب فترعى حيث شاءت فلا يمسها أحد بسوء . والبحيرة بنتها تبحر أذنها أى تشق وتخلى مع أمها (والوصيلة هى الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين أى اثنين ، فإن ولدت فى الثامنة جدياً ذبحوه لآلهتهم ، وإن ولدت جدياً وعناقا قالوا وصلت أخاها فلا يذبحونه من أجلها ، ولاتشرب لبنها النساء وكان للرجال ، وجرت مجرى السائبة والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود ، فاذا قضاه تركوه للطواغيت وأعفوه من الحمل .

(٣) اعلم أن الشرع جاء هادماً لهذه العادات القبيحة محذراً من كل سوء . ناهياً عن كل شرك ، محبباً فى كل جميل ، فاعتنقه الكثير ودخله الناس أزواجاً وأفذاذاً وانتشر فى جميع الأرض فى أقرب وقت انتشاراً لم يعهد له نظير من قبل ومن بعد . واستمر على ذلك والناس تعتنقه طوعاً لا كرهاً إلى أن دخل فيه أفراد من اليهود والمجوس وانتسبوا إليه ظاهراً وهم فى الواقع يعملون على هدمه وتقويض دعائمه . فأخذوا يوقدون نار الفتنة بين أهله ويدخلون فيه أشياء من التى كان ينهى عنها يحسنونها لعامة الناس حتى شوهوا معالمه واتخذها من جاء بعدهم ممن لا يميزون بين الصحيح والسقيم والحق والباطل ديناً يتقربون بها إلى ربهم والله تعالى أعز شأنا من أن يتعبد الناس بمثل هذه الضلالات . ومن ذلك نذر الغنم والبقر وغيرها.

فابتعث الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ ، فرفع المقابح ، وشرع المصالح . فسار أصحابه معه وبعده فى ضوء نوره ، سالمين من العدو وغروره . فلما انسلخ نهار وجودهم . أقبلت أغباش الظلمات ، فعادت الأهواء تنشىء بدعاً ، وتضيق سبيلا مازال متسعاً ، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعاً ، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق ويؤلف وإنما يصح له التلصص فى ليل الجهل . فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح .

فرأيت أن أحذر من مكايده ، وأدل على مصايده . فان فى تعريف الشر تحذيراً عن الوقوع فيه . ففى الصحيحين من حديث حذيفة قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر . مخافة أن يدركنى وقد أخبرنا أبو البركات سعد الله بن على البزاز قال أخبرنا أحمد بن على الطريثيثى قال أخبرنا هبة الله بن الحسن الطبرى قال أخبرنا محمد بن أحمد بن سهل قال ثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا عبيد بن يعيش قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا محمد بن إسحق عن الحسن أو الحسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكا منى . فقيل وكيف ؟ فقال : والله إنه ليحدث البدعة فى مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلى فاذا انتهت إلى قمعتها بالسنة فترد عليه كما أخرجها .

﴿ فصل ﴾ وقد وضعت هذا الكتاب محذراً من فتنه ، ومخوفاً من محنه ، وكاشفاً عن مستوره ، وفاضحاً له فى خفى غروره . والله المعين بجوده ، كل صادق فى مقصوده .

= للأولياء يتركونها ترعى حيث شاءت لا يمسها أحد بسوء ظناً منه بل اعتقاداً أنها محسوبة لذلك الولى مكلوءة بعينه أنى ذهبت . فلو منعها من زرعه لا نتقم منه ذلك الولى بما شاء وهذا بعينه ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى ، قال الله تعالى : « ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون » . اللهم وفق علماءنا وأمراءنا إلى رد هذه العقائد الفاسدة التى شوهت وجه الدين وجعلت عليه غشاء من ظلماتها حجبت نوره الساطع الذى هو هدى ورحمة وبشرى لقوم يؤمنون .

وقد قسمته ثلاثة عشر باباً ينكشف بمجموعها تلبيسه، ويتبين للفطن بفهمها تدليسه، فمن انتهض عزمه للعمل بها ضعج منه إبليسه. والله موفقى فيما قصدت، وملهمى للصواب فيما أردت.

﴿ ذكر تراجم الأبواب ﴾

(الباب الأول) فى الأمر بلزوم السنة والجماعة
(الباب الثانى) فى ذم البدع والمبتدعين
(الباب الثالث) فى التحذير من فتن إبليس ومكايده
(الباب الرابع) فى معنى التلبيس والغرور
(الباب الخامس) فى ذكر تلبيسه فى العقائد والديانات
(الباب السادس) فى ذكر تلبيسه على العلماء فى فنون العلم
(الباب السابع) فى ذكر تلبيسه على الولاة والسلاطين
(الباب الثامن) فى ذكر تلبيسه على العباد فى فنون العبادات
(الباب التاسع) فى ذكر تلبيسه على الزهاد
(الباب العاشر) فى ذكر تلبيسه على الصوفية
(الباب الحادى عشر) فى ذكر تلبيسه على المتدينين بما يشبه الكرامات
(الباب الثانى عشر) فى ذكر تلبيسه على العوام
(الباب الثالث عشر) فى ذكر تلبيسه على الكل بتطويل الأمل

﴿ الباب الأول ﴾

الأمر بلزوم السنة والجماعة

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التيمى نا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى عن ابن إسحاق نا ابن المبارك ثنا محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال « من أراد منكم بحبوحة

الجنة(١) فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » أخبرنا أحمد وحدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة ، قال : خطب عمر الناس بالجابية ، فقال إن رسول الله ﷺ قام فى مثل مقامى هذا ، فقال « من أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » قال الترمذى : هــذا حديث حسن صحيح . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ ويحي بن على المدينى نا أبو محمد الصريفينى نا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدان ثنا أبو محمد بن صاعد ثنا سعيد بن يحي الأموى ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن عمر بن الخطاب . قال قال رسول الله ﷺ : « من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » حدثنا عبد الأول بن عيسى نا أبو القصار بن يحي ثنا أبو الحسن على بن عبد العزيز أنبأنا أبو عبيد نا النضر بن إسماعيل عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن عمر ، قال قال رسول الله ﷺ : « من سره أن يسكن بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » أخبرنا عبد الأول نا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسى نا عبد الرحمن بن أبي شريح ثنا ابن صاعد ثنا إبراهيم بن سعد الجوهرى ثنا أبو معاوية عن يزيد بن مردانبه عن زياد بن علاقة عن عرفجة ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يد الله على الجماعة ، والشيطان مع من يخالف الجماعة ، أخبرنا محمد بن عمر الأرموى والحسين بن على المقرى نا عبد الصمد بن المأمون نا على بن عمر الدارقطنى ثنا أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول حدثنى أبي ثنا محمد بن يعلى ثنا سلمان العامرى عن الشيبانى عن زياد بن علاقة عن أسامة ابن شريك ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يد الله على الجماعة ، فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبي أنبأنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله ، قال : خط

(١) محبوبة الدار وسطها يقال تبحبح إذا تمكن وتوسط المنزل والمقام .

رسول الله ﷺ خطاً بيده ، ثم قال هذا سبيل الله مستقيما . قال ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل » وبالإسناد قال أحمد وثنا روح ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية والناحية » فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد . حدثنا أحمد ثنا أبو اليمان ثنا ابن عياش عن أبي البحترى بن عبيد ابن سليمان عن أبيه عن أبي ذرعن النبي ﷺ ، أنه قال : اثنان خيرمن واحد ، وثلاثة خيرمن اثنين ، وأربعة خيرمن ثلاثة . فعليكم بالجماعة فإن الله عز وجل لم يجمع أمتى إلا على الهدى .

أخبرنا عبد الملك بن القاسم الكروخى قال أخبرنا أبو عامر الأزدى وأبو بكر العروجى قالا أخبرنا الجراجى قال أخبرنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود الحفرى عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقى عن عبد الله ابن يزيد عن ابن عمر . قال قال رسول الله ﷺ : ليأتين على أمتى كما أتى على بنى إسرائيل ، حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية ، لكان فى أمتى من يصنع ذلك ، وإن بنى إسرائيل تفرقت(١) على ثنتين وسبعين ملة وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا ملة واحدة ، قالوا : من هى يارسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابى . قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لايعرف إلا من هذا الوجه . وروى أبو داود فى سننه من حديث معاوية بن أبي سفيان ، أنه قام فقال : ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال : ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه

(١) قال أبو منصور البغدادى للحديث الوارد فى افتراق الأمة أسانيد كثيرة وقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة كأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وجابر ، وأبي سعيد الخدرى ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبي أمامة وغيرهم .

الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون فى النار ، وواحدة فى الجنة وهى الجماعة وإنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى(١) بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه .

أخبرنا أبو البركات بن على البزاز نا أحمد بن على الطريثيثى نا هبة الله بن الحسين الحافظ نا محمد بن الحسين الفارسى نا يوسف بن يعقوب بن إسحاق ثنا العلاء بن سالم ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش بن مالك بن الحارث عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ، قال : الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا أحمد بن الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن أحمد بن الحسين ثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن سعيد ثنا ابن المبارك عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب ، قال : عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار . وإن اقتصاداً فى سبيل وسنة ، خير من اجتهاد فى إخلاف . أخبرنا سعد الله ابن على نا الطريثيثى نا هبة الله بن الحسين نا عبد الواحد بن عبد العزيز نا محمد ابن أحمد الشرقى ثنا عثمان بن أيوب نا إسحاق بن إبراهيم المروزى . قال ثنا أبو إسحاق الأقرع قال سمعت الحسن بن أبى جعفر يذكر عن أبى الصهباء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة عبادة . أخبرنا محمد بن أبى القاسم قال نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الأصبهانى ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدى قال أنبأنا سفيان بن عيينة ، قال : سمعت عاصما الأحول يحدث عن أبى العالية ، قال : عليكم بالأمر الأول الذى كانوا عليه قبل أن يفترقوا ـ قال عاصم فحدثت به الحسن ، فقال : قد نصحك والله وصدقك . أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا أحمد بن أحمد قال نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا

(١) بحذف إحدى التاءين أى تدخل وتسرى تلك الأهواء أى البدع والكلب بفتح الكاف واللام داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب ، وهو داء يصيب الكلب فيصيبه شبه جنون فلا يعض أحداً إلا كلب . نسأل الله السلامة .

محمد بن أحمد بن الحسن أنبأنا بشر بن موسى نا معاوية بن عمرو نا أبو إسحاق الفزارى . قال قال الأوزاعى : اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فانه يسعك ما وسعهم . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن عبد الله بن أسلم أنبأنا محمد بن منصور الهروى ثنا عبد الله بن عروة ، قال : سمعت يوسف بن موسى القطان يحدث عن الأوزاعى ، قال : رأيت رب العزة فى المنام ، فقال لى ياعبد الرحمن ، أنت الذى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فقلت : بفضلك يارب . وقلت يارب أمتنى على الإسلام ، فقال : وعلى السنة . أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنبأنا أحمد ابن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا إبراهيم بن أبى عبد الله ثنا محمد بن إسحاق سمعت أبا همام السكونى يقول : حدثنى أبى قال سمعت سفيان يقول : لا يقبل قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة . أخبرنا محمد نا أحمد نا أبو نعيم أنبأنا محمد بن على ثنا عمرو ابن عبدويه ثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الرحمن بن عفان قال ثنا يوسف بن أسباط ، قال قال سفيان : يايوسف إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، فقد قل أهل السنة والجماعة . أخبرنا سعد الله بن على نا أحمد بن على الطريثيثى نا هبة الله بن الحسين الطبرى نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوى نا محمد بن زياد البلدى ثنا أبو أسامة عن حماد بن زيد قال أيوب : إنى لأخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنى أفقد بعض أعضائى . وبه قال الطبرى وأخبرنا الحسين بن أحمد ثنا عبد الله اليزدجردى ثنا عبد الله بن وهب ثنا إسماعيل بن أبى خالد قال ثنا أيوب بن سويد عن عبد الله بن شوذب عن أيوب . قال قال : إن من سعادة الحدث والأعجمى أن يوفقهما الله تعالى لعالم من أهل السنة .

قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن محمد بن حنون ثنا جعفر بن محمد بن نضير ثنا

أحمد بن محمد بن مسروق ثنا محمد بن هارون أبو نشيط ثنا أبو عمير بن النحاس ثنا ضمرة عن ابن شوذب . قال : إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك ، أن يؤاخي صاحب سنة يحمله عليها . قال الطبري وأخبرنا عيسى بن على ثنا البغوى ثنا محمد بن هارون ثنا سعيد بن شبيب ، قال : سمعت يوسف بن أسباط ، يقول : كان أبي قدريا وأخوالي روافض فأنقذني الله بسفيان . قال الطبري وأخبرنا أحمد بن محمد بن حفص نا عبد الله بن عدى ثنى أحمد بن العباس الهاشمي ثنا محمد بن عبد الأعلى . قال : سمعت معتمر بن سليمان يقول : دخلت على أبي وأنا منكسر فقال لى مالك ؟ قلت مات صديق لى فقال مات على السنة ؟ قلت : نعم؟! قال تحزن عليه : قال الطبري وأخبرنا أحمد بن عبد الله نا محمد بن الحسين ثنا أحمد بن زهير ثنا يعقوب بن كعب ثنا عبدة ثنا عبدالله بن المبارك عن سفيان الثوري ، قال : استوصوا بأهل السنة خيراً ، فإنهم غرباء . أخبرنا أبو منصور ابن حيرون نا إسماعيل بن أبي الفضل الإسماعيلي نا حمزة بن يوسف السهمي نا عبد الله بن على الحافظ نا أبو عوانة ثنا جعفر بن عبد الواحد قال : قال لنا ابن أبي بكر بن عياش : السنة في الإسلام ، أعز من الإسلام في سائر الأديان .

سمعت أبا عبد الله الحسين بن على المقرى يقول : سمعت أبا محمد عبد الله ابن عطاء يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الاسكندرانى يقول : سمعت أبا منصور محمد الأزدى يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن فراشة يقول : سمعت أحمد بن منصور يقول : سمعت الحسن بن محمد الطبري يقول : سمعت محمد بن المغيرة يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : سمعت الشافعي يقول : إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث ، فكأنى رأيت رجلا من أصحاب النبي ﷺ : أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد أبو نعيم أخبرنى جعفر الخلدى في كتابه ، قال سمعت الجنيد يقول : الطرق كلها مسدودة على الخلق ، إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته ولزم طريقته ، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه . أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر ابن محمد نا عبد العزيز بن على الأزجى نا على بن عبد الله بن جهضم نا محمد

ابن حابان ، قال : سمعت حامد بن إبراهيم يقول قال الجنيد بن محمد : الطريق إلى الله عز وجل مسدودة على خلق الله تعالى ، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ والتابعين لسنته . كما قال الله عز وجل : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .

﴿ الباب الثانى ﴾
فى ذم البدع والمبتدعين

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيبانى قال : أخبرنا أبو على الحسن بن على بن المذهب نا أبو بكر أحمد بن حمدان نا أبو عبد الله بن حنبل قال : أخبرنى أبى ثنا يزيد عن إبراهيم بن سعد أخبرنى أبى وأخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردى وأبو سعد البغدادى قالا نا المطهر بن عبد الواحد نا أبو جعفر أحمد بن محمد المرزبان نا محمد بن إبراهيم الحروزى ثنا لوين ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : من أحدث فى أمرنا ماليس فيه فهو رد . أخبرنا موهوب بن أحمد نا على بن أحمد البسرى ثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص ثنا عبد الله بن محمد البغوى ثنا أحمد بن إبراهيم الموصلى وإسحاق بن إبراهيم المروزى قالا ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة . قالت قال رسول الله ﷺ : من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد . قال البغوى وحدثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد العزيز عن عبد الواحد بن أبى عون عن سعد بن إبراهيم عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها . أن النبى ﷺ قال : من فعل أمراً ليس عليه أمرنا فهو رد ـ أخرجاه فى الصحيحين . أخبرنا هبة الله ابن محمد نا الحسن ابن على نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن ومغيرة الضبى عن مجاهد عن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ ، أنه قال : من رغب عن سنتى فليس منى ـ انفرد بإخراجه البخارى . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر نا عبد الله

ابن أحمد حدثنى أبى ثنا الوليد بن مسلم ثنا ثور بن يزيد ثنا خالد بن معدان حدثنى عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر . قالا : أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه » . فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين . فقال عرباض : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ، فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً ، فإنه من يعش بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبد الله بن الوليد ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل وعن ابن مسعود ، قال قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض ، وليختلجن رجال دونى ، فأقول يارب أصحابى فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ـ أخرجاه فى الصحيحين . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد ابن محمد نا أبو نعيم ثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الله بن سليمان ثنا محمد بن يحي ثنا محمد بن كثير عن الأوزاعى عن يحي بن أبى عمرو الشيبانى عن عبد الله ابن محرز قال : يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة . أخبرنا إسماعيل ابن أحمد نا عمر بن عبد الله البقال نا أبو الحسين بن بشران ثنا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا حنبل قال : حدثنى أبو عبد الله يعنى أحمد بن حنبل ثنا عبد الرزاق ثنا معمر . قال : كان طاوس جالساً وعنده ابنه . فجاء رجل من المعتزلة فتكلم فى شيء فأدخل طاوس أصبعيه فى أذنيه . وقال : يا بنى أدخل أصبعك فى أذنيك حتى لا تسمع من قوله شيئاً فإن هذا القلب ضعيف . ثم قال : أى بنى أسدد ـ فما زال يقول أسدد حتى قام الآخر . قال حنبل وحدثنا محمد بن داود ثنا عيسى بن على الضبي . قال : كان رجل معنا يختلف إلى إبراهيم . فبلغ إبراهيم

أنه قد دخل فى الإرجاء فقال له إبراهيم إذا قمت من عندنا فلا تعد . قال حنبل وحدثنا محمد بن داود الحدائى ، قال : قلت لسفيان بن عيينة : إن هذا يتكلم فى القدر - يعنى إبراهيم بن أبى يحيى ، فقال سفيان : عرفوا الناس أمره وسلوا الله لى العافية . قال حنبل وحدثنا سعدويه ثنا صالح المرى . قال : دخل رجل على ابن سيرين وأنا شاهد ، ففتح بابا من أبواب القدر فتكلم فيه . فقال ابن سيرين : إما أن تقوم وإما أن نقوم . أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبدالباقى قالا نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا أبو بكر بن راشد ثنا إبراهيم بن سعيد بن عامر عن سلام بن أبى مطيع . قال : قال رجل من أهل الأهواء لأيوب أكلمك بكلمة ؟ قال : لا ولا نصف كلمة . قال ابن راشد وحدثنا أبو سعيد الأشج ثنا يحى بن يمان عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن أيوب السختيانى قال : ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله عزوجل بعداً . أخبرنا أبوالبركات بن على البزاز نا الطريثيثى نا هبة الله بن الحصين نا عيسى بن على نا البغوى نا أبو سعيد الأشج نا يحى بن اليمان قال سمعت سفيان الثورى قال البدعة أحب إلى إبليس من المعصية المعصية يثاب منها والبدعة لا يثاب منها(١) أخبرنا ابن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا الحسين بن على ثنا محمود بن غيلان ثنا مؤمل بن إسماعيل . قال : مات عبد العزيز بن أبى داود وكنت فى جنازته حتى وضع عند باب الصفا فصف الناس وجاء الثورى . فقال الناس : جاء الثورى - فجاء حتى خرق الصفوف والناس ينظرون إليه فجاوز الجنازة ولم يصل عليه لأنه كان يرمى بالإرجاء . أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصارى نا عبدالله بن أحمد السمرقندى نا أحمد بن ثابت نا أحمد بن روح النهروانى ثنا طلحة بن أحمد الصوفى ثنا محمد بن أحمد بن أبى مهزول قال سمعت أحمد بن عبد الله يقول : سمعت شعيب بن حرب يقول : سمعت سفيان الثورى يقول : من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة

(١) أثاب الرجل وثاب رجع .

عروة . أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبدالله الأصفهاني ثنا إسماعيل بن أحمد نا عبد الله بن محمد ثنا سعيد الكريرى . قال : مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاء شديداً فقيل له مايبكيك؟ أتجزع من الموت . قال : لا ولكني مررت على قدري فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبني ربي عليه . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيي بن علي قالا : أخبرنا أبو محمد الصريفيني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن الحسين البائع ثنى أبي ثنا محمد بن بكر قال سمعت فضيل بن عياض يقول : من جلس إلى صاحب بدعة فاحذروه . أخبرنا ابن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن النضر ثنا عبدالصمد بن يزيد ، قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه . أخبرنا محمد ابن عبد الباقي نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا محمد بن علي ثنا عبد الصمد . قال سمعت الفضيل يقول : إذا رأيت مبتدعاً في طريق فخذ في طريق آخر ، ولا يرفع لصاحب البدعة إلى الله عزوجل عمل ، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام . وسمعت رجلا يقول للفضيل من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها . فقال له الفضيل : من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة ، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له سيآته .

قال المصنف : وقد روى بعض هذا الكلام مرفوعاً وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام . وقال محمد بن النضر الحارثي : من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه . وقال إبراهيم سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله القابني يقول : سمعت علي بن عيسى يقول : سمعت محمد بن إسحاق يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : قال صاحبنا ـ يعني الليث بن سعد ـ لو رأيت صاحب بدعة يمشي على الماء ما قبلته . فقال الشافعي : إنه ما قصر لو رأيته يمشي على الهواء ماقبلته . وعن بشر بن الحارث أنه قال : جاء موت

هذا الذى يقال له المريسى(١) وأنا فى السوق فلولا أن الموضع ليس موضع سجود لسجدت شكراً ـ الحمد لله الذى أماته . هكذا قولوا .

قال المصنف : حدثت عن أبي بكر الخلال عن المروزى عن محمد بن سهل البخارى قال : كنا عند القربانى فجعل يذكر أهل البدع فقال له رجل لو حدثتنا كان أعجب إلينا فغضب وقال كلامى فى أهل البدع أحب إلى من عبادة ستين سنة .

﴿فصل﴾ فان قال قائل قد مدحت السنة وذممت البدعة فما السنة وما البدعة فانا نرى أن كل مبتدع فى زعمنا يزعم أنه من أهل السنة (٢) (فالجواب) أن

(١) « المريسى » هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث قال ابن خلكان فى ترجمته اشتغل بالكلام وجدد القول بخلق القرآن وحكى عنه فى ذلك أقوال شنيعة وكان مرجئا وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة وكان يقول إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر ولكنه علامة عليه والمريسى بفتح الميم وكسر الراء نسبة إلى مريس قيل قرية بمصر وقيل جنس من السودان وقال بعض المحققين إن المريسى كان يسكن فى بغداد بدرب المريس فنسب إليه انتهى ببعض تصرف ، ومعنى كلام بشر بن الحارث أن الخبر بموت المريسى أتاه وهو فى السوق فلو لم يكن فى السوق لسجد شكراً لله تعالى على موته والسوق غير موضع سجود لورود النهى عن الصلاة فى الأسواق والسجود بعض الصلاة وهذه عادة السلف الصالح رضى الله عنهم .

(تنبيه) فى الأصل « فلولا أنه كان فى موضع شهرة لكان موضع شكر وسجود الحمد لله » . الخ . وما صححناه فمن لسان الميزان .

(٢) اعلم أنه لم يقع خلاف بين الصحابة رضى الله عنهم فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لوجود نور النبوة بين ظهرانيهم وتأثير المواعظ الحسنة فيهم والحكم البالغة من النبى صلى الله عليه وسلم فلما توفاه الله وقع الخلاف بينهم فأول خلاف كان فى موته صلى الله عليه وسلم فزعم قوم أنه لم يمت بل رفعه الله إليه والثانى فى دفنه عليه الصلاة والسلام فأراد أهل مكة رده إلى مكة وأهل المدينة دفنه بها . وفى الإمامة فأذعنت الأنصار لسعد بالبيعة وقريش قالت إن الإمامة لا تكون إلا فى قريش وفى فدك (قرية بخيبر) . وتوريث الكلالة ومانعى الزكاة وهكذا وقد أزال هذا الخلاف كله أبو بكر الصديق رضى الله عنه بحجته القوية وعزمه المتين وبرهانه الساطع ولم تؤثر هذه الاختلافات فى الهيئة الاجتماعية والقوة ﴾

السنة فى اللغة الطريق ، ولاريب فى أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على تلك الطريق التى لم يحدث فيها حادث : وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه .

والبدعة : عبارة عن فعل لم يكن فابتدع والأغلب فى المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطى عليها بزيادة أو نقصان . فان ابتدع شيء لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطى عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه وكانوا ينفرون من كل مبتدع وإن كان جائزاً حفظاً للأصل وهو الاتباع . وقد قال زيد بن ثابت لأبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، حين قالا له اجمع القرآن : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ وأخبرنا محمد بن على بن أبي عمر قال أخبرنا على بن الحسين نا ابن شاذان نا أبو سهل نا أحمد البرنى ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان عن ابن عجلان عن عبد الله بن أبي سلمة ، أن سعد بن مالك سمع رجلا يقول : لبيك ذا المعارج . فقال : ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله ﷺ . وأخبرنا محمد بن أبي القاسم بإسناد يرفعه إلى أبي البحترى . قال : أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قوما يجلسون فى المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول كبروا الله كذا وكذا . وسبحوا الله كذا وكذا . واحمدوا الله كذا وكذا قال عبد الله : فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتنى فأخبرنى بمجلسهم فأتاهم فجلس فلما سمع مايقولون قام فأتى ابن مسعود فجاء ، وكان رجلا حديداً ، فقال : أنا عبد الله بن مسعود والله الذى لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماً ولقد فضلتم

« الرابطة لجمعهم واتحادهم إلا أنها فتحت بابا ولجه المبتدعون والزنادقة وأدخلوا الشكوك على بعض الأفراد وسنوا طرقاً مضلة وزخرفوها بأقاويل كاذبة وحجج واهية ودعوا الناس إليها فقيض لهم المولى جل وعز رجالا من أهل الحديث والسنة يدحضون حججهم ويبينون للناس عقائدهم الفاسدة ونياتهم الخبيثة وينصحون من تبعهم بأدلة قاطعة من الكتاب والسنة وهم الطائفة التى أخبر عنها النبى صلى الله عليه وسلم أنها لاتزال قائمة بأمر الله الحديث ولم تزل قائمة كذلك إلى زمننا هذا إلا أنهم قليلون اللهم وفقنا للعمل بالكتاب والسنة واجعلهما حجة لنا يا رحم الراحمين .

أصحاب محمد ﷺ علماً . فقال عمرو بن عتبة : أستغفر الله . فقال عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يميناً وشمالا لتضلن ضلالا بعيداً . أنبأنا أبو بكر ابن أبي طاهر عن أبي محمد الجوهرى عن أبي عمر بن أبي حياة ثنا أحمد ابن معروف ثنا الحسين بن فهم ثنا محمد بن سعد ثنا محمد بن عبدالله الأنصارى ثنا ابن عوف ، قال : كنا عند إبراهيم النخعى فجاء رجل فقال : يا أبا عمران أدع الله أن يشفيني فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى عرفنا كراهية ذلك في وجهه . وذكر إبراهيم السنة فرغب فيها وذكر ما أحدثه الناس فكرهه . وقال فيه : أخبرنا المحمدان : ابن ناصر . وابن عبد الباقى نا أحمد نا أبو نعيم سمعت محمد بن إبراهيم يقول : سمعت محمد بن ريان يقول : سمعت ذا النون — وجاءه أصحاب الحديث فسألوه عن الخطرات والوساوس — فقال : أنا لا أتكلم فى شيء من هذا فان هذا محدث ، سلونى عن شيء فى الصلاة أو الحديث . ورأى ذوالنون علىّ خفا أحمر، فقال : انزع هذا يابنى فانه شهرة ، مالبسه رسول الله ﷺ ، إنما لبس خفين أسودين ساذجين .

﴿ فصل ﴾ قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله . قد بينا أن القوم كانوا يتحذرون من كل بدعة وإن لم يكن بها بأس لئلا يحدثوا ما لم يكن وقد جرت محدثات لاتصادم الشريعة ولا يتعاطى عليها فلم يروا بفعلها بأساً كما روى أن الناس كانوا يصلون فى رمضان وحدانا وكان الرجل يصلى فيصلى بصلاته الجماعة فجمعهم عمر ابن الخطاب على أبىّ بن كعب رضى الله عنهما فلما خرج فرآهم قال : نعمت البدعة هذه — لأن صلاة الجماعة مشروعة . وإنما قال الحسن فى القصص : نعمت البدعة ، كم من أخ يستفاد ، ودعوة مستجابة . لأن الوعظ مشروع ومتى أسند المحدث إلى أصل مشروع لم يذم . فأما إذا كانت البدعة كالمتمم فقد اعتقد نقص الشريعة . وإن كانت مضادة فهى أعظم . فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئاً لم يكن قبل ولا مستند له ولهذا استتروا ببدعتهم . ولم يكتم أهل السنة مذهبهم فكلمتهم ظاهرة ومذهبهم مشهور

والعاقبة لهم . أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي التميمي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد قال ثنى أبي ثنا يعلى بن عبيد ثنا إسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لايزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون - في الصحيحين : أخبرنا هبة الله الحسن بن علي نا ابن ملك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي قال ثنا يوسف ثنا حماد ابن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك انفرد به مسلم . وقد روى هذا المعنى عن النبي ﷺ معاوية وجابر بن عبد الله وقرة أخبرنا الكروخي نا النورجي والأزدي قالا نا الجراجي ثنا المحبوبي ثنا الترمذي قال : قال محمد بن إسماعيل ، قال علي بن المديني : هم أصحاب الحديث .

﴿ فصل ﴾ في بيان انقسام أهل البدع أخبرنا عبد الملك الكروخي نا أبو عامر الأزدي وأبو بكر النورجي قالا نا الجراجي ثنا المحبوبي ثنا الترمذي ثنا الحسين بن حريث ثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين ، والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة - قال الترمذي : هذا حديث صحيح .

قال المصنف : وقد ذكرنا هذا الحديث في الباب الذي قبله وفيه : كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هي يارسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابي . أخبرنا ابن الحسين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد قال : ثنى أبي ثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا خالد بن زيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس ابن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : إن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة ، وإن أمتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة ، يهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة . قالوا يارسول الله ، ماتلك الفرقة ؟ قال الجماعة ، قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله :

فإن قيل ، وهل هذه الفرق معروفة ؟ فالجواب ، إنا نعرف الافتراق وأصول الفرق(١) وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق وإن لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها ، وقد ظهر لنا من أصول الفرق الحرورية(٢) والقدرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والرافضة ، والجبرية . وقد قال بعض أهل العلم : أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست ، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتى عشرة فرقة ، فصارت اثنتين وسبعين فرقة .

وانقسمت الحرورية ، اثنتى عشرة فرقة : فأولهم الأزرقية(٣) قالوا : لانعلم أحداً مؤمناً وكفروا أهل القبلة إلا من دان بقولهم والأباضية(٤) قالوا : من أخذ بقولنا فهو مؤمن ، ومن أعرض عنه فهو منافق والثعلبية(٥) قالوا : إن الله لم يقض ولم يقدر ، والحازمية(٦) قالوا : ماندرى ما الإيمان ، والخلق كلهم معذورن ، والخلفية(٧) زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر وأنثى فقد كفر .

---

(١) اعلم أن العلماء اختلفوا فى أصول هذه الفرق وتعيينها على أقوال : الأول أن أصولها أربعة : وهى الخوارج والقدرية والروافض والمرجئة ، ثم تشعبت كل فرقة إلى ثمانى عشرة فرقة والثالثة والسبعون الناجية : الثانى أنها ثمانية : المعتزلة والخوارج والمرجئة ، والنجارية ، والجبرية ، والمشبهة والشيعة والناجية فافترقت المعتزلة عشرين فرقة ، والخوارج عشرين أيضاً ، والمرجئة خمساً ، والنجارية ثلاثا ، والجبرية واحدة وكذلك ، المشبهة والشيعة ثنتين وعشرين فرقة ؛ والقول الثالث ماذهب إليه المصنف من أنها ست ، ومن أراد تفاصيل ذلك فعليه بالاعتصام والمواقف . وهذا التقسيم بحسب الظن والتكلف فى مطابقة ماذكر للحديث الصحيح ، إذ ليس هناك دليل شرعى يفيد ذلك ولادل العقل على انحصار ماذكر فى ذلك العدد من غير زيادة ولا نقصان ، وبذلك تعلم مافى كلام المصنف من المخالفة لغيره فى عد الفرق وتسميتها بأسماء لم توجد فى كتاب (٢) هم الذين خرجوا على علىّ وانحازوا إلى حروراء وهم يومئذ اثنا عشر ألفاً وعبد الله بن كوا حينئذ زعيمهم (٣) نسبة إلى أبى راشد نافع بن الأزرق ولم يكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد شوكة منهم وبدعهم ثمانية (٤) نسبة إلى عبد الله بن أباض . (٥) نسبة إلى ثعلبة بن مشكان (٦) وهم أصحاب حازم ابن على (٧) وهم أصحاب خلف الخارجى الذى قاتل حمزة الخارجى .

والمكرمية(١) قالوا : ليس لأحد أن يمس أحداً لأنه لايعرف الطاهر من النجس ، ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل ، والكنزية قالوا : لاينبغى لأحد أن يعطى ماله أحداً لأنه ربما لم يكن مستحقاً بل يكنزه فى الأرض حتى يظهر أهل الحق ، والشمراخية قالوا : لابأس بمس النساء الأجانب لأنهن رياحين ، والأخنسية(٢) قالوا : لايلحق الميت بعد موته خير ولا شر والمحكمية قالوا : إن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر ، والمعتزلة من الحرورية قالوا : اشتبه علينا أمر على ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين ، والميمونية(٣) قالوا : لا إمام إلا برضا أهل محبتنا .

(وانقسمت القدرية) اثنتى عشرة فرقة : الأحمرية وهى التى زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحول بينهم وبين معاصيهم ، والثنوية وهى التى زعمت أن الخير من الله والشر من إبليس ، والمعتزلة هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية ، والكيسانية(٤) هم الذين قالوا لاندرى هذه الأفعال من الله أم من العباد ولانعلم أيثاب الناس بعد الموت أو يعاقبون ، والشيطانية(٥) قالوا إن الله لم يخلق شيطاناً ، والشريكية قالوا إن السيئات كلها مقدرة إلا الكفر ، والوهمية قالوا : ليس لأفعـــال الخلق وكلامهم ذات ولا للحسنة والسيئة ذات ، والراوندية قالوا : كل كتاب أنزل من الله فالعمل به حق ناسخاً كان أو منسوخاً ، والبترية(٦) زعموا أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته ، والناكثية زعموا أن من نكث بيعة رسول الله ﷺ فلا إثم عليه

(١) وهم أتباع مكرم بن عبد الله العجلى ويقول تارك الصلاة كافر لامن أجل ترك الصلاة ، ولكن لجهله بالله تعالى ، وطرد هذا فى كل كبيرة يرتكبها الإنسان .

(٢) أتباع رجل منهم كان يعرف بالأخنس (٣) وهم أتباع ميمون بن خالد يجيزون نكاح بنات البنات وبنات أولاد الأخوة (٤) أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين على رضى الله عنه وقيل تلميـــذ ابن الحنفية (٥) هم أتباع محمد بن النعمان الرافضى الملقب بشيطان الطاق (٦) هم أتباع رجلين الحسن بن صالح بن حى وكثير المنوى الملقب بالأبتر .

والقاسطية فضلوا طلب الدنيا على الزهد فيها ، والنظامية تبعوا إبراهيم النظام فى قوله من زعم أن الله شيء فهو كافر .

وانقسمت الجهمية(١) اثنتى عشرة فرقة : المعطلة زعموا أن كل مايقع عليه وهم الإنسان فهو مخلوق ، ومن ادعى أن الله يرى فهو كافر ، والمريسية(٢) قالوا : أكثر صفات الله مخلوقة ، والملتزمة جعلوا البارى سبحانه وتعالى فى كل مكان ، والواردية قالوا : لايدخل النار من عرف ربه ومن دخلها لم يخرج منها أبداً ، الزنادقة قالوا : ليس لأحد أن يثبت لنفسه ربا لأن الإثبات لايكون إلا بعد إدراك الحواس وما يدرك فليس بإله ومالا يدرك ، لايثبت والحرقية زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ثم يبقى محترقاً أبداً لايجد حر النار ، والمخلوقية زعموا أن القرآن مخلوق ، والفانية زعموا أن الجنة والنار تفنيان ، ومنهم من قال إنهما لم تخلقا والمغيرية(٣) جحدوا الرسل فقالوا إنما هم حكام ، والواقفية قالوا : لانقول إن القرآن مخلوق ولاغير مخلوق ، والقبرية ينكرون عذاب القبر والشفاعة ، واللفظية قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق .

(وانقسمت المرجئة) اثنتى عشرة فرقة : التاركية قالوا ليس لله عز وجل على خلقه فريضة سوى الإيمان به فمن آمن به وعرفه فليفعل ماشاء ، والسائبية قالوا : إن الله تعالى سيب خلقه ليعملوا ماشاءوا ، والراجية قالوا : لانسمى الطائع طائعاً ولاالعاصى عاصياً لأنا لاندرى ماله عند الله ، والشاكية قالوا : إن الطاعات ليست من الإيمان ، والبيهسية(٤) قالوا : الإيمان علم ومن لايعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر ، والمنقوصية قالوا الإيمان لايزيد ولاينقص ، والمستثنية نفوا الاستثناء فى الإيمان ، والمشبهة يقولون لله بصر كبصرى ويد كيدى ، والحشوية جعلوا حكم الأحاديث كلها واحداً فعندهم إن تارك النفل كتارك الفرض ، والظاهرية(٥) وهم الذين نفوا القياس ، والبدعية

(١) هم أتباع جهم بن صفوان ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم المازنى بمرو .

(٢) هم أتباع بشر المريسى (٣) وفى نسخة العبدية (٤) نسبة إلى بيهس بن الهيصم

(٥) أصحاب الإمام المجتهد داود بن على الظاهرى ولد بالكوفة سنة مائتين ونشأ ⟫

أول من ابتدع الأحداث فى هذه الأمة .

(وانقسمت الرافضة) اثنتى عشرة فرقة العلوية قالوا : إن الرسالة كانت إلى على وإن جبريل أخطأ والأمرية قالوا : إن علياً شريك محمد ﷺ فى أمره ، والشيعة قالوا : إن علياً رضى الله عنه وصي رسول الله ﷺ ووليه من بعده وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره ، والإسحاقية قالوا : إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبى ، والناووسية قالوا : إن علياً أفضل الأمة فمن فضل غيره عليه فقد كفر ، والإمامية قالوا لايمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الإمام يعلمه جبرائيل فإذا مات بدل مكانه مثله ، واليزيدية قالوا : إن ولد الحسين كلهم أئمة فى الصلوات فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره برهم وفاجرهم ، والعباسية زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره ، والمتناسخة قالوا : إن الأرواح تتناسخ فمتى كان محسناً خرجت روحه فدخلت فى خلق تسعد بعيشه ، ومن كان مسيئاً دخلت روحه فى خلق تشقى بعيشه ، والرجعية زعموا أن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم ، واللاعنية الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأباموسى وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم ، والمتربصة تشبهوا بزى النساك ونصبوا فى كل عصر رجلا ينسبون الأمر إليه يزعمون أنه مهدى هذه الأمة فإذا مات نصبوا رجلا آخر .

(وانقسمت الجبرية) اثنتى عشرة فرقة فمنهم : المضطربة قالوا لافعل للآدمى بل الله عز وجل يفعل الكل ، والأفعالية قالوا : لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها وإنما نحن كالبهائم نقاد بالحبل ، والمفروغية قالوا كل الأشياء قد خلقت والآن لايخلق شىء ، والنجارية (١) زعمت أن الله يعذب الناس على فعله لاعلى فعلهم ، والمتانية قالوا : عليك بما خطر بقلبك فافعل ماتوسمت به الخير ،

≪ ببغداد وتوفى بها سنة سبعين ومائتين وهو من أئمة أهل السنة والجماعة ، ولعل عد هذه من المرجئة سبق قلم حمانا الله من الزلل .

(١) هم أصحاب الحسين بن محمد النجار وأكثر معتزلة الرى وحواليها على مذهبه .

والكسبية قالوا : لا يكسب العبد ثوابا ولا عقابا ، والسابقية قالوا : من شاء فليعمل ومن شاء لايعمل فإن السعيد لاتضره ذنوبه والشقى لاينفعه بره ، والحبية قالوا : من شرب كأس محبة الله عز وجل سقطت عنه الأركان والقيام بها ، والخوفية قالوا إن من أحب الله سبحانه وتعالى لم يسعه أن يخافه لأن الحبيب لايخاف حبيبه والفكرية ، قالوا : إن من ازداد علماً سقط عنه بقدر ذلك من العبادة ، والخسية قالوا : الدنيا بين العباد سواء لاتفاضل بينهم فيما ورثهم أبوهم آدم ، والمعية قالوا : منا الفعل ولنا الاستطاعة .

﴿ الباب الثالث ﴾

(فى التحذير من فتن إبليس ومكايده)

قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله عليه : اعلم أن الآدمى لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ماينفعه . ووضع فيه الغضب ليدفع به مايؤذيه . وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب ، وخلق الشيطان محرضاً له على الإسراف فى اجتلابه واجتنابه ، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذى قد أبان عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه فى فساد أحوال بنى آدم . وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال سبحانه وتعالى : (لاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقال تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) وقال تعالى : (ويريد الشيطان أن يضلكم ضلالا بعيداً) وقال : (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) وقال تعالى : (إنه عدو مضل مبين) وقال : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال تعالى : (ولا يغرنكم بالله الغرور) وقال تعالى : (ألم أعهد إليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) وفى القرآن من هذا كثير .

﴿فصل﴾ قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وينبغى أن تعلم أن إبليس الذى شغله التلبيس أول ماالتبس عليه الأمر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الأصول فقال : (خلقتنى من نار وخلقته من طين) ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم ، فقال : (أرأيتك هذا الذى كرمت علىّ) والمعنى أخبرنى لم كرمته على ، غرر ذلك الاعتراض أن الذى فعلته ليس بحكمة ثم أتبع ذلك بالكبر فقال (أنا خير منه) . ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه التى أراد تعظيمها باللعنة والعقاب .

فمتى سول للإنسان أمراً فينبغى أن يحذر منه أشد الحذر وليقل له حين أمره إياه بالسوء إنما تريد بما تأمر به نصحى ببلوغى شهوتى . وكيف يتضح صواب النصح للغير لمن لاينصح نفسه ثم كيف أثق بنصيحة عدو فانصرف فما فى لقولك منفذ فلايبقى إلا أنه يستعين بالنفس لأنه يحث على هواها فليستحضر العقل إلى بيت الفكر فى عواقب الذنب لعـــل مدد توفيق يبعث جند عزيمته فيهزم عسكر الهوى والنفس .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا عاصم بن الحسن نا أبو عمر بن مهدى ثنا الحسين بن إسماعيل ثنا زكريا بن يحي ثنا شامة بن سوار ثنى المغيرة عن مطرف ابن الشخير عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله ﷺ ياأيها الناس إن الله تعالى أمرنى أن أعلمكم ماجهلتم مما علمنى فى يومى هذا إن كل مال نحلته عبدى فهو له حلال ، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وأمرتهم أن لايشركوا بى مالم أنزل به سلطانا ، وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب .

أخبرنا ابن الحصين قال : أخبرنا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنا يحي بن سعيد ثنا هشام ثنا قتادة عن مطرف عن عياض ابن حمار . أن النبى ﷺ خطب ذات يوم فقال فى خطبته : إن ربى ـ إلى آخر الحديث المتقدم .

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد

ثنى أبي ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيئاً ، قال ثم يجيء أحدهم فيقول ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، قال فيدنيه منه أوقال فيلتزمه ويقول نعم أنت . وبه قال أحمد وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر رضى الله عنه يرفعه قال : إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش(١) بينهم قال المصنف : انفرد به البخاري والذى قبله مسلم وفى لفظ حديثه قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب .

أنبأنا إسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا ابن بشران نا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثنى الحسين بن السكن ثنا المعلى بن أسد ثنى عدى بن أبي عمارة ثنا زياد النميرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه ، قال إن الشيطان واضع خطمه(٢) على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس . وإن نسى الله التقم قلبه .

أخبرنا محمد بن أبي منصور نا عبدالقادر نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر ابن ملك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا عبد الرحمن عن حماد بن سلمة عن عطاء ابن السائب عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : إن الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم ، فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا . قال عبد الله وحدثنى على بن مسلم ثنا سيار ثنا حبان الحريرى ثنا سويد القناوى عن قتادة رضى الله عنه قال : إن لإبليس شيطاناً يقال له قبقب يجمه(٣) أربعين سنة فإذا دخل الغلام فى هذا الطريق قال له دونك إنما كنت أجمك لمثل هذا أجلب عليه وأفتنه .

(١) أى يسعى بينهم بالخصومات والشحناء والفتن .

(٢) الخطم وزان فلس من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم الأنف والفم فاستعير للشيطان (٣) أى يتركه بدون عمل ليقوى .

قال سيار : وحدثنا جعفر ثنا ثابت البنانى رضى الله عنه قال : بلغنا أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شىء ، فقال يحيى : يا إبليس ما هذه المعاليق التى أرى عليك ، قال : هذه الشهوات التى أصيد بهن ابن آدم ، قال : فهل لى فيها من شىء ، قال : ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر ، قال : فهل غير ذلك قال لا والله قال لله علىّ أن لا أملأ بطنى من طعام أبداً ، قال إبليس : ولله على أن لا أنصح مسلماً أبداً . قال عبد الله ابن أحمد ثنا أبى ثنا وكيع ثنا الأعمش عن خيثمة عن الحارث بن قيس رضى الله عنه . قال : إذا أتاك الشيطان وأنت تصلى فقال إنك ترائى فزدها طولا .

أنبأ إسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد نا أبو على بن صفوان نا أبو بكر بن عبيد نا عبد الرحمن بن يونس نا سفيان بن عيينة . قال : سمع عمرو بن دينار عروة بن عامر سمع عبيد بن رفاعة يبلغ به النبى ﷺ يقول : كان راهب فى بنى إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب ، فأتى بها الراهب فأبى أن يقبلها فما زالوا به حتى قبلها فكانت عنده فأتاه الشيطان فسول له إيقاع الفعل بها فأحبلها ـ ثم أتاه فقال له الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن أتوك فقل ماتت ، فقتلها ودفنها ، فأتى الشيطان أهلها فوسوس لهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها يسألونه عنها ، فقال : ماتت فأخذوه فأتاه الشيطان . فقال : أنا الذى ضربتها وخنقتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها وأنا الذى أوقعتك فى هذا فأطعنى تنج ، اسجدلى سجدتين فسجد له سجدتين ، فهو الذى قال عز وجل « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين) وقد روى هذا الحديث على صفة أخرى عن وهب بن منبه رضى الله عنه : أن عابداً كان فى بنى إسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه ، وكان فى زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت وكانت بكراً ليس لهم أخت غيرها . فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها . قال : فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى إسرائيل . وكان ثقة

فى أنفسهم ، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون فى كنفه وجواره إلى أن يرجعوا (١)من غزاتهم ، فأبى ذلك ونعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم قال : فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال أنزلوها فى بيت حذاء صومعتى ، قال : فأنزلوها فى ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها ، فمكثت فى جوار ذلك العابد زمانا ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد إلى صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام قال : فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه فى الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك قال : فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها ، قال : فلبث على هذه الحالة زماناً . ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير والأجر وحضه عليه ، وقال : لو كنت تمشى إليها بطعامها حتى تضعه فى بيتها كان أعظم لأجرك قال : فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ثم وضعه فى بيتها ، فلبث على ذلك زمانا ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير وحضه عليه ، فقال : لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة ، قال : فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع إليها من فوق صومعته ، قال : ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هى على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها ، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها ، قال : فلبثا زماناً يتحدثان . ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير والثواب فيما يصنع بها وقال : لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريباً من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها ، فلم يزل به حتى فعل ، قال فلبثا زماناً : ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها ، وقال له : لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها ، فلبثا على ذلك حيناً . ثم جاءه إبليس ، فقال : لو دخلت

(١) وفى نسخة « يقفلوا » .

البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك ، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته ، قال : ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها فلم يزل به إبليس يحسنها فى عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها ، فولدت له غلاما فجاء إبليس فقال : أرأيت إن جاء أخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ففعل فقال له أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها ، قال : خذها واذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها فى الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ماشاء الله أن يمكث حتى أقبل إخوتها من الغزو ، فجاءوا فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها ، وقال : كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا إليه ، فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها فأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم . فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان فى النوم على صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان ، وقال : لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فزعاً منكم وألقاهما فى حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فانطلقوا فأدخلوا البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعاً ، وأتى الأوسط فى منامه فقال له مثل ذلك ، ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك ، فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم ، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رأيت الليلة عجباً فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى ، فقال كبيرهم هذا حلم ليس بشىء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم قال أصغرهم والله لا أمضى حتى آتى إلى هذا المكان فأنظر فيه ، قال : فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذى كانت فيه أختهم ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذى وصف

لهم فى منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين فى الحفيرة كما قيل لهم ، فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما . فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان ، فقال له قد علمت أنى أنا صاحبك الذى فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فان أنت أطعتنى اليوم وكفرت بالله الذى خلقك وصورك خلصتك مما أنت فيه ، قال : فكفر العابد فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه ، قال : ففيه نزلت هذه الآية (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك ـ إلى قوله ـ جزاء الظالمين) وقد تقدم ذكرها .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم نا أبو بكر الآجرى ثنا عبد الله بن محمد العطينى ثنا إبراهيم بن الجنيد ثنى محمد بن الحسين ثنا بشر بن محمد بن أبان ثنى الحسن بن عبد الله بن مسلم القرشى عن وهب بن منبه رضى الله عنه ، قال : كان راهب فى صومعته فى زمن المسيح عليه السلام فأراده إبليس فلم يقدر عليه فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه . فأتاه متشبها بالمسيح . فناداه : أيها الراهب اشرف على أكلمك ، قال : انطلق لشأنك فلست أرد مامضى من عمرى فقال : اشرف على فأنا المسيح فقال إن كنت المسيح فما لى إليك حاجة ، ألست قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة انطلق لشأنك فلا حاجة لى فيك فانطلق اللعين عنه وتركه .

أنبأنا إسماعيل بن أحمد نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد بن بشران نا أبو على البردعى ثنا أبو بكر القرشى ثنا أبو عبد الله محمد بن موسى الحرشى ثنا جعفر بن سليمان ثنا عمرو بن دينار ثنا سالم بن عبد الله رضى الله عنه عن أبيه قال : لما ركب نوح عليه السلام فى السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك ، قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك ، فقال له نوح عليه السلام اخرج ياعدو الله ، فقال إبليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نوح عليه الصلاة والسلام أنه لاحاجة لك إلى الثلاث ، مره يحدثك بالاثنتين

فقال بهما أهلك الناس وهما لايكذبان : الحسد(١) والحرص(٢) فبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيما ، وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتى منه فأخرج من الجنة . قال ولقى إبليس موسى عليه السلام ، فقال : ياموسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما ، وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى إلى ربى عزوجل أن يتوب على ، فدعا موسى ربه فقيل ياموسى قد قضيت حاجتك ، فلقى موسى إبليس فقال له قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك ، فاستكبر وغضب وقال : لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً ، ثم قال إبليس : ياموسى إن لك حقاً بما شفعت إلى ربك فاذكرنى عند ثلاث لاأهلك فيهن أذكرنى حين تغضب فأنا وحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك مجرى الدم واذكرنى حين تلقى الزحف فإنى آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولى . وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فانى رسولها إليك ورسولك إليها . قال القرشى وحدثنا أبو حفص الصفار ثنا جعفر بن سليمان ثنا شعبة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه قال مابعث الله نبياً إلا لم يأمن إبليس أن يهلكه بالنساء : قال القرشى وثنى القاسم ابن هاشم عن إبراهيم بن الأشعث عن فضيل بن عياض : قال حدثنى بعض أشياخنا أن إبليس لعنه الله جاء إلى موسى عليه الصلاة والسلام وهو يناجى ربه تعالى ، فقال له الملك : ويلك ماترجو منه وهو على هذه الحالة يناجى ربه ، قال : أرجو منه مارجوت من أبيه آدم وهو فى الجنة . قال القرشى وثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيبانى ثنا فرج ابن فضالة عن عبدالرحمن بن زياد رضى الله عنه قال :

---

(١) الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه والغبطة أن يتمنى أن يكون له مثلها ولايتمنى زوالها عنه والأول مذموم والثانى محمود وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لاحسد إلا فى اثنتين .

(٢) الحرص شدة الإرادة والشره إلى المطلوب وهو نوعان : حرص فاجع وحرص نافع فالأول حرص المرء على الدنيا وهو مشغول معذب بها فلا يفرغ من محبتها والثانى حرصه على طاعة الله تعالى خوف أن تفوت .

بينما موسى عليه السلام جالس فى بعض مجالسه إذ أقبل إبليس وعليه برنس (١) له يتلون فيه ألواناً فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له السلام عليك ياموسى : فقال له موسى عليه السلام ، من أنت : قال أنا إبليس ، قال فلا حياك الله ماجاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانك منه قال : فما الذى رأيته عليك ، قال : به أختطف قلوب بنى آدم ، قال : فما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه ، قال إذا أعجبته نفسه . واستكثر عمله ، ونسى ذنوبه . وأحذرك ثلاثاً :

لا تخلون بامرأة لاتحل لك قط ، فانه ماخلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها .

ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به ، فإنه ماعاهد الله أحد إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء به .

ولاتخرجن صدقة إلاأمضيتها فإنه ماأخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين إخراجها . ثم ولى وهو يقول : ياويله ثلاثاً علم موسى مايحذر به بنى آدم .

قال القرشى : وحدثنى محمد بن إدريس ثنا أحمد بن يونس ثنا حسن بن صالح قال : سمعت أن الشيطان قال للمرأة أنت نصف جندى وأنت سهمى الذى أرمى به ، فلا أخطىء وأنت موضع سرى وأنت رسولى فى حاجتى .

قال القرشى : وحدثنا إسحق بن إبراهيم ثنى هشام بن يوسف بن عقيل بن معقل بن أخى وهب بن منبه قال : سمعت وهباً يقول : قال راهب للشيطان وقد بدا له أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم ، قال الحدة(٢) إن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة .

قال القرشى : وحدثنا سعيد بن سليمان الواسطى عن سليمان بن المغيرة عن

(١) البرنس هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به من دراعة أو جبة أو غيرهما ، وقد شاع استعماله فى المغرب .

(٢) الحدة مايعترى الإنسان من الغضب .

ثابت رضي الله عنه قال : لما بعث النبي ﷺ جعل إبليس لعنه الله يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فيجيئون إليه بصحفهم ليس فيها شيء فيقول لهم مالكم لاتصيبون منهم شيئاً ، فقالوا : ماصحبنا قوماً مثل هؤلاء فقال رويداً بهم فعسى أن تفتح لهم الدنيا ، هنالك تصيبون حاجتكم منهم .

قال القرشي : وأخبرنا أحمد بن جميل المروزى نا ابن المبارك نا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمى عن أبي موسى قال : إذا أصبح إبليس بث جنوده فى الأرض فيقول من أضل مسلماً ألبسته التاج . فيقول له القائل لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، قال يوشك أن يتزوج . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى عق ، قال يوشك أن يبر . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى زنى . قال أنت . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى شرب الخمر ، قال أنت ، قال : ويقول آخر لم أزل بفلان حتى قتل ، فيقول : أنت أنت .

قال القرشي : وسمعت سعيد بن سليمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال لأقطعن هذه الشجرة ، فجاء ليقطعها غضباً لله فلقيه إبليس فى صورة إنسان ، فقال : ماتريد؟ قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله . قال إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟ قال لأقطعنها . فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك لاتقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك . قال فمن أين لى ذلك قال أنا لك ، فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً ، فقام غضباً ليقطعها فتمثل له الشيطان فى صورته وقال ماتريد ؟ قال أريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله تعالى قال كذبت مالك إلى ذلك من سبيل : فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله قال أتدرى من أنا أنا الشيطان ، جئت أول مرة غضباً فلم يكن لى عليك سبيل . فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضبا للدينارين سلطت عليك .

قال القرشي : وحدثنا بشر بن الوليد الكندى ثنا محمد بن طلحة عن زيد ابن مجاهد قال : لإبليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شيء من

من أمره، ثم سماهم : فذكر ثبر ، والأعور ، ومسوط ، وداسم ، وزكنبور ، فأما ثبر ، فهو صاحب المصيبات الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية ؛ وأما الأعور ، فهو صاحب الزنا الذى يأمر به ويزينه ؛ وأما مسوط فهو صاحب الكذب الذى يسمع فيلقى الرجل فيخبره بالخبر ، فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم قد رأيت رجلا أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه حدثنى بكذا وكذا ؛ وأما داسم ، فهو الذى يدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم ؛ وأما زكنبور ، فهو صاحب السوق الذى يركز رايته فى السوق .

أخبرنا محمد بن القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا إبراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن إسحاق ثنا إسماعيل بن أبى الحارث ثنا سنيد عن مخلد بن الحسين قال : ماندب الله العباد إلى شىء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالى بأيهما ظفر : إما غلو فيه ، وإما تقصير عنه . وبالإسناد قال محمد بن إسحاق وثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبى قبيل سمعت حياة بن شراحيل يقول : سمعت عبد الله بن عمر يقول : إن إبليس موثق فى الأرض السفلى ، فإذا هو تحرك كان كل شر فى الأرض بين اثنين فصاعداً من تحركه .

قال الشيخ : أبو الفرج رحمه الله ، قلت : وفتن الشيطان ومكايده كثيرة فى غضون هذا الكتاب منها مايليق بكل موضع منه إن شاء الله تعالى : ولكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة . فإن من يدع إلى مايحث عليه الطبع كمداد سفينة منحدرة فيا سرعة انحدارها ؛ وبما ركب الهوى فى هاروت وماروت لم يستمسكا ، فاذا رأت الملائكة مؤمناً قد مات على الإيمان تعجبت من سلامته .

وأخبرنا محمد بن أبى منصور نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى ثنا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثنى ابن جريج قال: ثنا عتبة بن عبد الواحد عن مالك بن مغول عن عبد العزيز بن رفيع قال : إذا عرج بروح المؤمن إلى السماء

قالت الملائكة سبحان الله الذى نجى هذا العبد من الشيطان ، ياويحه كيف نجا .

﴿ ذكر الإعلام بأن مع كل إنسان شيطانا ﴾

أخبرنا أبو الحصين الشيبانى نا أبو على المذهب نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل ثنى أبى ثنا هرون ثنا عبد الله بن وهب أخبرنى أبو صخر عن ابن قسيط أنه حدثه أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبى ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : مالك ياعائشة أغرت(١) ، فقلت : ومالى لايغار مثلى على مثلك؟ فقال : أوقد جاءك شيطانك ؟ قالت : يارسول الله أومعى شيطان ! قال نعم ، قلت : ومع كل إنسان ؟ قال نعم ، قلت : ومعك يارسول الله ؟ قال نعم ، ولكن ربى عزوجل أعانى عليه حتى أسلم : انفرد به مسلم ، ويجىء بلفظ آخر : أعانى عليه فأسلم . قال الخطابى : عامة الرواة يقولون : فأسلم على مذهب الفعل الماضى إلا سفيان بن عيينة فإنه يقول فأسلم من شره وكان يقول الشيطان لا يسلم . قال الشيخ : وقول ابن عيينة حسن وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان إلا أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة ، وهو ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا يحيى عن سفيان ثنى منصور عن سالم بن أبى الجعد عن أبيه عن ابن مسعود يرفعه مامنكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة ، قالوا وإياك يارسول الله قال : وإياى ، ولكن الله عزوجل أعانى عليه فلا يأمرنى إلا بحق : وفى رواية فلا يأمرنى إلا بخير . قال الشيخ : انفرد به مسلم واسم أبى الجعد رافع وظاهره إسلام الشياطين ، ويحتمل القول الآخر .

﴿ بيان أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ﴾

اخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنى عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهرى عن على بن الحسين عن صفية

(١) وهى الحمية والأنفة ، يقال : رجل غيور ، وامرأة غيور .

بنت حيي زوج النبي ، قالت كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معي ليقلبني(١) وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا ، فقال النبي ﷺ : على رسلكما إنها صفية بنت حيي ، فقالا : سبحان الله يارسول الله ! قال : إن الشيطان(٢) يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً ـ أوقال شيئاً ـ الحديث في الصحيحين . قال الخطابي : وفي هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجري به الظنون ، ويخطر بالقلوب ، وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من الريب ، ويحكى في هذا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : خاف النبي ﷺ أن يقع في قلوبهما شيء من أمر فيكفرا ، وإنما قاله صلى الله عليه وسلم شفقة منه عليهما لا على نفسه .

﴿ ذكر التعوذ من الشيطان الرجيم(٣) ﴾

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : قد أمر الله تعالى بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند التلاوة فقال تعالى : (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وعند السحر ، فقال (قل أعوذ برب الفلق) إلى آخر السورة : فاذا أمر بالتحرز من شره في هذين الأمرين فكيف في غيرهما .

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا سيار ثنا جعفر ثنا أبو التياح ، قال : قلت لعبد الرحمن بن حنيش :

(١) ليقلبني بفتح الياء أي ليردني إلى منزلي .

(٢) ظاهر الحديث أن الله تعالى جعل للشيطان قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان في مجاري دمه ، ويحتمل أنه من قبيل الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه ، وقيل : إنه يلقي وسوسته في مسام لطيفة من البدن فتصل إلى القلب .

(٣) التعوذ التحصن والاعتصام والالتجاء ، والمعوذتان عوذتا قارئهما أي عصمتاه من كل سوء .

أدركت النبي ﷺ ؟ قال : نعم ، قلت : كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين ؟ فقال : إن الشياطين تحدرت(١) تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ . فهبط إليه جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمد قل ، قال : أماقول ؟ قال : قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق وذرأ وبرأ ، ومن شر ماينزل من السماء ، ومن شر مايعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يارحمن ، قال : فطفئت نارهم ، وهزمهم الله تعالى .

أنبأنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا عاصم بن الحسن نا أبو الحسين بن بشران نا ابن صفوان ثنا أبوبكر القرشي حدثني أبو سلمة المخزومي ثنا ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال : إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلقك ؟ فيقول الله تبارك وتعالى ، فيقول : فمن خلق الله ، فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه . قال القرشي ثنا هناد بن السري ثنا أبو الأحوص عن عطاء بن سائب عن مرة الهمذاني عن ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه ، قال : إن للشيطان لمة(٢) بابن آدم ، وللملك لمة فأما لمة ، الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ؛ وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ؛ فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم انه من الله فليحمدالله . ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) الآية .

قال الشيخ رحمه الله : وقد رواه جرير عن عطاء فوقفه على ابن مسعود .

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا عبد الرزاق نا سفيان عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن

(١) من الحدور أي تنزلت .

(٢) اللمة الهمة والخطرة تقع في القلب فما كان من خطرات الخير فهو من الملك وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان .

والحسين فيقول : أعيذكما بكلمات الله التامة . من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . ثم يقول هكذا كان أبي إبراهيم صلى الله عليه وآله(١) وسلم يعوذ إسماعيل وإسحاق أخرجاه فى الصحيحين . قال أبو بكر بن الأنبارى الهامة واحد الهوام ، ويقال . هى كل نسمة تهم بسوء واللامة الملمة وإنما قال لامة ليوافق لفظ هامة فيكون ذلك أخف على اللسان .

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا إبراهيم بن عمر البرمكى نا أبو الحسن عبد الله بن إبراهيم الزينبى ثنا محمد بن خلف ثنا عبد الله بن محمد ثنا فضيل بن عبد الوهاب ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت قال : قال مطرف . نظرت فإذا ابن آدم ملقى بين يدى الله عز وجل وبين إبليس فمن شاء أن يعصمه عصمه ، وإن تركه ذهب به إبليس (وحكى) عن بعض السلف أنه قال لتلميذه . ماتصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا . قال ؟ أجاهده ، قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده ، قال . فإن عاد ؟ قال أجاهده . قال هذا يطول أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ماتصنع ؟ قال : أكابده وأرده جهدى . قال هذا يطول عليك ، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك .

قال الشيخ ، رحمه الله : واعلم أن مثل إبليس مع المتقى والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام ، فمر به كلب فقال له اخسأ فذهب فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أخساه لم يبرح ، فالأول مثل المتقى يمر به الشيطان فيكفيه فى طرده الذكر ، والثانى مثل المخلط لايفارقه الشيطان لمكان تخليطه ، نعوذ بالله من الشيطان .

﴿ الباب الرابع ـ فى معنى التلبيس والغرور ﴾

قال المصنف : التلبيس إظهار الباطل فى صورة الحق ، والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والردىء جيداً : وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر مايمكنه ويزيد تمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم . واعلم أن القلب كالحصن ، وعلى ذلك الحصن

(١) هكذا فى النسخ التى بأيدينا ، ولعل « بآله » زيادة من النساخ .

سور ، وللسور أبواب ، وفيه ثُلَمٌ(١) وساكنه العقل ، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن ، وإلى جانبه رَبَضٌ(٢) فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع ، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض والشياطين لاتزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم . فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذى قد وكل بحفظه وجميع الثلم ، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة . فان العدو مايفتر . قال رجل للحسن البصرى : أينام إبليس ؟ قال : لو نام لوجدنا راحة ، وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان ، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل مايمر به ، فأول مايفعل الشيطان فى الربض إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن ، وتصدأ المرآة وكال الفكر يرد الدخان ، وصقل الذكر يجلو المرآة ، وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن ، فيكر عليه الحارس فيخرج ، وربما دخل فعاث(٣) وربما أقام لغفلة الحارس ، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولايدرى به ، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل فى موافقة الهوى ومساعدته ، وربما صار كالفقيه فى الشر ، قال بعض السلف . رأيت الشيطان فقال لى قد كنت ألقى الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأتعلم منهم وربما هجم الشيطان على الذكى الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها فيتشاغل الفطن بالنظر إليها فيستأسره ، وأقوى القيد الذى يوثق به الأسرى الجهل ، وأوسطه فى القوة الهوى ، وأضعفه الغفلة ، ومادام درع الإيمان على المؤمن ، فإن نبل العدو لايقع فى مقتل .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا أبو محمد ابن حيان ثنا أحمد بن محمد بن يعقوب ثنا محمد بن يوسف الجوهرى ثنا أبو غسان النهدى قال : سمعت الحسن بن صالح رحمه الله يقول : إن الشيطان ليفتح للعبد

(١) الثلم جمع ثُلْمَة كغرفة وغُرَف ، وهى فى الأصل موضع الكسر من القدح .
(٢) الربض بفتحتين المكان الذى يؤوى إليه .
(٣) عاث يعيث عيثاً أفسد .

تسعة وتسعين باباً من الخيريريد به باباً من الشر . أنبأنا على بن عبدالله نا محمد ابن محمد النديم نا عمى عبد الواحد بن أحمد ثنى أبى أحمد بن الحسين العدل ثنا أبو جعفر محمد بن صالح ثنا حيان بن الفلس الجمانى ثنا حماد بن شعيب عن الأعمش قال : حدثنا رجل كان يكلم الجن ، قالوا : ليس علينا أشد ممن يتبع السنة ، وأما أصحاب الأهواء ، فإنا نلعب بهم لعباً .

﴿ الباب الخامس ﴾

(فى ذكر تلبيسه فى العقائد والديانات)

ذكر تلبيسه على السوفسطائية(١)

قال الشيخ : هؤلاء قوم ينسبون إلى رجل يقال له سوفسطا : زعموا أن الأشياء لاحقيقة لها وأن مايستبعده يجوزأن يكون على مانشاهده ، ويجوز أن يكون على غير مانشاهده . وقد اورد العلماء عليهم ، بأن قالوا لمقالتكم هذه حقيقة أم لا ؟ فان قلتم لاحقيقة لها وجوزتم عليها البطلان فكيف يجوز أن تدعوا إلى مالاحقيقة له ؟ فكأنكم تقرون بهذا القول أنه لايحل قبول قولكم ؛ وإن قلتم لها حقيقة ، فقد تركتم مذهبكم . وقد ذكر مذهب هؤلاء أبو محمد الحسن ابن موسى النوبختى فى كتاب الآراء والديانات ، فقال : رأيت كثيراً من المتكلمين قد غلطوا فى أمر هؤلاء غلطا بيناً . لأنهم ناظروهم وجادلوهم وراموا بالحجاج والمناظرة الرد عليهم وهم لم يثبتوا حقيقة ولاأقروا بمشاهدة ، فكيف تكلم من يقول : لاأدرى أيكلمنى أم لا ؟ وكيف تناظر من يزعم أنه لايدرى أموجود هوأم معدوم ؟! وكيف تخاطب من يدعى أن المخاطبة بمنزلة السكوت فى الإبانة

---

(١) اعلم أن السوفسطائية انقسمت ثلاثة مذاهب : الأول ينكر حقائق الأشياء ويزعم أنها أوهام وهم العنادية ؛ والثانى ينكر العلم بثبوت الشيء ولا بعدم ثبوته ، ولاينكر نفس الحقائق ولايثبتها ويزعم أنه شاك وشاك فى أنه شاك وهم اللاأدرية ، والثالث يزعم أن الحقائق تابعة للاعتقادات مع كونه ينكر ثبوتها وهم العندية وهى ، مذكورة فى كلام المصنف على هذا الترتيب .

وأن الصحيح بمنزلة الفاسد ؟ قال : ثم إنه إنما يناظر من يقر بضرورة أو يعترف بأمر ، فيجعل مايقر سبباً إلى تصحيح مايجحده . فأما من لا يقر بذلك فمجادلته مطروحة . قال الشيخ : وقد رد هذا الكلام أبو الوفاء بن عقيل فقال : إن أقواماً قالوا كيف نكلم هؤلاء وغاية مايمكن المجادل أن يقرب المعقول إلى المحسوس ويستشهد بالشاهد فيستدل به على الغائب ، وهؤلاء لايقولون بالمحسوسات فبم يكلمون ؟ قال : وهذا كلام ضيق العطن ، ولا ينبغي أن يوئس من معالجة هؤلاء فإن ما اعتراهم ليس بأكثر من الوسواس ولا ينبغي أن يضيق عطننا عن معالجتهم فإنهم قوم أخرجتهم عوارض انحراف مزاج وما مثلنا ومثلهم إلا كرجل رزق ولداً احول فلا يزال يرى القمر بصورة قمرين ، حتى إنه لم يشك أن فى السماء قمرين : فقال له أبوه القمر واحد ، وإنما السوء فى عينيك ، غض عينك الحولاء وانظر ، فلما فعل قال : أرى قمراً واحداً لأنى عصبت إحدى عينى فغاب أحدهما فجاء من هذا القول شبهة ثانية ، فقال له أبوه : إن كان ذلك كما ذكرت فغض الصحيحة ففعل فرأى قمرين ، فعلم صحة ماقال أبوه .

أنبأنا محمد بن ناصر نا الحسن بن أحمد بن البنا ثنا ابن دودان نا أبو عبد الله المرزبانى ثنى أبو عبد الله الحكيمى ثنى يموت بن المزرع ثنى محمد بن عيسى النظام قال : مات ابن لصالح بن عبد القدوس فمضى إليه أبو الهذيل ومعه النظام وهو غلام حدث كالمتوجع له . فرآه منحرفاً فقال له أبو الهذيل : لا أعرف لجزعك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزرع ، فقال له صالح يا أبا الهذيل ، إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ، فقال له أبو الهذيل : وما كتاب الشكوك ، قال هو كتاب وضعته من قرأه يشك فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان ، فقال له النظام : فشك أنت فى موت ابنك واعمل على أنه لم يمت ، وإن كان قد مات فشك أيضاً فى أنه قد قرأ الكتاب وإن كان لم يقرأه . وحكى أبو القاسم البلخى أن رجلا من السوفسطائية كان يختلف إلى بعض المتكلمين فأتاه مرة فناظره فأمر المتكلم بأخذ دابته فلما خرج لم يرها فرجع فقال سرقت دابتى ، فقال ويحك لعلك لم تأت راكباً ، قال بلى ، قال فكر ، قال هذا

أم أتيقنه ، فجعل يقول له تذكر ، فقال ويحك ويحك ماهذا موضع تذكر ، أنا لاأشك أنى جئت راكباً ، قال : فكيف تدعى أنه لاحقيقة لشيء وإن حال اليقظان كحال النائم؟ فوجم السوفسطائى ورجع عن مذهبه .

﴿ فصل ﴾ قال النوبختى قد زعمت فرقة من المتجاهلين انه ليس للأشيء حقيقة واحدة فى نفسها ، بل حقيقتها عند كل قوم على حسب مايعتقد فيها ، فان العسل يجده صاحب المرة الصفراء مراً . ويجده غيره حلواً . قالوا وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه ، محدث عند من اعتقد حدوثه . واللون جسم عند من اعتقده جسما ، وعرض عند من اعتقده عرضاً . قالوا فلو توهمنا عدم المعتقدين وقف الأمر على وجود من يعتقد . وهؤلاء من جنس السوفسطائية فيقال لهم أقولكم صحيح ؟ فسيقولون هو صحيح عندنا ، باطل عند خصمنا . قلنا دعواكم صحة قولكم مردودة وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم ومن شهد على قولهم بالبطلان من وجه فقد كفى خصمه بتبيين فساد مذهبه ، ومما يقال لهم : أتثبتون للمشاهدة حقيقة ؟ فان قالوا لا ، لحقوا بالأولين ، وإن قالوا حقيقتها على حسب الاعتقاد فقد نفوا عنها الحقيقة فى نفسها وصار الكلام معهم كالكلام مع الأولين .

﴿فصل﴾ قال النوبختى . ومن هؤلاء من قال : إن العالم فى ذوب وسيلان قالوا ولايمكن الإنسان أن يتفكر فى الشيء الواحد مرتين . لتغير الأشياء دائماً فيقال لهم : كيف علم هذا وقد أنكرتم ثبوت مايوجب العلم ، وربما كان أحدكم الذى يجيبه الآن غير الذى كلمه .

﴿ ذكر تلبيسه على الدهرية ﴾

قال المصنف : قد أوهم إبليس خلقاً كثيراً أنه لا إله ولاصانع ، وأن هذه الأشياء كانت بلامكون ، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا فى معرفته العقل جحدوه ، وهل يشك ذوعقل فى وجود صانع فإن الإنسان لومر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطاً مبنياً علم أنه لابد له من بان بناه ، فهذا المهاد الموضوع ، وهذا السقف المرفوع ، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين

الجارية على وجه الحكمة ، أما تدل على صانع ، وما أحسن ماقال بعض العرب : إن البعرة تدل على البعير ، فهيكل علوى بهذه اللطافة ، ومركز سفلى بهذه الكثافة أمايدلان على اللطيف الخبير ، ثم لو تأمل الإنسان نفسه لكفت دليلا ، ولشفت غليلا فإن فى هذا الجسد من الحكم مالايسع ذكره فى كتاب . ومن تأمل تحديد الأسنان لتقطع ، وتقريض الأضراس لتطحن . واللسان يقلب الممضوغ وتسليط الكبد على الطعام ينضجه ، ثم ينفذ إلى كل جارحة قدر ماتحتاج إليه من الغذاء ، وهذه الأصابع التى هيئت فيها العقد لتطوى وتنفتح ، فيمكن العمل بها ، ولم تجوف لكثرة عملها إذ لو جوفت لصدمها الشيء القوى فكسرها ، وجعل بعضها أطول من بعض لتستوى إذا ضمت ، وأخفى فى البدن مافيه قوامه ، وهى النفس التى إذا ذهبت فسد العقل الذى يرشد إلى المصالح ، وكل شيء من هذه الأشياء ينادى أفى الله شك ؟ وإنما يخبط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحس ، ومن الناس من جحده ، لأنه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصيل فجحد أصل الوجود ، ولو أعمل هذا فكره لعلم أن لنا أشياء لاتدرك إلا جملة كالنفس والعقل . ولم يمتنع أحد من إثبات وجودهما . وهل الغاية إلا إثبات الخالق جملة ، وكيف يقال كيف هو أو ما هو ولا كيفية له ولاماهية . ومن الأدلة القطعية على وجوده أن العالم حادث بدليل أنه لايخلو من الحوادث وكل مالا ينفك عن الحوادث حادث ولابد لحدوث هذا الحادث من مسبب وهو الخالق سبحانه . وللملحدين اعتراض يتطاولون به على قولنا : لابد للصنعة من صانع فيقولون إنما تعلقتم فى هذا بالشاهد وإليه نقاضيكم فنقول كما أنه لابد للصنعة من صانع فلابد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها كالخشب لصورة الباب والحديد لصورة الفأس . قالوا فدليلكم الذى تثبتون به الصانع يوجب قدم العالم . فالجواب أنه لاحاجة بنا إلى مادة بل نقول إن الصانع اخترع الأشياء اختراعاً فإنا نعلم أن الصور والأشكال المتجددة فى الجسم كصورة الدولاب ليس لها مادة . وقد اخترعها ولابد لها من مصور فقد أريناكم صورة وهي شيء جاءت لامن شيء ولايمكنكم أن ترونا صنعة جاءت لامن صانع .

﴿ ذكر تلبيسه على الطبائعيين ﴾ (١)

قال المصنف : لما رأى إبليس قلة موافقته على جحد الصانع لكون العقول شاهدة بأنه لابد للمصنوع من صانع حسن لأقوام أن هده المخلوقات فعل الطبيعة وقال ما من شيء يخلق إلا من اجتماع الطبائع الأربع فيه . فدل على أنها الفاعلة ، وجواب هذا ، نقول اجتماع الطبائع دليل على وجودها لا على فعلها ثم قد ثبت أن الطبائع لاتفعل إلا باجتماعها وامتزاجها . وذلك يخالف طبيعتها ، فدل على أنها مقهورة . وقد سلموا أنها ليست بحية ولا عالمة ولا قادرة ومعلوم أن الفعل المتسق المنتظم لا يكون إلا من عالم حكيم ، فكيف يفعل من ليس عالماً وليس قادرا ، فإن قالوا ولو كان الفاعل حكيما لم يقع فى بنائه خلل . ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة فعلم أنه بالطبع . قلنا ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الأمور المنتظمة المحكمة التى لايجوز أن يصدر مثلها عن طبع . فأما الخلل المشار إليه فيمكن أن يكون للابتلاء والردع والعقوبة ، أو فى طيه منافع لا نعلمها ثم أين فعل الطبيعة من شمس تطلع فى نيسان على أنواع من الحبوب فترطب الحصرم والخلالة وتنشف البرة وتيبسها ولو فعلت طبعاً لأيبست الكل أو رطبته فلم يبق إلا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة فى يبس هذه للادخار ، والنضج فى هذه للتناول ، والعجب أن الذى أوصل إليها اليبس فى أكنة(٢) لايلتى جرمها والذى رطبها يلقى جرمها ، ثم إنها تبيض ورد الخشخاش وتحمر الشقائق وتحمض الرمان وتحلى العنب ، والماء واحد ، وقد أشار المولى إلى هذا بقوله (تسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) .

﴿ ذكر تلبيسه على الثنوية ﴾

وهم قوم قالوا صانع العالم اثنان : ففاعل الخير نور ، وفاعل الشر ظلمة ،

(١) الطبائعيين نسبة إلى الطبائع الاربعة وهى : التراب ، والماء ، والنار ، والهواء على مذهبهم هداهم الله إلى صراطه المستقيم ، ويعتقدون أنها أصول كل شىء .

(٢) الأكنة الأغطية واحد الأكنان ، قال تعالى : (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أى أغطية .

وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين حساسين ، سميعين بصيرين ، وهما مختلفان في النفس والصورة ، متضادان في الفعل والتدبير ، فجوهر النور فاضل حسن نير صاف نقي طيب الريح حسن المنظر ، ونفسه نفس خيرة كريمة حكيمة نفاعة منها الخير واللذة والسرور والصلاح . وليس فيها شيء من الضرر ولا من الشر وجوهر الظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص ونتن الريح وقبح المنظر ونفسه نفس شريرة بخيلة سفيهة منتنة ضرارة منها الشر والفساد(١) . كذا حكاه النوبختي عنهم ، قال : وزعم بعضهم أن النور لم يزل فوق الظلمة . وقال بعضهم : بل كل واحد إلى جانب الآخر . وقال أكثرهم : النور لم يزل مرتفعاً في ناحية الشمال ، والظلمة منحطة في ناحية الجنوب . ولم يزل كل واحد منهما مباينا لصاحبه ، قال النوبختي : وزعموا أن كل واحد منهما له أجناس خمسة ، أربعة منها أبدان وخامس هو الروح ، وأبدان النور أربعة : النار والريح ، والتراب ، والماء ، وروحه الشبح ، ولم تزل تتحرك في هـــذه الأبدان ؛ وأبدان الظلمة أربعة : الحريق ، والظلمة ، والسموم ، والضباب ، وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة ، وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت . وبعضهم يقول الظلمة تتوالد شياطين والنور يتوالد ملائكة . وأن النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه ، والظلمة لا تقدر على الخير ولا تجوز منه . وذكر لهم مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالنور والظلمة . ومذاهب سخيفة . فمنها أنه فرض عليهم ألا يدخرون إلا قوت يوم ، وقال بعضهم : على الإنسان صوم سبع العمر ، وترك الكذب والبخل والسحر ، وعبادة الأوثان والزنى والسرقة ، وأن لا يؤذى ذا روح ، في مذاهب طريفة اخترعوها بواقعاتهم الباردة . وذكر يحي بن بشر النهاوندى أن قوماً منهم يقال لهم (الديصانية) زعموا أن طبيعة العالم(١) كانت طينة خشنة وكانت تحاكى جسم البارى الذى هو النور زمانا ، فتأذى بها ، فلما طال عليه ذلك قصد تنحيتها عنه فتوحل فيها واختلط بها فتركب منها هذا العالم النورى والظلمى ، فما

---

(١) انظر أهداف سورة الكهف ص ٩٨ وما بعدها .

(٢) وفي نسخة طينة العالم .

كان من جهة الصلاح فمن النور ، وماكان من جهة الفساد فمن الظلمة ، وهؤلاء يغتالون الناس ويخنقونهم ويزعمون أنهم يخلصون بذلك النور من الظلمة ، مذاهب سخيفة ، والذى حملهم على هذا أنهم رأوا فى العالم شراً واختلافاً ، فقالوا لايكون من أصل واحد شيئان مختلفان : كما لا يكون من النار التبريد والتسخين . وقد رد العلماء عليهم فى قولهم إن الصانع اثنان ، فقالوا لو كان اثنين لم يخل أن يكونا قادرين ، أو عاجزين ، أو أحدهما قادر والثانى عاجز ؛ لايجوز أن يكونا عاجزين لأن العجز يمنع ثبوت الألوهية ، ولايجوز أن يكون أحدهما عاجزاً ، فبقى أن يقال هما قادران ، فتصور أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم فى حالة يريد الآخر فيها تسكينه ، ومن المحال وجود مايريدانه ، فإن تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر ، وردوا عليهم فى قولهم : إن النور يفعل الخير ، والظلمة تفعل الشر . فانه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير قد صدر من شر ولاينبغى مد النفس فى الكلام مع هؤلاء فان مذهبهم خرافات .

﴿ ذكر تلبيسه على الفلاسفة وتابعيهم ﴾

إنما تمكن إبليس من التلبيس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بآرائهم وعقولهم . وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات إلى الأنبياء . فمنهم من قال بقول الدهرية أن لاصانع للعالم ، حكاه النوبختى وغيره عنهم . وحكى النهاوندى أن أرسطاطاليس وأصحابه زعموا أن الأرض كوكب فى جوف هذا الفلك وأن فى كل كوكب عوالم كما فى هذا الأرض وأنهاراً وأشجاراً وأنكروا الصانع وأكثرهم أثبت علة قديمة للعالم ثم قال بقدم العالم ، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولا له ومساوياً غير متأخر عنه بالزمان مساواة المعلول للعلة والنور للشمس بالذات والرتبة لابالزمان ، فيقال لهم لم أنكرتم أن يكون العالم حادثاً بإرادة قديمة اقتضت وجوده فى الوقت الذى وجد فيه ؟ فان قالوا فهذا يوجب أن يكون بين وجود البارى وبين المخلوقات زمان . قلنا الزمان مخلوق وليس قبل الزمان زمان . ثم يقال لهم : كان الحق سبحانه قادراً على أن يجعل سمك الفلك الأعلى أكثر مما هو بذراع أو أقل مما هو بذراع . فان قالوا لايمكن فهو

تعجيز ، ولأن مالا يمكن أن يكون أكبر منه ولا أصغر فوجوده على ماهو عليه واجب لاممكن ، والواجب يستغني عن علة وقد ستروا مذهبهم بأن قالوا الله عزوجل صانع العالم ، وهذا تجوز عندهم لاحقيقة . لأن الفاعل مريد لما يفعله وعندهم أن العالم ظهر ضروريا لا أن الله فعله ؛ ومن مذاهبهم أن العالم باق أبداً كما لابداية لوجوده فلا نهاية . قالوا لأنه معلول علة قديمة . وكان المعلول مع العلة ، ومتى كان العالم ممكن الوجود لم يكن قديماً ولامعلولا . وقد قال جالينوس لو كانت الشمس مثلا تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول(١) في هذه المدة الطويلة فيقال له قد يفسد الشيء بنفسه بغتة لا بالذبول ، ثم من أين له أنها لاتذبل؟ فإنها عندهم بمقدار الأرض مائة وسبعين مرة أونحو ذلك ، فلو نقص منها مقدار جبل لم يبن ذلك للحس . ثم نحن نعلم أن الذهب والياقوت يقبلان الفساد وقد يبقيان سنين ولايحس نقصانهما ، وإنما الإيجاد والإعدام بإرادة القادر والقادر لايتغير في نفسه ولاتحدث له صفة وإنما يتغير الفعل بإرادة قديمة .

﴿فصل﴾ وحكى النوبختي في كتاب الآراء والديانات أن سقراط كان يزعم أن أصول الأشياء ثلاثة : علة فاعلة ، والعنصر ، والصورة ، قال : والله تعالى هو الفعال(٢) والعنصر هو الموضوع الأول للكون والفساد ، والصورة جوهر للجسم ، وقال آخر منهم : الله هو العلة الفاعلة ، والعنصر المنفعل ، وقال آخر منهم العقل رتب الأشياء هذا الترتيب ، وقال آخر منهم بل الطبيعة فعلته .

وحكى يحيى بن بشير بن عمير النهاوندي أن قوما من الفلاسفة قالوا لما شاهدنا العالم مجتمعاً ومتفرقاً ومتحركا وساكناً علمنا أنه محدث ولا بد له من محدث ثم رأينا أن الإنسان يقع في الماء ولايحسن السباحة فيستغيث بذلك الصانع المدبر فلايغيثه ، أوفي النار فعلمنا أن ذلك الصانع معدوم . قال واختلف هؤلاء في عدم الصانع المدبر على ثلاث فرق : فرقة زعمت أنه لما أكمل العالم استحسنه فخشي أن يزيد فيه أو ينقص منه فيفسد ، فأهلك نفسه وخلا منه العالم ، وبقيت

(١) يقال ذبل الشيء ضعف وذهبت نضارته .
(٢) وفي نسخة هو العقل .

الأحكام تجرى بين حيواناته ومصنوعاته على ما اتفق ، وقالت الفرقة الثانية : بل ظهر فى ذات البارى تولول ، فلم يزل تجذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنور فى ذلك التولول وهو العالم ، وساء نور البارى وكان الباقى منه سنور .

وزعموا أنه سيجذب النور من العالم إليه حتى يعود كما كان ، ولضعفه عن مخلوقاته أهمل أمرهم فشاع الجور .

وقالت الفرقة الثالثة : بل البارى لما أتقن العالم تفرقت أجزاؤه فيه فكل قوته فى العالم فهى من جوهر اللاهوتية . قال الشيخ رحمه الله : هذا الذى ذكره النهاوندى نقلته من نسخة بالنظامية قد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة ؛ ولولا أنه قد قيل ونقل فى ذكره بيان ما قد فعل إبليس فى تلبيسه ، لكان الأولى الإضراب عن ذكره تعظيما لله عز وجل أن يذكر بمثل هذا ، ولكن قد بينا وجه الفائدة فى ذكره .

﴿ فصل ﴾ وقد ذهب أكثر الفلاسفة إلى أن الله تعالى لايعلم شيئاً ، وإنما يعلم نفسه ، وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه ، فقد زادت مرتبة المخلوق على رتبة الخالق .

قال المصنف : وهذا أظهر فضيحة من أن يتكلم عليه ، فانظر إلى مازينه إبليس لهؤلاء الحمقاء مع ادعائهم كمال العقل ، وقد خالفهم أبوعلى ابن سيناء فى هذا فقال بل يعلم نفسه ، ويعلم الأشياء الكلية ولايعلم الجزئيات ، وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة ، وكأنهم استكثروا المعلومات ، فالحمد لله الذى جعلنا ممن ينفى عن الله الجهل والنقص ، ونؤمن بقوله (ألا يعلم من خلق) وقوله : (ويعلم مافى البر والبحر وماتسقط من ورقة إلا يعلمها) وذهبوا إلى أن علم الله وقدرته هو ذاته ، فراراً من أن يثبتوا قديمين ، وجوابهم أن يقال إنما هو قديم موجود واحد موصوف بصفات الكمال .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد أنكرت الفلاسفة بعث الأجساد ، ورد الأرواح إلى الأبدان ووجود جنة ونار جسمانيين وزعموا أن تلك أمثله ضربت لعوام الناس ليفهموا الثواب والعقاب الروحانيين ، وزعموا أن النفس تبقى بعد

الموت بقاء سرمدياً أبداً ، إما فى لذة لاتوصف وهى الأنفس الكاملة ، أو ألم لايوصف وهى النفوس المتلوثة ؛ وقد تتفاوت درجات الألم على مقادير الناس ، وقد ينمحى عن بعضها الألم ويزول ؛ فيقال لهم نحن لاننكر وجود النفس بعد الموت ، ولذلك سمى عودها إعادة ، ولا أن لها نعيما وشقاء ، ولكن ما المانع من حشر الأجسام ؟ ولم ننكر اللذات والآلام الجسمانية فى الجنة والنار ، وقد جاء الشرع بذلك فنحن نؤمن بالجمع بين السعادتين ، وبين الشقاوتين الروحانية والجسمانية ؛ وأما الحقائق فى مقام الأمثال فتحكم بلا دليل ، فان قالوا الأبدان تنحل وتؤكل وتستحيل . قلنا القدرة لايقف بين يديها شىء ، على أن الإنسان إنسان بنفسه . فلو صنع له البدن من تراب غير التراب الذى خلق منه لم يخرج عن كونه هو هو ، كما أنه تتبدل أجزاؤه من الصغر إلى الكبر وبالهزال والسمن فان قالوا لم يكن البدن بدناً حتى يرقى من حالة إلى حالة إلى أن صار لحماً وعروقاً قلنا قدرة الله سبحانه وتعالى لاتقف على المفهوم المشاهد ثم قد أخبرنا نبينا ﷺ أن الأجسام تنبت فى القبور قبل البعث ، وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى البزار نا أبو محمد الجوهرى نا عمر بن محمد بن الزيات ثنا قاسم بن زكريا المطرز ثنا أبو كريب ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ مابين النفختين أربعون(١) قالوا ياأبا هريرة أربعون يوما ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون شهراً ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون سنة قال أبيت ؛ قال ثم ينزل الله ماء من السماء فينبتون كما ينبت البقل ، قال وليس من الإنسان شىء إلايبلى إلاعظماً واحداً وهو عجب(٢) الذنب ، منه خلق ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة ، أخرجاه فى الصحيحين .

(١) هذه رواية مسلم ، ورواية البخارى المسئول فيها هوالنبىصلى الله عليه وآله وسلم ، ومعنى أبيت امتنعت عن الإخبار بمالا أعلم وقد جاءت مفسرة من رواية غيره فى غير مسلم أربعون سنة .

(٢) هو بفتح العين وإسكان الجيم العظم اللطيف الذى فى أسفل الصلب ، وهو رأس العصعص .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على أقوام من أهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة كما ينقل من حكمة سقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس وهؤلاء كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنهم أموراً خفية الا أنهم لما تكلموا فى الالهيات خلطوا ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا فى الحسيات والهندسيات وقد ذكرنا جنس تخليطهم فى معتقداتهم . وسبب تخليطهم أن قوى البشر لا تدرك العلوم الا جملة والرجوع فيها الى الشرائع (وقد حكى) لهؤلاء المتأخرين فى أمتنا أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس وحيلا فصدقوا فيما حكى لهم عنهم ورفضوا شعار الدين وأهملوا الصلوات ولابسوا المحذورات واستهانوا بحدود الشرع وخلعوا ربقة الاسلام فاليهود والنصارى أعذر منهم لكونهم متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات ، والمبتدعة فى الدين أعذر منهم لانهم يدعون النظر فى الأدلة وهؤلاء لا مستند لكفرهم إلا علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء أتراهم ما علموا أن الأنبياء كانوا حكماء وزيادة (وما قد حكى) لهؤلاء الفلاسفة من جحد الصانع محال : فان أكثر القوم يثبتون الصانع ولاينكرون النبوات وإنما أهملوا النظر فيها وشذ منهم قليل فتبعوا الدهرية الذين فسدت أفهامهم بالمرة وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير فلا هم يعملون بمقتضاه ولا بمقتضى الاسلام بل فيهم من يصوم رمضان ويصلى ثم يأخذ فى الاعتراض على الخالق وعلى النبوات ويتكلم فى انكار بعث الأجساد ولا يكاد يرى منهم أحد إلا ضربه الفقر فأضر به فهو عامة زمانه فى تسخط على الأقدار والاعتراض على المقدر حتى قال لى بعضهم أنا لا أخاصم إلا من فوق الفلك وكان يقول أشعاراً كثيرة فى هذا المعنى فمنها قوله فى صفة الدنيا قال :

أتراها صنعة من غير صانعْ ✲ أم تراها رمية من رامْ

وقوله

واحيرتا من وجود ما تقدمه * منا (١) اختيار ولا علم فيقتبس
كأنه في عماء ما يخلصنا * منه ذكاء ولا عقل ولا شرس (٢)
ونحن في ظلمة ما إن لها قمر * فيها يضيء ولا شمس ولا قبس
مدلهين حيارى قد تكنفنا * جهل يجهمنا (٣) في وجهه عبس
فالفعل فيه بلا ريب ولا عمل * والقول فيه كلام كله هوس

﴿ فصل ﴾ ولما كانت الفلاسفة قريباً من زمان شريعتنا والرهبنة كذلك مدّ بعض أهل ملتنا يده الى التمسك بهذه وبعضهم مدّ يده إلى التمسك بهذه فترى كثيراً من الحمق اذا نظروا في باب الاعتقاد تفلسفوا واذا نظروا في باب التزهد ترهبنوا فنسأل الله ثباتاً على ملتنا وسلامة من عدونا انه ولي الإجابة .

(ذكر تلبيسه على أصحاب الهياكل)

وهم قوم يقولون ان لكل روحاني من الروحانيات العلوية هيكلا أعني جرماً من الاجرام السماوية هو هيكله ونسبته الى الروحاني المختص به نسبة أبداننا الى أرواحنا فيكون هو مدبره والمتصرف فيه فمن جملة الهياكل العلوية السيارات والثوابت ، قالوا : ولا سبيل لها الى الروحاني بعينه . فيتقرب الى هيكله بكل عبادة وقربان . (وقال آخرون منهم) لكل هيكل سماوي شخص من الأشخاص السفلية على صورته وجوهره فعمل هؤلاء الصور ونحتوا الأصنام وبنوا لها بيوتا .

وقد ذكر يحيي بن بشر النهاوندي أن قوما قالوا الكواكب السبعة وهي زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر . هي المدبرات لهذا العالم وهي تصدر عن أمر الملأ الأعلى . ونصبوا لها الأصنام على صورتها ، وقربوا لكل واحد منها مايشبهه من الحيوان . فجعلوا لزحل جسما عظيما من الآنك (٤) أعمى يقرب اليه بثور حسن يؤتى به الى بيت تحته محفور وفوقه الدرابزين من حديد على تلك الحفرة فيضرب الثور حتى يدخل البيت ويمشي على ذلك الدرابزين من الحديد فتغوص رجلاه ويداه هنالك ثم

(١) وفي نسخة اختبار (٢) أي سوء خلق (٣) أي يلقى بالغلظة (٤) الآنك الرصاص الخالص .

توقد تحته النار حتى يحترق . ويقول له المقربون مقدس أنت أيها الإله الأعمى المطبوع على الشر الذى لا يفعل خيراً قربنا لك ما يشبهك فتقبل منا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة : ويقربون للمشترى صبياً طفلا وذلك أنهم يشترون جارية ليطأها السدنة (١) للأصنام السبعة فتحمل وتترك حتى تضع ويأتون بها والصبي على يدها ابن ثمانية أيام فينخسونه بالمسل والإبر وهو يبكى على يد أمه فيقولون له أيها الرب الخير الذى لا يعرف الشر قد قربنا لك من لم يعرف الشر يجانسك فى الطبيعة فتقبل قرباننا وأرزقنا خيرك وخير أرواحك الخيرة ويقربون للمريخ رجلا أشقر أنمش (٢) أبيض الرأس من الشقرة يأتون به فيدخلونه فى حوض عظيم ويشدون قيوده الى أوتاد فى قعر الحوض ويملأون الحوض زيتاً حتى يبقى الرجل قائما فيه الى حلقه ويخلطون بالزيت الأدوية المقوية للعصب والمعفنة للحم حتى اذا دار عليه الحول بعد أن يغذى بالأغذية المعفنة للحم والجلد قبضوا على رأسه فلخوا عصبه من جلده ولفوه تحت رأسه وأتوا به الى صنمهم الذى هو على صورة المريخ فقالوا أيها الإله الشرير ذو الفتن والجوائح قربنا اليك ما يشبهك فتقبل قرباننا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة الشريرة . ويزعمون أن الرأس تبقى فيه الحياة سبعة أيام وتكلمهم بعلم مايصيبهم تلك السنة من خير وشر ويقربون للشمس تلك المرأة التى قتلوا ولدها للمشترى ويطوفون بصورة الشمس ويقولون مسبحة مهللة أنت أيتها الآلهة النورانية قربنا اليك مايشبهك فتقبلى قرباننا وأرزقينا من خيرك وأعيذينا من شرك . ويقربون للزهرة عجوزاً شمطاء ماجنة (٣) يقدمونها بين يديها وينادون حولها أيتها الآلهة الماجنة أتيناك بقربان بياضه كبياضك ومجانته كمجانتك وظرفه كظرفك فتقبليها منا . ثم يأتون بالحطب فيجعلونه حول العجوز ويضرمون فيه النار الى أن تحترق فيحثون رمادها فى وجه الصنم .

(١) السدنة بالتحريك جمع سادن وهو خادم الكعبة وبيت الأصنام
(٢) النمش بفتحتين نقط بيض وسود
(٣) أى صفقة الوجه لا تستحى من قبح القول

ويقربون لعطارد شاباً أسمر حاسباً كاتباً متأدباً يأتون به بحيلة وكذلك يفعلون بالكل يخدعونهم ويبنجونهم ويسقونهم أدوية تزيل العقل وتخرس الألسنة فيقدمون هذا الشاب إلى صنم عطارد ويقولون أيها الرب الظريف أتيناك بشخص ظريف وبطبعك اهتدينا فتقبل منا ثم ينشر الشاب نصفين وربع ويجعل على أربع خشبات حوله ويضرم كل خشبة النار حتى تحترق ويحترق الربع معها ويحثون رماده فى وجهه

ويقربون للقمر رجلا آدم كبير الوجه ويقولون له يا بريد الآلهة وخفيف الاجرام العلوية .

﴿ ذكر تلبيسه على عبّاد الأصنام ﴾

قال المصنف كل محنة لبس بها ابليس على الناس فسببها الميل إلى الحس والأعراض عن مقتضى العقل ولما كان الحس يأنس بالمثل (١) دعا ابليس لعنه الله خلقاً كثيراً إلى عبادة الصور وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بالمرة. فمنهم من حسن له أنها الآلهة وحدها ومنهم من وجد فيه قليل فطنة فعلم أنه لا يوافقه على هذا فزين له أن عبادة هذه تقرب إلى الخالق فقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى .

﴿ ذكر بداية تلبيسه على عبّاد الأصنام ﴾

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو جعفر بن أحمد بن السلم نا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهرى ثنا أبو على الحسن بن عليل العنزى : ثنا أبو الحسن على ابن الصباح بن الفرات قال أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال أخبرنى أبى قال أول ما عبدت الأصنام كان آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم فى مغارة فى الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند ويقال للجبل بود وهو أخصب جبل فى الأرض . قال هشام فأخبرنى

(١) فى نسخة بالميل .

أبى عن أبى الصالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فكان بنو شيث بن آدم عليه الصلاة والسلام يأتون جسد آدم فى المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بنى قابيل يا بنى قابيل إن لبنى شيث دواراً يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شىء فنحت لهم صنما فكان أول من عملها قال . وأخبرنى أبى أنه كان ود . وسواع . ويغوث . ويعوق . ونسر . قوما صالحين فماتوا فى شهر فجزع عليهم أقاربهم فقال رجل من بنى قابيل ياقوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أنى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا ، فقالوا نعم . فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل منهم يأتى أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول . وعملت على عهد يرذ بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد تعظيم من القرن الأول . ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا ما عظم الأولون هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله عز وجل ، فعبدوهم وعظموا أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله سبحانه وتعالى إليهم إدريس عليه الصلاة والسلام فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكانا عليا ، ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً وهو يومئذ ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل مائة وعشرين سنة فعصوه وكذبوه فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك فعملها وفرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاثمائة سنة وخمسين سنة . فكان بين آدم ونوح ألفا سنة ومائتا سنة فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جُدة فلما نضبت الماء بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها .

قال الكلبى : وكان عمرو بن لحى كاهناً وكان يكنى أبا ثمامة له رئى من الجن . فقال له عجل المسير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة ، ائت صفا جده ، تجد فيها أصناما معدة . فأوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب . فأتى نهر جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد بها تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة، فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات

فدفع إليه وداً فحمله فكان بوادى القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو اول من سمى به . وجعل عوف ابنه عامراً سادناً له فلم يزل بنوه يدينون به حتى جاء الله بالإسلام.

قال الكلبي : حدثني مالك بن حارثة أنه رأى وداً . قال وكان أبي يبعثني باللبن إليه ويقول اسق إلهك فأشربه . قال ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فجعله جذاذاً وكان رسول الله ﷺ بعثه من غزوة تبوك لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره وقتل يومئذ رجلا من بنى عبد ود يقال له قطن بن سريح فأقبلت أمه (وهو مقتول) وهى تقول :

ألا تلك المودة لاتدوم   ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثان عفر (١)   له أم بشاهقه رؤوم

ثم قالت :

يا جامعاً جامع الأحشاء والكبد   يا ليت أمك لم تولد ولم تلد

ثم أكبت عليه فشهقت وماتت

قال الكلبي : فقلت لمالك بن حارثة صف لى وداً حتى كأنى أنظر إليه . قال : كان تمثال رجل أعظم ما يكون من الرجال قد دبر أى نفس ، عليه حلتان متزر بحلة مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده وتنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة فيها نبل يعني جعبتها (٢)

قال : وأجابت عمرو بن لحى مضر بن نزار فدفع الى رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعاً ، وكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر . فقال رجل من العرب :

---

(١) العفر — بكسر العين وضمها ذكر الخنازير
(٢) الوفضة — الجعبة التي تجعل فيها السهام

تراهم حول قبلتهم عكوفا   كما عكفت هذيل على سواع
يظل حياته صرعى لديه   غنائمُ من ذخائر كل راعى

وأجابته مذحج فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادى يغوث ، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها .

وأجابته همدان فدفع إلى مالك بن مرثد بن جشم يعوق ، وكان بقرية يقال لها خوان تعبده همدان ومن والاها من اليمن .

وأجابته حمير فدفع إلى رجل من ذى رعين يقال له معدى كرب نسراً وكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن والاها . فلم يزالوا يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فأمر بهدمها .

قال ابن هشام وحدثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رفعت لى النار فرأيت عمرو ابن لحى قصيراً أحمر أزرق يجر قصبه فى النار قلت من هذا قيل هذا عمرو ابن لحى أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمى الحام وغير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان . قال هشام وحدثنى أبى وغيره أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام لما سكن مكة وولد له فيها أولاد فكثروا حتى ملؤا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات فأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا فى البلاد والتمسوا المعاش فكان الذى حملهم على عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا أحتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصيانة لمكة فحيث ماحلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصيانة للحرم وحباً له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على أثر (١) ابراهيم وإسماعيل ثم عبدوا ما استحسنوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ماكانت عليه الأمم من قبلهم واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم

(١) وفى نسخة ارث

وإسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة وإهداء البدن والإهلال بالحج والعمرة وكانت نزار تقول إذا ما أهلت (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك).

وكان أول من غـير دين إسماعيل ونصب الأوثان وثيب السائبة ووصل الوصيلة عمرو بن ربيعة وهو لحى بن حارثة وهو أبو خزاعة وكانت أم عمرو بن لحى فهيرة بنت عامر بن الحارث وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة فلما بلغا عمرو بن لحى نازعه فى الولاية وقاتل جرهم بن إسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت من بعدهم ثم أنه مرض مرضاً شديدا فقيل له أن بالبلقاء من أرض الشام حمة إن أتيتها برئت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال ما هذه فقالوا نستسق بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة واتخذت العرب الأصنام.

وكان أقدمها مناة وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المسلك بقديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعاً تعظمه والأوس والخزرج ومن نزل المدينة ومكة وما والاها ويذبحون له ويهدون له.

قال هشام: وحدثنا رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عامر بن ياسر قال: كانت الأوس والخزرج ومن يأخذ مأخذهم من العرب من أهل يثرب وغيرها يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤسهم فإذا نفروا أتوه فحلقوا عنده رؤوسهم وأقامو عنده لا يرون لحجهم تماما إلا بذلك وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله ﷺ علياً رضى الله عنه فهدمها عام الفتح.

ثم اتخذوا اللات بالطائف وهى أحدث من مناة وكانت صخرة مرتفعة (١) وكانت سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء وكانت قريش وجميع

(١) فى نسخة مربعة.

العرب تعظما وكانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم فلم يزالوا كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار .

ثم اتخذوا العزى وهى أحدث من اللات اتخذها ظالم بن أسعد وكانت بوادى نخلة الشامية فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتاً وكانوا يسمعون منه الصوت .

قال هشام : وحدثنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت العزى شيطانة تأتى ثلاث سمرات ببطن نخلة فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد فقال ائت بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سمرات فاعتضد الأولى فأتاها فعضدها . فلما جاء إليه قال : هل رأيت شيئاً ؟ قال لا . قال فاعضد الثانية فأتاها فعضدها . ثم أتى النبى ﷺ . فقال هل رأيت شيئاً قال لا قال فاعضد الثالثة فأتاها فإذا هو بجنية نافشة سعرها واضعة يديها على عاتقها تصر بأنيابها وخلفها دبية السلمى وكان سادنها . فقال خالد :

ياعز كفرانك لاسبحانك أنى رأيت الله قد اهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هى حممة (١) ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ثم أتى النبى ﷺ فأخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب .

قال هشام : وكان لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها وأعظمها عندهم هبل . وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب . وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان فى جوف الكعبة وكان قدامه سبعة أقدح مكتوب فى أحدها صريح وفى الآخر ملصق فإذا شكوا فى مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقدح فإن خرج صريح ألحقوه وإن خرج ملصقاً دفعوه . وكانوا إذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفراً أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده . وهو الذى قال له أبو سفيان يوم أحد : أعل هبل أى علا دينك . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه ألا تجيبونه فقالوا

(١) الحممة بضم الحاء وفتح الميمين جمعها حمم الرماد ، وكل ما احترق من النار .

وما نقول . قال قولوا الله أعلى وأجل . وكان لهم أساف ونائلة قال هشام فحدث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن أساف رجل من جرهم يقال له أساف بن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقها فى أرض اليمن فأقبلا حجاجاً فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فى البيت فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب . قال هشام لما مسخا حجرين وضعا عند البيت ليتعظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها . وكان أحدهما ملصقاً بالكعبة والآخر فى موضع زمزم فنقلت قريش الذى كان ملصقا بالكعبة إلى الآخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندها .

وكان من تلك الأصنام ذو الخلصة وكان مروة (١) بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة (٢) والمدينة على مسيرة سبع ليال من مكة وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة . فقال رسول الله ﷺ لجرير رضى الله عنه :الا تكفنى ذا الخلصة فوجهه إليه فسار بأحمس فقابلته خثعم وباهلة فظفر بهم وهدم بنيان ذى الخلصة وأضرم فيه النار ، وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة .

وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين. فلما أسلموا بعث رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو فحرقه .

وكان لبنى الحارث بن يشكر صنم يقال له ذو الشرى .

وكان لقضاعة والخم وجذام وعاملة وغطفان صنم فى مشارف الشام يقال له الأقيصر .

وكان لمزينة صنم يقال له فهم وبه كانت تسمى عبد فهم .

وكان لعنزة صنم يقال له سعير

---

(١) المروة — حجارة براقة تقدح منها النار جمعها مرو .

(٢) وفى نسخة اليمن : قال ابن الأثير فى النهاية تبالة بفتح التاء وتخفيف الباء بلد باليمن معروف .

وكان لطيء صنم يقال له الفلس . وكان لأهل كل واد من مكة صنم فى دارهم يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع فى منزله أن يتمسح به وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به . ومنهم من اتخذ بيتاً ومن لم يكن له صنم ولا بيت نصب حجراً مما استحسن ثم طاف به وسموها الأنصاب . وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً وجعله ثالثة الاثافى (١) لقدره فاذا ارتحل تركه . فاذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك ولما ظهر رسول الله ﷺ على مكة دخل المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعن بسية (٢) قوسه فى عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ثم أخرجت من المسجد فحرقت . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : فى زمان يزدبرد عبدت الأصنام ورجع من رجع عن الاسلام .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبيدالله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا جميل ثنا حسن بن الربيع ثنا مهدي بن ميمون . قال سمعت أبا رجاء العطاردى يقول : لما بعث رسول الله ﷺ فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب ، ولحقنا بالنار ، وكنا نعبد الحجر فى الجاهلية فاذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقى ذاك ونأخذه وإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به . أخبرنا محمد بن عبدالباقى بن أحمد نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم أحمد بن عبدالله ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا أبو عباس السراج ثنا أحمد بن الحسن بن خراش ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا عمارة المعولى . قال سمعت أبا رجاء العطاردى يقول : كنا نعمد الى الرمل فنجمعه فنحلب عليه فنعبده . وكنا نعمد الى الحجر الأبيض فنعبده زمانا ثم نلقيه . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا عبد العزيز بن علي الوراق نا أحمد بن ابراهيم ثنا يوسف بن يعقوب النيسابورى نا أبو بكر

---

(١) الأثا فى جميع الأثفية ما يوضع عليه القدر .

(٢) سية القوس بكسر السين وبالياء ماعطف من طرفيها .

ابن أبي شيبة ثنا يزيد بن هرون نا الحجاج بن أبي زينب . قال سمعت أبا عثمان النهدي قال : كنا في الجاهلية نعبد حجراً فسمعنا مناديا ينادي يا أهل الرحال إن ربكم قد هلك فالتمسوا لكم رباً غيره . قال : فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن كذلك نطلب ، اذا نحن بمناد ينادي إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه قال : فجئنا فاذا حجر فنحرنا عليه الجزر . أنبأنا محمد بن أبي طاهر نا أبو اسحاق البرمكي نا أبوعمر بن حيويه نا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا محمد بن عمرو ثني الحجاج بن صفوان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عنبسة قال : كنت امرءاً ممن يعبد الحجارة فينزل الحي ليس معهم آلهة فيخرج الحي منهم فيأتي بأربعة أحجار . فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها . إلهاً يعبد . ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره . أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو الحسن العتيقي نا عثمان بن عمرو بن الميثاب نا أبو محمد عبدالله بن سليمان الفامي ثني أبو الفضل محمد بن أبي هرون الوراق ثنا الحسن بن عبد العزيز الجروي عن شيخ من ساكني مكة . قال : سئل سفيان بن عيينة كيف عبدت العرب الحجارة والأصنام . فقال أصل عبادتهم الحجارة انهم قالوا البيت حجر فحيث مانصبنا حجراً فهو بمنزلة البيت . وقال أبو معشر : كان كثير من أهل الهند يعتقد الربوبيه ويقرون بأن لله تعالى ملائكة إلا أنهم يعتقدونه صورة كأحسن الصور وأن الملائكة أجسام حسان وأنه سبحانه وتعالى وملائكته محتجبون بالسماء فاتخذوا أصناماً على صورة الله سبحانه عندهم وعلى صور الملائكة فعبدوها وقربوا لها لموضع المشابهة على زعمهم . وقيل لبعضهم : أن الملائكة والكواكب والأفلاك أقرب الأجسام إلى الخالق فعظموها وقربوا لها ثم عملوا الأصنام .

وبنى جماعة من القدماء بيوتاً كانت للأصنام فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت فيه أصنام أخرجها كوشتاسب لما تمجس وجعله بيت نار . والبيت الثاني والثالث في أرض الهند . والرابع بمدينة بلخ بناه بنو شهر فلما ظهر الاسلام خربه أهل بلخ . والخامس بيت بصنعاء بناه الضحاك على اسم

الزهرة فخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه . والسادس بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم .

وذكر يحيى بن بشير بن عمير النهاوندى : أن شريعة الهند وضعها لهم رجل برهمى ، ووضع لهم أصناماً وجعل لهم أعظم بيوتهم بيتاً بالميلتان . (وهى مدينة من مداين السند) . وجعل فيه صنمهم الأعظم الذى هو كصورة الهيولى الأكبر . وهذه المدينة فتحت فى أيام الحجاج وأرادوا قلع الصنم فقيل لهم : إن تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من مال . فأمر عبد الملك بن مروان بتركه فالهند تحج اليه من ألفى فرسخ ولا بد للحاج أن يحمل معه دراهم على قدر ما يمكنه من مائة إلى عشرة آلاف لا يكون أقل من هذا ولا أكثر ومن لم يحمل معه ذلك لم يتم حجه . فيلقيه فى صندوق عظيم هناك ويطوفون بالصنم . فاذا ذهبوا قسم ذلك المال فثلثه للمسلمين وثلثه لعمارة المدينة وحصونها وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء وذهب بعقولهم فنحتوا بأيديهم ما عبدوه وما أحسن ما عاب الحق سبحانه وتعالى أصنامهم فقال : « ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها » . وكانت الإشارة إلى العباد أى أنتم تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون والأصنام عاجزة عن ذلك وهى جماد وهم حيوان فكيف عبد التام الناقص . ولو تفكروا لعلموا أن الإله يصنع الأشياء ولا يصنع ، ويجمع وليس بمجموع ، وتقوم الأشياء به ولا يقوم بها، وإنما ينبغى للانسان أن يعبد من صنعه لا ما صنعه . وما خيل اليهم أن الأصنام تشفع تخيال ليس فيه شبهة يتعلق بها .

﴿ ذكر تلبيسه على عابدى النار والشمس والقمر ﴾

قال المصنف : قد لبس ابليس على جماعة فحسن لهم عبادة النار وقالوا هى الجوهر الذى لا يستغنى العالم عنه ومن ههنا زين عبادة الشمس .

وذكر أبو جعفر بن جرير الطبرى : أنه لما قتل قابيل هابيل وهرب من أبيه آدم إلى اليمن أتاه ابليس . فقال له : ان هابيل انما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك . فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها ، قال الجاحظ : وجاء زرادشت من بلخ وهو صاحب المجوس فادعى أن الوحى ينزل إليه على جبل سيلان فدعى أهل تلك النواحي الباردة الذين لا يعرفون إلا البرد وجعل الوعيد بتضاعف البرد ، وأقر بأنه لم يبعث ألا إلى الجبال فقط . وشرع لأصحابه التوضوء بالأبوال وغشيان الأمهات ، وتعظيم النيران ، مع أمور سمجة . قال ومن قول زرادشت كان الله وحده ، فلما طالت وحدته فكر فتولد من فكرته ابليس . فلما مثل بين يديه وأراد قتله امتنع منه فلما رأى امتناعه ودعه إلى مدة .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وقد بنى عابدوا النار لها بيوتاً كثيرة . فأول من رسم لها بيتاً أفريدون فاتخذ لها بيتا بطرسوس وآخر ببخارى . واتخذ لها بهمن بيتا بسجستان . واتخذ لها أبو قباذ بيتا بناحية بخارى . وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها . وقد كان زرادشت وضع ناراً زعم أنها جاءت من السماء فأكلت قربانهم . وذلك أنه بنى بيتاً وجعل فى وسطه مرآة ولف القربان فى حطب وطرح عليه الكبريت فلما استوت الشمس فى كبد السماء قابلت كوة قد جعلها فى ذلك البيت فدخل شعاع الشمس فوقع على المرآة فانعكس على الحطب فوقعت فيه النار . فقال لا تطفؤا هذه النار .

﴿فصل﴾ قال المصنف : وقد حسن إبليس لعنه الله لأقوام عبادة القمر ولآخرين عبادة النجوم . قال ابن قتيبة وكان قوم فى الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا بها . وكان أبو كبشة الذى كان المشركون ينسبون

إليه رسول الله ﷺ أول من عبدها . وقال قطعت السماء عرضا ولم يقطع السماء عرضا غيرها وعبدها وخالف قريشا فلما بعث رسول الله ﷺ ودعا إلى عبادة الله وترك الأوثان قالوا هذا ابن أبى كبشة أى شبهه ومثله فى الخلاف كما قالت بنو اسرائيل لمريم يا أخت هارون أى يا شبيهة هارون فى الصلاح وهما شعريان إحداهما هذه والشعرى الأخرى هى الغميصاء وهى تقابلها وبينهما المجرة — والغميصاء من الذراع المبسوط فى جبهة الأسد وتلك فى الجوزاء .

وزين إبليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة وقالوا : هى بنات الله تعالى . تعالى الله عن ذلك . وزين لآخرين عبادة الخيل والبقر . وكان السامرى من قوم يعبدون البقر فلهذا صاغ عجلا . وجاء فى التعبير أن فرعون كان يعبد تيسا وليس فى هؤلاء من أعمل فكره ولا استعمل عقله فى تدبير ما يفعل نسأل الله السلامة فى الدنيا والآخرة .

﴿ذكر تلبيسه على الجاهلية﴾

قال المصنف : ذكرنا كيف لبس عليهم فى عبادة الأصنام . ومن أقبح تلبيسه عليهم فى ذلك تقليد الآباء من غير نظر فى دليل كما قال الله عز وجل «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون» المعنى أتتبعونهم أيضا .

وقد لبس إبليس على طائفة منهم فقالوا بمذاهب الدهرية وأنكروا الخالق وجحدوا البعث ، وهؤلاء الذين قال الله سبحانه فيهم : «ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا إلا الدهر» . وعلى آخرين منهم : فأقروا بالخالق لكنهم جحدوا الرسل والبعث . وعلى آخرين منهم : فزعموا أن الملائكة بنات الله . وأمال آخرين منهم إلى مذهب اليهود وآخرين إلى مذهب المجوس ، وكان فى بنى تميم منهم زرارة ابن جديس التميمى وابنه حاجب .

وممن كان يقر بالخالق والابتداء والإعادة والثواب والعقاب عبد المطلب ابن هاشم ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وعامر بن الظرب —

وكان عبد المطلب إذا رأى ظالما لم تصبه عقوبة . قال تالله أن وراء هذه الدار لداراً يجزى فيها المحسن والمسيء . ومنهم زهير بن أبي سلمى وهو القائل :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ثم أسلم ومنهم زيد الفوارس بن حصن ، ومنهم القلمس بن أمية الكناني . كان يخطب بفناء الكعبة وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها فقال يوما : يا معشر العرب أطيعوني ترشدوا قالوا : وما ذاك . قال : انكم تفردتم بآلهة شتى إني لأعلم ما الله بكل هذا راض وأن الله رب هذه الآلهة وأنه ليحب أن يعبد وحده . فتفرقت عنه العرب لذلك ولم يسمعوا مواعظه . وكان فيهم قوم يقولون من مات فربطت على قبره دابته وتركت حتى تموت حشر عليها ومن لم يفعل ذلك حشر ماشيا وممن قاله عمرو بن زيد الكلبي .

قال المصنف : وأكثر هؤلاء لم يزل عن الشرك وإنما تمسك منهم بالتوحيد ورفض الأصنام القليل كقس بن ساعده وزيد وما زالت الجاهلية تبتدع البدع الكثيرة . فمنها النسيء وهو تحريم الشهر الحرام وتحليل الشهر الحرام وذلك أن العرب كانت قد تمسكت من ملة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه بتحريم الأشهر الأربعة فإذا احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب أخروا تحريمه إلى صفر ثم يحتاجون إلى صفر ثم كذلك حتى تتدافع السنة . وإذا حجوا قالوا : لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . ومنها توريث الذكر دون الأنثى . ومنها أن أحدهم كان إذا مات ورث نكاح زوجته أقرب الناس إليه ومنها البحيرة وهي الناقة تلد خمسة أبطن فان كان الخامس أنثى شقوا أذنها وحرمت على النساء . والسائبة من الأنعام كانوا يسيبونها ولا يركبون لها ظهراً ولا يحلبون لها لبنا . والوصيلة الشاة تلد سبعة أبطن فان كان السابع ذكراً أو أنثى قالوا وصلت أخاها فلا تذبح وتكون منافعها للرجال دون النساء فاذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء . والحام الفحل ينتج من ظهره عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيبونه لأصنامهم ولا يحمل عليه . ثم يقولون أن الله عز وجل أمرنا بهذا فذلك معنى قوله تعالى : « ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله

الكذب» . ثم الله عز وجل رد عليهم فيما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وفيما أحلوه بقولهم «خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا» قال الله تعالى «قل آلذكرين حرم أم الانثيين» المعنى إن كان الله تعالى حرم الذكرين فكل الذكور حرام وإن كان حرم الانثيين فكل الأناث حرام وإن كان حرم مااشتملت عليه أرحام الأنثيين فإنها تشتمل على الذكور و الأناث فيكون كل جنين حراماً . وزين لهم إبليس قتل أولادهم فالإنسان منهم يقتل ابنته ويغذو كلبه . ومن جملة ما لبس عليهم ابليس أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا أى لو لم يرض شركنا لحال بيننا وبينه فتعلقوا بالمشيئة وتركوا الأمر ومشيئة الله تعم الكائنات وأمره لا يعم مراداته فليس لأحد أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر ومذاهبهم السخيفة التى ابتعدوها كثيراً لا يصلح تضييع الزمان بذكرها ولا هى مما يحتاج إلى تكلف ردها .

﴿ ذكر تلبس إبليس على جاحدى النبوات ﴾

قال المصنف : قد لبس أبليس على البراهمة والهندوس وغيرهم فزين لهم جحد النبوات ليسد طريق ما يصل من الاله . وقد اختلف أهل الهند فمنهم دهرية ومنهم ثنوية ومنهم على مذاهب البراهمة ومنهم من يعتقد نبوة آدم وإبراهيم فقط وقد حكى أبو محمد النوبختى فى كتاب الآراء والديانات أن قوما من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار وزعموا أن رسولهم ملك أتاهم فى صورة البشر من غير كتاب له أربعة أيد وإثنا عشر رأسا من ذلك رأس إنسان ورأس أسد ورأس فرس ورأس فيل ورأس خنزير وغير ذلك من رؤوس الحيوانات وأنه أمرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبائح إلا ما كان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وأباح لهم الزنا وأمرهم أن يعبدوا البقر ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر فى هذيانات يضيع الزمان بذكرها .

قال المصنف : وقد القى أبليس إلى البراهمة ست شبهات .

(الشبهة الأولى) : استبعاد اطلاع بعضهم على ماخفى عن بعض فقالوا :

(ما هذا إلا بشر مثلكم) والمعنى وكيف أطلع على ما خفى عنكم . وجواب هذه الشبهة أنهم لو ناطقوا العقول لأجازت اختيار شخص بشخص لخصائص يعلو بها جنسه فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحى إذ ليس كل أحد يصلح لذلك وقد علم الكل أن الله سبحانه وتعالى ركب الأمزجة متفاوتة وأخرج إلى الوجود أدوية تقاوم ما يعرض من الفساد البدنى فإذا أمد النبات والأحجار بخواص لإصلاح أبدان خلقت للفناء ههنا وللبقاء فى دار الآخرة لم يبعد أن يخص شخصاً من خلقه بالحكمة البالغة والدعاية إليه إصلاحاً لمن يفسد فى العالم بسوء الأخلاق والأفعال ومعلوم أن المخالفين لا يستنكرون أن يختص أقوام بالحكمة ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة فكيف ينكرون أمداد البارى سبحانه بعض الناس برسائل ومصالح ووصايا يصلح بها العالم ويطيب أخلاقهم ويقيم بها سياستهم وقد أشار عز وجل إلى ذلك فى قوله عز وجل : «أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس» .

(الشبهة الثانية) قالوا هلا أرسل ملكا فإن الملائكة إليه أقرب ومن الشك فيهم أبعد والآدميون يحبون الرياسة على جنسهم فيوقع هذا شكا وجواب هذا من ثلاثة أوجه : أحدهما أن فى قوى الملائكة قلب الجبال والصخور فلا يمكن إظهار معجزة تدل على صدقهم لأن المعجزة ما خرقت العادة وهذه العادة الملائكة وإنما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليلا على صدقه . والثانى : أن الجنس إلى الجنس أميل فصح أن يرسل إليهم من جنسهم لئلا ينفروا وليعقلوا عنه ثم تخصيص ذلك الجنس بما عجز عنه جنسه دليل على صدقه : والثالث أنه ليس فى قوى البشر رؤية الملك وإنما الله تعالى يقوى الأنبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة ولهذا قال الله تعالى «ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا» أى لينظروا إليه ويأنسوا به ويفهموا عنه ثم قال «وللبسنا عليهم ما يلبسون» أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرون أملك هو أم آدمى .

(الشبهة الثالثة) قالوا نرى ما تدعيه الأنبياء من علم الغيب والمعجزات وما يلقى إليهم من الوحى يظهر جنسه على الكهنة والسحرة فلم يبق لنا دليل

نفرق به بين الصحيح والفاسد . والجواب أن نقول : أن الله تبارك وتعالى بين الحجج ثم بث الشبهة وكلف العقول الفرق فلا يقدر ساحر أن يحى ميتاً ولا أن يخرج من عصا حيا وأما الكاهن فقد يصيب ويخطىء بخلاف النبوة التى لا خطأ فيها بوجه .

(الشبهة الرابعة) قالوا لا يخلوا ما أن تجيء الأنبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه فإن جاءوا بما يخالفه لم يقبل وإن جاءوا بما يوافقه فالعقل يغنى عنه. والجواب أن نقول : قد ثبت أن كثيراً من النـاس يعجزون عن سياسات الدنيا حتى يحتاجون إلى متمم كالحـكماء والسـلاطين فـكيف بأمور الإلهية والأخروية .

(الشبهة الخامسة) قالوا قد جاءت الشرائع بأشياء ينفر منها العقل فـكيف يجوز أن تـكون صحيحة من ذلك إيلام الحيوان . والجواب أن العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه لبعض فأما إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعتراض وبيان ذلك أن العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى وأنه لا خلل فيها ولا نقص فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفى عنه ومتى اشتبه علينا أمر فى فرع لم يجز أن نحكم على الأصل بالبطلان ثم قد ظهرت حكمة ذلك فانا نعلم أن الحيوان يفضل على الجماد ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتى من الفهم والفطنة والقوى النظرية والعملية وحاجة هذا الناطق إلى إبقاء فهمه ولا يقوم فى إبقاء القوى مقام اللحم شيء ولا يستطرف تناول القوى الضعيف وما فيه فائدة عظيمة لمـا قلت فائدته . وإنما خلق الحيوان البهيم للحيوان الـكريم فلو لم يذبح لـكثر وضاق به المرعى ومات فيتأذى الحيوان الـكريم بجيفته فلم يكن لايجاده فائدة . وأما ألم الذبح فانه يستر وقد قيل أنه لا يوجد اصلا لأن الحساس للألم أغشية الدماغ لأن فيه الأعضاء الحساسة ولذلك إذا أصابها آفة من صرع أو سكتة لم يحس الانسان بألم فاذا قطعت الأوداج سريعا لم يصل ألم الجسم إلى محل الحس ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « إذا ذبح أحدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته » .

(الشبهة السادسة) قالوا ربما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من

حجارة وخشب . والجواب أن هذا كلام ينبغى أن يستحي من إيراده فانه لم يبق شيء من العقاقير والأحجار إلا وقد وضحت خواصها وبان سترها فلو ظفر واحد منهم بشيء وأظهر خاصيته لوقع الانـكار من العلماء بتلك الخواص وقالوا ليس هذا منك إنما هذه خاصية فى هذا . ثم إن المعجزات ليست نوعاً واحداً بل هى بين صخرة خرجت منها ناقة وعصا انقلبت حية وحجر تفجّر عيوناً وهذا القرآن الذى له منذ نزل دون الستمائة سنة فالأسماع تدركه والأفـكار تتدبره والتحدى به على الدوام ولم يقدر أحد على مد اناة منه فأين هذا والخاصة والسحر والشعبذة .

قال أبو الوفاء على بن عقيل رضى الله عنه : صبئت قلوب أهل الإلحاد لانتشار كلمة الحق وثبوت الشرائع بين الخلق والإمتثال لأوامرها كابن الراوندى ومن شاكله كأبى العلاء . ثم مع ذلك لا يرون لمقالتهم نباهة ولا أثراً بل الجوامع تتدفق زحاما والاذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشأن النبى ﷺ والإقرار بما جاء به ، وإنفاق الأموال والأنفس فى الحج مع ركوب الأخطار ومعاناة الأسفار ومفارقة الأهل والأولاد . فجعل بعضهم يندس فى أهل النقل فيضع المفاسد على الأسانيد ويضع السير والأخبار وبعضهم يروى ما يقارب المعجزات من ذكر خواص فى أحجار وخوارق العادات فى بعض البلاد وأخبار عن الغيوب عن كثير من الـكهنة والمنجمين ويبالغ فى تقرير ذلك حتى قالوا أن سطيحا قال فى الخبيء الذى خبيء له : حبة بر ، فى إحليل مهر . والأسود كان يعظ ويقول الشيء قبل كونه . وههنا اليوم معزمون يكلمون الجنى الذى فى باطن المجنون فيكلمهم بما كان ويكون وما شاكل ذلك من الخرافات فمن رأى مثل هذا قال بقلة عقله وقلة تلمحه لقصد هؤلاء الملحدة وهل ما جاءت به النبوات إلا مقارب هذا ، وليس قول الكاهن . حبة بر فى إحليل مهر ، وقد أخفيت كل الاخفاء بأكثر من قوله . « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » وهل بقى لهذا وقع فى القلوب وهذا التقويم ينطق بالمنع من الركوب اليوم وهل ترك تلمح هذا إلا النبى (١)

(١) وفى نسخة إلا الفتى .

والله ما قصدوا بذلك إلا قصداً ظاهراً ولحوا إلا لحاً جلياً فقالوا تعالوا نـكثر الجولان فى البلاد والأشخاص والنجوم والخواص فلا يخلو مع الـكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه . فيصدق بها الـكل ويبطل أن يكون ما جاء به الأنبياء خرقاً للعادات . ثم دس قوم من الصوفية أن فلانا أهوى بانائه إلى دجلة فامتلأ ذهباً فصار هذا كالعادة بطريق الـكرامات من المتصوفين . وبطريق العادات فى حق المنجمين . وبطريق الخواص فى حق الطبايعين . وبطريق الـكهانة فى حق المعزمين . والعرافين فأى حكم بقى لقول عيسى عليه السلام . « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتـكم » . وأى خرق بقى للعادات وهل العادات إلا استمرار الوجود . وكثرة الحصول . فاذا نبههم العاقل المتدين على ما فى هذا من الفساد قال الصوفى، أتنكر كرامات الأولياء ، وقال أهل الخواص . أتنكر المغناطيس الذى يجذب الحديد والنعامة تبلع النار فتسكت عن جحد ما لم يكن لأجل ما كان فويل للحق معهم هذا والباطنية من جانب والمنجمون من جانب مع أرباب المناصب لا يحلون ولا يعقدون إلا بقولهم فسبحان من يحفظ هذه الملة ويعلى كلمتها حتى أن كل الطوائف تحت قهرها إقبالا من الله عز وجل على حراسة النبوات وقمعاً لأهل المحال .

﴿ فصل ﴾ ومن الهند البراهمة قوم قد حسن لهم إبليس أن يتقربوا بإحراق نفوسهم فيحفر للإنسان منهم أخدود وتجتمع الناس فيجيء مضمخا بالخلوق والطيب وتضرب المعازف والطبول والصنوج ويقولون طوبى لهذه النفس التى تعلق إلى الجنة ويقول هو ليكن هذا القربان مقبولا ويكون ثواب الجنة ثم يلقى نفسه فى الأخدود فيحترق فإن هرب نابذوه ونفوه وتبرأوا منه حتى يعود ومنهم من يحمى له الصخر فلا يزال يلزم صخرة صخرة حتى يثقب جوفه ويخرج معاه فيموت ومنهم من يقف قريباً من النار إلى أن يسيل ودكه فيسقط . ومنهم من يقطع من ساقه ونخذه قطعاً ويلقيها إلى النار والناس يزكونه ويمدحونه ويسألون مثل مرتبته حتى يموت : ومنهم من يقف فى اخثاء البقر إلى ساقه ويشعل النار فيحترق . ومنهم من يعبد الماء ويقول هو حياة كل شيء فيسجد له . ومنهم من يجهز له أخدود قريب من

الماء فيقع فى الأخدود حتى إذا التهب قام فانغمس فى الماء ثم رجع إلى الأخدود حتى يموت فإن مات وهو بينهما حزن أهله وقالوا حرم الجنة وإن مات فى أحدهما شهدوا له بالجنة. ومنهم من يزهق نفسه بالجوع والعطش فيسقط أولا عن المشى ثم عن الجلوس ثم ينقطع كلامه ثم تبطل حواسه ثم تبطل حركته ثم يخمد. ومنهم من يهيم فى الأرض حتى يموت: ومنهم من يغرق نفسه فى النهر. ومنهم من لا يأتى النساء ولا يوارى إلى العورة ولهم جبل شاهق تحته شجرة وعندها رجل بيده كتاب يقرأ فيه يقول: طوبى لمن ارتقى هذا الجبل وبعج بطنه وأخرج أمعاءه بيده. ومنهم من يأخذ الصخور فيرض بها جسده حتى يموت: والناس يقولون طوبى لك وعندهم نهران فيخرج أقوام من عبادهم يوم عيدهم وهناك رجال فيأخذون ما على العباد من الثياب ويبطحونهم فيقطعونهم نصفين ثم يلقون أحد النصفين فى نهر والنصف الآخر فى نهر ويزعمون انهما يجريان إلى الجنة. ومنهم من يخرج إلى براح ومعه جماعة يدعون له ويهنئونه بنيته فإذا أضجر جلس وجمع له سباع الطير من كل جهة فيتجرد من ثيابه ثم يمتد والناس ينظرون إليه فتبتدره الطير فتأكله فإذا تفرقت الطير جاءت الجماعة فأخذوا عظامه وأحرقوها وتبركوا بها، فى أفعال طويلة قد ذكرها أبو محمد النوبختى يضيع الزمان فى كتابتها والعجب أن الهند قوم تؤخذ الحكمة عنهم ويؤخذ عنهم دقائق الحكمة وتلهم دقائق الأعمال فسبحان من أعمى قلوبهم حتى قادهم إبليس هذا المقادم قال وفيهم من يزعم أن الجنة ثنتان وثلاثون مرتبة وأن مكث أهل الجنة فى أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف سنة وثلاثة وثلاثون الف سنة وستمائة وعشرون سنة وكل مرتبة أضعاف ما دونها. وأن النار أثنتان وثلاثون مرتبة منها ست عشر مرتبة فيها الزمهرير وصنوف عذابه وست عشرة مرتبة فيها الحريق وصنوف عذابه.

﴿ ذكر تلبيسه على اليهود ﴾

قال المصنف. قد لبس عليهم فى أشياء كثيرة نذكر منها نبذة ليستدل بها على تلك. فمن ذلك تشبيههم الخالق بالخلق ولو كان تشبيههم حقا لجاز عليه ما يجوز عليهم وحكى أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا. أن اليهود تزعم أن

الإله المعبود رجل من نور على كرسى من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء كالآدميين ومن ذلك قولهم عزيز بن الله ولو فهموا أن حقيقة البنوة لا تكون إلا بالتبعيض والخالق ليس بذى أبعاض لأنه ليس بمؤلف لم يثبتوا بنوة . ثم أن الولد فى معنى الوالد وقد كان عزيز لا يقوم إلا بالطعام والإله من قامت به الأشياء لا من قام بها والذى دعاهم إلى هذا مع جهلهم بالحقائق أنهم رأوه قد عاد بعد الموت وقرأ التوراة من حفظه فتكلموا بذلك من ظنونهم الفاسدة ويدل على أن القوم كانوا فى بعد من الذهن انهم لما رأوا أثر القدرة فى فرق البحر لهم ثم مروا على أصنام طلبوا مثلها فقالوا (أجعل لنا آلهة كما لهم آلهة) فلما زجرهم موسى عن ذلك بقى فى نفوسهم فظهر المستور بعبادتهم العجل والذى حملهم على هذا شيئان، أحدهما جهلهم بالخالق والثانى أنهم أرادوا ما يسكن إليه الحس لغلبة الحس عليهم وبعد العقل عنهم ولولا جهلهم بالمعبود مّا جترأوا عليه بالكلمات القبيحة كقولهم (أن الله فقير ونحن أغنياء) وقولهم (يد الله مغلولة) تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا : لا يجوز نسخ الشرائع . وقد علموا أن من دين آدم جواز نكاح الأخوات ، وذوات المحارم ، والعمل فى يوم السبت ، ثم نسخ ذلك بشريعة موسى قالوا إذا أمر الله عز وجل اشىء كان حكمه فلا يجوز تغييره . قلت . قد يكون التغيير فى بعض الأوقات حكمة فان تقلب الآدمى من صحة إلى مرض ومن مرض إلى موت كله حكمة وقد حظر عليكم العمل يوم السبت وأطلق لكم العمل يوم الأحد وهذا من جنس ما أنكرتم وقد أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بذبح إبنه ثم نهاه عن ذلك .

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا : « لن تمسنا النار إلا أياما معدودة » وهى الأيام التى عبد فيها العجل وفضائحهم كثيرة ثم حملهم ابليس على العناد المحض فجحدوا ما كان فى كتابهم من صفة نبينا ﷺ وغيروا ذلك وقد أمروا أن يؤمنوا به ورضوا بعذاب الآخرة فعلماؤهم عاندوا وجهالهم قلدوا ثم العجب أنهم غيروا ما أمروا به وحرفوا ودانوا بما يريدون فأين العبودية ممن يترك

الأمر ويعمل بالهوى ثم أنهم كانوا يخالفون موسى ويعيبونه حتى قالوا أنه آدر (١) واتهموه بقتل هارون واتهموا داود بزوجة أوريا .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار نا الحسن بن علي الجوهري نا أبو عمر ابن حياة نا ابن معروف نا الحارث بن أبي أسامة ثنا محمد بن سعد نا علي بن محمد عن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ بيت المدارس (٢) فقال اخرجوا إليّ أعلمكم فخرج إليه عبد الله بن صوريا فخلا به فناشده الله بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المنّ والسلوى وظللهم به من الغمام أتعلمون أني رسول الله ؟. قال : اللهم نعم . وأن القوم ليعرفون ماأعرف وإن صفتك ونعتك لمبين في التوراة ولكنهم حسدوك . قال : فما يمنعك أنت . قال : أكره خلاف قومي وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم .

أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد قال : أخبرنا الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال ثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال ثنا يعقوب قال ثنا أبي عن ابن إسحاق قال حدثني صالح بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش . قال : كان لنا جار من اليهود في بني عبد الأشهل فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبي ﷺ حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيهم سنا عليّ بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار فقال ذلك لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون بعثاً كائنا بعد الموت . فقال له ويحك : يا فلان أترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذي يحلف به يود أحدهم أن له لحظة من تلك النار بأعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غداً قال له ويحك وما آية ذلك قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن

(١) الآدر : منتفخ الخصية وهو عيب بالفحولية .
(٢) المدارس : كنيسة اليهود وجمعه مداريس .

قالوا ومتى نراه قال فنظر إلىّ وأنا من أحدثهم سنا أن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيا وحسداً فقلنا له ويلك يا فلان ألست الذى قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به .

﴿ ذكر تلبيسه على النصارى ﴾

قال المصنف : تلبيسه عليهم كثير فمن ذلك أن ابليس أوهمهم أن الخالق سبحانه جوهر فقال اليعقوبية أصحاب يعقوب والملكية أهل دين الملك والنسطورية أصحاب نسطورس : أن الله جوهر واحد أقانيم ثلاثة فهو واحد فى الجوهرية ثلاثة فى الأقنومية فأحد الأقانيم عندهم الأب والآخر الإبن والآخر روح القدس فبعضهم يقول : الأقانيم خواص . وبعضهم يقول : صفات وبعضهم يقول أشخاص وهؤلاء قد نسوا أنه لو كان الإله جوهراً لجاز عليه ما يجوز على الجواهر من التحيز بمكان والتحرك والسكون والأوان ثم سول لبعضهم أن المسيح هو الله . قال أبو محمد النوبختى زعمت الملكية واليعقوبية أن الذى ولدته مريم هو الإله وسول الشيطان لبعضهم أن المسيح هو ابن الله وقال بعضهم المسيح جوهران أحدهما قديم والآخر محدث ومع قولهم هذا فى المسيح يقرون بحاجته إلى الطعام ولا يختلفون فى هذا وفى أنه صلب ولم يقدر على الدفع عن نفسه ويقولون إنما فعل هذا بالناسوت فهلا دفع عن الناسوت ما فيه من اللاهوت . ثم لبس عليهم أمر نبينا محمد ﷺ حتى جحدوه بعد ذكره فى الانجيل ومن الكتابيين من يقول عن نبينا أنه نبي إلا أنه مبعوث إلى العرب خاصة وهذا تلبيس من إبليس استغفلهم فيه لأنه متى ثبت أنه نبي فالنبي لا يكذب وقد قال بعثت إلى الناس كافة وقد كتب إلى قيصر وكسرى وسائر ملوك الأعاجم .

﴿ ومن تلبيس إبليس على اليهود والنصارى ﴾

أنهم قالوا لا يعذبنا الله لأجل أسلافنا فمنا الأولياء والأنبياء فأخبرنا الله عز وجل عنهم بذلك : « نحن أبناء الله وأحباؤه » . أى منا ابنه عزير وعيسى . وكشف هذا التلبيس ان كان شخص مطالب بحق الله عليه فلا يدفعه

عنه ذو قرابته ولو تعدت المحبة شخصاً إلى غيره لموضع القرابة لتعدى البعض وقد قال نبينا ﷺ لابنته فاطمة لا أغنى عنك من الله شيئاً وإنما فضل المحبوب بالتقوى فمن عدمها عدم المحبة ثم أن محبة الله عز وجل للعبد ليست بشغف كمحبة الآدميين بعضهم بعضاً إذ لو كانت كذلك لكان الأمر يحتمل .

﴿ ذكر تلبيسه على الصابئين ﴾

قال المصنف : أصل هذه الكلمة أعني الصابئين من قولهم صبأت إذا خرجت من شيء إلى شيء وصبأت النجوم إذا ظهرت وصبأ به إذا خرج والصابئون الخارجون من دين إلى دين وللعلماء في مذاهبهم عشرة أقوال : أحدها أنهم قوم بين النصارى والمجوس رواه سالم عن سعيد بن جبير وليث عن مجاهد : والثاني أنهم بين اليهود والمجوس رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد : والثالث أنهم بين اليهود والنصارى . رواه القاسم بن أبي بزة عن مجاهد : والرابع : أنهم صنف من النصارى ألين قولا منهم رواه أبو صالح عن ابن عباس . والخامس : أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم رواه القاسم أيضاً عن مجاهد . والسادس: نهم كالمجوس قاله الحسن . والسابع: أنهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور قاله أبو العالية . والثامن أنهم قوم يصلون إلى القبلة ويعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور قاله قتادة ومقاتل : والتاسع :أنهم طائفة من أهل الكتاب قاله السدى . والعاشر : أنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله قاله ابن زيد .قال المصنف : هذه أقوال المفسرين مثل ابن عباس والقاسم والحسن وغيرهم فأما المتكلمون فقالوا مذهب الصابئين مختلف فيه فمنهم من يقول أن هناك هيولى كان لم يزل ولم يزل يصنع العالم من ذلك الهيولى وقال أكثرهم العالم ليس بمحدث وسموا الكواكب ملائكة وسماها قوم منهم آلهة وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات وهم يدعون أن بيت الله الحرام واحد منها وهو بيت زحل وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله عز وجل إلا بالنفي دون الإثبات ويقال ليس بمحدث ولا موات ولا جاهل ولا عاجز قالوا لئلا يقع تشبيه ولهم تعبدات في شرائع منها أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات في كل يوم

أولها ثمان ركعات وثلاث سجدات فى كل ركعة وانقضاء وقتها عند طلوع الشمس والثانى خمس ركعات والثالثة كذلك وعليهم صيام شهر أوله الثمان ليال يمضين من آذار وسبعة أيام أولها النسع يبقين من كانون الأول وسبعة أيام أولها الثمان ليال يمضين من شباط ويختمون صيامهم بالصدقة والذبائح وحرموا لحم الجزور فى خرافات يضيع الزمان بذكرها وزعموا أن الأرواح الخيرة تصعد إلى الكواكب الثابتة وإلى الضياء وأن الشريرة تنزل إلى أسفل الأرضين وإلى الظلمة . وبعضهم يقول هذا العالم لا يفنى وأن الثواب والعقاب فى التناسخ ومثل هذه المذاهب لا يحتاج إلى تكلف فى ردها إذ هى دعاو بلا دليل وقد حسن إبليس لأقوام من الصابئين أنهم رأوا الكمال فى تحصيل مناسبة بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات وقوانين ودعوات واشتغلوا بالتنجيم والتسخير وقالوا لا بد من متوسط بين الله وبين خلقه فى تعريف المعارف والإرشاد للمصالح إلا أن ذلك المتوسط ينبغى أن يكون روحانياً لا جسمانياً قالوا فنحن نحصل لأنفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه فيكون ذلك وسيلة لنا اليه وهؤلاء لا ينكرون بعث الأجساد .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على المجوس ﴾

قال يحى بن بشر بن عمير النهاوندى كان أول ملوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعو النبوة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت وكانوا يقولون أن الله تعالى عن ذلك شخص روحانى ظهر فظهرت معه الأشياء روحانية تامة فقال لا يتهيأ لغيرى أن يبتدع مثل هذه التى ابتدعتها فتولد من فكرته هذه ظلمة إذ كان فيها جحود لقدرة غيره فقامت الظلمة تغالبه . وكان مما سنه زرادشت عبادة النار والصلاة إلى الشمس يتأولون فيها أنها ملكة العالم وهى التى تأتى بالنهار وتذهب بالليل وتحى النبات والحيوانات وترد الحرارات إلى أجسادها . وكانوا لا يدفنون موتاهم فى الأرض تعظيما لها ويقولون انها نشوء الحيوانات فلا نقذرها وكانوا لا يغتسلون بالماء تعظيما له وقالوا لأن به حياة كل شىء إلا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه ولا يبزقون فيه ولا يرون قتل الحيوانات ولا ذبحها وكانوا يغسلون وجوههم ببول البقر تبركا به

وإذا كان عتيقاً كان أكثر بركة ويستحلون فروج الأمهات قال الإبن أحرى بتسكين شهوة أمه وإذا مات الزوج فإبنه أولى بالمرأة فإن لم يكن له إبن اكترى رجل من مال الميت ويجيزون للرجل أن يتزوج بمائة والف وإذا أرادت الحائض أن تغتسل دفعت ديناراً إلى الموبذ ويحملها إلى بيت النار ويقيمها على أربع وينظفها بسبابته وأظهر هذا الأمر مزدك فى أيام قباذ وأباح النساء لكل من شاء ونكح نساء قباذ لتقتدى به العامة فيفعلون فى النساء مثله فلما بلغ إلى أم أنوشروان قال لقباذ أخرجها إلىّ فإنك إن منعتنى شهوتى لم يتم إيمانك فهم بإخراجها فجعل أنوشروان يبكى بين يدى مزدك ويقبل رجله بين يدى أبيه قباذ ويسأله أن يهب له أمه فقال قباذ لمزدك ألست تزعم أن المؤمن لا ينبغى أن يرد عن شهوته قال بلى قال فلم ترد أنوشروان عن شهوته قال قد وهبتها له ثم أطلق للناس فى أكل الميتة فلما ولى انوشروان أفنى المزدكية هو ومن أقوال المجوس أن الأرض لانهاية لها من أسفلها وأن السماء جلد من جلود الشياطين والرعد إنما هو حركة خرخرة العفاريت المحبوسة فى الأفلاك المأسورة فى حرب والجبال من عظامهم والبحر من أبوالهم ودمائهم (ونبغ للمجوس) رجل فى زمان انتقال دولة بنى أمية إلى بنى العباس واستغوى خلقاً وجرت له قصص يطول الأمر بذكرها فهو آخر من ظهر للمجوس وذكر بعض العلماء أنه كان للمجوس كتب يدرسونها وأنهم أحدثوا ديناً فرفعت كتبهم .

ومن أظرف تلبيس إبليس عليهم . أنهم رأوا فى الأفعال خيراً وشراً فسول لهم أن فاعل الخير لا يفعل الشر فأثبتوا إلهين وقالوا أحدهما نور حكيم لا يفعل إلا الخير والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل إلا الشر على نحو ماذكرنا عن الثنوية .

قال المصنف: وقد سبق ذكر شبههم وجوابها وقال بعضهم. البارى قديم فلا يكون منه إلا الخير والشيطان محدث فلا يكون منه إلا الشر فيقال لهم إذا أقررتم أن النور خلق الشيطان فقد خلق رأس الشر وزعم بعضهم أن الخالق هو النور ففكر فكرة رديئة فقال أخاف أن يحدث فى ملكى من

يضادنى وكانت فكرته رديئة فحدث منها إبليس فرضى إبليس أن ينسب إلى الرداءة بعد إثبات أنه شريك وحكى النوبختى أن بعضهم قال أن الخالق شك فى شيء فكان الشيطان من ذلك الشك : قال وزعم بعضهم أن الإله والشيطان جسمان قديمان كان بينهما فضاء وكانت الدنيا سليمة من آفة والشيطان بمعزل عنها فاحتال ابليس حتى خرق السماء بجنوده فهرب الرب عز وجل من فعلتهم وتقدس عن قولهم فاتبعه ابليس حتى حاصره وحاربه ثلاثة آلاف سنة لا هو يصل إليه ولا الرب عز وجل يدفعه ثم يصالحه على أن يكون ابليس وجنوده فى الدنيا سبعة آلاف سنة ورأى الرب أن الصلاح فى احتمال مكروه ابليس إلى أن ينقضى الشرط فالناس فى بلايا إلى انقضائه ثم يعودون الى النعيم وشرط ابليس عليه أن يمكنه من أشياء رديئة فوضعها فى هذا العالم وأنهما لما فرغا من شرطهما أشهدا عدلين ودفعا سيفيهما الى العدلين وقالا من نكث فاقتلاه فى هذيانات كثيرة يضيع الوقت لذكرها فتنكبناها لذلك ونذكر ما انتهى تلبيس ابليس إليه ما آثرنا ذكر شيء من هذا التخليط (والعجب) أنهم يجعلون الخالق خيراً ثم يجعلون أنه حدثت منه فكرة رديئة فعلى قولهم يجوز أن تحدث من فكرة ابليس ملك ثم يقال لهم أيجوز أن يفى الشيطان بما ضمن : فإن قالوا لا قيل لهم فلا يليق بالحكمة استبقاؤه وإن قالوا نعم فقد أقروا بوجود الوفاء المحمود من الشرير : وكيف أطاع الشيطان العدلين وقد عصى ربه وكيف يجوز الافتيات على الإله : وهذه الخرافات لولا التفرج فيما صنعه ابليس بالعقول ما كان لذكرها فائدة ولا معنى ۞

﴿ ذكر تلبيس ابليس على المنجمين وأصحاب الفلك ﴾

قال أبو محمد النوبختى ذهب قوم الى أن الفلك قديم لا صانع له : وحكى جالينوس عن قوم أنهم قالوا زحل وحده قديم . وزعم قوم أن الفلك طبيعة خالصة ليست فيها حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة وليس بخفيف ولا ثقيل . وكان بعضهم يرى أن الفلك جوهر نارى وأنه اختطف من الأرض بقوة دورانه : وقال بعضهم الكواكب من جسم تشابه الحجارة : وقال بعضهم هى من غيم تطفأ كل يوم وتستنير بالليل مثل الفحم يشتعل وينطفىء . وقال

بعضهم جسم القمر مركب من نار وهوى. وقال آخرون الفلك من الماء والريح والنار وأنه بمنزلة الكرة وأنه يتحرك بحركتين من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق قالوا وزحل يدور الفلك فى نحو من ثلاثين سنة والمشترى فى نحو من اثنتى عشرة سنة والمريخ فى نحو من سنتين والشمس والزهرة وعطارد فى سنة والقمر فى ثلاثين يوما : وقال بعضهم أفلاك الكواكب سبعة فالذى يلينا فلك القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشترى ثم فلك زحل ثم فلك الكواكب الثابتة : واختلفوا فى مقادير أجرام الكواكب فقال أكثر الفلاسفة أعظمها جرما الشمس وهو نحو من مائة وست وستين مرة مثل الأرض. والكواكب الثابتة مقدار كل واحد منها نحو من أربعة وتسعين مرة مثل الأرض. والمشترى نحو من اثنين وثمانين مرة مثل الأرض والمريخ نحو من مرة ونصف مثل الأرض. قالوا ومن كل موضع من أعلى الفلك إلى أن يعود إليه مائة ألف فرسخ وألف فرسخ وأربعةوستون فرسخاً. وقال بعضهم الفلك حى والسماء حيوان وفى كل كوكب نفس قال قدماء الفلاسفة النجوم تفعل الخير والشر وتعطى وتمنع على حسب طبائعها من السعود والنحوس وتؤثر فى النفوس وأنها حية فعالة.

﴿ ذكر تلبيس إبليس على جاحدى البعث ﴾

قال المصنف : قد لبس على خلق كثير فجحدوا البعث واستهولوا الإعادة بعد البلاء وأقام لهم شبهتين إحداهما أنه أراهم ضعف المادة والثانية اختلاط الأجزاء المتفرقة فى أعماق الأرض قالوا وقد يأكل الحيوان الحيوان فكيف يتهيأ إعادته وقد حكى القرآن شبهتهم فقال تعالى فى الأولى (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون). وقال فى الثانية : (أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد). وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية قال قائلهم :

يخبرنا الرسول بأن سنحيي وكيف حياة أصداء وهام

وقال آخر : (هو أبو العلاء المعرى) :

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو

(والجواب) عن شبهتهم الأولى : أن ضعف المادة فى الثانى وهو التراب يدفعه كون البداية من نطفة ومضغة وعلقة : ثم أصل الآدميين وهو آدم من تراب على أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً مستحسناً إلا من مادة سخيفة . فانه أخرج هذا الآدمى من نطفة ، والطاووس من البيضة المدرة والطرفة الخضراء من الحبة العفنة . فالنظر ينبغى أن يكون إلى قوة الفاعل وقدرته لا إلى ضعف المواد . وبالنظر إلى قدرته يحصل جواب الشبهة الثانية ثم قد أرانا كالأنموذج فى جمع التمزق فان سحالة (١) الذهب المتفرقة فى التراب الكثير إذا ألقى عليها قليل من زئبق اجتمع الذهب مع تبدده فكيف بالقدرة الإلهية التى من تأثيرها خلق كل شىء لا من شىء على أنا لو قدرنا أن نحيل هذا التراب ما استحالت اليه الأبدان لم يصر بنفسه لأن الآدمى بنفسه لا ببدنه فانه ينحل ويسمن ويهزل ويتغير من صغر إلى كبر وهو هو : ومن أعجب الأدلة على البعث أن الله عز وجل قد أظهر على يدى أنبيائه ما هو أعظم من البعث وهو قلب العصا حية حيوانا وأخرج ناقة من صخرة وأظهر حقيقة البعث على يدى عيسى صلوات الله وسلامه عليه . قال المصنف : وقد زدنا هذا شرحا فى الرد على الفلاسفة .

(فصل) وقد لبس إبليس على أقوام شاهدوا قدرة الخالق سبحانه وتعالى ثم اعترضت لهم الشبهتان اللتان ذكرناهما فترددوا فى البعث فقال قائلهم (ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلباً) وقال العاص بن وائل (لأوتين مالا وولداً) وإنما قالوا هذا لموضع شكهم وقد لبس إبليس عليهم فى ذلك . فقالوا إن كان بعث فنحن على خير : لأن من أنعم علينا فى الدنيا بالمال لا يمنعناه فى الآخرة .

قال المصنف : وهذا غلط منهم لأنه لم لا يجوز أن يكون الإعطاء استدراجا أو عقوبة والإنسان قد يحمى ولده ويطلق فى الشهوات عبده .

---

(١) السحالة بالضم كالبرادة ماسقط من الذهب والفضة .

﴿ ذكر تلبيسه على القائلين بالتناسخ ﴾

قال المصنف : وقد لبس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت فى أبدان خيرة فاستراحت وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل فى أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق وهذا المذهب ظهر فى زمان فرعون موسى (وذكر أبو القاسم البلخى) أن أرباب التناسخ لما رأوا ألم الأطفال والسباع والبهائم استحال عندهم أن يكون ألمها يمتحن به غيرها أو ليتعوض أولا لمعنى أكثر من أنها مملوكة فصح عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال (وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندى) أن الهند يقولون الطبائع أربع هيولى مركبة ونفس وعقل وهيولى مرسلة. فالمركبة هى الرب الأصغر والنفس هى الهيولى الأصغر والعقل الرب الأكبر والهيولى هو أيضاً أكبر وأن الأنفس إذا فارقت الدنيا صارت إلى الرب الأصغر وهو الهيولى المركبة فان كانت محسنة صافية قبلها فى طبعه فصفاها حتى يخرجها إلى الهيولى الأصغر وهو النفس حتى تصير إلى الرب الأكبر فيتخلصه إلى الهيولى المركب الأكبر. فان كان محسناً تام الإحسان أقام عنده فى العالم البسيط وإن كان محسناً غير تام أعاده إلى الرب الأكبر ثم يعيده الرب الأكبر إلى الهيولى الأصغر ثم يعيده الهيولى الأصغر إلى الرب الأصغر فيخرجه مازجاً لشعاع الشمس حتى ينتهى إلى بقلة خسيسة يأكلها الإنسان فيتحول إنساناً ويولد ثانية فى العالم وهكذا تكون حاله فى كل موتة يموتها. (وأما المسيئون) فانهم إذا بلغت نفوسهم إلى الهيولى الأصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم فتصير الروح فى بهيمة ثم تنسخ من بهيمة فى أخرى عند موت تلك البهيمة فلا يزال منسوخاً متردداً فى العلل : ويعود كل ألف سنة إلى صورة الأنس . فان أحسن فى صورة الأنس لحق بالمحسنين .

قال المصنف: قلت فانظر إلى هذه التلبيسات التى رتبها لهم إبليس على ماعن له لا يستند إلى شىء . أنبأنا محمد بن أبى طاهر البزار قال أنبأنا على بن المحسن عن أبيه قال حدثنى أبو الحسن على بن نظيف المتكلم قال كان يحضر معنا ببغداد شيخ الامامية يعرف بأبى بكر بن الفلاس فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع

ثم صار يقول بمذهب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور أسود وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأيتها وعينها تدمع كما جرت عادة السنانير بذلك وهو يبكى بكاءاً شديداً فقلت له لم تبك فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكى كلما مسحتها هذه أمى لا شك وإنما تبكى من رؤيتها إلىّ حسرة قال وأخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه وجعلت السنور تصيح قليلا قليلا فقلت له فهى تفهم عنك ما تخاطبها به فقال نعم فقلت أتفهم أنت صياحها قال لا قلت فأنت المنسوخ وهى الإنسان

﴿ ذكر تلبيس إبليس على أمتنا فى العقائد والديانات ﴾

قال المصنف : دخل إبليس على هذه الأمة فى عقائدها من طريقين: أحدهما التقليد للآباء والأسلاف . والثانى : الخوض فيما لا يدرك غوره ويعجز الخائض عن الوصول إلى عمقه فأوقع أصحاب هذا القسم فى فنون من التخليط فأما الطريق الأول فان إبليس زين للمقلدين أن الأدلة قد تشتبه والصواب قد يخفى والتقليد سليم : وقد ضل فى هذا الطريق خلق كثير وبه هلاك عامة الناس فان اليهود والنصارى قلدوا آباءهم وعلماءهم فضلوا وكذلك أهل الجاهلية واعلم أن العلة التى بها مدحوا التقليد بها يذم لأنه إذا كانت الأدلة تشتبه والصواب يخفى وجب هجر التقليد لئلا يوقع فى ضلال . وقد ذم الله سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد آبائهم وأسلافهم فقال عز وجل (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) المعنى أتتبعونهم وقد قال عز وجل (أنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) .

قال المصنف: أعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه وفى التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر . وقبيح بمن أعطى شمعة يستضىء بها أن يطفئها ويمشى فى الظلمة . واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم فى قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال : وهذا عين الضلال لأن النظر ينبغى أن يكون إلى القول لا إلى القائل كما قال على رضى الله عنه للحرث بن

حوط وقد قال له أتظن انا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل فقال له يا حارث انه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله ، وكان أحمد بن حنبل يقول : من ضيق علم الرجل أن يقلد فى اعتقاده رجلا ولهذا أخذ أحمد بن حنبل يقول : زيد فى الجد وترك قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه « فان قال قائل » فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون فالجواب — إن دليل الاعتقاد ظاهر على ما أشرنا إليه فى ذكر الدهرية ومثل ذلك لا يخفى على عاقل وأما الفروع فانها لما كثرت حوادثها واعتاص على العامى عرفانها وقرب لها أمر الخطأ فيها كان أصلح ما يفعله العامى التقليد فيها لمن قد سبر ونظر إلا أن اجتهاد العامى فى اختيار من يقلده .

قال المصنف : وأما الطريق الثانى : فان إبليس لما تمكن من الأغبياء فورطهم فى التقليد وساقهم سوق البهائم . ثم رأى خلقاً فيهم نوع ذكاء وفطنة فاستغواهم على قدر تمكنه منهم فمنهم من قبح عنده الجمود على التقليد وأمره بالنظر ثم استغوى كلا من هؤلاء بفن فمنهم من أراه أن الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز . فساقهم إلى مذهب الفلاسفة ولم يزل بهؤلاء حتى أخرجهم عن الإسلام وقد سبق ذكرهم فى الرد على الفلاسفة . ومن هؤلاء من حسن له أن لا يعتقد إلا ما أدركته حواسه . فيقال لهؤلاء بالحواس علمتم صحة قولكم فان قالوا نعم كابروا لأن حواسنا لم تدرك ما قالوا إذ ما يدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف وإن قالوا بغير الحواس . ناقضوا قولهم : ومنهم من نفره إبليس عن التقليد وحسن له الخوض فى علم الكلام والنظر فى أوضاع الفلاسفة ليخرج بزعمه عن غمار العوام . وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشكوك وببعضهم إلى الإلحاد . ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزاً ولكنهم رأوا أنه لا يشفى غليلا ثم يرد الصحيح عليلا فأمسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه . حتى قال الشافعى رحمه الله لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام . قال وإذا سمعت الرجل يقول الإسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له . قال وحكمى فى علماء الكلام أن يضربوا

بالجريد ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام : وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب كلام أبداً علماء الكلام زنادقة .

قال المصنف : قلت وكيف لا يذم الكلام وقد أفضى بالمعتزلة إلى انهم قالوا إن الله عز وجل يعلم جمل الأشياء ولا يعلم تفاصيلها . وقال جهم بن صفوان علم الله وقدرته وحياته محدثة . وقال أبو محمد النوبختى عن جهم أنه قال إن الله عز وجل ليس بشيء . وقال أبو على الجبائى وأبو هاشم ومن تابعهما من البصريين المعدوم شيء وذات ونفس وجوهر وبياض وصفرة وحمرة وإن البارى سبحانه وتعالى لا يقدر على جعل الذات ذاتاً ولا العرض عرضاً ولا الجوهر جوهراً وإنما هو قادر على إخراج الذات من العدم إلى الوجود . وحكى القاضى أبو يعلى فى كتاب المعتبس قال : قال لى العلاف المعتزلى لنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أمر لا يوصف الله بالقدرة على دفعه ولا تصح الرغبة حينئذ إليه ولا الرهبة منه لأنه لا يقدر إذ ذاك على خير ولا شر ولا نفع ولا ضر . قال ويبقى أهل الجنة جموداً سكوتاً لا يفضون بكلمة ولا يتحركون ولا يقدرون هم ولا ربهم على فعل شيء من ذلك . لأن الحوادث كلها لا بد لها من آخر تنتهى إليه لا يكون بعده شيء تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

قال المصنف : قلت وذكر أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن محمد البلخى فى كتاب المقالات . إن أبا الهذيل إسمه محمد بن الهذيل العلاف وهو من أهل البصرة من عبد القيس مولى لهم وانفرد بأن قال أهل الجنة تنقضى حركاتهم فيصيرون إلى سكون دائم وأن لما يقدر الله عليه نهاية لو خرج إلى الفعل ولن يخرج استحال أن يوصف الله عز وجل بالقدرة على غيره . وكان يقول إن علم الله هو الله وإن قدرة الله هى الله . وقال أبو هاشم من تاب عن كل شيء إلا أنه شرب جرعة من خمر فإنه يعذب عذاب أهل الكفر أبداً . وقال النظام إن الله عز وجل لا يقدر على شيء من الشر وإن إبليس يقدر على الخير والشر . وقال هشام القوطى أن الله لا يوصف بأنه عالم لم يزل وقال بعض المعتزلة يجوز على الله سبحانه وتعالى الكذب إلا أنه لم يقع منه . وقالت

المجبرة لاقدر لآدمى بل هو كالجماد مسلوب الاختيار والفعل . وقالت المرجئة إن من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصى لم يدخل النار أصـــلا وخالفوا الأحاديث الصحاح فى إخراج الموحدين من النـار قال ابن عقيل ما أشبه أن يكون واضع الأرجاء زنديقاً فإن صلاح العالم باثبات الوعيد واعتقاد الجزاء ،فالمرجئة لمـا لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الإثبات وهى الخشية والمراقبة وهدموا سياسة الشرع فهم شر طائفة على الإسلام :

قال المصنف : قلت وتبع أبو عبد الله بن كرام فاختار من المذاهب أردأها ومن الأحاديث أضعفها ومال إلى التشبيه وأجاز حلول الحوادث فى ذات البارى سبحانه وتعالى . وقال إن الله لا يقدر على إعادة الأجسام والجواهر إنما يقدرعلى ابتدائها . قالت السالمية إن الله عز وجل يتجلى يوم القيامة لكل شىء فى معناه فيراه الآدمى آدمياً . والجنى جنيا . وقالوا الله سر لو أظهره لبطل التدبير .

قال المصنف : قلت أعوذ بالله من نظر وعلوم أوجبت هذه المذاهب القبيحة: وقد زعم أرباب الكلام أنه لايتم الإيمان إلا بمعرفة مارتبوه وهؤلاء على الخطاء لأن الرسول ﷺ أمر بالإيمان ولم يأمر ببحث المتكلمين ودرجة الصحابة الذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك . وقد ورد ذم الكلام على ماقد أشرنا إليه . وقد نقل إلينا أقلاع منطق المتكلمين عما كانوا عليه لما رأوا من قبح غوائله .

فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت نا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز البزار ثنا صالح الوفاة بن أحمد بن محمد الحافظ ثنا أحمد بن عبيـد بن إبراهيم ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال سمعت أحمد بن سنان قال . كان الوليد بن أبان الكرابيسى خالى فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحداً أعلم بالكلام منى؟قالوا، لا ،قال:فتتهمونى،قالوا: لاقال فإنى أوصيكم أتقبلون قالوا نعم قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإنى رأيت الحق معهم وكان أبو المعالى الجوينى يقول لقد جلت أهل الإسلام جولة

وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت في الذي نهوا عنه كل ذلك في طلب الحق وهربا من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فإن لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني. وكان يقول لأصحابه يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به. وقال أبو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض فان رضيت أن تكون مثلهم فكن وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت. قال وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك وكثير منهم إلى الإلحاد تشم روائح الالحاد من فلتات كلام المتكلمين وأصل ذلك أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع وطلبوا الحقائق وليس في قوة العقل إدراك ما عند الله من الحكمة التي انفرد بها ولا أخرج الباري من علمه لخلقه ما علمه هو من حقائق الأمور قال: وقد بالغت في الأول طول عمري ثم عدت القهقرى إلى مذهب الكتب وإنما قالوا أن مذهب العجائز أسلم لأنهم لما انتهوا إلى غاية التدقيق في النظر لم يشهدوا ما يشفي العقل من التعليلات والتأويلات فوقفوا مع مراسم الشرع وجنحوا عن القول بالتعليل وأذعن العقل بأن فوقه حكمة إلهية فسلم. وبيان هذا أن نقول أحب أن يعرف أراد أن يذكر فيقول قائل هل شغف باتصال النفع هل دعاه داع إلى إفاضة الإحسان: ومعلوم أن للداعي عوارض على الذات وتطلبات من النفس وما تعقل ذلك إلا الذات يدخل عليها داخل من شوق إلى تحصيل ما لم يكن لها وهي إليه محتاجة فاذا وجد ذلك العرض سكن الشغف وفتر الداعي وذلك الحاصل يسمى غنى والقديم لم يزل موصوفا بالغنى منعوتا بالاستقلال بذاته الغنية عن استزادة أو عارض ثم إذا نظرنا في إنعامه رأيناه مشحونا بالنقص والآلام وأذى الحيوانات فاذا رام العقل أن يعلل بالإنعام جاء تحقيق النظر فرأى أن الفاعل قادر على الصفاء ولا صفاء ورآه منزهاً بأدلة العقل عن البخل الموجب لمنع ما يقدر على تحصيله. وعن العجز عن دفع ما يعرض لهذه الموجودات من الفساد فاذا عجز عن التعليل كان التسليم أولى: وإنما دخل الفساد من أن الخلق اقتضاؤه الفوائد ودفع

المضار على مقتضى قدرته : ولو مزجوا فى ذلك العلم بأنه الحكيم لاقتضت نفوسهم له التسليم بحسب حكمته فعاشوا فى بحبوحة التفويض بلا اعتراض.

﴿فصل﴾ وقد وقف أقوام مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس فقال بعضهم إن الله جسم تعالى الله عن ذلك : وهذا مذهب هشام بن الحكم وعلى بن منصور ومحمد ابن الخليل ويونس بن عبدالرحمن . ثم اختلفوا فقال بعضهم جسم كالأجسام . ومنهم من قال لا كالأجسام. ثم اختلفوا فمنهم من قال هو نور ومنهم من قال هو على هيئة السبيكة البيضاء. هكذا كان يقول هشام بن الحكم وكان يقول إن الإله سبعة أشبار بشبر نفسه «تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً» وأنه يرى ما تحت الثرى بشعاع متصل منه بالمرئى قلت ما أعجب إلا من حده سبعة أشبار حتى علمت أنه جعله كالآدميين والآدمى طوله سبعة أشبار بشبر نفسه وذكر أبو محمد النوبختى عن الجاحظ عن النظام أن هشام بن عبدالحكم قال فى التشبيه فى سنة واحدة خمسة أقاويل قطع فى آخرها أن معبوده أشبر نفسه سبعة أشبار: فان قوماً قالوا انه على هيئة السبيكة وأن قوما قالوا هو على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة التى من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة وقال هشام : هو متناهى الذات حتى قال إن الجبل أكبر منه قال وله ماهية يعلمها هو .

قال المصنف : وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضاً وذلك ينقض القول بالتوحيد وقد استقر أن الماهية لا تكون إلا لمن كان ذا جنس وله نظائر فيحتاج أن نفرد منها ويبان عنها والله سبحانه ليس بذى جنس ولا مثل له ولا يجوز أن يوصف بأن ذاته أرادته ومتناهيه لا على معنى أنه ذاهب فى الجهات بلا نهاية : إنما المراد أنه ليس بجسم ولا جوهر فتلزمه النهاية قال النوبختى وقد حكى كثير من المتكلمين أن مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وداود الحوارى يقولون إن الله صورة وأعضاء .

قال المصنف : أترى هؤلاء كيف يثبتون له القدم دون الآدميين ولم لا يجوز عليه عندهم ما يجوز على الآدميين من مرض أو تلف : ثم يقال لكل من ادعى التجسيم بأى دليل أثبت حدث الأجسام فيدلك بذلك على أن الإله هو الذى اعتقدته جسما محدثاً غير قديم . ومن قول المجسمة ان الله عز وجل يجوز أن

يمس ويلمس : فيقال له فيجوز على قولكم أن يمس ويلمس ويعانق وقال بعضهم أنه جسم هو فضاء والأجسام كلها فيه . وكان بيان بن سمعان يزعم أن معبوده نور كله وأنه على صورة رجل وأنه يهلك جميع أعضائه إلا وجهه فقتله خالد ابن عبد الله وكان المغيرة بن سعد العجلي يزعم ان معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة وأعضاؤه على صورة حروف الهجاء :

وكان هذا يقول بإمامة محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن وكان زرارة ابن أعين يقول : لم يكن البارى قادراً حياً عالماً فى الأزل حتى خلق لنفسه هذه الصفات تعالى الله عن ذلك . وقال داود الحوارى هو جسم لحم ودم وله جوارح وأعضاء وهو أجوف من فمه إلى صدره ومصمت ما سوى ذلك : ومن الواقفين مع الحس أقوام قالوا هو على العرش بذاته على وجه المماسة فإذا نزل انتقل وتحرك وجعلوا لذاته نهاية وهؤلاء قد أوجبوا عليه المساحة والمقدار واستدلوا على أنه على العرش بذاته بقول النبى صلى الله عليه وسلم ينزل الله إلى سماء الدنيا : قالوا ولا ينزل إلا من هو فوق . وهؤلاء حملوا نزوله على الأمر الحسى الذى يوصف به الأجسام : وهؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس وقد ذكرنا جمهور كلامهم فى كتابنا المسمى بمنهاج الوصول إلى علم الأصول . وربما تخيل بعض المشبهة فى رؤية الحق يوم القيامة لما يراه فى الأشخاص فيمثله شخصاً يزيد حسنه على كل حسن : فتراه يتنفس من الشقوق إليه ويمثل الزيادة فيزداد توقه ويتصور رفع الحجاب فيقاق ويتذكر الرؤية فيغشى عليه . ويسمع فى الحديث أنه يدنى عبده المؤمن إليه فيتخايل القرب الذاتى كما يجالس الجنس وهذا كله جهل بالموصوف . ومن الناس من يقول لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته لقوله عز وجل ويبقى وجه ربك وله يد وله أصبع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع السموات على أصبع وله قدم إلى غير ذلك مما تضمنته الأخبار وهذا كله إنما استخرجوه من مفهوم الحس : وإنما الصواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها وما يؤمن هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا أنه صفة زائدة وعلى هذا فسر الآية المحققون فقالوا ويبقى ربك وقالوا فى قوله يريدون وجهه يريدونه وما يؤمنهم أن يكون أراد بقوله قلوب العباد بين إصبعين ان الأصبع لما كانت هى المقبلة للشيء وأن ما بين

الاصبعين يتصرف فيه صاحبها كيف شاء ذكر ذلك لا أن ثم صفة زائدة .

قال المصنف . والذى أراه السكوت عن هذا التفسير أيضاً إلا أنه يجوز أن يكون مراداً ولا يجوز أن يكون ثم ذات تقبل التجزىء والانقسام ومن أعجب أحوال الظاهرية قول السالمية ان الميت يأكل فى القبر ويشرب وينكح لأنهم سمعوا بنعيم ولم يعرفوا من النعيم إلا هذا ولو قنعوا بما ورد فى الآثار من أن أرواح المؤمنين وتجعل فى حواصل طير تأكل من شجر الجنة لسلموا لكنهم أضافوا ذلك إلى الجسد قال ابن عقيل . ولهذا المذهب مرض يضاهى الاستشعار الواقع للجاهلية وما كانوا يقولونه فى الهام والصدا والمكالمة لهؤلاء ينبغى أن تكون على سبيل المداراة لاستشعارهم لا على وجه المناظرة فإن المقاومة تفسدهم . وإنما لبس ابليس على هؤلاء لتركهم البحث عن التأويل المطابق لأدلة الشرع والعقل . فإنه لما ورد النعيم والعذاب للميت علم أن الإضافة حصلت إلى الأجساد والقبور تعريفاً كأنه يقول صاحب هذا القبر الروح التى كانت فى هذا الجسد منعمة بنعيم الجنة معذبة بعذاب النار .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف: فان قال قائل قد عبت طريق المقلدين فى الأصول وطريق المتكلمين فما الطريق السليم من تلبيس إبليس . فالجواب أنه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وتابعوهم بإحسان من إثبات الخالق سبحانه وإثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار من غير تفسير ولا بحث عما ليس فى قوة البشر إدراكه وأن القرآن كلام الله غير مخلوق . قال على كرم الله وجهه . والله ما حكمت مخلوقاً إنما حكمت القرآن وأنه المسموع قوله عز وجل (حتى يسمع كلام الله) وأنه فى المصاحف لقوله عز وجل (فى رقّ منشور) ولا نتعدى مضمون الآيات ولا نتكلم فى ذلك برأينا . وقد كان أحمد بن حنبل ينهى أن يقول الرجل لفظى بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لئلا يخرج عن الاتباع للسلف إلى حدث .

والعجب ممن يدعى اتباع هذا الإمام ثم يتكلم فى المسائل المحدثة . أخبرنا سعد الله بن على البزار نا أبو بكر الطريثيثى نا هبة الله بن الحسن الطبرى نا أبو حامد أحمد بن أبى طاهر الفقيه نا عمر بن أحمد الواعظ ثنا محمد بن هرون الحضرمى ثنا القاسم بن العباس الشيبانى ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار

قال أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر . وقال مالك بن أنس من قال القرآن مخلوق فيستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه .

أخبرنا أبو البركات بن على البزار نا أحمد بن على الطريثيثى نا هبة الله الطبرى ثنا محمد بن احمد القاسم ثنا احمد بن عثمان ثنا محمد بن ماهان ثنا عبد الرحمن ابن مهدى عن سفيان عن جعفر بن برقان أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل: وسأله عن الأهواء فقال عليك بدين الصبى فى الكتاب والإعرابى واله عما سواهما قال ابن مهدى وثنا عبد الله بن المبارك عن الأوزاعى قال : قال: عمر بن عبد العزيز إذا رأيت قوما يتناجون فى دينهم بشىء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا احمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد ابن احمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا خلاد بن يحيى عن سفيان الثورى : قال بلغنى عن عمر أنه كتب إلى بعض عماله أوصيك بتقوى الله عز وجل . واتباع سنة رسوله صلى الله عيله وعلى آله وصحبه وسلم . وترك ما أحدث المحدثون بعده بما قد كفوا مؤنته : واعلم أن من سن السنن قد علم ما فى خلافها من الخطأ والزلل والتعمق فان السابقين الماضين عن علم توقفوا وتبصر ناقد قد كفوا . وفى رواية أخرى عن عمر . وأنهم كانوا على كشف الأمور أقوى وما أحدث إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم لقد قصر دونهم أقوام نخفوه وطمح عنهم آخرون فعلوه .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا احمد بن احمد نا احمد بن عبد الله الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا بشر بن موسى ثنا عبد الصمد بن حسان قال سمعت سفيان الثورى يقول عليكم بما عليه الجمالون والنساء فى البيوت والصبيان فى الكتاب من الإقراء والعمل .

قال المصنف : فإن قال قائل هذا مقام عجز لا مقام الرجال فقد أسلفنا جواب هذا . وقلنا إن الوقوف على العمل ضرورة لأن بلوغ ما يشفى العقل من التعليل لم يدركه من عاص من المتكلمين فى البحار فلذلك أمروا بالوقوف على الساحل كما ذكرنا عنهم .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الخوارج ﴾

قال المصنف: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا محمد بن فضيل ثنا عمارة بن القعقاع عن ابن أبي يعمر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث علي رضي الله عنه من اليمن إلى رسول الله ﷺ بذهبة في أديم مقروظ(١) لم تخلص من ترابها فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة بين زيد الخيل والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل شك عمارة فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم فقال رسول الله ﷺ ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء ثم أتاه رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتىء الجبهة كث اللحية مشمر الأزار محلوق الرأس فقال اتق الله يا رسول الله فرفع رأسه إليه فقال ويحك أليس أحق الناس أن يتقي الله أنا ثم أدبر فقال خالد يا رسول الله ألا أضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ فلعله يكون يصلي فقال انه ربّ مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه فقال رسول الله ﷺ إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ثم نظر إليه النبي ﷺ وهو مقفٍ فقال انه سيخرج من ضنئضيء(٢) هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة.

قال المصنف: هذا الرجل يقال له ذو الخويصرة التميمي وفي لفظ أنه قال له إعدل فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل فهذا أول خارجي خرج في الإسلام وآفته انه رضي برأي نفسه ولو وقف لعلم انه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وذلك انه لما طالت الحرب بين معاوية وعلي رضي الله عنهما رفع أصحاب معاوية المصاحف ودعوا أصحاب علي إلى ما فيها وقال. تبعثون منكم رجلا ونبعث منا رجلا. ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله عز

(١) المقروظ المدبوغ بالقرظ، وفي نسخة لم تحصل أي تميز.

(٢) الضنضيء وهو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز، وهو أصل الشيء وروى بالمهملتين.

وجل : فقال الناس قد رضينا فبعثوا عمرو بن العاص فقال أصحاب علي ابعث أبا موسى فقال علي لا أرى أن أولي أبا موسى : هذا ابن عباس قالوا لا نريد رجلا منك فبعث أبا موسى وأخر القضاء إلى رمضان فقال عروة بن أذينة تحكمون في أمر الله الرجال لا حكم إلا لله : ورجع علي من صفين فدخل الكوفة ولم تدخل معه الخوارج فأتوا حروراء (١) فنزل بها منهم إثنا عشر ألفاً وقالوا لا حكم إلا لله وكان ذلك أول ظهورهم ونادى مناديهم أن أمير القتال شبيب بن ربعي التميمي وأمير الصلاة عبدالله بن الكوا اليشكري . وكانت الخوارج تتعبد إلا أن إعتقادهم أنهم أعلم من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهذا مرض صعب .

أخبرنا اسماعيل بن احمد نا محمد بن هبة الله الطبري نا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبدالله بن جعفر بن درستويه نا يعقوب بن سفيان ثني موسى بن مسعود ثنا عكرمة بن عمار عن سماك بن رميل قال: قال عبدالله بن عباس إنه لما اعتزلت الخوارج دخلوا داراً وهم ستة آلاف وأجمعوا على أن يخرجوا على علي بن أبي طالب فكان لا يزال يجيء إنسان فيقول يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك فيقول دعوهم فاني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون. فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر فقلت له يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة لعلي أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم . فقال إني أخاف عليك . فقلت كلا وكنت رجلا حسن الخلق لا أؤذي أحداً فأذن لي فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن وترجلت فدخلت عليهم نصف النهار فدخلت على قوم لم أرَ قط أشد منهم اجتهاداً . جباههم قرحة من السجود وأياديهم كأنها ثفن (٢) الإبل . وعليهم قمص مرحضة مشمرين مسهمة وجوههم من السهر فسلمت عليهم فقالوا مرحباً بابن عباس ما جاء بك . فقلت أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ومن عند صهر رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم : فقالت طائفة منهم لا تخاصموا قريشاً فان الله عز وجل

(١) حروراء : قرية بالعراق قريبة من الكوفة .
(٢) الثفن: جمع ثفنة ركبة البعير وغيرها مما يحصل فيه غلظ من أثر البروك.

يقول (بل هم قوم خصمون) فقال إثنان أو ثلاثة لنكلمنه : فقلت هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار وعليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم أحد : وهم أعلم بتأويله . قالوا ثلاثاً : قلت هاتوا : قالوا أما أحداهن فانه حكم الرجال فى أمر الله . وقد قال الله عز وجل (إن الحكم إلا لله) فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل . فقلت هذه واحدة وماذا : قالوا وأما الثانية فانه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم فأن كانوا مؤمنين فلم حل لنا قتالهم وقتلهم ولم يحل لنا سبيهم قلت وما الثالثة قالوا فانه محا عن نفسه أمير المؤمنين فانه إن لم يكن أمير المؤمنين فانه لأمير الكافرين . قلت هل عندكم غير هذا . قالوا كفانا هذا . قلت لهم أما قولكم حكم الرجال فى أمر الله أنا أقرأ عليكم فى كتاب الله ماينقض هذا . فاذا نقض قولكم أترجعون قالوا نعم قلت فان الله قد صير من حكمه إلى الرجال فى ربع درهم ثمن أرنب وتلى هذه الآية (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) إلى آخر الآية وفى المرأة وزوجها (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) إلى آخر الآية فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال فى إصلاح ذات بينهم وفى حقن دمائهم أفضل أم حكمهم فى أرنب وبضع امرأة فأيهما ترون أفضل . قالوا بل هذه . قلت خرجت من هذه . قالوا نعم . قلت وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم فتسبون أمكم عائشة رضى الله تعالى عنها . فوالله لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الاسلام . ووالله لئن قلتم لنسبينها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الاسلام . فأنتم بين ضلالتين لأن الله عز وجل قال (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) أخرجت من هذه . قالوا نعم . قلت وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو . فقال لعلى رضى الله عنه أكتب لهم كتاباً فكتب لهم على . هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله فقال المشركون والله ما نعلم انك رسول الله لو نعلم انك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اللهم إنك تعلم أنى رسول الله امح ياعلى . اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله فوالله لرسول الله خير من على وقد محا نفسه.

قال فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا . اخبرنا ابو منصور القزاز نا ابو بكر احمد بن على بن ثابت نا ولاد بن على الكوفى نا محمد بن على بن دحيم الشيبانى ثنا احمد بن حازم ثنا احمد بن عبد الرحمن يعنى ابن ابى ليلى ثنا سعيد بن جثيم عن القعقاع بن عمارة عن أبى الخليل عن ابى الشائعة عن جندب الأزدى . قال لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال فانتهينا إلى معسكرهم فاذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن .

قال المصنف : وفى رواية أخرى أن عليا رضى الله عنه لما حكم أتاد من الخوارج زرعة بن البرج الطائى وحرقوص بن زهير السعدى فدخلا عليه فقالا له لا حكم إلا لله . فقال على لا حكم إلا لله فقال له حرقوص تب من خطيئتك وارجع عن قضيتنا واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا ولئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله عز وجل لأقاتلنك أطلب بذلك وجه الله واجتمعت الخوارج فى منزل عبدالله بن وهب الراسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما ينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التى إيثارها عناء آثر عنده من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق فاخرجوا بنا . فكتب إليهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه . أما بعد فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين فقد خالفا كتاب الله واتبعا أهواءهما ونحن على الأمر الأول . فكتبوا إليه إنك لم تغضب لربك وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك . وإلا فقد نابذناك على سواء والسلام ولقى الخوارج فى طريقهم عبدالله بن خباب فقالوا هل سمعت من أبيك حديثاً تحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه قال نعم سمعت أبى يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول . قالوا أنت سمعت هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله قال نعم فقدموه إلى شفير النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل . وبقروا بطن أم ولده عما فى بطنها وكانت حبلى ونزلوا تحت نخل مواقير بنهروان فسقطت رطبة فأخذها أحدهم فقذف بها فى فيه . فقال أحدهم أخذتها

بغير حدها وبغير ثمنها فلفظها من فيه . واخترط أحدهم سفيه فأخذ يهزه فمر به خنزير لأهل الذمة فضربه به يجربه فيه فقالوا هـذا فساد فى الأرض فلق صاحب الخنزير فأرضاه فى ثمنه . قال فبعث إليهم على رضى الله عنه أخرجو إلينا قاتل عبدالله بن خباب فقالوا كلنا قتله . فناداهم ثلاثاً كل ذلك يقولون هذا القول . فقال على رضى الله عنه لأصحابه دونكم القوم . فما لبثوا أن أن قتلوهم وكان وقت القتال يقول بعضهم لبعض تهيأ للقاء الرب الرواح الرواح إلى الجنة ! وخرج على علىّ رضى الله عنه بعدهم جماعة منهم فبعث إليهم من قاتلهم ثم اجتمع عبدالرحمن بن ملجم بأصحابه وذكروا أهل النهراون فترحموا عليهم وقالوا والله ما قنعنا بالبقاء فى الدنيا شيء بعد إخواننا الذين كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم فلو انا شرينا أنفسنا لله والتمسنا غير هؤلاء الأئمة الضلال فثأرنا بهم إخواننا وأرحنا منهم العباد .

أخبرنا محمد بن أبى طاهر البزار نا أبو محمد الجوهرى نا ابن حياة نا أبو الحسن بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد عن أشياخ له . فقالوا انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبدالرحمن بن ملجم والبرك بن عبدالله وعمرو ابن بكر التميمى فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا لنقتلن هؤلاء الثلاثة علياً ومعاوية وعمرو بن العاص ونريح العباد منهم فقال ابن ملجم أنا لكم بعلى وقال البرك انا لكم بمعاوية وقال عمرو أنا لكم بعمرو فتواثقوا الا ينقض رجل منهم رجلا عن صاحبه ، فقدم ابن ملجم الكوفة فلما كانت الليلة التى عزم على قتل على رضى الله عنه فيها خرج على رضى الله عنه لصلاة الصبح فضربه فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه . فقال على رضى الله عنه لا يفوتنكم الرجل فأخذ : فقالت أم كلثوم ياعدو الله قتلت أمير المؤمنين بأس قال فلم تبكين إذن ثم قال والله لقد سممته يعنى فإن أخلفنى فأبعده الله وأسحقه . فلما مات على رضى الله عنه أخرج ابن ملجم ليقتل فقطع عبدالله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم . فكحل عينيه بمسمار محمى . فلم يجزع وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق حتى ختمها وإن عينيه لتسيلان فعولج على قطع لسانه

لجزع . فقيل له لم تجزع فقال أكره أن أكون فى الدنيا مواتا لا أذكر الله وكان رجلا أسمر فى جبهته أثر السجود لعنة الله عليه .

قال المصنف : قلت ، ولما اراد الحسن رضى الله عنه أن يصالح معاوية خرج عليه من الخوارج الجراح بن سنان . وقال أشركت كما أشرك أبوك ثم طعنه فى أصل فخذه . وما زالت الخوارج تخرج على الأمراء ولهم مذاهب مختلفة . وكان أصحاب نافع بن الأزرق يقولون نحن مشركون ما دمنا فى دار الشرك فاذا خرجنا فنحن مسلمون . قالوا ومخالفونا فى المذهب مشركون . ومرتكبوا الكبائر مشركون والقاعدون عن موافقتنا فى القتال كفرة وأباح هؤلاء قتل النساء والصبيان من المسلمين وحكموا عليهم بالشرك وكان نجدة بن عامر الثقفى من القوم فخالف نافع بن الأزرق وقال بتحريم دماء المسلمين وأموالهم : وزعم أن أصحاب الذنوب من موافقيه يعذبون فى غير نار جهنم وأن جهنم لا يعذب بها إلا مخالفوه فى مذهبه : وقال إبراهيم الخوارج قوم كفار وتحل لنا مناكحتهم وموارثتهم كما كان الناس فى بدء الإسلام . وكان بعضهم يقول لو أن رجلا أكل من مال يتيم فلسين وجبت له النار . لأن الله عز وجل أوعد على ذلك النار .

قال المصنف : ولهم قصص تطول ومذاهب عجيبة لهم لم أر التطويل بذكرها وإنما المقصود النظر فى حيل ابليس وتلبيسه على هؤلاء الحمقى الذين عملوا بواقعاتهم واعتقدوا أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه على الخطأ ومن معه من المهاجرين والأنصار على الخطأ وأنهم على الصواب . واستحلوا دماء الأطفال ولم يستحلوا أكل ثمرة بغير ثمنها وتعبوا فى العبادات وسهروا وجزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات الذكر . واستحل قتل على كرم الله وجهه ثم شهروا السيوف على المسلمين ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من على رضى الله عنه ، فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعدل فما عدلت وما كان ابليس ليهتدى إلى هذه المخازى نعوذ بالله من الخذلان .

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن ملك ثنا عبد الله بن

أحمد ابن حنبل ثنى أبى قال قرأت على عبد الرحمن بن ملك عن يحى بن سعيد عن محمد ابن ابراهيم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم فيكم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة (١) . أخرجاه فى الصحيحين .

أخبرنا سعد الله بن على نا أبو بكر الطريثيثى ثنا هبة الله بن الحسن الطبرى نا احمد بن عبيد ثنا على بن عبد الله بن مبشر ثنا احمد بن سنان ثنا اسحاق بن يوسف الأزرق عن الأعمش عن عبد الله بن أبى أوفى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخوارج كلاب أهل النار .

(فصل) قال المصنف : ومن رأى الخوارج أنه لا تختص الامامة بشخص إلا ان يجتمع فيه العلم والزهد فإذا اجتمعا كان إماماً نبطياً (١) ومن رأى هؤلاء أحدث المعتزلة فى التحسين والتقبيح إلى العقل وأن العدل ما يقتضيه ثم حدث القدرية فى زمن الصحابة وصار معبد الجهنى وغيلان الدمشقى والجعد ابن درهم إلى القول بالقدر ونسج على منوال معبد الجهنى واصل بن عطاء وانضم إليه عمرو بن عبيد . وفى ذلك الزمان حدثت سنة المرجئة حين قالوا لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . ثم طالعت المعتزلة مثل أبى الهذيل العلاف والنظام ومعمر والجاحظ كتب الفلاسفة فى زمان المأمون واستخرجوا منها ما خلطوه بأوضاع الشرع مثل لفظ الجوهر والعرض والزمان والمكان والكون . وأول مسألة اظهروها القول بخلق القرآن . وحينئذ سمى هذا الفصل فصل علم الكلام . وتلت هذه المسألة مسائل الصفات مثل العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر . فقال قوم هى معانى زائدة على الذات ونفتها المعتزلة وقالوا عالم لذاته قادر لذاته . وكان أبو الحسن الأشعرى على مذهب الجبائى ثم انفرد عنه إلى مثبتى الصفات . ثم أخذ

---

(١) الرمية: الصيد الذى ترميه فينفذ فيه السهم .

(٢) النبطى : نسبة إلى النبط بفتحتين أخلاط الناس وأوباشهم .

بعض مثبتى الصفات فى اعتقاد التشبيه وإثبات الانتقال فى النزول والله الهادى لما يشاء

﴿ ذكر تلبيسه على الرافضة ﴾

قال المصنف . وكما لبس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا على ابن أبى طالب حمل آخرين على الغلو فى حبه . فزادوه على الحد فنهم من كان يقول هو الآله : ومنهم من يقول هو خير من الأنبياء . ومنهم من حمله على سب أبى بكر وعمر حتى إن بعضهم كفر أبا بكر وعمر الى غير ذلك من المذاهب السخيفة التى يرغب عن تضييع الزمان بذكرها . وإنما نشير الى بعضها .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا ابو بكر احمد بن على بن ثابت قال حدث أبو يعقوب إسحق بن محمد النخعى عن عبيد الله بن محمد بن عائشة وأبى عثمان المازنى وغيرهما وسمعت عبد الواحد بن على بن برهان الأسدى يقول إسحق ابن محمد النخعى الأحمر كان يقول : إن علياً هو الله : تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً : وبالمدائن جماعة من الغلاة يعرفون بالاسحاقية ينسبون اليه : قال الخطيب ووقع الىّ كتاب لأبى محمد الحسن بن يحيى النوبختى من تصنيفه فى الرد على الغلاة : وكان النوبختى هذا من متكلمى الشيعة الأمامية : فذكر أصناف مقالات الغلاة إلى أن قال وقد كان ممن جرد الجنون فى الغلو فى عصرنا إسحق بن محمد المعروف بالأحمر كان يزعم أن علياً هو الله عز وجل : وأنه يظهر فى كل وقت فهو الحسن فى وقت وكذلك هو الحسين : وهو الذى بعث محمداً ﷺ .

قال المصنف . قلت : وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أبا بكر وعمر كانا كافرين : وقال بعضهم ارتدا بعد موت رسول الله ﷺ : ومنهم من يقول بالتبرى من غير على . وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن على بالتبرى ممن خالف علياً فى إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة : ومنهم أقوام قالوا الامامة فى موسى بن جعفر ثم فى إبنه على ثم إلى محمد بن على ثم إلى على بن محمد ثم الى الحسن بن محمد العسكرى ثم الى إبنه محمد وهو الإمام الثانى عشر الإمام المنتظر الذى يزعمون أنه لم يمت وأنه سيرجع فى آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا : وكان أبو منصور العجلى يقول بانتظار محمد بن على

الباقر ويدعى أنه خليفة . وأنه عرج به إلى السماء فمسح الرب بيده على رأسه . وزعم أنه الكسف الساقط من السماء وكانت طائفة من الرافضة يقال لها الجناحية وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين يقولون إن روح الإله دارت فى أصلاب الأنبياء والأولياء إلى أن انتهى إلى عبد الله وأنه لم يمت : وهو المنتظر : ومنهم طائفة يقال لها الغرابية يثبتون شركة على فى النبوة . وطائفة يقال لها المفوضة يقولون إن الله عز وجل خلق محمداً ثم فوض خلق العالم اليه . وطائفة يقال لها الذمامية يذمون جبريل ويقولون كان مأموراً بالنزول على على فنزل على محمد : ومنهم من يقول أن أبا بكر ظلم فاطمة ميراثها . وقد روينا على السفاح أنه خطب يوماً فقام رجل من آل على رضى الله عنه قال أنا من أولاد على رضى الله عنه . فقال يا أمير المؤمنين أعدنى على من ظلمنى قال ومن ظلمك قال أنا من أولاد على رضى الله عنه والذى ظلمنى أبو بكر رضى الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة قال ودام على ظلمكم قال نعم . قال ومن قال بعده قال عمر رضى الله عنه قال ودام على ظلمكم قال نعم ومن قام بعده قال عثمان رضى الله عنه قال ودام على ظلمكم قال نعم . قال ومن قام بعده فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب إليه .

قال ابن عقيل الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن فى أصل الدين والنبوة وذلك أن الذى جاء به رسول الله ﷺ أمر غائب عنا وإنما نثق فى ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم . فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله فاذا قال قائل أنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته فى الخلافة وابنته فى إرثها وما هذا إلا لسوء اعتقاد فى المتوفى . فان الاعتقادات الصحيحة سيما فى الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لاسيما فى أهليهم وذريتهم . فاذا قالت الرافضة أن القوم استحلوا هذا بعده خابت آمالنا فى الشرع . لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم والثقة بهم . فاذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته خبنا فى المنقول . وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوى العقول . ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة ولم يبق

على دينه إلا الأقل من أهله . فطاحت الاعتقادات . وضعفت النفوس . عن قبول الروايات فى الأصل وهو المعجزات فهذا من أعظم المحن على الشريعة .

قال المصنف . وغلو الرافضة فى حب على رضى الله عنه حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة فى فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه . وقد ذكرت منها جملة فى كتاب الموضوعات . منها أن الشمس غابت ففاتت علياً صلات العصر فردت له الشمس . وهذا من حيث النقل موضوع : لم يروه ثقة ومن حيث المعنى فان الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد فلا يرد الوقت . وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت وأوصت أن تكتفى بذلك الغسل . وهذا من حيث النقل كذب . ومن حيث المعنى قلة فهم . لأن الغسل عن حدث الموت فكيف يصح قبله ثم لهم خرافات لايسندونها إلى مستند . ولهم مذاهب فى الفقه ابتدعوها وخرافات تخالف الإجماع . فنقلت منها مسائل من خط ابن عقيل . قال نقلتها من كتاب المرتضى فيما انفردت به الامامية . منها أنه لا يجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نبات الأرض . فأما الصوف والجلود والوبر فلا . وأن الاستجمار لا يجزىء فى البول بل فى الغائط خاصة . ولا يجزىء مسح الرأس إلا بباقى البلل الذى فى اليد فان استأنف للرأس بللا مستأنفاً لم يجزه حتى لو نشفت يده من البلل احتاج إلى استئناف الطهارة . وانفردوا بتحريم من زنى بها وهى تحت زوج أبداً فلو طلقها زوجها لم تحل للزانى بها بنكاح أبداً . وحرموا الكتابيات وأن الطلاق المعلق على شرط لايقع وإن وجد شرطه . وأن الطلاق لايقع إلا بحضور شاهدين عدلين . وأن من نام عن صلاة العشاء إلى أن مضى نصف الليل وجب عليه اذا استيقظ القضاء وأن يصبح صائماً كفارة لذلك التفريط . وأن المرأة اذا جزت شعرها فعليها الكفارة مثل قتل الخطأ . وأن من شق ثوبه فى موت ابن له أو زوجة فعليه كفارة يمين . وأن من تزوج امرأة ولها زوج وهو لايعلم لزمه الصدقة بخمسة دراهم . وأن شارب الخمر اذا حد ثانية قتل فى الثالثة . ويحد شارب الفقاع كشارب الخمر ، وأن قطع السارق من أصول الأصابع ويبقى له الكف فان سرق مرة أخرى قطعت الرجل اليسرى . فان سرق الثالثة خلد فى الحبس إلى أن يموت .

وحرموا السمك الجرى (كذا) وذبائح أهل الكتاب. واشترطوا فى الذبح استقبال القبلة. فى مسائل كثيرة يطول ذكرها خرقوا فيها الإجماع وسول لهم إبليس وضعها على وجه لا يستندون فيه إلى أثر ولا قياس. بل إلى الواقعات ومقابح الرافضة أكثر من أن تحصى. وقد حرموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم فى الوضوء والجماعة لطلبهم إماماً معصوماً وابتلوا بسب الصحابة. وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا تسبوا أصحابى فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه. وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك ويحى بن على قالا أخبرنا محمد بن احمد ابن المسلمة نا أبو طاهر المخلص ثنا البغوى ثنا محمد بن عباد المكى ثنا محمد ابن طلحة المدينى عن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الله بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله اختارنى واختار لى أصحاباً فجعل لى منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا.

قال المصنف. والمراد بالعدل الفريضة والصرف النافلة، أخبرنا أبو البركات بن على البزار نا أبو بكر الطريثيثى ناهبة الله بن الحسن الطبرى نا عبيد الله بن محمد بن احمد نا على بن محمد بن احمد بن يزيد الرياحى ثنا أبى ثنا الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو عن سويد بن غفلة قال مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وينتقصونهما فدخلت على على بن أبى طالب فقلت يا أمير المؤمنين مررت بنفر من أصحابك يذكرون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بغير الذى هما له أهل ولولا أنهم يرون أنك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك. قال على. أعوذ بالله أعوذ بالله أن أضمر لهما إلا الذى ائتمننى النبى عليه. لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل أخوا رسول الله وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما ثم نهض دامع العينين يبكى قابضاً على يدى حتى دخل المسجد فصعد المنبر وجلس عليه متمكناً قابضاً على لحيته وهو ينظر فيها وهى بيضاء حتى اجتمع لنا الناس: ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة. ثم قال ما بال أقوام يذكرون

. سيدى قريش وأبوى المسلمون مما أنا عنه متنزه . ومما قالوه برىء . وعلى ما قالوا معاقب أما والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لايحبهما إلا مؤمن تقى ولا يبغضهما إلا فاجر شقى صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء يأمران وينهيان ويغضبان ويعاقبان فما يتجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله ﷺ ولا كان رسول الله ﷺ يرى غير رأيهما . ولا يحب كحبهما أحداً مضى رسول الله ﷺ وهو راض عنهما . ومضيا والمؤمنون عنهما راضون . أمره رسول الله ﷺ على صلاة المؤمنين فصلى بهم تسعة أيام فى حياة رسول الله ﷺ فلما قبض الله نبيه واختار له ما عنده . ولاه المؤمنون ذلك . وفوضوا إليه الزكاة ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين . وأنا أول من سن له ذلك من بنى عبد المطلب وهو لذلك كاره يود لو أن منا أحداً كفاه ذلك . وكان والله خير من أبقى أرحمه رحمة وأرأفه رأفة واسنه ورعاً واقدمه سناً واسلاما ، شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رافة ورحمة وبإبراهيم عفواً ووقاراً فسار بسيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه . ثم ولى الأمر بعده عمر رضى الله عنه وكنت فيمن رضى . فأقام الأمر على منهاج رسول الله ﷺ وصاحبه . يتبع أثرهما كما يتبع الفصيل اثر امه وكان والله رفيقا رحيما بالضعفاء ناصراً للمظلومين على الظالمين . لا يأخذه فى الله لومة لائم وضرب الله الحق على لسانه وجعل الصدق من شأنه : حتى ان كنا لنظن ان ملكا ينطق على لسانه اعز الله باسلامه الإسلام . وجعل هجرته للدين قواما وألقى له فى قلوب المنافقين الرهبة . وفى قلوب المؤمنين المحبة . شبهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجبريل فظا غليظا على الأعداء . فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما ورزقنا المضى فى سبيلهما فمن احبنى فليحبهما ومن لم يحبهما فقد ابغضنى وانا منه برىء . ولو كنت تقدمت إليكم فى امرهما لعاقبت فى هذا اشد العقوبة إلا فمن اوتيت به يقول بعد هذا اليوم فإن عليه ما على المفترى . إلا وخير هذه الأمة بعد نبيها ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ثم الله اعلم بالخير اين هو . اقول قولى واستغفر الله لى ولكم .

أخبرنا سعد الله بن على نا الطريثيثي نا هبة الله الطبرى نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوى ثنا سويد بن سعيد ثنا محمد بن حازم عن ابى خباب الكلبي عن أبى سليمان الهمدانى عن على كرم الله وجهه قال يخرج فى آخر الزمان قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما أينما أدركتموهم فاقتلوهم أشد القتل فانهم مشركون .

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الباطنية ﴾

قال المصنف : الباطنية قوم تستروا بالاسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام بالمرة فمحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكار البعث ولكنهم لا يظهرون هذا فى أول أمرهم . بل يزعمون أن الله حق وان محمداً رسول الله والدين صحيح لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر وقد تلاعب بهم ابليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء .

﴿ الاسم الأول الباطنية ﴾ سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر وانها بصورتها توهم الجهال صوراً جلية وهى عند العقلاء رموز واشارات إلى حقائق خمية وان من تقاعد عقله من الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والاغوار وقنع بظواهرها كان تحت الاغلال التى هى تكليفات الشرع . ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من اعبائه قالوا وهم المرادون بقوله تعالى (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطل على أبطال الشرائع .

﴿ الاسم الثانى الاسماعيلية ﴾ نسبوا إلى زعيم لهم يقال له محمد بن اسماعيل ابن جعفر ويزعمون أن دور الامامة انتهى اليه . لأنه سابع . واحتجوا بأن السموات سبع والأرضين سبع وأيام الأسبوع سبعة . فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة . وعلى هذا فيما يتعلق بالمنصور فيقولون العباس ثم ابنه

عبد الله ثم ابنه على ثم أبنه محمد بن على ثم ابراهيم ثم السفاح ثم المنصور . وذكر أبو جعفر الطبرى فى تاريخه قال : قال على بن محمد عن أبيه إن رجلا من الراوندية كان يقال له الابلق وكان أبرص . فبكى بالعلو ودعا الراوندية اليه وزعم أن الروح التى كانت فى عيسى بن مريم صارت إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثم فى الأئمة واحداً بعد واحد إلى أن صارت إلى ابراهيم ابن محمد . واستحلوا الحرمات فكان الرجل منهم يدعو الجماعة إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته . فبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم . فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم وعبدوا أبا جعفر وصعدوا الخضراء وألقوا نفوسهم كأنهم يطيرون فلا يبلغون الأرض إلا وقد هلكوا وخرج جماعتهم على الناس فى السلاح وأقبلوا يصيحون يا أبا جعفر أنت أنت .

﴿الاسم الثالث السبعية﴾ لقبوا بذلك لأمرين ، أحدهما اعتقادهم أن دور الامامة سبعة سبعة على ما بينا وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الادوار وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب هده الأدوار لا آخر له ، والثانى لقولهم أن تدبير العالم السفلى منوط بالكواكب السبعة : زحل ثم المشترى ثم المريخ . ثم الزهرة ثم الشمس ثم عطارد . ثم القمر .

﴿ الاسم الرابع البابكية ﴾ قال المصنف وهو اسم لطائفة منهم تبعوا رجلا يقال له بابك الخرمى وكان من الباطنية وأصله أنه ولد زناً فظهر فى بعض الجبال بناحية أذربيجان سنة احدى ومائتين وتبعه خلق كثير واستفحل أمرهم واستباح المحظورات وكان اذا علم أن عند أحد بنتاً جميلة أو أختاً جميلة طلبها فان بعثها اليه وإلا قتله وأخذها ومكث على هذا عشرين سنة فقتل ثمانين ألفاً وقيل خمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان (١) وحاربه السلطان وهزم خلقاً من الجيوش حتى بعث المعتصم أفسين فحاربه فجاء ببابك وأخيه فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين فلما دخلا قال لبابك أخوه يابابك قد عملت ما لم يعمله أحد فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد . فقال سترى صبرى فأمر

(١) وفى نسخة فقتل مائتى ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان .

المعتصم بقطع يديه ورجليه فلما قطعوا مسح بالدم وجهه فقال المعتصم أنت فى الشجاعة كذا وكذا ما بالك قد مسحت وجهك بالدم أجزعاً من الموت فقال لا . ولكنى لما قطعت أطرافى نزف الدم . فخفت أن يقال عنى إنه اصفر وجهه جزعاً من الموت قال فيظن ذلك بى فسترت وجهى بالدم كيلا يرى ذلك منى . ثم بعد ذلك ضربت عنقه وأضرمت عليه النار وفعل مثل ذلك بأخيه فما فيهما من صاح ولا تأوه ولا أظهر جزعاً لعنهما الله وقد بقى من البابكية جماعة يقال ان لهم ليلة فى السنة تجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون السرج ثم يتناهضون للنساء فيثب كل رجل منهم إلى امرأة ويزعمون أن من احتوى على امرأة يستحلها بالاصطياد لأن الصيد مباح .

﴿ الاسم الخامس المحمرة ﴾ قال المصنف : سموا بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة فى أيام بابك ولبسوها .

﴿ الاسم السادس القرامطة ﴾ قال المصنف وللمؤرخين فى سبب تسميتهم بهذا قولان : أحدهما أن رجلا من ناحية خوزستان قدم سواد الكوفة فأظهر الزهد ودعا إلى أمام من أهل بيت الرسول ﷺ ونزل على رجل يقال له كرميتة لقب بهذا لحمرة عينيه وهو بالنبطية حاد العين فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام فرقت له جارية فأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردت المفتاح إلى مكانه . فلما طلب فلم يوجد زاد افتتان الناس به فخرج إلى الشام فسمى كرميتة باسم الذى كان نازلا عليه ثم خفف فقيل قرمط ثم توارث مكانه أهله وأولاده . والثانى أن القوم قد لقبوا بهذا نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط كان أحد دعاتهم فى الابتداء فاستجاب له جماعة فسموا قرامطه وقرمطية وكان هذا الرجل من أهل الكوفة وكان يميل إلى الزهد فصادفه أحد دعاة الباطنية فى فريق وهو متوجه إلى قرية وبين يديه بقر يسوقها . فقال حمدان لذلك الراعى وهو لا يعرفه أين مقصدك فذكر قرية حمدان فقال له اركب بقرة من هذه لئلا تتعب فقال أنى لم أؤمر بذلك فقال وكأنك لا تعمل إلا بأمر قال نعم قال وبأمر من تعمل قال بأمر مالكى ومالكك ومالك الدنيا

والآخرة . فقال ذلك اذن هو الله رب العالمين . فقال صدقت قال له فما غرضك فى هذه القرية التى تقصدها قال أمرت أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم ومن الضلالة إلى الهدى ومن الشقاء إلى السعادة . وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر وأملكهم ما يستغنون به عن الكد : فقال له حمدان انقذنى أنقذك الله وأفض على من العلم ما تحيينى به فما أشد احتياجى إلى مثل هذا فقال ما أمرت أن أخرج السر المخزون إلى كل أحد إلا بعد الثقة به والعهد إليه . فقال اذكر عهدك فانى ملتزم به فقال له أن تجعل لى وللامام على نفسك عهد الله وميثاقه ألا تخرج سر الأمام الذى ألقيه إليك ولا نفس سرى أيضاً فالتزم حمدان عهده ثم اندفع الداعى فى تعليمه فنون جهله حتى استغواه فاستجاب اه ثم انتدب للدعاء وصار أصلا من أصول هذه البدعة فسمى أتباعه القرامطة والقرمطية . ثم لم يزل بنوه وأهله يتوارثون مكانه وكان أشدهم بأساً رجل يقال له أبو سعيد ظهر فى سنة ست وثمانين ومائتين وقوى أمره وقتل ما لا يحصى من المسلمين وخرب المساجد وأحرق المصاحف . وفتك بالحاج وسنى لأهله وأصحابه سننا وأخبرهم بمحالات . وكان إذا قاتل يقول وعدت النصر فى هذه الساعة . فلما مات بنوا على قبره قبة وجعلوا على رأسها طائراً من جص . وقالوا إذا طار هذا الطائر خرج أبو سعيد من قبره وجعلوا عند القبر فرساً وخلعه ثياب وسلاحا وقد سول ابليس لهذه الجماعة أنه من مات وعلى قبره فرس حشر راكبا وان لم يكن له فرس حشر ماشيا . وكان أصحاب أبى سعيد يصلون عليه إذا ذكروه ولا يصلون على رسول الله ﷺ فاذا سمعوا من يصلى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون أتأكل رزق أبى سعيد وتصلى على أبى القاسم . وخلف بعده ابنه أبا طاهر ففعل مثل فعله وهجم على الكعبة فأخذ ما فيها من الذخائر وقلع الحجر الأسود فحمله إلى بلده واوهم الناس انه الله عز وجل

﴿ الاسم السابع الخرمية ﴾ وخرم [1] لفظ اعجمى ينبى عن الشيء المستلذ المستطاب الذى يرتاح الانسان له . ومقصود هذا الأسم تسليط

(١) خرم بضم الخاء وتشديد الراء مفتوحة بوزن سكر صفة مشبهة بالفارسى بمعنى جذلان ومسرور

الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات كيف كانت وطى بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن العباد وقد كان هذا الأسم لقباً للمزدكية وهم أهل الأباحة من المجوس الذين تبعوا فى أيام قباذ وأباحوا النساء المحرمات وأحلوا كل محظور فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم اياهم فى نهاية هذا المذهب وان خالفوهم فى مقدماته .

﴿ الاسم الثامن التعليمية ﴾ لقبوا بذلك لأن مبدأ مذهبهم أبطال الرأى وافساد تصرف العقول ودعاء الخلق إلى التعليم من الأمام المعصوم وأنه لا يدرك العلوم إلا بالتعليم .

(فصل) فى ذكر السبب الباعث لهم على الدخول فى هذه البدعة قال المصنف اعلم أن القوم أرادوا الانسلال من الدين فشاوروا جماعة من المجوس والمزدكية والثنوية وملحدة الفلاسفة فى إستنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى اخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من انكار الصانع وتكذيب الرسل وجحد البعث وزعمهم أن الأنبياء ممخرقون ومنمسون (١) ورأوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم قد استطار فى الأقطار وأنهم قد عجزوا عن مقاومته فقالوا سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم أزكاهم عقلا وأتحفهم رأيا وأقبلهم للمحالات والتصديق بالأكاذيب وهم الروافض فنتحصن بالانتساب إليهم ونتودد إليهم بالحزن على ما جرى على آل محمد من الظلم والذل ليمكننا شتم القدماء الذين نقلوا اليهم الشريعة فاذا هان اولئك عندهم لم يلتفتوا إلى ما نقلوا فأمكن استدراجهم إلى الانخداع عن الدين فان بقى منهم معتصم بظواهر القرآن والأخبار أوهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن وأن المنخدع بظواهرها أحمق وانما الفطنة فى اعتقاد بواطنها ثم نبث اليهم عقائدنا ونزعم أنها المراد بظواهرها عندكم فاذا تكثرنا بهؤلاء سهل علينا استدراج باقى الفرق . ثم قالوا وطريقنا أن نختار رجلا ممن يساعد على المذهب ويزعم أنه من أهل البيت وأنه يجب على كل الخلق كافة متابعته ويتعين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله ﷺ . والمعصوم من الخطأ والزلل من جهة الله

---

(١) ممخرقون: أى مكذبون مموهون ومنمسون أى ملبسون على الناس الحق بالباطل .

عز وجل : ثم لا تظهر هذه الدعوة على القرب من جوار هذا الخليفة الذى وسمناه بالعصمة : فان قرب الدار يهتك الأستار . وإذا بعدت الشقة وطالت المسافة فمتى يقدر المستجيب للدعوة أن يفتش عن حال الامام أو يطلع على حقيقة أمره . وقصدهم بهذا كله الملك والاستيلاء على اموال الناس : والانتقال منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم ونهب أموالهم قديما فهذا غاية مقصودهم ومبدأ أمرهم .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وللقوم حيل فى استذلال الناس فهم يميزون من يجوز أن يطمع فى استدراجه ممن لا يطمع فيه . فاذا طمعوا فى شخص نظروا فى طبعه : فان كان مائلا الى الزهد دعوه إلى الأمانه والصدق وترك الشهوات . وان كان مائلا إلى الخلاعة قرروا فى نفسه أن العبادة بله . وان الورع حماقة وإنما الفطنة فى اتباع اللذات من هذه الدنيا الفانية . ويثبتون عند كل ذى مذهب ما يليق بمذهبه ثم يشككونه فيما يعتقدوه فيستجيب لهم أما رجل أبله أو رجل من أبناء الأكاسرة وأولاد المجوس ممن قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الأسلام أو رجل يميل إلى الاستيلاء ولا يساعده الزمان فيعدونه بنيل آماله . أو شخص يحب الترفع عن مقامات العوام ويروم بزعمه الاطلاع على الحقائق . او رافضى يتدين بسبب الصحابة رضى الله عنهم . أو ملحد من الفلاسفة والثنوية والمتحيرين فى الدين أو من قد غلبت عليه حب اللذات . وثقل عليه التكليف .

﴿ فصل ﴾ فى ذكر نبذة من مذاهبهم . قال أبو حامد الطوسى الباطنية قوم يدعون الأسلام ويميلون إلى الرفض . وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام . فمن مذهبهم القول بآلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثانى. قالوا . والسابق لا يوصف بوجود ولا عدم ولا هو موجود ولا هو معدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول . ولا هو موصوف ولا غير موصوف وحدث عن السابق الثانى وهو أول مبدع . ثم حدث النفس الكلية . وعندهم أن النبى عليه السلام عبارة عن شخص (١) فاضت عليه من السابق بواسطة الثانى قوة قدسية صافية . وزعموا أن جبريل عليه السلام عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص . واتفقوا

(١) ومن هذا القول الفاسد انتحل البهائيون مذهبهم فضلوا وأضلوا .

على أنه لا بد لكل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع اليه فى تأويل الظواهر مساو للنبي عليه السلام فى العصمة . وأنكروا المعاد وقالوا معنى المعاد عود الشيء إلى أصله وتعود النفس إلى أصلها . وأما التكليف . فالمنقول عنهم الإباحة المطلقة واستباحة المحظورات وقد ينكرون هذا إذا حكى عنهم وإنما يقرون بأنه لابد للانسان من التكليف . فاذا اطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليف . ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها إذ لو صرحوا بالنفى المحض لقتلوا : فقالوا معنى الجنابة مبادرة المستجيب بافشاء السر . ومعنى الغسل . تجديد العهد على من فعل ذلك . ومعنى الزنا إلقاء نطفة العلم الباطن فى نفس من لم يسبق معه عقد العهد : والصيام الإمساك عن كشف السر والكعبة هى النبى . والباب على . والطوفان طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة والسفينة الحرز الذى يحصن به من استجاب لدعوته . ونار ابراهيم عبارة عن غضب نمرود لا عن نار حقيقة . وذبح اسحاق معناه أخذ العهد عليه . وعصى موسى حجته ، ويأجوج ومأجوج هم أهل الظاهر ، وذكر غيره أنهم يقولون إن الله عز وجل لما أوجد الأرواح ظهر لهم فيما بينهم كهم فلم يشكوا أنه واحد منهم فعرفوه فأول من عرفه سلمان الفارسى . والمقداد . وأبو ذر وأول المنكرين الذى يسمى إبليس : عمر بن الخطاب . فى خرافات ينبغى أن يصان الوقت العزيز عن التضييع بذكرها : ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة وإنما اخترعوا بواقعاتهم ما أرادوا فان اتفقت مناظرة لأحدهم فليقل له أعرفتم هذه الأشياء التى تذكرونها عن ضرورة . أو عن نظر . أو عن نقل عن الإمام المعصوم . فان قلتم ضرورة . فكيف خالفكم ذووا العقول السليمة . ولو ساغ للانسان أن يهذى بدعوى الضرورة فى كل ما يهواه جاز لخصمه دعوى الضرورة فى نقض ما ادعاه . وان قلتم بالنظر فالنظر عندكم باطل . لأنه تصرف بالعقل وقضايا العقول عندكم لا يوثق بها ، وان قلتم عن إمام معصوم قلنا فما الذى دعاكم إلى قبول قوله بلا معجزة ، وترك قول محمد ﷺ مع المعجزات . ثم ما يؤمنكم أن يكون ما سمع من الإمام المعصوم له باطن غير ظاهر . ثم يقال لهم هذه البواطن والتأويلات يجب إخفاؤها أم إظهارها . فان قالوا يجب إظهارها قلنا فلم كتمها محمد صلى الله عليه وسلم . وان قالوا يجب إخفاؤها

قلنا ما وجب على الرسول إخفاؤه كيف حل لكم إفشاؤه . قال ابن عقيل هلك الإسلام بين طائفتين بين الباطنية والظاهرية . فأما أهل البواطن فانهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التى لا برهان لهم عليها حتى لم يبق فى الشرع شيء إلا وقد وضعوا وراءه معنى . حتى أسقطوا إيجاب الوجب . والنهى عن المنهى . وأما أهل الظاهر فانهم أخذوا بكل ما ظهر مما لابد من تأويله . فحملوا الأسماء والصفات على ما عقلوه . والحق بين المنزلتين . وهو أن تأخذ بالظاهر مالم يصرفنا عنه دليل . ونرفض كل باطن لايشهد به دليل من أدلة الشرع .

قال المصنف . ولو لقيت مقدم هذه الطائفة المعروفة بالباطنية لم أكن سالكا معه طريق العلم . بل التوبيخ والإزدراء على عقله وعقول أتباعه . بأن أقول أن الآمال طرقا تسلك ووجوها توصل . ووضع الأمل فى جهة اليأس حمق ومعلوم أن هذه الملل التى قد طبقت الأرض أقربها شريعة الإسلام التى تتظاهرون بها . وتطمعون فى إفسادها قد تمكنت تمكنا يكون الطمع فى تمحيقها فضلا عن إزالتها حمقاً . فلها مجمع كل سنة بعرفة ومجمع كل أسبوع فى الجوامع ومجمع كل يوم فى المساجد . فتى تحدثكم نفوسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتمحيق هذا الأمر الظاهر: فى الآفاق يؤذن كل يوم على مابين ألوف منابر بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وغاية ما أنتم عليه حديث فى خلوة : أو متقدم فى قلعة : ان نبس بكلمة يرمى رأسه وقتل قتل الكلاب فتى يحدث العاقل منكم نفسه بظهور ما أنتم عليه على هذا الأمر الكلى الذى طبق البلاد فما أعرف أحمق منكم إلى أن يجيء إلى باب المناظرة بالبراهين العقلية .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : والتهبت جمرة الباطنية المتأخرين فى سنة أربع وتسعين وأربعمائة فقتل السلطان جلال الدولة برقيارق خلقاً منهم لما تحقق مذهبهم فبلغت عدة القتلى ثلثمائة ونيفاً وتتبعت أموالهم فوجد لأحدهم سبعون بيتاً من اللآلى المحفور وكتب بذلك كتاب إلى الخليفة : فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب ولم يتجاسر أحد أن يشفع فى أحد لئلا يظن ميله إلى ذلك المذهب : وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا . وصار كل من فى نفسه شيء من إنسان يرميه بهذا المذهب فيقصيه وينتهب ماله . وأول

ما عرف من أحوال الباطنية فى أيام الملك شاه جلال الدولة أنهم اجتمعوا فصلوا صلاة العيد فى ساوة . ففطن بهم الشحنة فأخذهم وحبسهم ثم أطلقهم. ثم اغتالوا مؤذنا من أهل ساوة فاجتهدوا أن يدخل معهم فلم يفعل فخافوه أن ينم عليهم فاغتالوه فقتلوه فبلغ الخبر إلى نظام الملك فتقدم بأخذ من يتهم فيقتله فقتل المتهم وكان نجاراً وكانت أول فتكة لهم فتكهم بنظام الملك . وكانوا يقولون قتلتم منا نجاراً فقتلنا به نظام الملك . واستفحل أمرهم بأصبهان فلما مات الملكشاه وآل الأمر إلى أنهم كانوا يسرقون الإنسان ويقتلونه ويلقونه فى البئر . وكان الإنسان إذا دنا وقت العصر ولم يعد إلى منزله أيسوا منه . وفتش الناس المواضع فوجدوا امرأة فى دار لا تبرح فوق حصير . فأزالوها فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلا . فقتلوا المرأة وأحرقوا الدار والمحلة . وكان يجلس رجل ضرير على باب الزقاق الذى فيه هذه الدار ، فاذا مر إنسان سأله أن يقوده خطوات إلى الزقاق فاذا حصل هناك جذبه من فى الدار واستولوا عليه ، فجد المسلمون فى طلبهم باصبهان وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأول قلعة تملكها الباطنية قلعة فى ناحية يقال لها الروزباد من نواحى الديلم وكانت هذه القلعة لقماج صاحب ملكشاه وكان يستحفظها متهما بمذهب القوم . فأخذ ألفاً ومائتى دينار وسلم اليهم القلعة فى سنة ثلاث وثمانين فى أيام ملكشاه وكان مقدمها الحسن بن الصباح وأصله من مرو وكان كاتباً للرئيس عبد الرازق ابن بهرام إذ كان صبيا ثم إلى مصر وتلقى من دعاتهم المذاهب وعاد داعية القوم ورأسا فيهم وحصلت له هذه القلعة وكانت سيرته فى دعاته ألا يدعو إلا غبيا لا يفرق بين يمينه وشماله مثلا ومن لا يعرف أمور الدنيا ويطعمه الجوز والعسل والشونيز حتى ينبسط دماغه ثم يذكر له حينئذ ما تم على أهل بيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الظلم والعدوان حتى يستقر ذلك فى نفسه ، ثم يقول إذا كانت الأزارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم فى قتال بنى أمية فما سبب بخلك بنفسك فى نصرة إمامك فيتركه بهذه المقالة طعمة للسيف ، وكان ملكشاه قد أرسل إلى هذا ابن الصباح يدعوه إلى الطاعة ويتهدده ان خالفه ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والأمراء ، فقال فى جواب الرسالة والرسول حاضر الجواب ما تراه ، ثم قال لجماعة

وقوف بين يديه أريد أن أنقذكم إلى مولاكم فى حاجة فمن ينهض لها فاشرأب كل منهم لذلك، فظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها إياهم ، فأومأ إلى شاب منهم فقال له أقتل نفسك فجذب سكينة وضرب بها غلصمته (١) فخر ميتاً وقال لآخر إرم نفسك من القلعة فألقى نفسه فتمزق ، ثم التفت إلى رسول السلطان فقال أخبره أن عندى من هؤلاء عشرين ألفاً هذا حد طاعتهم لى وهذا هو الجواب، فعاد الرسول إلى السلطان ملكشاه فأخبره بما رأى فعجب من ذلك وترك كلامهم وصارت بأيديهم قلاع كثيرة ثم قتلوا جماعة من الأمراء والوزراء قال المصنف : وقد ذكرنا من صفة القوم فى التاريخ أحوالا عجيبة فلم نر التطويل بها هنا.

﴿ فصل ﴾ وكم من زنديق فى قلبه حقد على الاسلام خرج فبالغ واجتهد فزخرف دعاوى يلقى بها من يصحبه : وكان غور مقصده فى الاعتقاد الانسلال من ربقة الدين . وفى العمل نيل الملذات واستباحة المحظورات : فمنهم بابك الخرّمى حصل له مقصوده من اللذات ولكن بعد أن قتل الناس وبالغ فى الأذى ثم القرامطة وصاحب الزنج الذى خرج فاستغوى المماليك السودان ووعدهم الملك : فنهب وفتك وقتل وبالغ وكانت عواقبهم فى الدنيا أقبح العواقب فما وفى ما نالوا بما نيل منهم ومنهم من لم يبرح على تعثيره ففاتته الدنيا والآخرة مثل ابن الراوندى والمعرى . أنبأنا محمد بن أبى طاهر عن أبى القاسم على بن المحسن التنوخى عن أبيه قال كان بن الراوندى ملازم الرافضة وأهل الإلحاد فاذا عوتب قال إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر.

قال المصنف : من تأمل حال (٢) بن الراوندى وجده من كبار الملحدة

---

(١) الغلصمة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتىء فى الحلق والجمع غلاصم .

(٢) ومن تتبع شعر أبى العلاء المعرى، وسيرة ابن الراوندى، علم أنهما على جانب عظيم من الإلحاد والزندقة إلا أن المعرى يتستر كثيراً بخلاف ابن الراوندى وقد ظهر فى زماننا بعض من ينمذهب بمذهبهما، وانفرد الأعمى المتفلسف يؤلف فى سيرة أبى العلاء المعرى ، ويرغب الناس فى مذهبه وشعره، ويروج مؤلفاته وينشرها بين الناس للإضلال ، وقد سرى هذا المذهب إليهم من رحلتهم إلى =

وصنف كتاباً سماه الدامغ زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة فسبحان من دمغه فأخذه وهو فى شرخ الشباب وكان يعترض على القرآن ويدعى عليه التناقض وعدم الفصاحة : وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه فكيف بالألكن وأما أبو العلاء المعرى فأشعاره ظاهرة الإلحاد : وكان يبالغ فى عداوة الأنبياء ولم يزل متخبطاً فى تعثيره خائفاً من القتل إلى أن مات بخسرانه . وما خلا زمان من خلف للفريقين إلا أن جمرة المنبسطين قد خبت بحمد الله . فليس إلا باطنى مستتر ومتفلسف متكاتم هو أعثر الناس وأخسأهم قدراً . وأردأهم عيشاً وقد شرحنا أحوال جماعة من الفريقين فى التاريخ فلم نر التطويل بذلك والله الموفق .

﴿ الباب السادس فى ذكر تلبيس إبليس على العلماء فى فنون العلم ﴾

قال المصنف : إعلم أن إبليس يدخل على الناس فى التلبيس من طرق منها ظاهر الأمر . ولكن يغلب الانسان فى إيثار هواه فيغمض على علم بذلله . ومنها غامض وهو الذى يخفى على كثير من العلماء . ونحن نشير إلى فنون من تلبيسه يستدل بمذكورها على مغفلها إذ حصر الطرق يطول والله العاصم .

﴿ ذكر تلبيسه على القراء ﴾ فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراآت الشاذة وتحصيلها فيفنى أكثر عمره فى جمعها ، وتصنيفها والأقراء بها ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات ، فربما رأيت إمام مسجد يتصدى للأقراء ولا يعرف ما يفسد الصلاة ، وربما حمله حب التصدر حتى لا يرى بعين الجهل على أن يجلس بين يدى العلماء ويأخذ عنهم العلم (١) ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم ألفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الإقبال على ما يصلح النفس ويطهر أخلاقها ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع ، ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم ، قال الحسن البصرى أنزل

= مدارس أوروبا ، وتلقيهم العلوم الفلسفية عن أعداء الدين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . كلا والله ، إنهم لفى سكرتهم يعمهون ، وفى شقاوتهم يسبحون ، وللخذلان أنفسهم يعملون ولا يعلمون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(١) وفى نسخة وربما حمله حب التصدر حتى اجترىء بعين الجهل على أن يجيب فى فتوى بما يتمع له وإن لم يجز فى مذهبه .

القرآن ليعمل به . فاتخذ الناس تلاوته عملا . يعنى أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به . ومن ذلك أن أحدهم يقرأ فى محرابه بالشاذ ويترك المتواتر المشهور . والصحيح عند العلماء أن الصلاة لا تصح بهذا الشاذ وإنما مقصود هذا إظهار الغريب لاستجلاب مدح الناس وإقبالهم عليه وعنده أنه متشاغل بالقرآن . ومنهم من يجمع القراآت فيقول ملك مالك ملاك وهذا لايجوز لأنه إخراج للقرآن عن نظمه . ومنهم من يجمع السجدات والتهليلات والتكبيرات وذلك مكروه . وقد صاروا يوقدون النيران الكثيرة للختمة فيجمعون بين تضييع المال والتشبه بالمجوس والتسبب إلى اجتماع النساء والرجال بالليل للفساد ويريهم إبليس أن فى هذا إعزازاً للاسلام . وهذا تلبيس عظيم لأن إعزاز الشرع باستعمال المشروع . ومن ذلك أن منهم من يتسامح بادعاء القراءة على من لم يقرأ عليه وربما كانت له اجازة منه . فقال أخبرنا تدليسا وهو يرى أن الأمر فى ذلك قريب لكونه يروى القراآت ويراها فعل خير وينسى أن هذا كذب يلزمه اثم الكذابين . ومن ذلك أن المقرىء المجيد يأخذ على اثنين وثلاثة ويتحدث مع من يدخل عليه والقلب لا يطيق جمع هذه الأشياء ثم يكتب خطه بأنه قد قرأ على فلان بقراءة فلان . وقد كان بعض المحققين يقول ينبغى أن يجتمع اثنان أو ثلاثة ويأخذوا على واحد ومن ذلك أن أقواما من القراء يتبارون بكثرة القراءة وقد رأيت من مشايخهم من يجمع الناس ويقيم شخصا ويقرأ فى النهار الطويل ثلاث ختمات فان قصر عيب وإن أتم مدح . وتجتمع العوام لذلك ويحسنونه كما يفعلون فى حق السعاة ويريهم ابليس أن فى كثرة التلاوة ثوابا . وهذا من تلبيسه لأن القراءة ينبغى أن تكون لله تعالى لا للتحسين بها . وينبغى أن تكون على تمهل . وقال عز وجل (لتقرأه على الناس على مكث) وقال عز وجل (ورتل القرآن ترتيلا) ومن ذلك أن جماعة من القراء أحدثوا قراءة الالحان وقد كانت إلى حد قريب . وعلى ذلك فقد كرهها أحمد بن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعى . أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو على الحسين بن سعد الهمذانى نا أبو بكر أحمد بن على بن لال ثنا الفضل ابن الفضل ثنا السياحى

ثنا الربيع بن سليمان قال قال الشافعي أما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به ولا بأس بقراءة الألحان وتحسين الصوت .

قال المصنف وقلت إنما أشار الشافعي إلى ما كان فى زمانه وكانوا يلحنون يسيراً فأما اليوم فقد صيروا ذلك على قانون الأغانى وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء زادت كراهته . فان أخرج القرآن عن حد وضعه حرم ذلك ومن ذلك أن قوماً من القراء يتسامحون بشيء من الخطايا كالغيبة للنظراء وربما أتوا أكبر من ذلك الذنب واعتقدوا أن حفظ القرآن يرفع عنهم العذاب واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام . لو جعل القرآن فى إهاب ما احترق . وذلك من تلبيس ابليس عليهم لأن عذاب من يعلم أكثر من عذاب من لم يعلم إذ زيادة العلم تقوى الحجة وكون القارىء لم يحترم مايحفظ ذنب آخر . قال الله عز وجل : (أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) وقال فى أزواج رسول الله ﷺ (من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) .

وقد أخبرنا أحمد بن احمد المتوكلي نا أحمد بن علي بن ثابت نا أبو الحسن ابن زرقويه نا اسماعيل الصفار ثنا زكريا بن يحي ثنا معروف الكرخي قال قال بكر بن حبيش : إن فى جهنم لواديا تتعوذ جهنم من ذلك الوادى كل يوم سبع مرات . وإن فى الوادى لجبا يتعوذ الوادى وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات . وإن فى الجب لحية يتعوذ الجب والوادى وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات . يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون : أى رب يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان . فقيل لهم : ليس من يعلم كمن لا يعلم . قال المصنف فلنقتصر على هذا الأنموذج فيما يتعلق بالقراء .

﴿ ذكر تلبيس ابليس على أصحاب الحديث ﴾

من ذلك أن قوما استغرقوا أعمارهم فى سماع الحديث والرحلة فيه وجمع الطرق الكثيرة وطلب الأسانيد العالية والمتون الغريبة وهؤلاء على قسمين قسم قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه وهم مشكورون على هذا القصد إلا أن أبليس يلبس عليهم بأن يشغلهم بهذا عما هو فرض عين من معرفة ما يجب عليهم والاجتهاد فى أداء اللازم والتفقه فى الحديث

(فان قال قائل) فقد فعل هـذا خلق كثير من السلف كيحي بن معين وابن المدينى والبخارى ومسلم فالجواب أن أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقه فيه وبين ما طلبوا من الحديث وأعانهم على ذلك قصر الاسناد وقلة الحديث فاتسع زمانهم للامرين فأما فى هـذا الزمان فان طرق الحديث طالت والتصانيف فيه اتسعت وما فى هذا الكتاب فى تلك الكتب وإنما الطرق تختلف فقل أن يمكن أحداً أن يجمع بين الأمرين فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سـنة ويجمع الكتب ولا يدرى ما فيها ولو وقعت له حادثة فى صلاته لافتقر إلى بعض أحداث المتفقهه الذين يترددون إليه لسماع الحديث منه وبهؤلاء تمكن الطاعنون على المحدثين فقالوا : زوامل أسفار لا يدرون ما معهم . فان أفلح أحدهم ونظر فى حديثه فربما عمل بحديث منسوخ وربما فهم من الحديث ما يفهم العامى الجاهل وعمل بذلك وليس بالمراد من الحديث كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يسقى الرجل ماءه زرع غيره فقال جماعة ممن حضر قد كنا إذا فضل عنا ماء فى بساتيننا سرحناه إلى جيراننا ونحن نستغفر الله . فما فهم القارىء ولا السامع ولا شعروا أن المراد وطء الحبالى من السبايا . قال الخطابى : وكان بعض مشايخنا يروى الحديث أن النبى ﷺ نهى عن الحلق قبل الصلاة يوم الجمعة باسكان اللام ، قال وأخبرنى : أنه بقى أربعين سـنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة قال فقلت له إنمـا هو الحلق جمع حلقة وإنما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة . فقال قد فرجت على وكان من الصالحين . وقد كان ابن صاعد كبير القدر فى المحدثين لـكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لا يفهم جواب فتوى حتى أنه قد أخبرنا أبو منصور البزار نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت قال سمعت البرقانى يقول قال أبو بكر الأبهرى الفقيه قال كنت عند يحي بن محمد ابن صاعد فجاءته امرأة فقالت : أيها الشيخ ما تقول فى بئر سقطت فيه دجاجة فماتت فهل الماء طاهر أو نجس . فقال يحي ويحك . كيف سقطت الدجاجة إلى البئر . قالت : لم تكن البئر مغطاة . فقال يحي : ألا غطيتها حتى لا يقع فيها شيء . قال الأبهرى فقلت ياهذه إن كان الماء تغير فهو نجس وإلا فهو طاهر .

قال المصنف : وكان ابن شاهين قد صنف فى الحديث مصنفات كثيرة أقلها جزء وأكثرها التفسير وهو ألف جزء وما كان يعرف من الفقه شيئا وقد كان فيهم من يقدم على الفتوى بالخطأ لئلا يرى بعين الجهل فكان فيهم من يصير بما يفتى به ضحكة فسئل بعضهم عن مسألة من الفرائض فكتب فى الفتوى تقسم على فرائض الله سبحانه وتعالى .

وأنبأنا محمد بن أبى منصور نا أحمد بن الحسين بن حبرون نا احمد بن محمد العتيق نا أبو عمر بن حياة نا سليمان بن اسحاق الحلاب ثنا ابراهيم الحربى قال بلغنى أن امرأة جاءت إلى على بن داود وهو يحدث وبين يديه مقدار ألف نفس فقالت له : حلفت بصدقة إزارى فقال لها بكم اشتريتيه قالت باثنين وعشرين درهما قال اذهى فصومى اثنين وعشرين يوماً فلما مرت جعل يقول آه . آه غلطنا والله أمرناها بكفارة الظهار .

قال المصنف : قلت فانظروا إلى هاتين الفضيحتين فضيحة الجهل وفضيحة الإقدام على الفتوى بمثل هذا التخليط . واعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ماتعلق من صفات البارى سبحانه على مقتضى الحس فشبهوا لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم وقد رأينا فى زماننا من يجمع الكتب منهم ويكثر السماع ولا يفهم ما حصل . ومنهم من لايحفظ القرآن ولا يعرف أركان الصلاة فتشاغل هؤلاء على زعمهم بفروض الكفاية عن فروض الأعيان وإيثار ما ليس بمهم على المهم من تلبيس إبليس .

القسم الثانى قوم أكثروا سماع الحديث ولم يكن مقصودهم صحيحاً ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق وإنما كان مرادهم العوالى والغرائب فطافوا البلدان ليقول أحدهم لقيت فلاناً ولى من الأسانيد ما ليس لغيرى وعندى أحاديث ليست عند غيرى . وقد كان دخل الينا إلى بغداد بعض طلبة الحديث وكان يأخذ الشيخ فيقعده فى الرقة وهى البستان الذى على شاطىء دجلة فيقرأ عليه ويقول فى مجموعاته حدثنى فلان وفلان بالرقة ويوهم الناس أنها البلدة التى بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب فى الأسفار لطلب الحديث . وكان يقعد الشيخ بين نهر عيسى والفرات ويقول حدثنى فلان من وراء النهر يوهم أنه قد عبر خراسان فى طلب الحديث . وكان يقول حدثنى فلان فى رحلتى الثانية والثالثة ليعلم الناس قدر تعبه فى طلب الحديث فما بورك له ومات فى زمان الطلب .

قال المصنف : وهذا كله من الإخلاص بمعزل وإنما مقصودهم الرياسة والمباهاة ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه وربما ظفر أحدهم بجزء فيه سماع أخيه المسلم فأخفاه ليتفرد هو بالرواية وقد يموت هو ولا يرويه فيفوت الشخصين وربما رحل أحدهم إلى شيخ أول اسمه قاف أو كاف ليكتب ذلك في مشيخته فحسب

ومن تلبيس ابليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم في بعض طلباً للتشفي ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذى استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد ودليل مقصد خبث هؤلاء سكوتهم عمن أخذوا عنه وما كان القدماء هكذا فقد كان على بن المدينى يحدث عن أبيه وكان ضعيفاً ثم يقول وفى حديث الشيخ ما فيه . اخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعيد بن أبى صادق نا أبو عبد الله بن باكويه ثنا بكر أن بن أحمد الجيلى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول : سألت حارثاً المحاسبى عن الغيبة فقال احذرها فانها شر مكتسب وما ظنك بشيء يسلبك حسناتك فيرضى به خصماءك ومن تبغضه فى الدنيا كيف ترضى به خصمك يوم القيامة يأخذ من حسناتك أو تأخذ من سيئاته إذ ليس هناك درهم ولا دينار فاحذرها وتعرف منبعها فان منبع غيبة الهمج والجهال من اشفاء الغيظ والحمية والحسد وسوء الظن وتلك مكشوفة غير خفية وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على إبداء النصيحة وتأويل مالا يصح من الخبر ولو صح ما كان عوناً على الغيبة وهو قوله أترغبون عن ذكره اذكروه بما فيه ليحذره الناس . ولو كان الخبر محفوظاً صحيحاً لم يكن فيه إبداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه وإنما إذا جاءك مسترشد فقال أريد أن أزوج كريمتى من فلان فعرفت منه بدعة أو أنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف أو يجيئك رجل آخر فيقول لك أريد أن أودع مالى فلاناً وليس ذلك الرجل موضعاً للأمانه فتصرفه عنه بأحسن الوجوه أو يقول لك رجل أريد أن أصلى خلف فلان أو أجعله إمامى فى علم فتصرفه عنه بأحسن الوجوه ولا تشف غيظك من غيبته .

وأما منبع الغيبة من القراء والنساك فمن طريق التعجب يبدى عوار الأخ ثم يتصنع بالدعاء فى ظهر الغيب فيتمكن من لحم أخيه المسلم ثم يتزين بالدعاء له

وأما منبع الغيبة من الرؤساء والأساتذة فمن طريق إبداء الرحمة والشفقة حتى يقول مسكين فلان ابتلى بكذا وامتحن بكذا نعوذ بالله من الخذلان فيتصنع بإبداء الرحمة والشفقة على أخيه . ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه ويقول إنما أبديت لكم ذاك لتكثروا دعاءكم له ونعوذ بالله من الغيبة تعريضاً أو تصريحاً فاتق الغيبة فقد نطق القرآن بكراهتها فقال عز وجل : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » وقد روى عن النبي ﷺ فى ذلك أخبار كثيرة .

ومن تلبيس ابليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع وهذه جناية منهم على الشرع ومقصودهم ترويج أحاديثهم وكثرة رواياتهم وقد قال ﷺ من روى عنى حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين . ومن هذا الفن تدليسهم فى الرواية فتارة يقول أحدهم فلان عن فلان أو قال فلان عن فلان يوهم أنه سمع منه المنقطع ولم يسمع وهذا قبيح لأنه يجعل المنقطع فى مرتبة المتصل ومنهم من يروى عن الضعيف والكذاب فيغطى اسمه فربما سماه بغير اسمه وربما كناه وربما نسبه إلى جده لئلا يعرف وهذه جناية على الشرع لأنه يثبت حكما بما لا يثبت به فأما إذا كان المروىّ عنه ثقة فنسبه إلى جده أو اقتصر على كنيته لئلا يرى أنه قد ردد الرواية عنه أو يكون المروى عنه فى مرتبة الراوى فيستحى الراوى من ذكره فهذا على الكراهة والبعد من الصواب قريب بشرط أن يكون المروى عنه ثقة والله الموفق

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الفقهاء ﴾

قال المصنف : كان الفقهاء فى قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث فما زال الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون يكفينا أن نعرف آيات الأحكام من القرآن وأن نعتمد على الكتب المشهورة فى الحديث كسنن أبى داود ونحوها ثم استهانوا بهذا الأمر أيضاً وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها وبحديث لا يدرى أصحيح هو أم لا وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم لقلة التفاته إلى معرفة النقل وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شىء لا يعرفه ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يدرى أصحيح هو أم لا ولقد كانت معرفة هذا تصعب ويحتاج الإنسان إلى السفر الطويل والتعب الكثير حتى تعرف ذلك فصنفت الكتب وتقررت

السنن وعرف الصحيح من السقيم ولكن غلب على المتأخرين الكسل بالمرة عن أن يطالعوا علم الحديث حتى إنى رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول فى تصنيفه عن ألفاظ فى الصحاح لا يجوز أن يكون رسول الله ﷺ قال هذا ورأيته يحتج فى مسألة فيقول دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله قال كذا ويجعل الجواب عن حديث صحيح قد احتج به خصمه أن يقول هذا الحديث لا يعرف وهذا كله جناية على الاسلام .

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء . أن جل اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعلل المذاهب ولو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل وإنما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام فيتقدم المناظر بذلك عند الناس فى خصام النظر فهمّ أحدهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات طلباً للمفاخرات والمباهاة وربما لم يعرف الحكم فى مسألة صغيرة تعم بها البلوى .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم بادخالهم فى الجدل كلام الفلاسفة ﴾
واعتمادهم على تلك الأوضاع

ومن ذلك إيثارهم للقياس على الحديث المستدل به فى المسألة ليتسع لهم المجال فى النظر . وان استدل أحد منهم بالحديث هجن ومن الأدب تقديم الاستدلال بالحديث . ومن ذلك أنهم جعلوا النظر جل اشتغالهم ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراءة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه . ومعلوم أن القلوب لاتخشع بتكرار إزالة النجاسة والماء المتغير. وهى محتاجة إلى التذكار والمواعظ لتنهض لطلب الآخرة . ومسائل الخلاف وان كانت من علم الشرع إلا أنها لاتنهض بكل المطلوب . ومن لم يطلع على أسرار سير السلف وحال الذى تمذهب له لم يمكنهم سلوك طريقهم . وينبغى أن يعلم أن الطبع لص فاذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طبائعهم فصار مثلهم . فاذا نظر فى سير القدماء زاحمهم وتأدب بأخلاقهم وقد كان بعض السلف يقول حديث يرق له قلبى أحب إلىّ من مائة قضية من قضايا شريح . وأنما قال هذا لأن رقة القلب مقصودة ولها أسباب . ومن ذلك أنهم اقتصروا

على المناظرة وأعرضوا عن حفظ المذهب وباقي علوم الشرع فترى الفقيه المفتي يسأل عن آية أوحديث فلا يدري . وهذا غبن فأين الأنفة من التقصير. ومن ذلك أن المجادلة إنما وضعت ليستبين الصواب . وقد كان مقصود السلف المناصحة باظهار الحق . وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل واذا خفي على أحدهم شيء نبهه الآخر لأن المقصود كان إظهار الحق فصار هؤلاء إذا قاس الفقيه على أصل بعلة يظنها . فقيل له ما الدليل على أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة فقال هذا الذي يظهر لي فان ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فاذكروه فان المعترض لا يلزمني ذكر ذلك . ولقد صدق في أنه لا يلزمه ولكن فيما ابتدع من الجدل . بل في باب النصح وإظهار الحق يلزمه ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه . وربما اجتهد في رده مع علمه أنه الحق . وهذا من أقبح القبيح لأن المناظرة إنما وضعت لبيان الحق . وقد قال الشافعي رحمه الله ما ناظرت أحداً فأنكر الحجة إلا سقط من عيني . ولا قبلها إلا هبته : وما ناظرت أحداً فباليت مع من كانت الحجة إن كانت معه صرت اليه . ومن ذلك أن طلبهم للرياسة بالمناظرة تثير الكامن في النفس من حب الرياسة فاذا رأى أحدهم في كلامه ضعفاً يوجب قهر خصمه له خرج إلى المكابرة فان رأى خصمه قد استطال عليه بلفظ أخذته حمية الكبر فقابل ذلك بالسب فصارت المجادلة مخاذلة ومن ذلك ترخصهم في الغيبة بحجة الحكاية عن المناظرة فيقول أحدهم : تكلمت مع فلان فما قال شيئاً . ويتكلم بما يوجب التشفي من غرض خصمه بتلك الحجة . ومن ذلك أن إبليس لبس عليهم بأن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره فان ذكر لهم محدث قالوا ذاك لا يفهم شيئاً وينسون أن الحديث هو الأصل فان ذكر لهم كلام يلين به القلب قالوا هذا كلام الوعاظ ومن ذلك إقدامهم على الفتوى وما بلغوا مرتبتها وربما أفتوا بواقعاتهم المخالفة للنصوص ولو توقفوا في المشكلات كان أولى .

فقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا محمد بن هبة الله الطبري ثنا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبدالله بن جعفر بن درستويه ثنا يعقوب بن سفيان ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عطاء بن السائب عن عبدالرحمن بن أبي ليلى .

قال . أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول قال يعقوب وثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عطاء بن السائب قال سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى أيضاً . يقول أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول ﷺ ما منهم من يحدث حديثاً إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا يسأل عن فتيا إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا .

قال المصنف : وقد روينا عن إبراهيم النخعي أن رجلا سأله عن مسألة فقال . ما وجدت من تسأله غيري . وعن مالك بن أنس رضي الله عنه قال. ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخاً هل ترون لي أن أفتي . فقالوا نعم . فقيل له فلو نهوك قال لو نهوني انتهيت . وقال رجل لاحمد بن حنبل : إني حلفت ولا أدري كيف حلفت قال ليتك إذ دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك.

قال المصنف . وإنما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله عز وجل وخوفهم منه ومن نظر في سيرتهم تأدب .

ومن تلبيس ابليس على الفقهاء . مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الانكار عليهم مع القدرة على ذلك . وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه. الأول الأمير يقول لولا أني على صواب لأنكر على الفقيه وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالي . والثاني العامي أنه يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فان فلاناً الفقيه لا يبرح عنده . والثالث الفقيه فانه يفسد دينه بذلك.

وقد لبس إبليس عليهم في الدخول على السلطان فيقول انما ندخل لنشفع في مسلم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك وربما قدح في ذلك الشخص لتفرده بالسلطان . ومن تلبيس إبليس عليه في أخذ أموالهم فيقول لك فيها حق . ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شيء وان كانت من شبهة فتركها أولى وان كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه إنفاقه في إقامة الرعونة وربما اقتدى العوام

بظاهر فعله واستباحوا ما لا يستباح .

وقد لبس إبليس على قوم من العلماء . ينقطعون على السلطان إقبالا على التعبد والدين فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين غيبة الناس ومدح النفس . وفى الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن فى أول الدخول ثم تتغير باكرامهم وانعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الانكار عليهم . وقد كان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول : ما أخاف من إهانتهم لى انما أخاف من إكرامهم فيميل قلبى اليهم . وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم اليهم فى الفتاوى والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم فى الدنيا فتعلموا العلوم التى تصلح للامراء وحملوها اليهم لينالوا من دنياهم . ويدلك على أنهم قصدوا بالعلوم الأمراء أن الأمراء كانوا قديماً يميلون إلى سماع الحجج فى الأصول فأظهر الناس علم الكلام . ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة فى الفقه فمال الناس إلى الجدل . ثم بعض الأمراء إلى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين اليها ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصص كثر القصاص وقل الفقهاء .

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء : أن أحدهم يأكل من وقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم فيمكث فيها سنين ولا يتشاغل ويقنع بما عرف أو ينتهى فى العلم فلا يبقى له فى الوقف حظ لأنه إنما جعل لمن يتعلم الا أن يكون ذلك الشخص معيداً أو مدرساً فان شغله دائم ومن ذلك ما يحكى عن بعض الأحداث المتفقهة من الانبساط فى المنهيات فبعضهم يلبس الحرير ويتحلى بالذهب ويحال على المكث فيأخذه إلى غير ذلك من المعاصى . وسبب انبساط هؤلاء مختلف . فنهم من يكون فاسد العقيدة فى أصل الدين وهو يتفقه ليستر نفسه أو ليأخذ من الوقف أو ليرأس أو ليناظر . ومنهم من عقيدته صحيحة لكن يغلبه الهوى وحب الشهوات وليس عنده صارف عن ذلك لأن نفس الجدل والمناظرة تحرك إلى الكبر والعجب وإنما يتقوم الانسان بالرياضة ومطالعة سير السلف وأكثر القوم فى بعد عن هذا وليس

عندهم إلا ما يعين الطبع على شموخه فحينئذ يسرح الهوى بلا زاد . ومنهم من يلبس عليه إبليس بأنك عالم وفقيه ومفت والعلم يدفع عن أربابه وهيهات فان العلم أولى أن يحاجه ويضاعف عذابه كما ذكرنا فى حق القراء . وقد قال الحسن البصرى : إنما الفقيه من يخشى الله عز وجل . قال ابن عقيل : رأيت فقيها خراسانيا عليه حرير وخواتم ذهب فقلت له . ما هذا فقال خلع السلطان وكمد الأعداء فقلت له بل هو شماتة الأعداء بك ان كنت مسلماً لأن إبليس عدوك وإذا بلغ منك مبلغك البسك ما يسخط الشرع فقد أشمته بنفسك وهل خلع السلطان سائغة لنهى الرحمن يا مسكين . خلع عليك السلطان فانخلعت به من الايمان وقد كان ينبغى أن يخلع بك السلطان لباس الفسق ويلبسك لباس التقوى رماكم الله بخزيه حيث هونتم أمره هكذا لتلك قلت هذه رعونات الطبع الآن تمت محنتك لأن عدوانك دليل على فساد باطنك .

ومن تلبيسه عليهم : أن يحسن لهم ازدراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور عندهم فيقولون من هؤلاء هؤلاء قصاص ومراد الشيطان أن لا يحضروا فى موضع يلين فيه القلب ويخشع . والقصاص لا يذمون من حيث هذا الاسم لأن الله عز وجل قال « نحن نقص عليك أحسن القصص » وقال . « فاقصص القصص » وإنما ذم القصاص لأن الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ثم غالبهم يخلط فيما يورده . وربما اعتمد على ما أكثره محال فأما إذا كان القصص صدقاً ويوجب وعظاً فهو ممدوح وقد كان احمد بن حنبل يقول : ما أحوج الناس إلى قاص صدوق .

﴿ ذكر تلبيسة على الوعاظ والقصاص ﴾

قال المصنف . كان الوعاظ فى قديم الزمان علماء فقهاء . وقد حضر مجلس عبيد بن عمير عبد الله بن عمر رضى الله عنه . وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القاص . ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور وعندهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام والنساء فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص وما يعجب الجهلة وتنوعت البدع فى هذا الفن .

وقد ذكرنا آفاتهم فى كتاب القصاص والمذكرين . إلا أنا نذكر هنا جملة فمن ذلك : أن قوماً منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب ولبس عليهم إبليس : بأننا نقصد حث الناس على الخير وكفهم عن الشر وهذا افتيات منهم على الشريعة لأنها عندهم على هذا الفعل ناقصة تحتاج إلى تتمة ثم نسوا قوله ﷺ من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . ومن ذلك أنهم تلمحوا ما يزعج النفوس ويطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة الغزلية فى العشق . ولبس عليهم إبليس بأننا نقصد الاشارة إلى محبة الله عز وجل ومعلوم أن عامة من يحضرهم العوام الذين بواطنهم مشحونه بحب الهوى فيضل القاص ويضل . ومن ذلك من يظهر من التواجد والتخاشع زيادة على ما فى قلبه وكثرة الجمع توجب زيادة تعمل فتسمح النفس بفضل بكاء وخشوع فمن كان منهم كاذباً فقد خسر الآخرة . ومن كان صادقاً لم يسلم صدقه من رياء يخالطه . ومنهم من يتحرك الحركات التى يوقع بها على قراءة الألحان والألحان التى قد أخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهى إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة والقارىء يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق بيديه وإيقاع برجليه فتشبه السكر ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهييج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب لما فى النفوس من دفائن الهوى ثم يخرجون فيقولون كان المجلس طيباً ويشيرون بالطيبة إلى ما لا يجوز . ومنهم من يجرى فى مثل تلك الحالة التى شرحناها لكنه ينشد أشعار النوح على الموتى ويصف ما يجرى لهم من البلاء ويذكر الغربة ومن مات غريباً فيبكى بها النساء ويصير المكان كالمأتم وإنما ينبغى أن يذكر الصبر على فقد الأحباب لا ما يوجب الجزع ، ومنهم من يتكلم فى دقائق الزهد ومحبة الحق سبحانه فلبس عليه إبليس : إنك من جملة الموصوفين بذلك لأنك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ما تصف وسلكت الطريق . وكشف هذا التلبيس أن الوصف علم والسلوك غير العلم . ومنهم من يتكلم بالطامات والشطح الخارج عن الشرع ويستشهد بأشعار العشق وغرضه أن يكثر فى مجلسه الصياح ولو على كلام فاسد . وكم منهم من يزوق

عبارة لا معنى تحتها وأكثر كلامهم اليوم فى موسى والجبل وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب فمتى يرجع صاحب الزنا ومستعمل الربا وتعرف المرأة حق زوجها وتحفظ صلاتها هيهات هؤلاء تركوا الشرع وراء ظهورهم ولهذا نفقت سلعهم لأن الحق ثقيل والباطل خفيف . ومنهم من يحث على الزهد وقيام الليل ولا يبين للعامة المقصود فربما تاب الرجل منهم وانقطع إلى زاوية أو خرج إلى جبل فبقيت عائلته لا شيء لهم . ومنهم من يتكلم فى الرجاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر فيزيد الناس جرأة على المعاصى ثم يقوى ما ذكر بميله إلى الدنيا من المراكب الفارهة والملابس الفاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله .

﴿ فصل ﴾ وقد يكون الوعظ صادقاً قاصداً للنصيحة إلا أن منهم من شرب الرئاسة فى قلبه مع الزمان فيجب أن يعظم وعلامته أنه إذا ظهر واعظ ينوب عنه أو يعينه على الخلق كره ذلك ولو صح قصده لم يكره أن يعينه على خلائق الخلق .

﴿ فصل ﴾ ومن القصاص من يخلط فى مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصياح وجداً على زعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعاً للقلوب عليه ولقد ظهر فى زماننا هذا من القصاص ما لا يدخل فى التلبيس لأنه أمر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشاً يستمنحون به الأمراء والظلمة والأخذ من أصحاب المكوس والتكسب به فى البلدان ، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الأحبة فيبكى النسوة ولا يحث على الصبر .

﴿ فصل ﴾ وقد يلبس إبليس على الواعظ المحقق فيقول له : مثلك لا يعظ وإنما يعظ متيقظ فيحمله على السكوت والانقطاع وذلك من دسائس إبليس لأنه يمنع فعل الخير ويقول انك تلتذ بما تورده وتجد لذلك راحة . فربما دخل الرياء فى قولك وطريق الوحدة أسلم . ومقصوده بذلك سد باب الخير . وعن ثابت قال . كان الحسن فى مجلس فقيل للعلاء تكلم فقال أوهناك

أنا ثم ذكر الكلام ومؤنته وتبعته . قال ثابت . فأعجبنى . قال ثم تكلم الحسن وانناهناك يود الشيطان أنكم أخذتموها عنه فلم يأمر أحداً بخير ولم ينهه عن شر.

﴿ ذكر تلبيسه على أهل اللغة والأدب ﴾

قال المصنف : قد لبس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النحو واللغة من المهمات اللازمة التى هى فرض عين عن معرفة مايلزمهم عرفانه من العبادات وما هو أولى بهم من آداب النفوس وصلاح القلوب . وبما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقه . فأذهبوا الزمان كله فى علوم لا تراد لنفسها بل لغيرها فان الانسان إذا فهم الكلمة فينبغى أن يترقى إلى العمل بها إذ هى مرادة لغيرها . فترى الانسان منهم لا يكاد يعرف من آداب الشريعة إلا القليل ولا من الفقه ولا يلتفت إلى تزكية نفسه وصلاح قلبه . ومع هذا ففيهم كبر عظيم وقد خيل لهم إبليس أنكم من علماء الاسلام لأن النحو واللغة من علوم الاسلام وبها يعرف معنى القرآن العزيز . ولعمرى أن هذا لا ينكر ولكن معرفة ما يلزم من النحو لإصلاح اللسان وما يحتاج اليه من اللغة فى تفسير القرآن والحديث أمر قريب وهو أمر لازم وما عدا ذلك فضل لايحتاج اليه وإنفاق الزمان فى تحصيل هذا الفاضل وليس بمهم مع ترك المهم غلط وإيثاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غبن . ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسنا . ولكن العمر قصير فينبغى إيثار الأهم والأفضل.

(فصل) ومما ظنوه صواباً وهو خطأ ما أخبرنا به أبو الحسين بن فارس قال : قيل لفقيه العرب هل يجب على الرجل إذا أشهد الوضوء قال : نعم . قال والإشهاد أن يمذى الرجل .

قال المصنف : وذكر من هذا الجنس مسائل كثيرة وهذا غاية فى الخطأ لأنه متى كان الاسم مشتركا بين مسميين كان إطلاق الفتوى على أحدهما دون الآخر خطأ مثاله أن يقول : المستفتى . ماتقول : فى وطء الرجل زوجته فى قرئها . فان القرء يقع عند اللغويين على الاطهار وعلى الحيض . فيقول الفقيه : يجوز إشارة إلى الطهر أو لا يجوز إشارة إلى الحيض خطأ . وكذلك لو قال السائل. هل يجوز للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر . لم يجز إطلاق الجواب.

فماذكره فقيه العرب هو خطأ من وجهين أحدهما أنه لم يستفصل فى المحتملات والثانى أنه صرف الفتوى إلى أبعد المحتملات وترك الأظهر . وقد استحسنوا هذا وقلة الفقه أوجبت هذا الزلل .

﴿ فصل ﴾ ولما كان عموم اشتغالهم بأشعار الجاهلية ولم يجد الطبع صاداً عما وضع عليه من مطالعة الأحاديث ومعرفة سير السلف الصالح سالت بهم الطباع إلى هوة الهوى فانبث شرع البطالة يعبث فقل أن ترى منهم متشاغلا بالتقوى أو ناظراً فى مطعم فان النحو يغلب طالبه على السلاطين فيأكل النحاة من أموالهم الحرام كما كان أبو على الفارسى فى ظل عضد الدولة وغيره . وقد يظنون جواز الشىء وهو غير جائز لقلة فقههم كما جرى للزجاج أبى اسحاق ابراهيم بن السرى . قال : كنت أؤدب القاسم بن عبدالله فأقول له إن بلغت إلى مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بى : فيقول : ما أحببت. فأقول له : أن تعطينى عشرين ألف دينار . وكانت غاية أمنيتى فما مضت إلا سنون حتى ولى القاسم الوزارة وأنا على ملازمتى له . وقد صرت نديمه فدعتنى نفسى إلى إذكاره بالوعد ثم هبته . فلما كان فى اليوم الثالث من وزارته قال لى : يا أبا اسحاق . لم أرك أذكرتنى بالنذر . فقلت عولت على رعاية الوزير أيده الله وأنه لا يحتاج إلى إذكار لنذر عليه فى أمر خادم واجب الحق . فقال لى: إنه المعتضد . ولولاه ما تعاظمنى دفع ذلك اليك فى مكان واحد ولكن أخاف أن يصير لى معه حديث فاسمح بأخذه متفرقا . فقلت إفعل . فقال . اجلس للناس وخذ رقاعهم فى الحوائج الكبار واستجعل عليها ولا تمتنع من مسائلتى شيئاً تخاطب فيه صحيحاً كان أو محالا إلى أن يحصل لك مال النذر ففعلت ذلك وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع فيها وربما قال لى كم ضمن لك على هذا فأقول كذا وكذا فيقول غبنت هذا يساوى كذا وكذا فاستزد فاراجع القوم ولا أزال أماكسهم ويزيدونى حتى أبلغ الحد الذى رسمه . قال. فعرضت عليه شيئاً عظيما فحصل عندى عشرون ألف دينار وأكثر منها فى مدة مديدة . فقال لى بعد شهور . يا أبا اسحاق حصل مال النذر: فقلت . لا فسكت وكنت أعرض ثم يسألنى فى كل شهر أو نحوه هل حصل المال فأقول لا خوفا من انقطاع الكسب إلى أن حصل عندى ضعف المال . وسألنى يوماً فاستحييت

من الكذت المتصل . فقلت . قد حصل ذلك بسعادة الوزير فقال فرجت والله عنى فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك . قال ثم أخذ الدواة ووقع لى إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً ولم أدر كيف أقع منه فلما كان من الغد جئته وجلست على رسمى فأومأ إلىّ هات مامعك ليستدعى منى الرقاع على الرسم فقلت ما أخذت من أحد رقعة لأن النذر قد وقع الوفاء به ولم أدر كيف أقع من الوزير فقال يا سبحان الله أتراني كنت أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عندهم وجاه وغدو ورواح إلى بابك ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندى أو تغير رتبتك أعرض علىّ رسمك وخذ بلا حساب . فقبلت يده وباكرته من غد بالرقاع وكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات وقد تأثلت مالى هذا .

قال المصنف : أنظروا ما يصنع قلة الفقه فان هذا الرجل الكبير القدر فى معرفته النحو واللغة لو علم أن هذا الذى جرى له لم يجز شرعاً ما حكاه وتبجح به . فان إيصال الظلامات واجب ولا يجوز أخذ البرطيل عليها ولا على شيء مما نصب الوزير له من أمور الدولة وبهذا تبين مرتبة الفقه على غيره .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الشعراء ﴾

قال المصنف : وقد لبس عليهم فأراهم أنهم من أهل الأدب وأنهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم . ومن خصكم بهذه الفطنة ربما عفا عن زللكم . فتراهم يهيمون فى كل واد من الكذب والقذف والهجاء وهتك الأعراض والإقرار بالواحش . وأقل أحوالهم . أن الشاعر يمدح الانسان فيخاف أن يهجوه فيعطيه اتقاء شره أو يمدحه بين جماعة فيعطيه حياء من الحاضرين. وجميع ذلك من جنس المصادرة . وترى خلقاً من الشعراء وأهل الأدب لا يتحاشون من لبس الحرير . والكذب فى المدح خارجا عن الحد . ويحكون اجتماعهم على الفسق وشرب الخمر وغير ذلك . ويقول أحدهم : اجتمعت أنا وجماعة من الأدباء ففعلنا كذا وكذا ــ هيهات هيهات ليس الأدب إلا مع الله عز وجل

باستعمال التقوى له . ولا قدر للفطن فى أمور الدنيا ولا تحسن العبارة عند الله إذا لم يتقه . وجمهور الأدباء والشعراء إذا ضاق بهم رزق تسخطوا فكفروا وأخذوا فى لوم الأقدار كقول بعضهم :

لئن سمت همتى فى الفضل عالية فان حظى ببطن الأرض ملتصق
كم يفعل الدهر بى ما لا أسرّ به وكم يسىء زمان جائر حنق

وقد نسى هؤلاء أن معاصيهم تضيق أرزاقهم فقد رأوا أنفسهم مستحقين للنعم مستوجبين للسلامة من البلاء ولم يتلمحوا ما يجب عليهم من امتثال أوامر الشرع فقد ضلت فطنتهم فى هذه الغفلة .

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الكاملين من العلماء ﴾

قال المصنف : إن أقواما علت هممهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك . فأتاهم ابليس بخفى التبليس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم . فنهم من يستفزه لطول عنائه فى الطلب فحسن له اللذات وقال له إلى متى هذا التعب فأرح جوارحك من كلف التكاليف وافسح لنفسك فى مشتهاها . فان وقعت فى زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة . وأورد عليه فضل العلماء . فان خذل هذا العبد وقبل هذا التلبيس يهلك وإن وفق فينبغى له أن يقول : جوابك من ثلاثة أوجه . أحدها إنه إنما فضل العلماء بالعمل ولولا العمل به ما كان له معنى . وإذا لم أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به ويصير مثلى كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجياع ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه . والثانى أن يعارضه بما ورد فى ذم من لم يعمل بالعلم لقوله ﷺ « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وحكايته ﷺ عن رجل يلقى فى النار فتندلق أقتابه فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه وقول أبى الدرداء رضى الله عنه ويل لمن يعلم مرة وويل لم علم ولم يعمل سبع مرات . والثالث أن يذكر له عقاب من هالك من العلماء التاركين للعمل بالعلم كابليس وبلعام . ويكفى فى ذم العالم إذا لم يعمل قوله تعالى « كمثل الحمار يحمل أسفارا » .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على أقوام من المحكمين فى العلم والعمل من

جهة أخرى . فحسن لهم الكبر بالعلم ، والحسد للنظير ، والرياء لطلب الرياسة فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم . وتارة يقوى حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ — وعلاج هذا لمن وفق إدمان النظر فى اثم الكبر والحسد والرياء وإعلام النفس أن العلم لايدفع شر هذه المكتسبات بل يضاعف عذابها لتضاعف الحجه بها . ومن نظر فى سير السلف من العلماء العاملين استحقر نفسه فلم يتكبر . ومن عرف الله لم يراء ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد .

وقد يدخل ابليس على هؤلاء بشبهة ظريفة فيقول : طلبكم للرفعة ليس بتكبر لانكم نواب الشرع فانكم تطلبون اعزاز الدين ودحض اهل البدع واطلاقكم اللسان فى الحساد غضب للشرع إذ الحساد قد ذموا من قام به وما تظنونه رياء فليس برياء لأن من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس كما يقتدون بالطبيب إذا احتمى أكثر من من اقتدائهم بقوله إذا وصف .

وكشف هذا التلبيس : أنه لو تكبر متكبر على غيرهم من جنسهم وصعد فى المجلس فوقه أو قل حاسد عنه شيئا لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه وإن كان المذكور من نواب الشرع فعلم أنه إنما لم يغضب لنفسه بل للعلم . وأما الرياء فلاعذر فيه لأحد ولا يصلح أن يجعل طريقا لدعاية الناس وقد كان أيوب السختيانى إذا حدث بحديث فرق ومسح وجهه وقال . ما أشد الزكام ، وبعد هذا فالأعمال بالنيات والناقد بصير وكم من ساكت عن غيبة المسلمين إذا اغتيبوا عنده فرح قلبه . وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه . أحدها الفرح فانه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب . والثانى لسروره بثلب المسلمين . والثالث أنه لاينكر .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على الكاملين فى العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم فى تصانيف العلوم ويريهم ابليس أن المقصود نشر الدين ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنف .

وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردد إليه

أوقرئت على نظيره فى العلم فرح بذلك ان كان مراده نشر العلم وقد قال بعض السلف مامن علم علمته إلا أحببت أن يستفيده الناس من غير أن ينسب إلىّ ومنهم من يفرح بكثرة الاتباع ويلبس عليه إبليس بأن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم وإنما مراده كثرة الأصحاب واستطارة الذكر ومن ذلك العجب بكلماتهم وعلمهم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه. وماهذه صفة المخلص فى التعليم لأن مثل المخلص مثل الأطباء الذين يداوون المرضى لله سبحانه وتعالى فاذا شفى بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر. وقد ذكرنا آنفاً حديث بن أبى ليلى ونعيده بإسناد (١) آخر عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبى ﷺ من الأنصار ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه.

﴿ فصل ﴾ قال المصنف: وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبيسات إبليس الظاهرة فيأتيهم بخفى من تلبيسه. بأن يقول له. مالقيت مثلك ما أعرفك بمداخلى ومخارجى فان سكن إلى هذا هلك بالعجب وان سلم من المسالمة له سلم. وقد قال السرى السقطى: لو أن رجلا دخل بستاناً فيه من جميع ما خلق الله عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار فخاطبه كل طائر بلغته وقال السلام عليك يا ولىّ الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان فى أيديها أسيراً: والله الهادى لا إله إلا هو.

﴿ الباب السابع فى تلبيس إبليس على الولاة والسلاطين ﴾

قال المصنف: قد لبس عليهم إبليس من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها. فالوجه الأول أنه يريهم أن الله عز وجل يحبهم ولولا ذلك ما ولاهم سلطانه ولاجعلهم نواباً عنه فى عباده. وينكشف هذا التلبيس بأنهم ان كانوا نواباً عنه فى الحقيقة فليحكموا بشرعه وليتبعوا مراضيه. فحينئذ يحبهم لطاعته. فأما صورة الملك والسلطنة فانه قد أعطاها خلقاً ممن يبغضه وقد بسط الدنيا

(١) كذا فى الأصول بدون ذكر السند.

لكثير ممن لا ينظر اليه . وسلط جماعة من أولئك على الأولياء والصالحين فقتلوهم وقهروهم فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم . ودخل ذلك فى قوله تعالى « إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً » والثانى أنه يقول لهم الولاية تفتقر إلى هيبة فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء فيعملون بآرائهم فيتلفون الدين والمعلوم أن الطبع يسرق من خصال المخالطين فاذا خالطوا مؤثرى الدنيا الجهال بالشرع سرق الطبع من خصالهم مع ما عنده منها ولا يرى ما يقاومها ولا ما يزجره عنها وذلك سبب الهلاك . والثالث أنه يخوفهم الأعداء ويأمرهم بتشديد الحجاب فلا يصل اليهم أهل المظالم . ويتوانى من جعل بصدد رفع المظالم . وقد روى أبو مريم الأسدى عن النبي ﷺ . قال : من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عز وجل دون حاجته وخلته وفقره . والرابع أنهم يستعملون من لا يصلح ممن لا علم عنده ولا تقوى . فيجتلب الدعاء عليهم بظلمه الناس. ويطعمهم الحرام بالبيوع الفاسدة ويحد من لا يجب عليه الحد . ويظنون أنهم يتخلصون من الله عز وجل مما جعلوه فى عنق الوالى ـ هيهات إن العامل على الزكاة إذا وكل الفساق بتفرقتها فخانوا ضمن . والخامس أنه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يجوز قطعه ويقتلون من لا يحل قتله . ويوهمهم أن هذه سياسة وتحت هذا من المعنى أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى إتمام ونحن نتمها بآرائنا .

وهذا من أقبح التلبيس لأن الشريعة سياسة إلهيه ومحال أن يقع فى سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق قال الله عز وجل . « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » . وقال : « لا معقب لحكمه » . فمدعى السياسة مدعى الخلل فى الشريعة . وهذا يزاحم الكفر . وقد روينا عن عضد الدولة أنه كان يميل إلى جارية فكانت تشغل قلبه فأمر بتغريقها لئلا يشتغل قلبه عن تدبير الملك . وهذا هو الجنون المطبق لأن قتل مسلم بلا جرم لا يحل . واعتقاده أن هذا جائز كفر وأن اعتقده غير جائز لكنه رآه مصلحة فلا مصلحة فيما يخالف الشرع . والسادس أنه يحسن لهم الانبساط فى الأموال ظانين أنها بحكمهم .

وهذا تلبيس يكشفه وجوب الحجر على المفرط فى مال نفسه فكيف بالمستأجر فى حفظ مال غيره. وإنما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط قال ابن عقيل . وقد روى عن حماد الراوية أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتاً فأعطاه خمسين ألفاً وجاريتين . قال وهذا مما يروى على وجه المدح لهم وهو غاية القدح فيهم لأنه تبذير فى بيت مال المسلمين . وقد يزين لبعضهم منع المستحقين وهو نظير التبذير. والسابع أنه يحسن لهم الانبساط فى المعاصى ويلبس عليهم أن حفظكم للسبيل وأمن البلاد بكم يمنع عنكم العقاب. وجواب هذا أن يقال : إنما وليتم لتحفظوا البلاد وتؤمنوا السبل . وهذا واجب عليهم . وما انبسطوا فيه من المعاصى منهى عنه فلا يرفع هذا ذلك . والثامن أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الأحوال مستقيمة . ولو حقق النظر لرأى اختلالا كثيراً . وقد روينا عن القاسم بن طلحة بن محمد الشاهد . قال : رأيت على بن عيسى الوزير وقد وكل بدور البطيخ رجلا برزق يطوف على باعة العنب فاذا اشترى أحد سلة عنب خمرى لم يعرض له وإن اشترى سلتين فصاعداً طرح عليها الملح لئلا يتمكن من عملها خمراً . قال : وأدركت السلاطين يمنعون المنجمين من القعود فى الطرق حتى لا يفشو العمل بالنجوم . وأدركنا الجند ليس فيهم أحد معه غلام أمرد له طرة ولا شعر إلى أن بدىء بحكم العجم . والتاسع أنه يحسن لهم استجلاب الأموال واستخراجها بالضرب العنيف وأخذ كل ما يملكه الخائن واستحلافه وإنما الطريق اقامة البينة على الخائن . وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز أن غلاماً كتب له : أن قوماً خانوا فى مال الله ولا أقدر على استخلاص ما فى أيديهم إلا أن أنالهم بعذاب . فكتب اليه : لأن يلقوا الله بخيانتهم أحب إلىّ من أن ألقاه بدمائهم . والعاشر أنه يحسن لهم التصدق بعد الغصب . يريهم أن هذا يمحو ذلك . ويقول . إن درهما من الصدقة يمحو إثم عشرة من الغصب . وهذا محال لأن إثم الغصب باق ودرهم الصدقة ان كان من الغصب لم يقبل وان كانت الصدقة من الحلال لم يدفع أيضاً إثم الغصب لأن إعطاء الفقير لا يمنع تعلق الذمة بحق آخر . والحادى عشر . أنه يحسن لهم مع الإصرار

على المعاصي زيارة الصالحين وسؤالهم الدعاء ويريهم أن هذا يخفف ذلك الإثم . وهذا الخير لايدفع ذلك الشر . وفى الحديث عن الحسين بن زياد قال سمعت منيعاً يقول مر تاجر بعشار فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر له ذلك . فقام مالك فمشى معه إلى العشار . فلما رأوه . قالوا يا أبا يحي ألا بعثت الينا فى حاجتك قال: حاجتى أن تخلوا عن سفينة هذا الرجل . قالوا قد فعلنا قال وكان عندهم كوز يجعلون ما يأخذون من الناس من الدراهم فيه . فقالوا : ادع لنا يا أبا يحي قال : قولوا للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم : أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف.

والثانى عشر : أن من الولاة من يعمل لمن فوقه فيأمره بالظلم فيظلم ويلبس عليهم إبليس بأن الإثم على الأمير لا عليك . وهذا باطل لأنه معين على الظلم وكل معين على المعاصي عاص فان رسول الله ﷺ . لعن فى الخمر عشرة . ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه . ومن هذا الفن أن يجبي المال لمن هو فوقه وقد علم أنه يبذرفيه ويخون فهذا معين على الظلم أيضاً . وفى الحديث بإسناد مرفوع إلى جعفر بن سليمان . قال : سمعت مالك بن دينار يقول . كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة . والله الهادى إلى الصواب .

﴿ الباب الثامن ﴾

﴿ ذكر تلبيس إبليس على العباد فى العبادات ﴾

قال المصنف : إعلم أن الباب الأعظم الذى يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل . فهو يدخل منه على الجهال بأمان . وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم . وقد قال الربيع بن خثيم . تفقه ثم اعتزل :

فأول تلبيسه عليهم إيثارهم التعبد على العلم والعلم أفضل من النوافل فأراهم أن المقصود من العلم العمل . وما فهموا من العمل إلا عمل الجوارح وما علموا أن العمل عمل القلب وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح قال مطرف بن عبدالله : فضل العلم خير من فضل العبادة . وقال يوسف بن أسباط . باب

من العلم تتعلمه أفضل من سبعين غزاة، وقال المعافى بن عمران : كتابة حديث واحد أحب إلى من صلاة ليلة .

قال المصنف : فلما مر عليهم هذا التلبيس وآثروا التعبد بالجوارح على العلم تمكن إبليس من التلبيس عليهم فى فنون التعبد .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الاستطابة والحدث ﴾

من ذلك . أنه يأمرهم بطول المكث فى الخلاء وذلك يؤذى الكبد وإنما ينبغى أن يكون بمقدار . ومنهم من يقوم فيمشى ويتنحنح ويرفع قدماً ويحط أخرى وعنده أنه يستنقى بهذا وكلما زاد فى هذا نزل البول - وبيان هذا أن الماء يرشح إلى المثانة ويجمع فيها فاذا تهيأ الانسان للبول خرج ما اجتمع فاذا مشى وتنحنح وتوقف رشح شىء آخر فالرشح لا ينقطع وإنما يكفيه أن يحتلب ما فى الذكر بين أصبعيه ثم يتبعه الماء : ومنهم من يحسن له استعمال الماء الكثير وإنما يجزيه بعد زوال العين سبع مرات على أشد المذاهب فان استعمل الأحجار فيما لم يتعد المخرج أجزأه ثلاثة أحجار اذا أنقى بهن ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدع شرعاً لا متبع والله الموفق .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الوضوء ﴾

منهم من يلبس عليه فى النية فتراه يقول . أرفع الحدث . ثم يقول . أستبيح الصلاة ثم يعيد فيقول : أرفع الحدث . وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع لأن النية بالقلب لا باللفظ فتكلف اللفظ أمر لا يحتاج اليه ثم لا معنى لتكرار اللفظ . ومنهم من يلبس عليه بالنظر فى الماء المتوضأ به . فيقول : من أين لك أنه طاهر ويقدر له فيه كل احتمال بعيد . وفتوى الشرع يكفيه بأن أصل الماء الطهارة فلا يترك الأصل بالاحتمال . ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة . الإسراف فى الماء ، وتضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب ، والتعاطى على الشريعة اذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل . والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة .

وتلبيس إبليس على هذا : بأنك فى عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة ، ولو تدبر أمره لعلم أنه فى مخالفة وتفريط ، وقد رأينا من ينظر فى هذه الوساوس ولا يبالى بمطعمه ومشربه ولا يحفظ لسانه من غيبة فليته قلب الأمر ، وفى الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، أن النبى ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ ، فقال . ماهذا السرف ياسعد ، قال . أفى الوضوء سرف ، قال . نعم وان كنت على نهر جار ، وفى الحديث عن أبى عن النبى ﷺ ، قال . للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوه ، أو قال . فاحذروه ، وعن الحسن رضى الله عنه قال . شيطان الوضوء يدعى الولهان يضحك بالناس فى الوضوء ، وبإسناد مرفوع إلى أبى نعامه إن عبدالله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم إنى أسألك الفردوس وأسألك ، فقال عبدالله . سل الله الجنة وتعوذ به من النار ، فانى سمعت النبى ﷺ يقول . سيكون فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الدعاء والطهور ، وعن ابن شوذب ، قال . كان الحسن يعرض بابن سيرين يقول . يتوضأ أحدهم بقربة ويغتسل بمزادة صباً صباً ، ودلكاً دلكاً ، تعذيباً لأنفسهم ، وخلافاً لسنة نبيهم ﷺ ، وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول ، أجل محصول عند العقلاء الوقت ، وأقل متعبد به الماء . وقد قال ﷺ ، صبوا على بول الأعرابى ذنوباً من ماء ، وقال فى المنى أمطه عنك بأذخرة ، قال . وفى الحذاء طهوره بأن يدلك بالأرض ، وفى ذيل المرأة يطهره ما بعده ، وقال . يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام . وكان يحمل بنت أبى العاص بن الربيع فى الصلاة . ونهى الراعى عن إعلام السائل له عن الماء وما يرده . وقال ما أبقيت لنا طهور : وقال . يا صاحب الماء لا تخبره . وقد صافح رسول الله ﷺ الأعراب وركب الحمار معروريا . وما عرف من خلقه التعبد بكثرة الماء . وتوضأ من سقاية المسجد . ومعلوم حال الأعراب الذين يأتى أحدهم من البادية كأنه بهيمة ، أو ما سمعت أن أحدهم أقدم على البول فى المسجد كل ذلك لتعليمنا واعلامنا أن الماء على أصل الطهارة ، وتوضأ من غدير كأن ماءه نقاعة الحناء ، فأما قوله استنزهوا البول فان للتنزه حداً معلوماً وهو أن لا يغفل عن محل قد أصابه حتى يتبعه الماء ، فأما الاستنثار فانه اذا

علق نما وانقطع الوقت بما لا يقضى بمثله الشرع.

قال المصنف : وكان أسود بن سالم وهو من كبار الصالحين يستعمل ماءاً كثيراً فى وضوئه ثم ترك ذلك فسأله رجل عن سبب تركه ، فقال : نمت ليلة فاذا بهاتف يهتف بى يا أسود ما هذا . يحي بن سعيد الانصارى حدثنى عن سعيد بن المسيب . قال : اذا جاوز الوضوء ثلاثاً لم يرفع إلى السماء. قال : قلت لا أعود لا أعود ، فأنا اليوم يكفينى كف من ماء .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الأذان ﴾

ومن ذلك التلحين فى الأذان وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء كراهية شديدة لأنه يخرجه عن موضع التعظيم إلى مشابهة الغناء . منه أنهم يخلطون أذان الفجر بالتذكير والتسبيح والمواعظ ويجعلون الأذان وسطا فيختلط . وقد كرهٌ العلماء كل ما يضاف إلى الأذان . وقد رأينا من يقوم بالليل كثيراً على المنارة فيعظ ويذكر . ومنهم من يقرأ سوراً من القرآن بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتهجدين قراءتهم وكل ذلك من المنكرات .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الصلاة ﴾

من ذلك تلبيسه عليهم فى الثياب التى يستتر بها فترى احدهم يغسل الثوب الطاهر مراراً وربما لمسه مسلم فيغسله . ومنهم من يغسل ثيابه فى دجلة لا يرى غسلها فى البيت يجزىء ، ومنهم من يدليها فى البئر كفعل اليهود وما كانت الصحابة تعمل هذا بل قد صلوا فى ثياب فارس لما فتحوها واستعملوا أوطئتهم وأكسيتهم . ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله وربما تأخر لذلك عن صلاة الجماعة، ومنهم من ترك الصلاة جماعة لأجل مطر يسير يخاف أن ينتضح عليه ـ ولا يظن ظان أنى أمتنع من النظافة والورع ولكن المبالغة الخارجة عن حد الشرع المضيعة للزمان هى التى ننهى عنها .

ومن ذلك تلبيسه عليهم فى نية الصلاة فمنهم من يقول أصلى صلاة كذا ثم يعيد هذا ظناً منه أنه قد نقض النية والنية لا تنقض وان لم يرض اللفظ .

ومنهم من يكبر ثم ينقض ثم يكبر ثم ينقض فاذا ركع الإمام كبر الموسوس وركع معه ـ فليت شعرى ما الذى أحضر النية حينئذ وماذاك إلا لأن إبليس أراد أن يفوته الفضيلة . وفى الموسوسين من يحلف بالله لا كبرت غير هذه المرة . وفيهم من يحلف بالله بالخروج من ماله أو بالطلاق وهذه كلها تلبيسات إبليس . والشريعة سمحة سهلة سليمة من هذه الآفات و ما جرى لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه شيء من هذا . وقد بلغنا عن أبى حازم أنه دخل المسجد فوسوس اليه إبليس أنك تصلى بغير وضوء فقال ما بلغ نصحك إلى هذا .

وكشف هذا التلبيس أن يقال للموسوس : إن كنت تريد إحضار النية فالنية حاضرة لأنك قمت لتؤدى الفريضة وهذه هى النية ومحلها القلب لا اللفظ إن كنت تريد تصحيح اللفظ فاللفظ لا يجب ثم قد قلته صحيحا فما وجه الإعادة أفتراك تظن وقد قلت إنك ما قلت هذا مرض .

قال المصنف : وقد حكى لى بعض الأشياخ عن ابن عقيل حكاية عجيبة أن رجلا لقيه فقال . إنى أغسل العضو وأقول ما غسلته . وأكبر وأقول ماكبرت فقال له ابن عقيل . دع الصلاة فانها ما تجب عليك . فقال قوم لابن عقيل : كيف تقول هذا . فقال لهم قال النبى ﷺ : رفع القلم عن المجنون حتى يفيق . ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة .

قال المصنف : واعلم أن الوسوسة فى نية الصلاة سببها خبل فى العقل وجهل بالشرع . ومعلوم أن من دخل عليه عالم فقام له وقال : نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول هذا العالم لأجل علمه مقبلا عليه بوجهى : — سفه فى عقله فان هذا قد تصور فى ذهنه منذ رأى العالم . فقيام الانسان إلى الصلاة ليؤدى الفرض أمر يتصور فى النفس فى حالة واحدة لا يطول زمانه وإنما يطول زمان نظم هذه الألفاظ والألفاظ لا تلزم والوسواس جهل محض . وإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر فى قلبه الظهرية والأدائية والفرضية فى حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال . ولو كلف

نفسه ذلك فى القيام للعالم لتعذر عليه فمن عرف هذا عرف النية. ثم إنه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير مالم يفسخها. فما وجه هذا التعب فى الصاقها بالتكبير على أنه اذا حصلها ولم يفسخها فقد التصقت بالتكبير. وعن مسور قال: أخرج الىّ معن بن عبد الرحمن كتابا وحلف بالله أنه خط أبيه وإذا فيه قال عبد الله: والذى لااله غيره مارأيت أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله ﷺ ولا رأيت بعده أشد خوفا عليهم من أبى بكر. وإنى لاظن عمر كان أشد أهل الأرض خوفا عليهم.

(فصل) ومن الموسوسين من إذا صحت له النية وكبر ذهل عن باقى صلاته كأن المقصود من الصلاة التكبير فقط. وهذا تلبيس يكشفه أن التكبير يراد للدخول فى العبادة. فكيف تهمل العبادة وهى كالدار ويقتصر على التشاغل بحفظ الباب.

(فصل) ومن الموسوسين من تصح له التكبيرة خلف الامام وقد بقى من الركعة يسير فيستفتح ويستعيذ فيركع الامام. وهذا تلبيس أيضاً لأن الذى شرع فيه من التعوذ والاستفتاح مسنون والذى تركه من قراءة الفاتحة وهو لازم للمأموم عند جماعة من العلماء فلا ينبغى أن يقدم عليه سنة.

قال المصنف: وقد كنت أصلى وراء شيخنا أبى بكر الدينورى الفقيه فى زمان الصبا فرآنى مرة أفعل هذا فقال: يابنى إن الفقهاء قد اختلفوا فى وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يختلفوا فى أن الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع السنن

(فصل) وقد لبس إبليس على قوم فتركوا كثيراً من السنن لو اقعات وقعت لهم. فمنهم من كان يتخلف عن الصف الأول ويقول انما أراد قرب القلوب ومنهم من لم ينزل يداً على يد فى الصلاة وقال أكره أن أظهر من الخشوع ماليس فى قلبى- وقد رويناهذين الفعلين عن بعض أكابر الصالحين. وهذا أمر أوجبه قلة العلم ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ. أنه قال: لو يعلم الناس مالهم فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا. وفى أفراد مسلم من حديثه عن النبى ﷺ أنه قال. خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وأما وضع اليد على اليد فسنة روى أبو داود فى سننه أن ابن الزبير قال. وضع

اليد على اليد من السنة. وإن ابن مسعود كان يصلى فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبي ﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى.

قال المصنف. ولايكبرن عليك انكارنا على من قال. أراد قرب القلوب ولاأضع يداً على يد وان كان من الأكابر. فان الشرع هو المنكر لانحن. وقد قيل لاحمد ابن حنبل رحمة الله عليه ان ابن المبارك يقول. كذا وكذا. فقال. ان ابن المبارك لم ينزل من السماء. وقيل له قال: ابراهيم بن أدهم. فقال. جئتمونى ببنيات الطريق عليكم بالأصل. فلاينبغى أن يترك الشرع لقول معظم فى النفس فان الشرع أعظم والخطا فى التأويل على الناس يجرى. ومن الجائز أن تكون الاحاديث لم تبلغه

(فصل) وقد لبس إبليس على بعض المصلين فى مخارج الحروف فتراه يقول الحمد الحمد. فيخرج باعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة. وتارة يلبس عليه فى تحقيق التشديد. وتارة فى اخراج ضاد المغضوب. ولقد رأيت من يقول المغضوب فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده وانما المراد تحقيق الحرف فحسب: وابليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق ويشغلهم بالمبالغة فى الحروف عن فهم التلاوة وكل هذه الوساوس من ابليس. وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبى العمياء أن سهل بن أبى أمامة حدثه: أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك رضى الله عنه وهو يصلى صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافر فلما سلم قال يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة كصلاة رسول الله ﷺ أم شىء تنفلته. قال: انها الصلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت الا شيئاً سهوت عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول لاتشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فان قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع والديورات «رهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم» وفى أفراد مسلم من حديث عثمان بن ابى العاص قال. قلت لرسول الله ﷺ إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبسها على. فقال رسول الله ﷺ. ذاك الشيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه ثلاثاً واتفل عن يسارك. ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى.

(فصل) وقد لبس إبليس على خلق كثير من جهلة المتعبدين فرأوا أن العبادة هى القيام والقعود فحسب. وهم يدأبون فى ذلك ويخلون فى بعض واجباتهم ولايعلمون وقد تأملت جماعة يسلمون إذا سلم الامام وقد بقى عليهم من التشهد

الواجب شيء وذلك لايحمله الامام عنهم . ولبس على آخرين منهم فهم يطيلون الصلاة ويكثرون القراءة ويتركون المسنون فى الصلاة ويرتكبون المكروه فيها. وقد دخلت على بعض المتعبدين وهو يتنفل بالنهار ويجهر بالقراءة فقلت له إن الجهر بالقراءة بالنهار مكروه فقال لى أنا أطرد النوم عنى بالجهر فقلت له إن السنن لا تترك لأجل سهرك ومتى غلبك النوم فنم فان للنفس عليك حقاً . وعن بريدة قال قال رسول الله ﷺ من جهر بالقراءة فى النهار فارجموه بالبعر.

(فصل) وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فأكثروا من صلاة الليل وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة. أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة أو يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته. ولقد رأيت شيخاً من المتعبدين يقال له حسين القزوينى يمشي كثيراً من النهار فى جامع المنصور فسألت عن سبب مشيه فقيل لى لئلا ينام. فقلت: هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل. أما الشرع فان النبى ﷺ قال: ان لنفسك عليك حقاً فقم ونم. وكان يقول: عليكم هديا قصداً فانه من يشادهذا الدين يغلبه. وعن أنس بن مالك قال دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال ماهذا قالوا لزينب تصلى فاذا كسلت أو فترت أمسكت به. فقال: حلوه. ثم قال: ليصلي أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليقعد. وعن عائشة قالت. قال رسول الله ﷺ. إذا نعس أحدكم فليرقد حتى يذهب عنه النوم فانه اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب ليستغفر فيذهب فيسب نفسه.

قال المصنف: هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وانفرد بالذى قبله البخارى. وأما العقل فان النوم يجدد القوى التى قد كلت بالسهر فمتى دفعه الانسان وقت الحاجة اليه أثر فى بدنه وعقله فنعوذ بالله من الجهل (فان قال قائل) فقد رويت لنا أن جماعة من السلف كانوا يحيون الليل. فالجواب: أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر فى الجماعة. وكانوا يستعينون بالقائلة مع قلة المطعم وصح لهم ذلك. ثم لم يبلغنا أن رسول الله ﷺ سهر ليلة لم ينم فيها فسنته هى المتبوعة.

(فصل) وقد لبس ابليس على جماعة من قوام الليل فتحدثوا بذلك

بالنهار . فربما قال أحدهم فلان المؤذن أذن بوقت ليعلم الناس أنه كان منتبها. فأقل مافى هذا إن سلم من الرياء أن ينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية فيقل الثواب.

(فصل) وقد لبس على آخرين انفردوا فى المساجد للصلاة والتعبد فعرفوا بذلك واجتمع اليهم ناس فصلوا بصلاتهم وشاع بين الناس حالهم وذلك من دسائس إبليس وبه تقوى النفس على التعبد لعلمها أن ذلك يشيع ويوجب المدح وعن زيد بن ثابت أن النبى ﷺ قال . إن أفضل صلاة المرء فى بيته الا الصلاة المكتوبة . قال المصنف . أخرجاه فى الصحيحين وكان عامر بن عبد قيس يكره أن يروه يصلى وكان لايتنفل فى المسجد وكان يصلى كل يوم الف ركعة . وكان ابن أبى ليلى إذا صلى ودخل عليه داخل اضطجع.

(فصل) وقد لبس على قوم من المتعبدين وكانوا يبكون والناس حولهم وهذا قد يقع عليه فلا يمكن دفعه فمن قدر على ستره فأظهره فقد تعرض للرياء . وعن عاصم قال كان أبو وائل إذا صلى فى بيته نشج نشيجا ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه مافعله. وقد كان أيوب السختيانى . اذا غلبه البكاء قام .

(فصل) وقد لبس على جماعة من المتعبدين فتراهم يصلون الليل والنهار ولا ينظرون فى اصلاح عيب باطن ولا فى مطعم : والنظر فى ذلك أولى بهم من كثرة التنفل .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى قراءة القرآن ﴾

وقد لبس على قوم بكثرة التلاوة فهم يهزون هزاً من غير ترتيل ولا تثبت وهذه حالة ليست بمحمودة وقد روى عن جماعة من السلف أنهم كانوا يقرأون القرآن فى كل يوم أوفى كل ركعة . وهذا يكون نادراً منهم ومن داوم عليه فانه وان كان جائزاً الا أن الترتيل والتثبت أحب إلى العلماء وقد قال رسول الله ﷺ لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث .

قال المصنف . وقد لبس ابليس على قوم من القراء فهم يقرأون القرآن فى منارة المسجد بالليل بالأصوات المجتمعة المرتفعة الجزء والجزأين فيجمعون بين أذى الناس فى منعهم من النوم وبين التعرض للرياء . ومنهم من يقرأ فى مسجده وقت الأذان لأنه حين اجتماع الناس فى المسجد .

قال المصنف . ومن أعجب ما رأيت فيهم أن رجلا كان يصلى بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين ويدعو دعاء الختمة ليعلم الناس أنى قد ختمت الختمة . وما هذه طريقة السلف فإن السلف كانوا يسترون عبادتهم وكان عمل الربيع بن خثيم كله سراً فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه . وكان أحمد بن حنبل يقرأ القرآن كثيراً ولا يدرى متى يختم .

قال المصنف قد سبق ذكر جملة من تلبيس ابليس على القراء والله أعلم بالصواب وهو الموفق .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الصوم ﴾

قال المصنف . وقد لبس على أقوام فحسن لهم الصوم الدائم . وذلك جائز إذا أفطر الإنسان الأيام المحرم صومها إلا أن الآفة فيه من وجهين أحدهما أنه ربما عاد بضعف القوى فأعجز الإنسان عن الكسب لعائلته ومنعه من إعفاف زوجته وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال ، ان لزوجك عليك حقاً ، فكم من فرض يضيع بهذا النفل . والثانى أنه يفوت الفضيلة فانه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال ، أفضل الصلاة صلاة داود عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوماً . وبالاسناد عن عبد الله بن عمرو قال لقينى رسول الله ﷺ ، فقال ، ألم أحدث عنك أنك تقوم الليل ، وأنت الذى تقول لأقومن الليل ولأصومن النهار ، قال أحسبه قال ، نعم يا رسول الله قد قلت ذلك . فقال فقم ونم وصم وافطر . وصم من كل شهر ثلاثة أيام ، ولك مثل صيام الدهر ، قال قلت يا رسول الله إنى أطيق أكثر من ذلك قال . فصم يوماً وافطر يومين ، قلت إنى أطيق أفضل من ذلك . قال . فصم يوماً وافطر يوماً

وهو أعدل الصوم وهو صيام داود عليه السلام . قلت انى أطيق أفضل من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ ، لا أفضل من ذلك ، أخرجاه فى الصحيحين . فان قال قائل ، فقد بلغنا عن جماعة من السلف أنهم كانوا يسردون الصوم فالجواب ، أنهم كانوا يقدرون على الجمع بين ذلك وبين القيام بحقوق العائلة ولعل أكثرهم لم تكن له عائلة ولا حاجة إلى الكسب ، ثم ان فيهم من فعل هذا فى آخر عمره على أن قول رسول الله ﷺ ، لا أفضل من ذلك قطع هذا الحديث ، وقد داوم جماعة من القدماء على الصوم مع خشونة المطعم وقلته ومنهم من ذهبت عينه ، ومنهم من نشف دماغه ، وهذا تفريط فى حق النفس الواجب وحمل عليها ما لا تطيق فلا يجوز .

﴿ فصل ﴾ وقد يشيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلا وإن أفطر أخفى إفطاره لئلا ينكسر جاهه وهذا من خفى الرياء ، ولو أراد الإخلاص وستر الحال لأفطر بين يدى من قد علم أنه يصوم ثم عاد إلى الصوم ولم يعلم به ، ومنهم من يخبر بما قد صام فيقول اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت ، ويلبس عليه بأنك إنما تخبر ليقتدى بك والله أعلم بالمقاصد ، قال سفيان الثورى رضى الله عنه ، إن العبد ليعمل العمل فى السر فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية وفيهم من عادته صوم الإثنين والخميس فاذا دعى إلى طعام ، قال ، اليوم الخميس ، ولو قال أنا صائم كانت محنة وإنما قوله اليوم الخميس معناه أنى أصوم كل خميس ، وفى هؤلاء من يرى الناس بعين الاحتقار لكونه صائماً وهم مفطرون ، ومنهم من يلازم الصوم ولا يبالى على ماذا أفطر ، ولا يتحاشى فى صومه عن غيبة ولا عن نظرة ولا عن فضول كلمة وقد خيل له إبليس أن صومك يدفع إثمك وكل هذا من التلبيس .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الحج ﴾

قال المصنف . قد يسقط الإنسان الفرض بالحج مرة ثم يعود لا عن رضاء الوالدين وهذا خطأ . وربما خرج وعليه ديون أو مظالم وربما خرج

للنزهة وربما حج بمال فيه شبهة. ومنهم من يحب أن يتلق ويقال الحاج وجمهورهم يضيع فى الطريق فرائض من الطهارة والصلاة ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة وبواطن غير نقية . وإبليس يريهم صورة الحج فيغرهم وإنما المراد من الحج القرب بالقلوب لا بالأبدان . وإنما يكون ذلك مع القيام بالتقوى وكم من قاصد إلى مكة همته عدد حجاته فيقول لى عشرون وقفة ، وكم من مجاور قد طال مكثه ولم يشرع فى تنقية باطنه وربما كانت همته متعلقة بفتوح يصل اليه ممن كان وربما قال أن لى اليوم عشرين سنة مجاوراً . وكم قد رأيت فى طريق مكة من قاصد إلى الحج يضرب رفقاءه على الماء ويضايقهم فى الطريق .

وقد لبس إبليس على جماعة من القاصدين إلى مكة فهم يضيعون الصلوات ويطففون اذا باعوا ويظنون أن الحج يدفع عنهم . وقد لبس إبليس على قوم منهم فابتدعوا فى المناسك ما ليس منها فرأيت جماعة يتصنعون فى إحرامهم فيكشفون عن كتف واحدة ويبقون فى الشمس أياماً فتكشط جلودهم وتنتفخ رؤوسهم ويتزينون بين الناس بذلك . وفى أفراد البخارى من حديث بن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ . رأى رجلا يطوف بالكعبة بزمام فقطعه . وفى لفظ آخر . رأى رجلا يقود إنساناً بخزامة فى أنفه فقطعها بيده ثم أمره أن يقوده بيده .

قال المصنف : وهذا الحديث يتضمن النهى عن الابتداع فى الدين وإن قصدت بذلك الطاعة .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية الخطأ . قال رجل للامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل من غير زاد . فقال له أحمد فاخرج فى غير القافلة . قال : لا إلا معهم : قال فعلى جراب الناس توكلت؟ فنسأل الله أن يوفقنا .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الغزاة ﴾

قال المصنف : قد لبس إبليس على خلق كثير فخرجوا إلى الجهاد ونيتهم المباهاة والرياء ليقال فلان غاز وربما كان المقصود أن يقال شجاع أو كان طلب الغنيمة وإنما الأعمال بالنيات . وعن أبي موسى قال جاء رجل الى النبي ﷺ . فقال : يارسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذلك فى سبيل الله . فقال رسول الله ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله . أخرجاه فى الصحيحين . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال إياكم أن تقولوا مات فلان شهيداً أو قتل فلان شهيداً فان الرجل ليقاتل ليغنم ويقاتل ليذكر ويقاتل ليرى مكانه . وبالإسناد عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال . أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة رجل أستشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال هو جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . فقال: ماعملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النـار . ورجل وسع الله عليه فأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ماعملت فيها فقال ما تركت من سبيل أنت تحبه أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . انفرد باخراجه مسلم . وباسناد مرفوع عن أبي حاتم الرازى قال سمعت عبدة بن سليمان يقول . كنا فى سرية مع عبدالله بن المبارك فى بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج اليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم دعا إلى البراز فخرج اليه رجل فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله . فازدحم الناس عليه فكنت فيمن ازدحم عليه فاذا

هو ملثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فاذا هو عبدالله بن المبارك فقال . وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا قلت فانظروا رحمكم الله إلى هذا السيد المخلص . كيف خاف على إخلاصه برؤية الناس له ومدحهم إياه فستر نفسه . وقد كان ابراهيم بن أدهم : يقاتل فاذا غنموا لم يأخذ شيئاً من الغنيمة ليوفر له الأجر .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على المجاهد اذا غنم . فربما أخذ من الغنيمة ما ليس له أخذه فأما أن يكون قليل العلم فيرى أن أموال الكفار مباحة لمن أخذها ولا يدرى أن الغلول من الغنائم معصية . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة . قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا . فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً غنمنا المتاع والطعام والثياب . ثم انطلقنا إلى الوادى ومع رسول الله ﷺ عبد له فلما نزلنا قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه . فلما قلنا له هنيئاً له الشهادة يا رسول الله فقال كلا والذى نفس محمد بيده أن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس . فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال: أصبته يوم خيبر فقال رسول الله ﷺ شراك من نار أو شرا كان من نار .

﴿ فصل ﴾ وقد يكون الغازى عالما بالتحريم إلا أنه يرى الشيء الكثير فلا يصبر عنه . وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعل . وها هنا يتبين أثر الإيمان والعلم . روينا باسناد عن هبيرة بن الأشعث عن أبى عبيدة العنبرى . قال : لما هبط المسلمون المداين وجمعوا الأقباض . أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض فقال الذين معه . مارأينا مثل هذا قط . مايعدله ماعندنا ولاما يقاربه فقال له هل أخذت منه شيئاً فقال :أما والله . لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأناً فقالوا . من أنت . فقال والله لا أخبركم لتحمدونى ولا أغريكم لتقرظونى ، ولكنى أحمد الله وأرضى بثوابه ، فاتبعوه رجلا حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس .

﴿ ذكر تلبيسه على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ﴾

وهم قسمان عالم وجاهل ، فدخول إبليس على العالم من طريقين

الطريق الأول ، التزين بذلك وطلب الذكر والعجب بذلك الفعل ، روينا باسناد عن أحمد بن أبي الحوارى ، قال سمعت أبا سلمان يقول ، سمعت أبا جعفر المنصور يبكى فى خطبته يوم الجمعة فاستقبلني الغضب وحضرتنى نية أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله اذا نزل ، قال ، فكرهت أن أقوم إلى خليفة فأعظه والناس جلوس يرمقوننى بأبصارهم فيعرض لى تزين فيأمر بى فأقتل على غير صحيح فجلست وسكت .

والطريق الثانى . الغضب للنفس : وربما كان ابتداء . وربما عرض فى حالة الآمر بالمعروف لأجل ما يلقى به المنكر من الاهانة فتصير خصومة لنفسه كما قال عمر بن عبد العزيز لرجل ، لولا أنى غضبان لعاقبتك ، وإنما أراد أنك أغضبتنى فخفت أن تمتزج العقوبة من غضب الله ولى .

﴿ فصل ﴾ فأما اذا كان الآمر بالمعروف جاهلا فان الشيطان يتلاعب به وإنما كان إفساده فى أمره أكثر من إصلاحه . لأنه ربما نهى عن شيء جائز بالاجماع وربما أنكر ما تأول فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب . وربما كسر الباب وتسور الحيطان وضرب أهل المنكر وقذفهم فان أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه : وربما كشف ما قد أمر الشرع بستره وقد سئل أحمد بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبور ومسكر قال . اذا كان مغطى فلا تكسره . وقال فى رواية أخرى . إكسره . وهذا محمول على أنه يكون مغطى بشيء خفيف يصفه فيتبين والأولى على أنه لا يتبين . وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال . ولا عليك ماغاب عنك فلا تفتش . وربما رفع هذا المنكر أهل المنكر إلى من يظلمهم وقد قال أحمد بن حنبل : إن علمت أن السلطان يقيم الحدود فارفع اليه .

﴿فصل﴾ ومن تلبيس إبليس على المنكر أنه إذا أنكر جلس فى مجمع يصف ما فعل ويتباهى به ويسب أصحاب المنكر سب الحنق عليهم ويلعنهم ولعل القوم قد تابوا وربما كانوا خيراً منه لندمهم وكبره ويندرج فى ضمن حديثه كشف عورات المسلمين لأنه يعلم من لا يعلم والستر على المسلم واجب مهما أمكن . وسمعت عن بعض الجهلة بالإنكار أنه يهجم على قوم ما يتيقن ما عندهم ويضربهم الضرب المبرح ويكسر الأوانى وكل هذا يوجبه الجهل . فأما العالم إذا أنكر فأنت منه على أمان . وقد كان السلف يتلطفون فى الإنكار ورأى صلة بن أشيم رجلا يكلم امرأة . فقال : إن الله يراكما . سترنا الله وإياكما . وكان يمر بقوم يلعبون . فيقول : يا إخوانى ما تقولون فيمن أراد سفراً فنام طول الليل ولعب طول النهار متى يقطع سفره . فانتبه رجل منهم فقال : يا قوم إنما يعلمنا هذا فتاب وصحبه .

﴿فصل﴾ وأولى الناس بالتلطف فى الإنكار على الأمراء فيصلح أن يقال لهم : إن الله قد رفعكم فاعرفوا قدر نعمته . فإن النعم تدوم بالشكر فلا يحسن أن تقابل بالمعاصى .

﴿فصل﴾ وقد لبس إبليس على بعض المتعبدين فيرى منكراً فلا ينكره ويقول إنما يأمر وينهى من قد صلح وأنا ليس بصالح فكيف آمر غيرى . وهذا غلط لأنه يجب عليه أن يأمر وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه . إلا أنه متى أنكر متنزها عن المنكر أثر إنكاره وإذا لم يكن متنزهاً لم يكد يعمل إنكاره فينبغى للمنكر أن ينزه نفسه ليؤثر إنكاره . قال ابن عقيل رأينا فى زماننا أبا بكر الاقفالى فى أيام القائم إذا نهض لإنكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم كأبى بكر الخباز شيخ صالح أضر من إطلاعه فى التنور وتبعه : وجماعة مافيهم من يأخذ صدقة ولا يدنس بقبول عطاء صوام النهار قوام الليل أرباب بكاء فإذا تبعه مخلط رده وقال متى لقينا الجيش بمخلط انهزم الجيش .

﴿ البـاب التاسع ﴾

فى ذكر تلبيس إبليس على الزهاد والعباد

قد يسمع العامى ذم الدنيا فى القرآن المجيد والأحاديث فيرى أن النجاة تركها ولا يدرى ما الدنيا المذمومة فيلبس عليه إبليس : بأنك لا تنجو فى الآخرة إلا بترك الدنيا فيخرج على وجهه إلى الجبال فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش ويخيل إليه أن هذا هو الزهد الحقيق . كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه وعن فلان أنه تعبد فى جبل وربما كانت له عائلة فضاعت أو والدة فبكت لفراقه وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغى وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها : وإنما يتمكن إبليس من التلبيس على هذا لقلة علمه ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرفه أن الدنيا لا تذم لذاتها وكيف يذم ما منّ الله تعالى به وما هو ضرورة فى بقاء الآدمى وسبب فى إعانته على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلى فيه وإنما المذموم أخذ الشىء من غير حله أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة : ويصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا بإذن الشرع : وأن الخروج إلى الجبال المنفردة منهى عنه فان النبي ﷺ نهى أن يبيت الرجل وحده وأن التعرض لتركه الجماعة والجمعة خسران لا ربح والبعد عن العلم والعلماء يقوى سلطان الجهل : وفراق الوالد والوالدة فى مثل هذا عقوق والعقوق من الكبائر ، وأما من سمع عنه أنه خرج إلى جبل فأحوالهم تحتمل أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة فخرجوا إلى مكان يتعبدون فيه مجتمعين : ومن لم يحتمل حالهم وجها صحيحاً فهم على الخطأ من كانوا ، وقد قال بعض السلف : خرجنا إلى جبل نتعبد فجاءنا سفيان الثورى فردنا .

﴿فصل﴾ ومن تلبيسه على الزهاد : إعراضهم عن العلم شغلا بالزهد فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير وبيان ذلك : أن الزاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعد . وكم قد رد إلى الصواب من متعبد .

﴿فصل﴾ ومن تلبيسه عليهم : أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير . ومنهم من لا يذوق الفاكهة . ومنهم من يقلل المطعم حتى ييبس بدنه ويعذب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماء البارد وما هذه طريقة الرسول ﷺ ولا طريق أصحابه وأتباعهم . وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا شيئاً فاذا وجدوا أكلوا . وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب له الماء البارد ويختار الماء البائت فان الماء الجارى يؤذى المعدة ولا يروى . وقد كان رجل يقول : أنا لا آكل الخبيص لأنى لا أقوم بشكره . فقال الحسن البصرى : هذا رجل أحمق وهل يقوم بشكر الماء البارد . وقد كان سفيان الثورى إذا سافر حمل فى سفرته اللحم المشوى والفالوذج . وينبغى للانسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولا بد من الرفق بها ليصل بها إلى المقصود فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط فى تناول الشهوات فان ذلك يؤذى البدن والدين .

ثم إن الناس يختلفون فى طباعهم فان الأعراب إذا لبسوا الصوف واقتصروا على شرب اللبن لم نلمهم لأن مطايا أبدانهم تحمل ذلك . وأهل السواد إذا لبسوا الصوف وأكلوا الكوامخ لم نلمهم أيضاً ولا نقول فى هؤلاء من قد حمل على نفسه لأن هذه عادة القوم . فأما إذا كان البدن مترفاً قد نشأ على التنعم فإنا ننهى صاحبه أن يحمل عليه مايؤذيه . فان تزهد وآثر ترك الشهوات إما لأن الحلال لا يحتمل السرف او لأن الطعام اللذيذ يوجب كثرة التناول فيكثر النوم والكسل فهذا يحتاج أن يعلم مايضر تركه ومالا يضر فيأخذ قدر القوام من غير أن يؤذى النفس . وقد ظن قوم أن الخبز القفار يكفى فى قوام البدن ولو كفى إلا أن الاقتصار يؤدى من جهة ان أخلاط البدن تفتقر إلى الحامض والحلو والحار والبارد والممسك والمسهل . وقد جعل فى الطبع ميل إلى الملايم فتارة يميل إلى الحامض وتارة يميل إلى الحلو ولذلك أسباب مثل أن يقل عندها البلغم الذى لابد فى قوامها منه فتشتاق إلى اللبن ويكثر عندها الصفراء فتميل إلى الحموضة فمن كفها عن التصرف

على مقتضى ما قد وضع فى طبعها مما يصلحها فقد آذاها إلا أن يكفها عن الشبع والشره وما يخاف عاقبته فان ذلك يفسدها . فأما الكف المطلق فخطأ فافهم هذا ولا يلتفت إلى قول الحارث المحاسبي وأبي طالب المكى فيما ذكرا من تقليل المطعم ومجاهدة النفس بترك مباحاتها فان اتباع الشارع وصحابته أولى . وكان ابن عقيل يقول : ما أعجب أموركم فى المتدين إما أهواء متبعة أو رهبانية مبتدعة ، بين تجرير أذيال المرح فى الصبا واللعب . وبين إهمال الحقوق وإطراح العيال واللحوق بزوايا المساجدفهلا عبدوا على عقل وشرع.

(فصل) ومن تلبيسه عليهم أنه يوهمهم أن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب . فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبة فى الرياسة وطلب الجاه فتراهم يترصدون لزيارة الأمراء إياهم ويكرمون الأغنياء دون الفقراء ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهم قد خرجوا من مشاهدة ، وربما رد أحدهم المال لئلا يقال قد بدا له من الزهد وهم من تردد الناس إليهم وتقبيل أيديهم فى أوسع باب من ولايات الدنيا لأن غاية الدنيا الرياسة .

(فصل) وأكثر ما يلبس به إبليس على العباد والزهاد خفى الرياء . فأما الظاهر من الرياء فلا يدخل فى التلبيس مثل إظهار النحول وصفار الوجه وشعث الشعر ليستدل به على الزهد . وكذلك خفض الصوت لاظهار الخشوع وكذلك الرياء بالصلاة والصدقة ومثل هذه الظواهر لاتخفى . وإنما نشير إلى خفى الرياء . وقد قال النبي ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) ومتى لم يرد بالعمل وجه الله عز وجل لم يقبل . قال مالك بن دينار : قولوا لمن لم يكن صادقا لا تتعب .

واعلم أن المؤمن لا يريد بعمله إلا الله سبحانه وتعالى ، وإنما يدخل عليه خفى الرياء فيلبس الأمر فنجانه منه صعبة . وفى الحديث مرفوعا عن يسار قال لى يوسف ابن أسباط : تعلموا صحة العمل من سقمه فانى تعلمته فى اثنتين وعشرين سنة . وفى الحديث مرفوعا عن ابراهيم الحنظلى قال سمعت بقية بن الوليد يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول : تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان ، دخلت عليه فى صومعته فقلت له يا سمعان : منذ كم أنت فى

صومعتك هذه . قال : منذ سبعين سنة . قلت : ماطعامك . قال : ياحنيفي وما دعاك إلى هذا قلت أحببت أن أعلم . قال : فى كل ليلة حمصة . قلت : فما الذى يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة . قال : ترى الدير بحذائك قلت نعم . قال : إنهم يأتونى فى كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتى ويطوفون حولها يعظموننى بذاك وكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها تلك الساعة . فأنا احتمل جهد سنة لعز ساعة ، فاحتمل ياحنيفى جهد ساعة لعز الأبد ، فوقر فى قلبي المعرفة . فقال أزيدك . قلت : نعم . قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى إلى ركوة فيها عشرون حمصة فقال لى أدخل الدير فقد رأوا ماأدليت إليك ، فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا ياحنيفى ما الذى أدلى إليك الشيخ . قلت : من قوته قالوا وما تصنع به نحن أحق ساوم قلت عشرين دينارا فأعطونى عشرين دينارا فرجعت إلى الشيخ فقال أخطأت لو ساومتهم عشرين ألفاً لأعطوك ، هذا عز من لا يعبده فانظر كيف تكون بعز من تعبده ياحنيفى ، أقبل على ربك .

قلت : ولخوف الرياء ستر الصالحون أعمالهم حذراً عليها ويهرجوها بضدها ، فكان ابن سيرين يضحك بالنهار ويبكى بالليل ، وكان فى ذيل أيوب السختيانى بعض الطول ، وكان ابن أدهم إذا مرض يرى عنده ما يأكله الأصحاء وبالاسناد عن عبد الله بن المبارك عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب ابن منبه يقول : كان رجل من أفضل أهل زمانه وكان يزار فيعظهم فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال : إنا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان وقد خفت أن يكون قد دخل علينا فى هذه حالة من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الأموال فى أموالهم ، أرانا يحب أحدنا أن تقضى له حاجته ، وان اشترى بيعاً أن يقارب لمكان دينه ، وإن لقى حي ووقر لمكان دينه فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به فركب إليه ليسلم عليه وينظر إليه فلما رآه الرجل قيل له : هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك . فقال ومايصنع قال للكلام الذى وعظت به . فسأل غلامه هل عندك طعام فقال شيء من ثمر الشجر مما كنت تفطر به فأمر به فأتى على مسح فوضع بين يديه ، فأخذ

يأكل منه وكان يصوم النهار ولا يفطر ، فوقف عليه الملك فسلم عليه فأجابه باجابة خفية وأقبل على طعامه يأكله . فقال الملك : أين الرجل فقيل له : هو هذا . قال هذا الذى يأكل قالوا نعم ، قال فما عند هذا من خير فأدبر . فقال الرجل : الحمد لله الذى صرفك عنى بما صرفك به . وفى رواية أخرى عن وهب ، أنه لما أقبل الملك قدم الرجل طعامه فجعل يجمع البقول فى اللقمة الكبيرة ويغمسها فى الزيت فيأكل أكلا عنيفاً . فقال له الملك : كيف أنت يافلان فقال كالناس . فرد الملك عنان دابته وقال ما فى هذا من خير فقال : الحمد لله الذى أذهبه عنى وهو لائم لى . وباسناد عن عطاء قال : أراد أبو الوليد بن عبد الملك أن يولى يزيد بن مرتد فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجا وأخذ بيده رغيفا وعرقا وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف فجعل يمشى فى الأسواق ويأكل . فقيل للوليد : إن يزيد قد اختلط وأخبر بما فعل فتركه ومثل هذا كثير .

(فصل) ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهراً وباطناً ، لكنه قد علم أنه لابد ان يتحدث بتركه للدنيا أصحابه أو زوجته . فيهون عليه الصبر كما هان على الراهب الذى ذكرنا قصته مع ابراهيم بن أدهم . ولو أنه أراد الاخلاص فى زهده لأكل مع أهله قدر ما ينمحى به جاه النفس ويقطع الحديث عنه فقد كان داود بن أبى هند ، صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله . كان يأخذ غذاءه ويخرج إلى السوق فيتصدق به فى الطريق ، فأهل السوق يظنون أنه قد أكل فى البيت ، وأهل البيت يظنون أنه قد أكل فى السوق هكذا كان الناس .

(فصل) ومن المتزهدين : من قوته الانقطاع فى مسجد أو رباط أو جبل فلذته علم الناس بانفراده وربما احتج لانقطاعه بانى أخاف أن أرى فى خروجى المنكرات . وله فى ذلك مقاصد : منها الكبر واحتقار الناس ، ومنها أنه يخاف أن يقصروا فى خدمته ، ومنها حفظ ناموسه ورياسته فان مخالطة الناس تذهب ذلك وهو يريد أن يبقى إطراؤه وذكره . وربما كان مقصوده ستر عيوبه ومقابحه وجهله بالعلم فيرى هذا . ويحب أن يزار ولا يزور ويفرح بمجىء الأمراء إليه واجتماع العوام على بابه وتقبيلهم يده . فهو يترك عيادة

المرضى وشهود الجنائز وبقول أصحابه : أعذروا الشيخ فهذه عادته ـ لا كانت عادة تخالف الشريعة . ولو احتاج هـذا الشخص إلى القوت ولم يكن عنده من يشتريه له صبر على الجوع لئلا يخرج لشراء ذلك بنفسه فيضيع جاهه لمشيه بين العوام ولو أنه خرج فاشترى حاجته لانقطعت عنه الشهرة ولـكن في باطنه حفظ الناموس . وقد كان رسـول الله ﷺ يخرج إلى السوق ويشتري حاجته ويحملها بنفسه . وكان أبو بكر رضى الله عنه يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشتري . والحديث باسناد عن محمد بن القاسم . قال : روى عن عبد الله بن حنظلة قال : مر عبد الله بن سلام وعلى رأسه حزمة حطب فقال له ناس : ما يحملك على هذا وقد أغناك الله . قال : أردت أن أدفع به الكبر وذلك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة من الـكبر .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . وهذا الذي ذكرته من الخروج لشراء الحاجة ونحوها من التبذل كان عادة السلف القدماء وقد تغيرت تلك العادة كما تغيرت الأحوال والملابس . فلا أرى للعالم أن يخرج اليوم لشراء حاجته لأن ذلك يكشف نور العلم عند الجهلة وتعظيمه عندهم مشروع . ومراعاة قلوبهم في مثل هذا يخرج إلى الرياء واستعمال ما يوجب الهيبة في القلوب لا يمنع منه . وليس كل ما كان في السلف مما لا يتغير به قلوب الناس يومئذ ينبغي أن يفعل اليوم قال الأوزاعي : كنا نضحك ونمزح فاذا صرنا يقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا وقد روينا عن ابراهيم بن أدهم . أن أصحابه كانوا يوماً يتمازحون فدق رجل الباب فأمرهم بالسكوت والسكون . فقالوا له . تعلمنا الرياء فقال . انى أكره أن يعصى الله فيكم .

قال المصنف . وإنما خاف قول الجهلة ، انظروا إلى هؤلاء الزهاد كيف يفعلون وذلك أن العوام لا يحتملون مثل هذا للمتعبدين .

﴿ فصل ﴾ ومن هؤلاء قوم لو سئل أحـدهم أن يلبس اللين من ثوبه ما فعل لئلا يتوكس جاهه في الزهد ولو خرج روحه لا يأكل والناس يرونه ويحفظ نفسه في التبسم فضلا عن الضحك . ويوهمه ابليس أن هذا لإصلاح

الخلق وإنما هو رياء يحفظ به قانون الناموس فتراه مطاطىء الرأس عليه آثار الحزن فإذا خلا رأيته ليث شرى .

﴿ فصل ﴾ وقد كان السلف يدفعون عنهم كل ما يوجب الإشارة إليهم ويهربون من المكان الذى يشار إليهم فيه والحديث باسناد عن عبد الله بن خفيف . قال قال يوسف بن اسباط . خرجت من سبج راجلا حتى أتيت المصيصة وجرابي على عنقى . فقام ذا من حانوته يسلم على وذا يسلم . فطرحت جرابي ودخلت المسجد أصلى ركعتين فأحدق بي واضطلع رجل فى وجهى فقلت فى نفسى كم بقاء قلبي على هذا . فأخذت جرابي ورجعت بعرفى وعنائى إلى سبج فما رجعت إلى قلبي سنتين .

﴿ فصل ﴾ ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق ولا يخيطه ويترك إصلاح عمامته وتسريح لحيته ليرى أنه ما عنده من الدنيا خير . وهذا من أبواب الرياء فان كان صادقا فى إعراضه عن أغراضه كما قيل لداود الطائى : ألا تسرح لحيتك فقال : إنى عنها لمشغول فليعلم أنه سلك غير الجادة ، إذ ليست هذه طريقة الرسول ﷺ ولا أصحابه فانه كان يسرح شعره وينظر فى المرآة ويدهن ويتطيب وهو أشغل الخلق بالآخرة . وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يخضبان بالحناء والكتم وهما أخوف الصحابة وأزهدهم . فمن أدعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الأكابر لم يلتفت إليه .

(فصل) ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبح أخلاقه وزيادة انقباضه وينسى قول النبي ﷺ إن لأهلك عليك حقاً . وقد كان رسول الله ﷺ يمزح فيلاعب الأطفال ويحدث أزواجه ويسابق عائشة إلى غير ذلك من الأخلاق اللطيفة فهذا المتزهد الجاعل زوجته كالأيم وولده كاليتيم لانفراده عنهم وقبح أخلاقه لأنه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة ولا يدرى لقلة علمه أن الانبساط إلى الأهل من العون على الآخرة ، وفى الصحيحين أن النبي ﷺ قال لجابر : هلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك ، وربما غلب على هذا المتزهد التجفف فترك مباضعة الزوجة فيضيع فرضاً بنافلة غير ممدوحة .

﴿ فصل ﴾ ومن الزهاد من يرى عمله فيعجبه فلو قيل له . أنت من أوتاد الأرض رأى ذلك حقاً . ومنهم من يترصد لظهور كرامته ويخيل اليه أنه لو قرب من الماء قدر أن يمشي عليه ، فاذا عرض له أمر فدعا فلم يجب تذمر فى باطنه فكأنه أجير يطلب أجر عمله . ولو رزق الفهم لعلم أنه عبد مملوك والمملوك لايمن بعمله ، ولو نظر إلى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر فخاف من التقصير فيه . وقد كان ينبغي أن يشغله خوفه على العمل من التقصير فيه عن النظر اليه كما كانت رابعة تقول . أستغفر الله من قلة صدقى فى قولى . وقيل لها هل عملت عملا ترين أنه يقبل منك . فقالت : اذا كان فمخافتى أن يرد علىّ .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيس إبليس على قوم من الزهاد الذى دخل عليهم فيه من قلة العلم أنهم يعملون بواقعاتهم ولا يلتفتون إلى قول الفقيه ، قال ابن عقيل . كان أبو اسحق الخراز صالحا وهو أول من لقننى كتاب الله وكان من عادته الإمساك عن الكلام فى شهر رمضان . فكان يخاطب بآى القرآن فيما يعرض اليه من الحوائج فيقول : فى أذنه « أدخلوا عليهم الباب » : ويقول لابنه فى عشية الصوم « من بقلها وقثائها » آمراً له أن يشترى البقل . فقلت له هذا الذى تعتقده عبادة هو معصية . فصعب عليه . فقلت : أن هذا القرآن العزيز أنزل فى بيان أحكام شرعية فلا يستعمل فى أغراض دنيوية وما هذا إلا بمثابة صرك السدر والأشنان فى ورق المصحف أو توسدك له . فهجرنى ولم يصغ إلى الحجة .

قال المصنف قلت : وقد يسمع الزاهد القليل العلم أشياء من العوام فيفتى به حدثنى أبو حكيم ابراهيم بن دينار الفقيه ، أن رجلا استفتاه فقال ما تقول : فى امرأة طلقت ثلاثاً فولدت ذكراً هل تحل لزوجها . قال : فقلت لا . وكان عندى الشريف الدحالى (١) وكان مشهوراً بالزهد عظيم القدر بين العوام . فقال لى . بلى تحل . فقلت : ما قال بهذا أحد ، فقال : والله لقد أفتيت بهذا من ههنا إلى البصرة .

---

(١) وفى النسخة الثانية الرحالى .

قال المصنف : فانظر مايصنع الجهل بأهله ويضاف اليه حفظ الجاه خوفاً أن يرى الزاهد بعين الجهل . وقد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتى لأنه لم يجمع شروط الفتىى فكيف لو رأوا تخبيط المتزهدين اليوم فى الفتوى بالواقعات وبالاسناد عن اسماعيل بن شبة قال دخلت على أحمد بن حنبل وقد قدم أحمد بن حرب من مكة فقال لى أحمد ابن حنبل من هذا الخراسانى الذى قد قدم . قلت : من زهده كذا وكذا ومن ورعه كذا وكذا . فقال : لا ينبغى لمن يدعى مايدعيه أن يدخل نفسه فى الفتيا .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه على الزهاد . احتقارهم العلماء وذمهم إياهم فهم يقولون المقصود العمل ولا يفهمون أن العلم نور القلب . ولو عرفوا مرتبة العلماء فى حفظ الشريعة وأنها مرتبة الأنبياء لعدوا أنفسهم كالبكم عند الفصحاء والعمى عند البصراء والعلماء أدلة الطريق والخلق وراءهم . وسليم هؤلاء يمشى وحده . وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد ان النبى ﷺ . قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه . والله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم .

﴿ فصل ﴾ ومما يعيبون به العلماء . تفسح العلماء فى بعض المباحات التى يتقوون بها على دراسة العلم . وكذلك يعيبون جامع الأموال . ولو فهموا معنى المباح لعلموا أنه لا يذم فاعله . وغاية الأمر أن غيره أولى منه . أفيحسن لمن صلى الليل أن يعيب على من أدى الفرض ونام . ولقد روينا بإسناد عن محمد بن جعفر الخولانى ، قال : حدثنى أبو عبدالله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم . قال : دخلنا مع حاتم البلخى إلى الرى ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلا من أصحابه يريد الحج . وعليهم الصوف والزرمانقات ليس فيهم من معه جراب ولا طعام . فنزلنا على رجل من التجار متنسك فضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد . قال لحاتم . يا أبا عبدالرحمن لك حاجة فانى أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل فقال حاتم إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل كبير والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أجىء معك ، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى ، فقال له مر بنا يا أبا عبد الرحمن فجاؤا إلى باب داره فاذا

البواب فبقى حاتم متفكراً يقول يارب دار عالم على هذه الحال، ثم أذن لهم فدخلوا فاذا بدارقوراء وآلة حسنةوبزة وفرش وستور، فبقى حاتم متفكراً ينظر حتى دخلوا إلى المجلس الذى فيه محمد بن مقاتل ، واذا بفراش حسن وطىء وهوعليه راقد وعند رأسه مذبة وناس وقوف ؛ فقعد الرازى وبقى حاتم قائما فأومى اليه محمد بن مقاتل بيده أن أجلس فقال حاتم ، لا أجلس ، فقال له ابن مقاتل فلك حاجة قال نعم ، قال وماهى قال مسألة أسألك عنها قال فاسئلنى قال حاتم قم فاستو جالساً حتى أسألك عنها فأمر غلمانه فأسندوه ، فقال حاتم علمك هـذا من أين جئت به فقال حدثنى الثقات عن الثقات من الأئمة قال عمن أخذوه قال عن التابعين قال والتابعون عمن أخذوه قال عن أصحاب رسول الله ﷺ ، قال وأصحاب رسول الله ﷺ عمن أخذوه قال عن رسول الله ﷺ ، قال ورسول الله ﷺ من أين جاء به قال عن جبريل عن الله عز وجل، فقال حاتم ففيم أداه جبريل عن الله عز وجل إلى النبى ﷺ وأداه النبى ﷺ إلى الصحابة وأداه الصحابة إلى تابعيهم وأداه التابعون إلى الأئمة واداه الأئمة إلى الثقات وأداه الثقات اليكم ، هل سمعت فى هذا العلم من كانت داره فى الدنيا أحسن وفراشه الين وزينته أكثر كان له المنزلة عند الله عز وجل أكبر، قال، لا ، قال ، فكيف سمعت قال سمعت من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان عند الله عز وجل له منزلة أكثر وإليه أقرب ؛ قال حاتم ، وأنت بمن اقتديت أبا لنبى ﷺ وبأصحابه والتابعين من بعدهم والصالحين على أثرهم أو فرعون ونمروذ فإنهما أول من بنى بالجص والآجر. ياعلماء السوء ان الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها يقول: هذا العالم على هذه الحالة ألا أكون أنا قال فخرج من عنده وازداد محمد بن مقاتل مرضاً وبلغ أهل الرى ماجرى بين حاتم وبين ابن مقاتل فقالوا لحاتم أن محمد بن عبيد الطنافسى بقزوين أكثر شيئاً من هذا فصار إليه فدخل عليه وعنده الخلق يحدثهم فقال له رحمك الله أنا رجل أعجمى جئتك لتعلمنى مبدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة فقال : نعم وكرامة، ياغلام اناء فيه ماء فجاءه بإناء فيه ماء ، فقعد محمد بن عبيد فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال له هكذا فتوضأ ،

قال حاتم مكانك رحمك الله حتى أتوضأ بين يديك ليكون أوكد لما أريد ، فقام الطنافسي وقعد حاتم مكانه فتوضأ وغسل وجهه ثلاثة حتى إذا بلغ الذراع غسل أربعاً ، فقال الطنافسي ، أسرفت قال حاتم فيماذا أسرفت قال غسلت ذراعك أربعا قال ياسبحان الله أنا فى كف ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا الذى أراه كله لم تسرف فعلم الطنافسى أنه أراده بذلك فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوما وخرج حاتم إلى الحجاز فلما صار إلى المدينة أحب أن يخصم علماء المدينة ، فلما دخل المدينة قال ياقوم أى مدينة هذه قالوا مدينة الرسول ﷺ قال فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أذهب اليه فأصلى فيه ركعتين قالوا ماكان لرسول الله ﷺ قصر إنما كان له بيت لاطئ ، قال ، فأين قصور أهله وأصحابه وأزواجه قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة. فقال حاتم فهذه مدينة فرعون . قال : فسبوه وذهبوا به إلى الوالى . وقالوا هذا العجمى يقول . هذه مدينة فرعون . فقال الوالى . لم قلت ذلك قال حاتم . لا تعجل على أيها الأمير أنا رجل غريب دخلت هذه المدينة فسألت أى مدينة هذه قالوا مدينة رسول ﷺ ، وسألت عن قصر رسول الله ﷺ وقصور أصحابه قالوا . إنما كانت لهم بيوت لاطئة . وسمعت الله عز وجل يقول . « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » . فأنتم بمن تأسيتم برسول الله ﷺ أو بفرعون .

قال المصنف قلت الويل للعلماء من الزاهد الجاهل الذى يقتنع بعلمه فيرى الفضل فرضاً . فان الذى أنكره مباح والمباح مأذون فيه والشرع لا يأذن فى شيء ثم يعاتب عليه . فما أقبح الجهل ولو أنه قال لهم : لو قصر تم فيما أنتم فيه لتقتدى الناس بكم كان أقرب حالة ولو سمع هذا بأن عبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام . وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم ، وفلانا وفلانا من الصحابة خلفوا مالا عظيما أتراه ماذا كان يقول وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل ففرض على الزاهد التعلم من العلماء فاذا لم يتعلم فليسكت والحديث باسناد عن مالك بن دينار رضى الله عنه قال إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز . وباسناد عن حبيب الفارسى يقول ، والله أن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز .

قال المصنف : قلت المراد بالقراء الزهاد ، وهذا اسم قديم لهم معروف والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب .

﴿ الباب العاشر ﴾
فى ذكر تلبيسه على الصوفية من جملة الزهاد

قال المصنف : الصوفية من جملة الزهاد وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزهاد إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمات فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر ، والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلى ثم ترخص المنتسبون اليها بالسماع والرقص فمال اليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد . ومال اليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب فلا بد من كشف تلبيس إبليس عليهم فى طريقة القوم ولا ينكشف ذلك إلا بكشف أصل هذه الطريقة وفروعها وشرح أمورها والله الموفق للصواب .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . كانت النسبة فى زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام . فيقال مسلم ومؤمن . ثم حدث اسم زاهد وعابد . ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها . وأخلاقا تخلقوا بها ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة واسمه الغوث ابن مر فانتسبوا اليه لمشابهتهم اياه فى الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية . أنبأنا محمد بن ناصر عن أبى إسحاق ابراهيم بن سعيد الحبال . قال قال أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ . قال سألت وليد بن القاسم . إلى أى شيء ينسب الصوفى . فقال . كان قوم فى الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية قال عبد الغنى فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر بن أخى تميم بن مر . وبالاسناد إلى الزبير بن بكار قال . كانت الاجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث بن مر بن أد بن طابخة ثم كانت فى ولده وكان يقال لهم صوفة . وكان اذا حانت

الاجازة قالت العرب . أجز صوفة . قال الزبير . قال أبو عبيدة وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئاً من غير أهله أو قام بشيء من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان . قال الزبير حدثنى أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي . قال إنما سمي الغوث بن مر صوفة لأنه ما كان يعيش لأمه ولد . فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة . ففعلت . فقيل له صوفة ولولده من بعده . قال الزبير . وحدثنى ابراهيم بن المنذرى عن عبد العزيز بن عمران . قال أخبرنى عقال بن شبة قال قالت أم تميم بن مر وقد ولدت نسوة فقالت لله على أن ولدت غلاماً لأعبدنه للبيت . فولدت الغوث بن مر فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط واسترخى . فقالت ماصار ابنى إلا صوفة فسمى صوفة وكان الحج واجازة الناس من عرفه إلى منى ومن منى إلى مكة لصوفة

فلم تزل الاجازة فى عقب صوفة حتى أخذتها عدوان فلم تزل فى عدوان حتى أخذتها قريش .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة . وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة على ما ذكرنا من صفة صوفة فى الانقطاع إلى الله عز وجل وملازمة الفقر فإن أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ وما لهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة فى مسجد رسول الله ﷺ وقيل أهل الصفة . والحديث باسناد عن الحسن . قال بنيت صفة لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يوصلون إليها ما استطاعوا من خير . وكان رسول الله ﷺ يأتيهم فيقول . السلام عليكم يا أهل الصفة . فيقولون . وعليك السلام يارسول الله فيقول كيف أصبحتم . فيقولون بخير يارسول الله . وباسناد عن نعيم بن المجمر عن أبيه عن أبى ذر قال . كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ فيأمر كل رجل فينصرف برجل فيبقى من بقى من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤثرنا النبي ﷺ بعشائه فنتعشى فإذا فرغنا قال رسول الله صلى ﷺ . ناموا فى المسجد .

قال المصنف . وهؤلاء القوم إنما قعدوا فى المسجد ضرورة . وإنما أكلوا

من الصدقة ضرورة . فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا ونسبة الصوفى إلى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صفى، وقد ذهب إلى أنه من الصوفانة وهى بقلة رعناء قصيرة . فنسبوا اليها لاجتزائهم بنبات الصحراء وهذا أيضاً غلط لأنه لو نسبوا اليها لقيل صوفانى . وقال آخرون هو منسوب إلى صوفة القفا . وهى الشعرات النابتة فى مؤخره كأن الصوفى عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق . وقال آخرون . بل هو منسوب إلى الصوف . وهذا يحتمل . والصحيح الأول .

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبرُوا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس. ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة ، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التى تكسب المدائح فى الدنيا والثواب فى الأخرى . والحديث باسناد عن الطوسى يقول سمعت أبا بكر بن المثاقف يقول سألت الجنيد بن محمد عن التصوف . فقال الخروج عن كل خلق ردىء ، والدخول فى كل خلق سنى وباسناد عن عبد الواحد بن بكر قال سمعت محمد بن خفيف يقول : قال . رويم كل الخلق قعدوا على الرسوم . وقعدت هذه الطائفة على الحقائق . وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق .

قال المصنف : وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم فى أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طمعه فى القرن الثانى فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن .

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا فى الظلمات . فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا فى الجملة فرفضوا مايصلح أبدانهم . وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا فى الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع . وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة . وفيهم

من كان لقلة علمه يعمل بما يقع اليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدرى .

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم فى الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا فى ذلك مثل الحارث المحاسبي. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة . ثم مازال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم . ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو فى العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر . ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به . وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق . ففسدت عقائدهم . فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد . ومازال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً وجاء أبو عبد الرحمن السلمى فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب فى تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم . وإنما حملوه على مذاهبهم . والعجب من ورعهم فى الطعام وانبساطهم فى القرآن . وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز . قال : أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال لى محمد بن يوسف القطان النيسابورى قال كان أبو عبد الرحمن السلمى غير ثقة ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً فلما مات الحاكم أبو عبدالله ابن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحيي بن معين وبأشياء كثيرة سواه . وكان يضع للصوفية الأحاديث .

قال المصنف : وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى . وصنف لهم أبو طالب المكى قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالى وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد . وردد فيه قول ـ قال بعض المكاشفين ـ وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية إن الله عز وجل يتجلى فى الدنيا

لأوليائه. أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال أبو طاهر محمد بن العلاف. قال: دخل أبو طالب المكى إلى البصرة بعد وفاة أبى الحسين [1] بن سالم فانتمى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه فى مجلس الوعظ فخلط فى كلامه فحفظ عنه أنه قال. ليس على المخلوق أضر من الخالق. فبدعه الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك قال الخطيب. وصنف أبو طالب المكى كتاباً سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة فى الصفات.

قال المصنف: وجاء أبو نعيم الأصبهانى فصنف لهم كتاب الحلية. وذكر فى حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستح أن يذكر فى الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضى الله عنهم. فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم شريحاً القاضى والحسن البصرى وسفيان الثورى وأحمد ابن حنبل وكذلك ذكر السلمى فى طبقات الصوفية الفضيل وابراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخى وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد.

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ما سيأتى ذكره وصنف لهم عبد الكريم ابن هوازن القشيرى كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام فى الفناء. والبقاء. والقبض. والبسط. والوقت. والحال. والوجد والوجود. والجمع. والتفرقة. والصحو. والسكر. والذوق. والشرب. والمحو. والإثبات. والتجلى. والمحاضرة. والمكاشفة. واللوائح. والطوالع. واللوامع. والتكوين. والتمكين والشريعة. والحقيقة. إلى غير ذلك من التخليط الذى ليس بشىء وتفسيره أعجب منه، وجاء محمد بن طاهر المقدسى فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحى العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره فى مواضعه إن شاء الله تعالى.

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول. كان ابن طاهر يذهب مذهب الاباحة: قال وصنف كتابا فى جواز النظر إلى المراد أورد فيه حكاية

(١) فى نسخة أبى الحسن.

عن يحي بن معين قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها. فقيل له تصلى عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح : قال شيخنا ابن ناصر . وليس ابن طاهر بمن يحتج به ، وجاء أبو حامد الغزالى فصنف لهم كتاب الأحياء على على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها. وتكلم فى علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه. وقال ان المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتى رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوارهى حجب الله عزوجل ولم يرد هذه المعروفات. وهذا من جنس كلام الباطنية. وقال فى كتابه المفصح بالأحوال. إن الصوفية فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق .

قال المصنف : وكان السبب فى تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن والاسلام والآثار واقبالهم على مااستحسنوه من طريقة القوم. وإنما استحسنوها لأنه قد ثبت فى النفوس مدح الزهد وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم فى الصورة ولا كلاما أرق من كلامهم . وفى سير السلف نوع خشونة ثم أن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفى ضمنها الراحة والسماع والطباع تميل اليها . وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصاروا أصدقاء .

﴿ فصل ﴾ وجمهور هذه التصانيف التى صنفت لهم لا تستند إلى أصل وإنما هى واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن. والحديث باسناد إلى أبي يعقوب اسحق بن حية قال سمعت احمد بن حنبل وقد سئل عن الوساوس والخطرات. فقال. ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون .

قال المصنف : وقد روينا فى أول كتابنا هذا عن ذى النون نحو هذا وروينا عن احمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي. فقال لصاحب له. لا أرى لك أن تجالسهم . وعن سعيد بن عمرو البردعى ، قال شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه. فقال للسائل. اياك وهذه الكتب . هذه الكتب كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب،

قيل له . فى هذه الكتب عبرة . قال : من لم يكن له فى كتاب الله عز وجل عبرة فليس له فى هذه الكتب عبرة . بلغكم أن مالك بن أنس ، وسفيان الثورى ، والاوزاعى ، والأئمة المتقدمة ، صنفوا هذه الكتب فى الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بالحارث المحاسبى ومرة بعبد الرحيم الدبيلى ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق ، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع .

أخبرنا محمد بن عبدالباقى نا أبو محمد رزق الله بن عبدالوهاب التميمى عن أبى عبد الرحمن السلمى قال : أول من تكلم فى بلدته فى ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذوالنون المصرى فأنكر عليه ذلك عبدالله بن عبدالحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة . قال السلمى . وأخرج أبو سليمان الدارانى من دمشق . وقالوا أنه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه ، وشهد قوم على احمد بن أبى الحوارى : أنه يفضل الأولياء على الأنبياء فهرب من دمشق إلى مكة ، وأنكر أهل بسطام على أبى يزيد البسطامى ما كان يقول حتى أنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول : لى معراج كما كان للنبى ﷺ معراج فأخرجوه من بسطام ، وأقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها إلى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام ، قال السلمى وحكى رجل عن سهل بن عبدالله التسترى أنه يقول : إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وإنه يتكلم عليهم فأنكر ذلك عليه العوام حتى نسبوه إلى القبائح فخرج إلى البصرة فمات بها ، قال السلمى وتكلم الحارث المحاسبى فى شىء من الكلام والصفات فهجره احمد بن حنبل فاختفى إلى أن مات .

قال المصنف : وقد ذكر أبو بكر الخلال فى كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال : حذروا من الحارث أشد التحذير الحارث أصل البلية يعنى فى حوادث كلام جهم ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم إلى رأى جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام حارث بمنزلة الأسد المرابط انظر أى يوم يثب على الناس .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة وإنما لبس الشيطان عليهم لقلة علمهم . وبإسناد عن جعفر الخلدى يقول سمعت الجنيد يقول قال أبو سليمان الدارانى قال ربما تقع فى نفسى النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة وبإسناد عن طيفور البسطامى يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال لى أبى قال أبو يزيد لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود .

وبإسناد عن أبى موسى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى قال : من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع . وبإسناد عن عبد الحميد الحبلى يقول سمعت سريا يقول : من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط وعن الجنيد أنه قال : مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة ، وقال أيضاً علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به ، وقال أيضاً ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى وأصله التفرق عن الدنيا كما قال حارثة : عرفت نفسى فى الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى . وعن أبى بكر الشنفاف : من ضيع حدود الأمر والنهى فى الظاهر حرم مشاهدة القلب فى الباطن ، وقال الحسين النورى لبعض أصحابه . من رأيته يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه ، ومن رأيته يدعى حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه ، وعن الجريرى قال : أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد هو أن تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائماً . وعن أبى جعفر قال : من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خاطره فلا تعده فى ديوان الرجال .

(فصل) قال المصنف : وإذ قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم وقعت

من بعض أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم فان كان ذلك صحيحاً عنهم توجه الرد عليهم إذ لا محاباة فى الحق وإن لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القول وذلك المذهب من أى شخص صدر . فأما المشبهون بالقوم وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة . ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من الدخل وما علينا من القائل والفاعل وإنما نؤدى بذلك أمانة العلم وما زال العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصداً لبيان الحق لا لاظهار عيب الغالط ولا اعتبار بقول جاهل يقول : كيف يرد على فلان الزاهد المتبرك به . لأن الانقياذ إنما يكون إلى ما جاءت به الشريعة لا إلى الأشخاص ، وقد يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غلطات فلا تمنع منزلته بيان زلله .

واعلم إن من نظر إلى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل إلى ما صدر عنه كان كمن ينظر إلى ماجرى على يد المسيح صلوات الله عليه من الأمور الخارقة ولم ينظر إليه فادعى فيه الالهية . ولو نظر إليه وأنه لا يقوم إلا بالطعام لم يعطه إلا ما يستحقه . وقد أخبرنا اسماعيل بن أحمد السمرقندى باسناد إلى يحي بن سعيد قال : سألت شعبة وسفيان بن سعيد وسفيان بن عيينة ومالك ابن أنس عن الرجل لا يحفظ أو يتهم فى الحديث . فقالوا جميعا يبين أمره: وقد كان الامام أحمد بن حنبل يمدح الرجل ويبالغ ثم يذكر غلطه فى الشيء بعد الشيء وقال نعم الرجل فلان لولا أن خلة فيه وقال عن سرى السقطى : الشيخ المعروف بطيب المطعم ثم حكى له عنه أنه قال أن الله عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء فقال : نفروا الناس عنه .

﴿ سياق ما يروى عن الجماعة منهم من سوء الاعتقاد ﴾

ذكر تلبيس إبليس فى السماع وغيره

عن أبي عبد الله الرملى قال تكلم أبو حمزة فى جامع طرسوس فقبلوه فبينا هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب على سطح الجامع فزعق أبو حمزة وقال : لبيك لبيك . فنسبوه إلى الزندقة وقالوا حلولى زنديق . وبيع فرسه

بالمناداة على باب الجامع هذا فرس الزنديق ، وباسناد إلى أبي بكر الفرغاني أنه قال : كان أبو حمزة إذا سمع شيئاً يقول : لبيك لبيك فأطلقوا عليه أنه حلولى . ثم قال أبو على وإنما جعله داعياً من الحق أيقظه الذكر . وعن أبي على الروزبارى قال أطلق على أبي حمزة أنه حلولى وذلك أنه كان إذا سمع صوتاً مثل هبوب الرياح وخرير الماء وصياح الطيور كان يصيح ويقول لبيك لبيك فرموه بالحلول . قال السراج وبلغنى عن أبي حمزة أنه دخل دار الحارث المحاسبي فصاحت الشاه ماع فشهق أبو حمزة شهقة وقال : لبيك ياسيدى فغضب الحارث المحاسبي وعمد إلى سكين وقال إن لم تتب من هذا الذى أنت فيه أذبحك . قال أبو حمزة : إذا أنت لم تحسن تسمع هذا الذى أنا فيه فلم تأكل النخالة بالرماد .

وقال السراج وأنكر جماعة من العلماء على أبي سعيد احمد بن عيسى الخرا ونسبوه إلى الكفر بألفاظ وجدوها فى كتاب صنفه وهو كتاب السر ومنه قوله : عبد طائع ما أذن له فلزم التعظيم لله فقدس الله نفسه قال : وأبو العباس أحمد بن عطاء نسب إلى الكفر والزندقة قال وكم من مرة قد أخذ الجنيد مع علمه وشهد عليه بالكفر والزندقة وكذلك أكثرهم . وقال السراج : ذكر عن أبي بكرة محمد بن موسى الفرغانى الواسطى أنه قال من ذكر افترى ومن صبر اجترى . وإياك أن تلاحظ حبيباً أو كليما أو خليلا وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا . فقيل له : أولا أصلى عليهم قال : صل عليهم بلا وقار ولا تجعل لها فى قلبك مقدار . قال السراج : وبلغنى أن جماعة من الحلوليين زعموا أن الحق عز وجل اصطفى أجساماً حل فيها بمعانى الربوبية وأزال عنها معانى البشرية ومنهم من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات ومنهم من قال حال فى المستحسنات . قال وبلغنى عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤية بالقلوب فى الدنيا كالرؤية بالعيان فى الآخرة قال السراج . وبلغنى أن أبا الحسين النورى شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول : أنا أعشق الله عز وجل وهو يعشقنى فقال النورى : سمعت الله يقول «يحبهم ويحبونه» وليس العشق بأكثر من المحبة . قال القاضى

ابو يعلى : وقد ذهبت الحلولية إلا أن الله عز وجل يعشق .

قال المصنف وهذا جهل من ثلاثة أوجه : أحدها من حيث الاسم فان العشق عند أهل اللغة لايكون إلا لما ينكح والثانى أن صفات الله عزوجل منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق ويحب ولا يقال يعشق كما يقال يعلم ولا يقال يعرف والثالث من أين له أن الله تعالى يحبه فهذه دعوى بلا دليل وقد قال النبي ﷺ من قال إنى فى الجنة فهو فى النار .

وعن أبى عبد الرحمن السلمى قال حكى عن عمرو المكى أنه قال : كنت أماشى الحسين بن منصور فى بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتى فقال يمكننى أن أقول مثل هذا ففارقته . وعن محمد بن يحيى الرازى . قال سمعت عمرو بن عثمان يلعن الحلاج ويقول . لو قدرت عليه لقتلته بيدى فقلت بأى شيء وجد عليه الشيخ فقال قرأت آية من كتاب الله عز وجل فقال يمكننى أن أقول أو أؤلف مثله وأتكلم به . وبإسناد عن أبى القاسم الرازى يقول قال أبو بكر بن ممشاد . قال . حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها لا بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان فوجه إلى بغداد فأحضر وعرض عليه . فقال . هذا خطى وأنا كتبته . فقالوا كنت تدعى النبوة فصرت تدعى الربوبية . فقال . ما أدعى الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا هل الكاتب إلا الله تعالى واليد فيه آلة . فقيل له : هل معك أحد . فقال . نعم ابن عطاء وأبو محمد الجريرى وأبو بكر الشبلى . وأبو محمد الجريرى يتستر والشبلى يتستر فان كان فابن عطاء فأحضر الجريرى وسئل فقال قائل . هذا كافر يقتل من يقول هذا وسئل الشبلى فقال من يقول هذا يمنع وسئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج فقال بمقالته وكان سبب قتله . وبإسناد عن ابن باكويه قال :ا سمعت عيسى بن بردل القزوينى وقد سئل أبو عبدالله بن خفيف عن معنى هذه الأبيات .

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهراً فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشيخ . على قائله لعنة الله . قال عيسى بن فوزك هذا شعر الحسين ابن منصور . قال : إن كان هذا اعتقاده فهو كافر إلا أنه ربما يكون متقولا عليه . وبإسناد عن على بن المحسن القاضى عن أبى القاسم اسماعيل بن محمد بن زنجى عن أبيه أن بنت السمرى أدخلت على حامد الوزير . فسألها عن الحلاج فقالت . حملنى أبى اليه فقال . قد زوجتك من ابنى سليمان وهو مقيم بنيسابور فمتى جرى شيء تنكرينه من جهته فصومى يومك واصعدى فى آخر النهار إلى السطح وقومى على الرماد واجعلى فطركِ عليه وعلى ملح جريش واستقبلينى بوجهك واذكرى لى ما أنكرتيه منه فانى أسمع وأرى . قالت : وكنت ليلة نائمة فى السطح فأحسست به قد غشينى فانتبهت مذعورة لما كان منه . فقال إنما جئتك لأوقظك للصلاة . فلما نزلنا قالت ابنته . اسجدى له . فقلت : أو يسجد أحد لغير الله . فسمع كلامى . فقال . نعم إله فى السماء وإله فى الأرض.

قال المصنف : اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج . فأول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو القاضى ووافقه العلماء . وإنما سكت عنه أبو العباس سريج قال وقال لا أدرى مايقول . والاجماع دليل معصوم من الخطأ وبإسناد عن أبى هريرة . قال قال رسول الله ﷺ . ان الله أجاركم أن تجتمعوا على ضلالة كلكم . وبأسناد عن أبى القاسم يوسف بن يعقوب النعمانى قال سمعت والدى يقول سمعت أبا بكر محمد بن داود الفقيه الأصبهانى يقول : إن كان ما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ حقاً فما يقول الحلاج باطل وكان شديداً عليه .

قال المصنف : وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلا منهم وقلة مبالاة بإجماع الفقهاء . وبإسناد عن محمد بن الحسين النيسابورى قال سمعت ابراهيم بن محمد النصراباذى كان يقول . إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج قلت . وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلا من الكل بالشرع وبعداً عن معرفة النقل . وقد جمعت فى أخبار الحلاج كتاباً بينت فيه حيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه والله المعين على قمع الجهال .

وبإسناد عن أبى نعيم الحافظ قال سمعت عمر البنا البغدادى بمكة يحكى

أنه لما كانت محنة غلام الخليل ونسبة الصوفية إلى الزندقة . أمر الخليفة بالقبض عليهم فأخذ النورى فى جماعة فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فتقدم النورى مبتدراً إلى السياف ليضرب عنقه . فقال له السياف . مادعاك إلى البدار . قال آثرت حياة أصحابى على حياتى هذه اللحظة فتوقف السياف فرفع الأمر إلى الخليفة فرد أمرهم إلى قاضى القضاة اسماعيل بن آسحاق فأمر بتخليتهم . وبإسناد إلى أبى العباس أحمد بن عطاء . قال كان يسعى بالصوفية ببغداد غلام الخليل إلى الخليفة فقال ههنا قوم زنادقة فأخذ أبو الحسين النورى، وأبو حمزة الصوفى ، وأبو بكر الدقاق ، وجماعة من أقران هؤلاء واستتر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبى ثور . فأدخلوا إلى الخليفه فأمر بضرب أعناقهم فأول من بدر أبو الحسين النورى . فقال له السياف لم بادرت أنت من بين أصحابك ولم ترع . قال : أحببت أن أوثر أصحابى بالحياة مقدار هذه الساعة فرد الخليفة أمرهم إلى القاضى فأطلقوا .

قال المصنف : ومن أسباب هذه القصة قول النورى . أنا أعشق الله والله يعشقنى . فشهد عليه بهذا . ثم تقدم النورى إلى السياف ليقتل إعانة على نفسه فهو خطأ أيضاً . وبإسناد عن ابن باكويه قال سمعت أبا عمرو تلميذ الرقى قال سمعت الرقى يقول : كان لنا بيت ضيافة فجاءنا فقير عليه خرقتان يكنى بأبى سليمان فقال . الضيافة . فقلت لابنى إمض به إلى البيت فأقام عندنا تسعة أيام فأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة . فسمته المقام فقال . الضيافة ثلاثة أيام . فقلت له : لا تقطع عنا أخبارك فغاب عنا اثنتى عشرة سنة ثم قدم فقلت من أين . فقال : رأيت شيخاً يقال له أبو شعيب المقفع مبتلى فأقمت عنده أخدمه سنة فوقع فى نفسى أن أسأله أى شيء كان أصل بلائه فلما دنوت منه ابتدأنى قبل آن أسأله فقال وما سؤالك عما لا يعنيك . فصبرت حتى تم لى ثلاث سنين . فقال فى الثالثة لا بد لك فقلت له ان رأيت . فقال . بينما أنا أصلى بالليل إذ لاح لى من المحراب نور فقلت إخسأ يا ملعون فان ربى عز وجل غنى عن أن يبرز للخلق ثلاث مرات قال ثم سمعت نداء من المحراب يا أبا شعيب . فقلت لبيك فقال تحب أن أقبضك فى وقتك أو نجازيك على

لما مضى لك أو نبتليك ببلاء نرفعك به فى عليين فاخترت البلاء فسقطت عيناى ويداى ورجلاى قال فمكثت أخدمه تمام اثنتى عشرة سنة : فقال يوماً من الأيام أدن منى فدنوت منه فسمعت أعضاءه يخاطب بعضها بعضا أبرز حتى برزت أعضاؤه كلها بين يديه وهو يسبح ويقدس ثم مات .

قال المصنف : وهذه الحكاية توهم أن الرجل رأى الله عزوجل فلما أنكر عوقب . وقد ذكرنا أن قوماً يقولون أن الله عز وجل يرى فى الدنيا . وقد حكى أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخى فى كتاب المقالات قال قد حكى قوم من المشبهة أنهم يجيزون رؤية الله تعالى بالأبصار فى الدنيا وأنهم لا ينكرون أن يكون بعض من تلقاهم فى السكك وإن قوماً يجيزون مع ذلك مصافحته وملازمته وملامسته ويدعون أنهم يزورونه ويزورهم وهم يسمون بالعراق أصحاب الباطن وأصحاب الوساوس وأصحاب الخطرات .

قال المصنف : وهذا فوق القبيح نعوذ بالله من الخذلان .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الطهارة ﴾

قال المصنف : قد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الطهارة إلا أنه قد زاد فى حق الصوفية على الحد فقوى وساوسهم فى استعمال الماء الكثير حتى بلغنى أن ابن عقيل دخل رباطا فتوضأ فضحكوا لقلة استعماله الماء وما علموا أن من أسبغ الوضوء برطل من الماء كفاه . وبلغنا عن أبى حامد الشيرازى أنه قال لفقير : من أين تتوضأ . فقال : من النهر ، بى وسوسة فى الطهارة قال: كان عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان . والآن يسخر بهم الشيطان ، ومنهم من يمشى بالمداس على البوارى وهذا لا بأس به إلا أنه ربما نظر المبتدى إلى من يقتدى به فيظن ذلك شريعة وما كان خيار السلف على هذا ، والعجب ممن يبالغ فى الاحتراز إلى هذا الحد متصفاً بتنظيف ظاهره وباطنه محشو بالوسخ والكدر والله الموفق .

﴿ ذكر تلبيس إبليس عليهم فى الصلاة

قال المصنف : وقد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الصلاة وهو بذلك يلبس على الصوفية ويزيد ، وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسى ان من سنتهم التى ينفردون

بها ويتسبون اليها صلاة ركعتين بعد لبس المرقعة والتوبة واحتج عليه بحديث ثمامة بن أثال أن النبي ﷺ أمره حين أسلم أن يغتسل .

قال المصنف : وما أقبح بالجاهل إذا تعاطى ما ليس من شغله فان ثمامة كان كافراً فأسلم وإذا أسلم الكافر وجب عليه الغسل فى مذهب جماعة من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل ، وأما صلاة ركعتين فما أمر بها أحد من العلماء لمن أسلم وليس فى حديث ثمامة ذكر صلاة فيقاس عليه ، وهل هـذا إلا ابتداع فى الواقع سموه سنة . ثم من أقبح الأشياء قوله أن الصوفية ينفردون بسنن ، لأنها إن كانت منسوبة إلى الشرع فالمسلمون كلهم فيها سواء والفقهاء أعرف بها فما وجه انفراد الصوفية بها وإن كانت بآرائهم فانما انفردوا بها لأنهم اخترعوها .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى المساكن ﴾

قال المصنف : أما بناء الأربطة فان قوماً من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد . وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه . أحدها أنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنيان أهل الإسلام المساجد . والثانى أنهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها . والثالث أنهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطا إلى المساجد . والرابع أنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم بالأديرة . والخامس أنهم تعذبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح . والسادس أنهم جعلوا لأنفسهم علماً ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم . وإن كان قصدهم غير صحيح فانهم قد بنوا دكاكين للكوبة (١) ومناخا للبطالة وأعلاماً لإظهار الزهد . وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين فى الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس . وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة . وقد لبس عليهم إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع . فهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء المبرد . فأين جوع بشر ، وأين ورع سرى ، وأين جد

(١) الكوبة : النرد وقيل الطبل .

الجنيد . وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضى فى التفكه بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه فى زرمانقته فغلبت عليه السوداء فيقول حدثنى قلبي عن ربى . ولقد بلغنى أن رجلا قرأ القرآن فى رباط فمنعوه وأن قوماً قرأوا الحديث فى رباط فقالوا لهم ليس هذا موضعه والله الموفق .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الخروج عن الأموال والتجرد عنها ﴾

كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم فى الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت مقاصدهم صالحة وأفعالهم فى ذلك خطأ لقلة العلم . فأما الآن فقد كفى إبليس هذه المؤنة فان أحدهم إذا كان له مال أنفقه تبذيراً وضياعاً والحديث باسناد عن محمد بن الحسين السليمى قال سمعت أبا نصر الطوسى : قال سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون ورث أبو عبد الله المقرى من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن ذلك كله وأنفقه على الفقراء .

وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا الفعل لا ألوم صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه أو إن كانت له صناعة يستغنى بها عن الناس أو كان المال عن شبهة فتصدق به فأما إذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى مافى أيدى الناس وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمنن الاخوان أو اصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه . ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم وإنما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع وقد ذكر الحارث المحاسبى فى هذا كلاماً طويلا وشيده أبو حامد الغزالى ونصره والحارث عندى أعذر من أبى حامد لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله فى التصوف أوجب عليه نصرة مادخل فيه.

فمن كلام الحارث المحاسبى فى هذا أنه قال : أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه . فقد أزريت بمحمد ﷺ والمرسلين وزعمت أن محمداً ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن

جمعه خير لهم وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وما ينفعك الاحتجاج بمال الصحابة . وداين عوف فى القيامة أن لو لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً . قال ولقد بلغنى أنه لما توفى عبد الرحمن ابن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك قال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق طيباً فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بلحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعباً فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقتص الأثر فى طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هارباً من أبى ذر فقال له أبو ذر : هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا ثم قال : يا أبا ذر وأنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله ﷺ يريد هـذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف . كذبت وكذب من قال بقولك ، فلم يرد عليه حرفاً حتى خرج .

قال الحارث : فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف فى عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعى إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبواً . وقد كان الصحابة رضى الله عنهم إذا لم يكن عندهم شيء فرحوا وأنت تدخر المـال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثماً وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها وقد بلغنا أن رسـول الله ﷺ قال من أسف على دنيا فاتته قرب من النار مسيرة سنة . وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل . ويحك هل تجد فى دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة وأين الحلال فتجمعه . ويحك إنى لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المـال لأعمال البر فقال تركه أبر منه . وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا

فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه و الآخر جانبها ولم يطلبها ولم يبذلها فأيهما أفضل فقال : بعيد والله ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها .

قال المصنف : فهذا كله كلام الحارث المحاسبي ذكره أبو حامد وشيده وقواه بحديث ثعلبة فانه أعطى المال فمنع الزكاة قال أبو حامد : فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك فى أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات ، إذ أقل ما فيه اشتغالهم باصلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغى للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته فما بقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل . قال المصنف : وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال .

(فصل) فى رد هذا الكلام أما شرف المال فان الله عز وجل عظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواماً للآدمى الشريف فهو شريف . فقال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » ونهى عز وجل أن يسلم المال إلى غير رشيد . فقال « فان آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال وقال لسعد : لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس . وقال : ما نفعنى مال كمال أبى بكر . والحديث باسناد مرفوع عن عمرو بن العاص . قال : بعث إلىّ رسول الله ﷺ فقال : خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتنى ، فأتيته فقال : أنى أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك ، وأرغب لك من المال رغبة صالحة . فقلت يارسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكنى أسلمت رغبة فى الإسلام . فقال ياعمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح . والحديث باسناد عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ دعا له بكل خير . وكان فى آخر دعائه أن قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له . وباسناد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن عبيد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته . قال : فقلت يارسول الله أن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال : أمسك بعض مالك فهو خير لك .

قال المصنف : فهذه الأحاديث مخرجة فى الصحاح وهى على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافى التوكل . ولا ينكر أنه يخاف من فتنته وأن خلقاً كثيراً اجتنبوه لخوف ذلك وأن جمعه من وجهة يعز وسلامة القلب من الافتتان به يبعد واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر ولهذا خيف فتنته . فأما كسب المال فان من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمر لا بد منه . وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظرنا فى مقصوده ، فان قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود ، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الاخوان واغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات . وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فى جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسالوا زيادته .

وباسناد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أقطع الزبير حضر(١) فرسه بأرض يقال لها ثرثر . فأجرى فرسه حتى قام ، ثم رمى سوطه فقال : أعطوه حيث بلغ السوط وكان سعد بن عبادة يدعو فيقول : اللهم وسع على .

قال المصنف : وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه « ونزداد كيل بعير » مال إلى هذا وأرسل ابنه بنيامين معهم . وأن شعيباً طمع فى زيادة ما يناله فقال « فان أتممت عشراً فمن عندك » . وأن أيوب عليه السلام لما عوفى نثر عليه رجل(٢) جراد من ذهب فأخذ يحثو فى ثوبه يستكثر منه فقيل له : أما شبعت . قال : يارب من يشبع من فضلك وهذا أمر مركوز فى الطباع فاذا قصد به الخير كان خيراً محضاً .

وأما كلام المحاسبي فخطأ يدل على الجهل بالعلم وقوله : إن الله عز وجل نهى عباده عن جمع المال . وأن رسول الله ﷺ نهى أمته عن جمع المال . فهذا محال إنما النهى عن سوء القصد بالجمع أو عن جمعه من غير حله .

(١) الحضر بضم المعجمة عدو الفرس .
(٢) هو الجراد الكثير .

وما ذكره من حديث كعب وأبي ذر فحال من وضع الجهال وخفاء صحته عنه ألحقه بالقوم. وقد روى بعض هذا وإن كان طريقه لا يثبت. وبإسناد عن مالك بن عبد الله الزيادى عن أبي ذر أنه جاء يستأذن على عثمان فأذن له وبيده عصاه، فقال عثمان: يا كعب إن عبد الرحمن توفى وترك مالا فما ترى فيه؟ فقال: إن كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس به، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أحب لو أن لي هذا الجبل ذهباً أنفقه ويتقبل مني. أذر خلفي ست أواقي. أنشدك الله ياعثمان أسمعت هذا؟ ثلاث مرات قال نعم.

قال المصنف: وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه. قال يحيى لا يحتج بحديثه. والصحيح في التاريخ أن أبا ذر توفى سنة خمس وعشرين وعبد الرحمن توفى سنة اثنتي وثلاثين، فقد عاش بعد أبي ذر سبع سنين. ثم لفظ ما ذكروه من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع. ثم كيف تقول الصحابة رضى الله عنهم. إنا نخاف على عبد الرحمن، أو ليس الإجماع منعقداً على إباحة جمع المال من حله، فما وجه الخوف مع الإباحة، أو يأذن الشرع في شيء ثم يعاقب عليه، هذا قلة فهم وفقه، ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسبر سير الصحابة، فانه قد خلف طلحة ثلاثمائة بهار في كل بهار ثلاثة قناطير، والبهار الحمل، وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتي ألف، وخلف ابن مسعود رضى الله عنه تسعين ألفاً، وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد.

وأما قوله: أن عبد الرحمن يحبو حبواً يوم القيامة. فهذا دليل على أنه لا يعرف الحديث، أوكان هذا مناماً وليس هو في اليقظة أعوذ بالله من أن يحبو عبد الرحمن في القيامة، أفتر . . من يسبق إذا حبا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة. ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب الشورى. ثم الحديث يرويه عمارة بن ذاذان، وقال البخارى: ربما اضطرب حديثه، وقال أحمد: يروى عن أنس أحاديث مناكير، وقال أبو حاتم الرازى: لا يحتج به، وقال الدار قطني: ضعيف، أخبرنا ابن الحصين مرفوعاً إلى عمارة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: بينما عائشة رضى

الله عنها فى بيتها سمعت صوتاً فى المدينة . فقالت : ما هـذا ؟ فقالوا عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شىء ، قال وكانت سبعمائة بعير ، فارتجت المدينة من الصوت . فقالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً . فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال : إن استطعت لأدخلنها قائماً . فجعلها بأقتابها وأحمالها فى سبيل الله عز وجل .

وقوله : ترك المال الحلال أفضل من جمعه. ليس كذلك بل متى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء . والحديث الذى ذكره عن رسول الله ﷺ من أسف على دنيا فاتته الخ محال : ما قاله رسول الله صلى الله ﷺ قط . وقوله : هل تجد فى دهرك حلالا . فيقال له : وما الذى أصاب الحلال والنبى ﷺ يقول : الحلال بين والحرام بين . أترى يريد بالحلال وجود حبة مذ خرجت من المعدن ماتقلبت فى شبهة ، هـذا يبعد وما طولبنا به . بل لو باع المسلم يهوديا كان الثمن حلالا بلاشك . هذا مذهب الفقهاء وأعجب لسكوت أبى حامد بل لنصرته ماحكى وكيف يقول أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات . ولو أدعى الاجماع على خلاف هـذا لصح ، ولـكن تصوفه غير فتواه . وعن المروزى قال سمعت رجلا يقول لأبى عبد الله إنى فى كفاية فقال: الزم السوق تصل به الرحم وتعود المرضى .

وقوله ينبغى المريد أن يخرج من ماله ، قد بينا أنه إن كان حراماً أو فيه شبهة أو إن يقنع هو باليسير أو بالكسب جاز له أن يخرج منه . وإلا فلا وجه لذلك ، وأما ثعلبة فما ضره المال إنما ضره البخل بالواجب .

وأما الانبياء فقد كان لابراهيم عليه الصلاة والسلام زرع ومال ولشعيب ولغيره وكان سعيد بن المسيب رضى الله عنه يقول لا خير فيمن لا يطلب المال يقضى به دينه ويصون به عرضه ويصل به رحمه فان مات تركه ميراثا لمن بعده وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار وقد ذكرنا ماخلفت الصحابة . وقد خلف سفيان الثورى رضى الله عنه مائتين وكان يقول : المال فى هذا الزمان سلاح وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء . وإنما تجافاه قوم منهم إيثاراً للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم فقنعوا

باليسير ولو قال هـذا القائل أن التقلل منه أولى قرب الأمر ولـكنه زاحم به مرتبة الاثم .

(فصل) واعلم أن الفقر مرض فمن ابتلى به فصبر أثيب على صبره ، ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لمكان صبرهم على البلاء والمال نعمة والنعمة تحتاج إلى شكر ، والغنى وإن تعب وخاطر كالمفتى والمجاهد والفقير كالمعتزل فى زاوية . وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمى فى كتاب سنن الصوفية باب كراهية أن يخلف الفقير شيئاً . فذكر حديث الذى مات من أهل الصفة وخلف دينارين . فقال رسول الله ﷺ : كيتان .

قال المصنف : وهـذا احتجاج من لا يفهم الحال فان ذلك الفقير كان يزاحم الفقراء فى أخذ الصدقة وحبس مامعه فلذلك قال : كيتان ، ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قال رسول الله ﷺ لسعد : إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ولما كان أحد من الصحابة يخلف شيئا . وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجئت بنصف مالى . فقال رسول الله ﷺ : وما أبقيت لأهلك . فقلت مثله ، فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قال ابن جرير الطبرى وفى هذا الحديث دليل على بطلان مايقوله جهلة المتصوفة أن ليس للانسان إدخار شىء فى يومه لغده ، وإن فاعل ذلك قد أساء الظن بربه ولم يتوكل عليه حق توكله . قال ابن جرير : وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام اتخذوا الغنم فانها بركة . فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصوفة أنه لا يصح لعبد التوكل على ربه إلا بأن يصبح ولا شىء عنده من عين ولا عرض ويمسى كذلك . ألا ترى كيف أدخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة .

(فصل) وقد خرج أقوام من أموالهم الطيبة ثم عادوا يتعرضون للأوساخ ويطلبون وهـذا لأن حاجة الإنسان لا تنقطع ، والعاقل يعد للمستقبل وهؤلاء مثلهم فى إخراج المال عند بداية تزهدهم مثل من روى فى طريق مكة فبدد الماء الذى معه . والحديث باسناد عن جابر بن عبد الله قال قدم أبو حصين السلمى بذهب من معدنهم فقضى دينا كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة ، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ضع هذه حيث أراك الله أو حيث رأيت ، قال فجاءه عن يمينه فأعرض عنه ثم

جاءه عن يساره فأعرض عنه ثم جاءه من بين يديه فنكس رسول الله ﷺ رأسه . فلما أكثر عليه أخذها من يديه فحذفه بها لو أصابته لعقرته ، ثم أقبل عليه رسول الله ﷺ ، فقال يعمد أحدكم إلى ماله فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس ، وإنما الصدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول . وقد رواه أبو داود فى سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبدالله . قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب فقال ، يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهى صدقة ما أملك غيرها . فأعرض عنه رسول الله ﷺ . ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ . ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأوجعته أو لعقرته . فقال رسول الله ﷺ . يأتى أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى . وفى رواية أخرى : خذ عنا مالك لا حاجة لنا به . وروى أبو داود من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : دخل رجل المسجد فأمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا ثياباً فطرحوا . فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة . فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به : خذ ثوبك .

قال المصنف : ونقلت من خط أبى الوفاء بن عقيل . قال قال : ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلى ، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله مالا ينفقه عليهم ، فرد الرسول وقال يا أبا بكر . أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه ، فقال للرسول : إرجع اليه وقل له الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك واطلب الحق من الحق . فبعث اليه بمائة دينار . قال ابن عقيل : ان كان أنفذ اليه المائة دينار للافتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله . فقد أكل الشبلى الخبيث من الرزق وأطعم أضيافه منه .

﴿ فصل ﴾ وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها . وقال . ما أريد أن تكون ثقتى إلا بالله وهذا قلة فهم لأنهم يظنون أن التوكل قطع الأسباب وإخراج الأموال

أخبرنا القزاز قال أخبرنا الخطيب قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أنبأنا جعفر الخلدى فى كتابه قال سمعت الجنيد يقول دققت على أبى يعقوب الزيات

بابه في جماعة من أصحابنا . فقال : ما كان لكم شغل في الله عز وجل يشغلكم عن المجيء إليّ ، فقلت له : إذا كان مجيئنا اليك من شغلنا به فلم ننقطع عنه : فسألته عن مسألة في التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابني . فأعطى التوكل حقه ثم قال : استحييت من الله أن أجيبك وعندي شيء .

قال المصنف . لو فهم هؤلاء معنى التوكل وأنه ثقة القلب بالله عز وجل لا إخراج صور المال . ما قال هؤلاء هذا الكلام . ولكن قل فهمهم وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال وما قال مثل هذا أحد منهم . وقد روينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه . أنه قال حين أمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة ، فمن أين أطعم عيالي . وهذا القول منكر عند الصوفية يخرجون قائله من التوكل وكذلك ينكرون على من قال هذا الطعام يضرني . وقد رووا في ذلك حكاية عن أبي طالب الرازي قال . حضرت مع أصحابنا في موضع فقدموا اللبن وقال لي كل فقلت لا آكله فانه يضرني فلما كان بعد أربعين سنة صليت يوماً خلف المقام ودعوت الله عز وجل وقلت . اللهم انك تعلم أني ما أشركت بك طرفة عين . فسمعت هاتفاً يهتف بي ويقول — ولا يوم اللبن .

قال المصنف . وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها — واعلم أن من يقول هذا يضرني . لا يريد أن ذلك يفعل الضرر بنفسه وإنما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه . « رب إنهن أضللن كثيراً من الناس » . وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال مانفعني مال كمال أبي بكر . وقوله — ما نفعني مقابل لقول القائل — ماضرني . وصح عنه أنه قال . ما زالت أكلة خيبر تعادّني فهذا أو ان قطعت أبهري (١) . وقد ثبت أنه لا رتبة أولى من رتبة النبوة وقد نسب النفع إلى المال والضرر إلى الطعام فالتحاشي عن سلوك طريقه ﷺ تعاط على الشريعة فلا يلتفت إلى هذيان من هذى في مثل هذا .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من

(١) الأبهر عرق في الظهر ، فإذا انقطع لم تبق معه حياة : وتعادني بالدال المشددة تأتيني المرة بعد المرة .

أموالهم زهداً فيها . وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلا أنهم غلطوا فى هذا الفعل . كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل . فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال من أى وجه كان إيثاراً للراحة وحباً للشهوات . فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس فى الرباط او المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب . ومعلوم ان الصدقة لا تحل لغنى ولا لذى مرة (١) سوى ولا يبالون من بعث اليهم فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه . وقد وضعوا فى ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك ـ بالفتوح ومنها ان رزقنا لا بد ان يصل الينا . ومنها انه من الله فلا يرد عليه ولا نشكر سواه . وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه . فان النبي ﷺ قال . الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتق الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وقد قاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه من أكل الشبهة . وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا ممن فى ماله شبهة . وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان عفافاً وتنزهاً وعن أبى بكر المروزى قال ذكرت لأبى عبدالله رجلا من المحدثين فقال رحمه الله أى رجل كان لولا خلة واحدة . ثم سكت . ثم قال . ليس كل الخلال يكملها الرجل فقلت له أليس كان صاحب سنة . فقال . لعمرى لقد كتبت عنه ولكن خلة واحدة كان لا يبالى ممن أخذ .

قال المصنف : ولقد بلغنا ان بعض الصوفية دخل على بعض الأمراء الظلمة فوعظه فأعطاه شيئاً فقبله. فقال الأمير كلنا صيادون وإنما الشباك تختلف ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل للدنيا فان النبي ﷺ قال اليد العليا خير من اليد السفلى ـ واليد العليا هى المعطية هكذا فسره العلماء وهو الحقيقة وقد تأوله بعض القوم فقال العليا هى الآخذة قال ابن قتيبة ولا أرى هذا إلا تأويل قوم استطابوا السؤال .

(فصل) قال المصنف . ولقد كان أوائل الصوفية ينظرون فى حصول الأموال من أى وجه ويفتشون عن مطاعمهم وسئل احمد بن حنبل عن السرى

(١) المرة بكسر الميم القوة .

السقطى فقال الشيخ المعروف بطيب المطعم وقال السرى صحبت جماعة إلى الغزو فاكترينا داراً فنصبت فيها تنوراً فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور فأما من يرى ما قد تجدد من صوفية زماننا من كونهم لا يبالون من أين أخذوا فانه يعجب . ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لى قد مضى إلى الأمير فلان يهنئه بخلعة قد خلعت عليه وكان ذلك الأمير من كبار الظلمه فقلت ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفون على رءوسكم بالسلع يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولا على الصدقات والصلات ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطى منهم ويهنئهم بملبوس لا يحل وولاية لا عدل فيها والله انكم أضر على الإسلام من كل مضر .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد صار جماعة من أشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثم ينقسمون فمنهم من يدعى الزهد مع كثرة المال وحرصه على الجمع وهذه الدعوى مضادة للحال ومنهم من يظهر الفقر مع جمعه المال وأكثر هؤلاء يضيقون على الفقراء بأخذهم الزكاة ولا يجوز لهم ذلك وقد كان أبو الحسن البسطامى شيخ رباط ابن المحبان (١) يلبس الصوف صيفاً وشتاء وتقصده الناس يتبركون به فمات فخلف أربعة آلاف دينار .

قال المصنف وهذا فوق القبيح وقد صح عن النبى ﷺ أن رجلا من أهل الصفة مات فخلف دينارين فقال ﷺ كيتان .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى لباسهم ﴾

قال المصنف لما سمع أوائل القوم ان النبى ﷺ كان يرقع ثوبه وانه قال لعائشة رضى الله عنها لا تخلعى ثوباً حتى ترقعيه وان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى ثوبه رقاع وان اويسا القرنى كان يلتقط الرقاع من المزابل فيغسلها فى الفرات ثم يخيطها فيلبسها اختاروا المرقعات وقد أبعدوا فى القياس فان رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يؤثرون البذاذة ويعرضون عن الدنيا زهداً وكان أكثرهم يفعل هذا لأجل الفقر كما روينا عن مسلمة بن عبد الملك

(١) وفى النسخة الثانية المحليان ، وفى نسخه أخرى الملحيان .

انه دخل على عمر بن العزيز وعليه قميص وسخ فقال لامرأته فاطمة إغسلى قميص أمير المؤمنين فقالت والله ماله قميص غيره . فأما إذا لم يكن هذا لفقر وقصد البذاذة فما له من معنى .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف فأما صوفية زماننا فانهم يعمدون إلى ثوبين أو ثلاثة كل واحد منها على لون فيجعلوها خرقاً ويلفقونها فيجمع ذلك الثوب وصفين الشهرة والشهوة فان لبس مثل هذه المرفعات أشهى عند خلق كثير من الديباج وبها يشتهر صاحبها انه من الزهاد افتراهم يصيرون بصورة الرقاع كالسلف كذا قد ظنوا وان إبليس قد لبس عليهم وقال أنتم صوفية لأن الصوفية كانوا يلبسون المرقعات وأنتم كذلك أتراهم ما علموا ان التصوف معنى لاصورة وهؤلاء قد فاتهم التشبيه في الصورة والمعنى أما الصورة فان القدماء كانوا يرقعون ضرورة ولا يقصدون التحسن بالمرقع ولا يأخذون أثواباً جدداً مختلفة الألوان فيقطعون من كل ثوب قطعة ويلفقونها على أحسن التوقيع ويخيطونها ويسمونها مرقعة وأما عمر رضى الله عنه لما قدم بيت المقدس حين سأل القسيسون والرهبان عن أمير المسلمين فعرضوا عليهم أمراء العساكر مثل أبى عبيدة وخالد بن الوليد وغيرهما ، فقالوا ، ليس هذا المصور عندنا ، ألكم أمير أولا ، فقالوا ، لنا أمير غير هؤلاء ، فقالوا هو أمير هؤلاء ، قالوا ، نعم هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقالوا ارسلوا اليه ننظره فان كان هو سلمنا اليكم من غير قتال وان لم يكن هو فلا ، فلو حاصرتمونا ما تقدرون علينا فأرسلوا المسلمين إلى عمر رضى الله عنه واعلموه بذلك فقدم عليهم وعليه ثوب مرقع سبع عشرة رقعة بينها رقعة من اديم فلما رأوه الروحانية والقسوس على هذه الصفة سلموا بيت المقدس اليه من غير قتال ، فأين هذا مما يفعله جهال الصوفية فى زماننا فنسأل الله العفو والعافية ، وأما المعنى فان أولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . ومن هؤلاء المذمومين من يلبس الصوف تحت الثياب ويلوح بكمه حتى يرى لباسه ، وهذا لص ليلى ، ومنهم من يلبس الثياب اللينة على جسده ثم يلبس الصوف فوقها وهذا لص نهارى مكشوف . وجاء

آخرون فأرادوا التشبه بالصوفية وصعب عليهم البذاذة وأحبوا التنعم ولم يروا الخروج من صورة التصوف لئلا يتعطل المعاش فلبسوا الفوط الرفيعة واعتموا بالرومى الرفيع إلا انه بغير طراز فالقميص والعمامة على أحدهم بثمن خمسة أثواب من الحرير .

وقد لبس إبليس عليهم انكم صوفية بنفيس النفس . وإنما أرادوا أن يجمعوا بين رسوم التصوف وتنعم أهل الدنيا . ومن علاماتهم مصادقة الأمراء ومفارقة الفقراء كبراً وتعظما . وقد كان عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يقول: يا بنى إسرائيل : ما لكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان ، وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى . إلبسوا لباس الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية .

وأخبرنا محمد بن أبى القاسم قال أخبرنا حمد بن احمد الحداد قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا احمد بن جعفر بن معبد ثنا يحيى بن مطرف ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار ، قال . ان من الناس ناساً اذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم ، واذا لقوا الجبابرة وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم ، فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم .

أخبرنا محمد نا حمد نا أبو نعيم ثنا الحسين بن محمد بن العباس الفقيه ثنا احمد بن محمد اللالى ثنا أبو حاتم ثنا هدبة ثنا حزم . قال سمعت مالك بن دينار يقول : انكم فى زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلا البصير . انكم فى زمان كثير تفاحشهم قد انتفخت ألسنتهم فى أفواههم فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم فى شباكهم .

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا أخبرنا حمد بن احمد نا احمد بن عبدالله الحافظ ثنا احمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبدالله بن احمد ثنى مهنى الشامى ثنا ضمرة عن سعيد بن شبل قال : نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم للمسجد فجلس اليه . فقال له : هل لك أن أكلم بعض العشارين يجرون عليك شيئاً وتكون معهم، قال : ماشئت يا أبا يحى: قال فأخذ كفاً من تراب فجعله على رأسه .

أخبرنا المحمدان قالا نا حمد نا احمد ثنا قارون بن عبدالكبير الخطابى ثنا

هشام بن على السيرافى ثنا قطن بن حماد بن واقد ثنا أبى ثنا مالك بن دينار . قال : كان فتى يتفرى فكان يأتيني . فابتلى : فولى الجسر فبينما هو يصلى إذ مرت سفينة فيها بط . فنادى بعض أعوانه: قرب لنا أخذ للعامل بطة: فأشار بيده سبحان الله أى بطتين قال فكان أبى اذا حدث بهذا الحديث بكى وأضحك الجلساء.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت محمد بن خفيف يقول قلت لرويم أوصنى فقال هو بذل الروح وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية . أخبرنا ابن ناصر نا أبو عبدالله الحميدى نا أبو بكر احمد بن محمد الأردستانى ثنا عبدالرحمن السلمى قال سمعت أبى يقول بلغنى ان رجلا قال للشبلى : قد ورد جماعة من أصحابك وهم فى الجامع فمضى فرأى عليهم المرقعات والفوط فأنشأ يقول :

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

قال المصنف رحمه الله قلت واعلم ان هذه البهرجة فى تشبيه هؤلاء بأولئك لا تخفى إلا على كل غبي فى الغاية . فأما أهل الفطنة فيعلمون أنه تنميس بارد والأمر فى ذلك على نحو قول الشاعر :

تشبهت حور الظباء بهم ان سكنت فيك ولا مثل سكن
أصامت بناطق ونافر بآنس وذو خلا بذى شجن
مشتبه أعرفه وإنما مغالطا قلت لصحبي دار من

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . وإنما أكره لبس الفوط المرقعات لأربعة أوجه أحدها انه ليس من لباس السلف وإنما كان السلف يرقعون ضرورة . والثانى انه يتضمن إدعاء الفقر وقد أمر الانسان ان يظهر نعمة الله عليه . والثالث انه إظهار للزهد وقد أمرنا بستره . والرابع انه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة ومن تشبه بقوم فهو منهم .

وقد أخبرنا ابن الحسين نا بن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله بن احمد ثنى أبى ثنا أبو النصر ثنا عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن أبى منيب الحرسى عن ابن عمر . قال قال رسول الله ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم . وقد أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرنى أبى . قال :

لما دخلت بغداد فى رحلتى الثانية قصدت الشيخ أبا محمد عبدالله بن احمد السكرى لأقرأ عليه أحاديث ـ وكان من المنكرين على هذه الطائفة ـ فأخذت فى القراءة فقال أيها الشيخ انك لو كنت من هؤلاء الجهال الصوفية لعذرتك . أنت رجل من أهل العلم تشتغل بحديث رسول الله ﷺ وتسعى فى طلبه . فقلت . أيها الشيخ وأى شيء أنكرت على حتى أنظر فان كان له أصل فى الشريعة لزمته، وان لم يكن له أصل فى الشريعة تركته فقال ما هذه الشوازك (١) التى فى مرقعتك فقلت أيها الشيخ هذه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما تخبر أن رسول الله ﷺ كان له جبة مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج وإنما وقع الانكار لأن هذه الشوازك ليست من جنس الثوب والديباج ليس من الجبة فاستدللنا بذلك على أن لهذا أصلا فى الشرع يجوز مثله .

قال المصنف . قلت لقد أصاب السكرى فى إنكاره وقل فقه ابن طاهر فى الرد عليه فان الجبة المكفوفة الجيب والكمين قد جرت العادة بلبسها كذلك فلا شهرة فى لبسها . فأما الشوازك فتجمع شهرة الصورة، وشهرة دعوى الزهد . وقد أخبرتك انهم يقطعون الثياب الصحاح ليجعلوها شوازك لا عن ضرورة يقصدون الشهرة لحسن ذلك والشهرة بالزهد ولهذا وقعت الكراهية . وقد كرهها جماعة من مشايخهم كما بينا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا أبو عبدالله بن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسى يقول سمعت الحسين ابن هند يقول سمعت جعفرا الحذاء يقول : لما فقد القوم الفوائد من القلوب اشتغلوا بالظواهر وتزيينها يعنى بذلك ـ أصحاب المصبغات والفوط ـ أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق ثنا بن باكويه أخبرنا أبو يعقوب الخراط . قال سمعت الثورى يقول : كانت المرقعات غطاء على الدر فصارت جيفاً على مزابل قال ابن باكويه : وأخبرنى أبو الحسن الحنظلى . قال نظر محمد بن محمد ابن على الكتانى إلى أصحاب المرقعات فقال : إخوانى ان كان لباسكم موافقاً لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ، وان كانت مخالفة لسرائركم فقد هلكتم ورب الكعبة . أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو بكر بن خلف ثنا

(١) نوع من الشريط معمول من الحرير المصبغ .

محمد بن الحسين السلمى . قال سمعت نصر بن أبى نصر يقول : قال أبو عبدالله محمد بن عبد الخالق الدينورى لبعض أصحابه . لا يعجبنك ما ترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم ، فما زينوا الظواهر إلا بعد أن خربوا البواطن . وقال ابن عقيل . دخلت يوماً الحمام فرأيت على بعض أوتاد السلخ جبة مشوزكة مرقعة بفوط . فقلت للحامى . أرى سلخ الحية . فمن داخل . فذكر لى بعض من يتصفف للبلاء حوشاً للأموال .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وفى الصوفية من يرقع المرقعة حتى تصير كثيفة خارجة عن الحد أخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا احمد بن على بن ثابت نا القاضى أبو محمد الحسن بن رامين الأسد آبادى نا أبو محمد عبدالله بن محمد الشيرازى نا جعفر الخالدى ثنا بن خباب أبو الحسين صاحب ابن الكرينى قال أوصى لى ابن الكرينى بمرقعته فوزنت فردة كم من أكمامها فاذا فيه أحد عشر رطلا ، قال جعفر ، وكانت المرقعات تسمى فى ذلك الوقت الكيل (١) .

﴿ فصل ﴾ وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ . وجعلوا لها إسناداً متصلا كله كذب ومحال وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال باب السنة فى لبس الخرقة من يد الشيخ فجعل هذا من السنة واحتج بحديث أم خالد ان النبى ﷺ أتى بثياب فيها خميصة (٢) سوداء فقال من ترون أكسو هذه . فسكت القوم : فقال رسول الله ﷺ ائتونى بأم خالد ، قالت فأتى بى فألبسنيها بيده . وقال . أبلى واخلقى .

قال المصنف وإنما ألبسها رسول الله ﷺ لكونها صبية . وكان أبوها خالد بن سعيد بن العاص . وأمها همينة بنت خلف . قد هاجروا إلى أرض الحبشة فولدت لهما هناك أم خالد واسمها أمة ثم قدموا فأكرمها رسول الله ﷺ لصغر سنها وكما اتفق فلا يصير هذا سنة . وما كان من عادة رسول الله ﷺ إلباس الناس . ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم .

ثم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقة سوداء بل مرقعة أو فوطة فهلا جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء فى حديث أم خالد ، وذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال : باب السنة

(١) فى النسخة الثانية ـ الكبل ـ بالباء الموحدة (٢) كذا فى النسختين

فيما شرط الشيخ على المريد فى لبس المرقعة . واحتج بحديث عبادة ، بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، قال المصنف فانظر إلى هذا الفقه الدقيق ، وأين اشتراط الشيخ على المريد من اشتراط رسول الله ﷺ الواجب الطاعة على البيعة الاسلامية اللازمة .

﴿ فصل وأما لبسهم المصبغات . فانها ان كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض ، وان كانت فوطا فهو ثوب شهرة وشهرته أكثر من شهرة الأزرق وان كانت مرقعة فهي أكثر شهرة . وقد أمر الشرع بالثياب البيض ونهى عن لباس الشهرة . فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن ابن على التميمي نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله بن احمد بن حنبل ثنى أبي ثنا على ابن عاصم نا عبدالله بن عثمان بن حثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال قال رسول الله ﷺ البسوا من ثيابكم البيض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم . قال عبدالله ، وحدثنى أبى ثنا يحي بن سعيد عن سفيان ثنى حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ . قال . ألبسوا الثياب البيض فانها أطهر وأطيب . وكفنوا فيها موتاكم . قال الترمذى . هذان حديثان صحيحان ، وفى الباب عن ابن عمر ، قال ، وهذا الذى يستحبه أهل العلم ، وقال احمد بن حنبل واسحاق ، أحب الثياب الينا أن نكفن فيها البياض ، وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال ، باب السنة فى لبسهم المصبغات ، واحتج بأن النبي صلوات الله عليه وسلامه ، لبس حلة حمراء ، وانه دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء .

قال المصنف : قلت ولا ينكر ان رسول الله ﷺ لبس هذا ولا ان لبسه غير جائز ، وقد روى أنه كان يعجبه الحبرة ، وإنما المسنون الذى يأمر به ويداوم عليه وقد كانوا يلبسون الأسود والأحمر ، فأما الفوط والمرقع فانه لبس شهرة .

﴿ فصل ﴾ وأما النهى عن لباس الشهرة وكراهته . فأخبر أبو منصور ابن خيرون أنبأنا أبو بكر الخطيب نا ابن زرقويه ثنا جعفر بن محمد الخلدى ثنا محمد بن عبدالله أبو جعفر الحضرمى ثنا روح بن عبدالمؤمن ثنا وكيع بن محرز الشامى ثنا عثمان بن جهم عن زر بن حبيش عن أبى ذر . عن النبي ﷺ انه قال من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه . أخبرنا عبد الحق

ابن عبد الخالق قال أنبأنا المبارك ابن عبد الجبار نا أبو الفرج الحسين بن على الطناجيرى وأنبأنا هبة الله بن محمد أنبأنا الحسين بن على التميمى قالا أخبرنا أبو حفص بن شاهين ثنا خثيمة بن سليمان بن حيدرة ثنا محمد بن الهيثم ثنا أحمد ابن أبى شعيب الحرانى ثنا مجلد بن يزيد عن أبى نعيم عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة وزيد بن ثابت رضى الله عنهما عن النبى ﷺ . أنه نهى عن الشهرتين فقيل يارسول الله وما الشهرتان قال؟ رقة الثياب وغلظها. ولينها وخشونتها، وطولها وقصرها ولكن سداد بين ذلك واقتصاد . أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن على بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجانى نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا محمد بن اسماعيل البخارى . قال . قال موسى بن حماد بن سلمة عن ليث عن مهاجر عن ابن عمر قال من لبس ثوباً مشهوراً أذله الله يوم القيامة . قال المصنف . وقد روى لنا مرفوعاً قال أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا حجاج ثنا شريك عن عثمان بن أبى راشد عن مهاجر الشامى عن ابن عمر . قال قال رسول الله ﷺ . من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب المذلة يوم القيامة . أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد بن يوسف قالا أخبرنا أبو اسحاق البرمكى نا أبو بكر بن نجيب ثنا أبو جعفر بن ذريح ثنا هناد ثنا أبو معاويه عن ليث عن مهاجر بن أبى الحسن عن ابن عمر رضى الله عنه قال . من لبس ثوب شهرة من الثياب ألبسه الله ثوب ذلة . وعن ليث عن شهر عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال من ركب مشهوراً من الدواب أعرض الله عنه ما دام عليه وإن كان كريماً .

قال المصنف . وقد روينا أن ابن عمر رضى الله عنهما رأى على ولده ثوباً قبيحاً دوناً فقال لا تلبس هذا . فان هذا ثوب شهرة . أخبرنا اسماعيل بن أحمد نا اسماعيل بن مسعدة نا حمزة بن يوسف نا أبو أحمد بن عدى ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الدورى ثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال حدثنا محمد بن مزاحم ثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن بريدة عن أبيه بريدة قال شهدت

مع رسول الله ﷺ فتح خيبر وكنت فيمن صعد الثلمة فقاتلت حتى رأى مكاني وأتيت وعليّ ثوب أحمر . فما علمت انى ركبت فى الاسلام ذنباً أعظم منه للشهرة وقال سفيان الثورى . كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستبذل، وقال معمر . عاتبت أيوب على طول قميصه . فقال . إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف ومن الصوفية من يلبس الصوف ويحتج بأن النبي ﷺ لبس الصوف . وبما روى فى فضيلة لبس الصوف، فأما لبس رسول الله ﷺ الصوف فقد كان يلبسه فى بعض الأوقات لم يكن لبسه شهرة عند العرب . وأما مايروى فى فضل لبسه فمن الموضوعات التى لا يثبت منها شيء . ولا يخلو لابس الصوف من أحد أمرين: اما أن يكون متعوداً لبس الصوف وما يجانسه من غليظ الثياب فلا يكره ذلك له لأنه لايشهر به. واما أن يكون مترفاً لم يتعوده فلا ينبغى له لبسه من وجهين . أحدهما أنه يحمل بذلك على نفسه ما لا تطيق ولا يجوز له ذلك والثانى أنه يجمع بلبسه بين الشهرة وإظهار الزهد . وقد أخبرنا محمد بن منصور الهمدانى نا أبو على أحمد بن سعد بن على العجلى نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة ثنا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسن بن اسماعيل الأبهرى ثنا روزبه ثنا محمد بن اسماعيل بن محمد الطائى ثنا بكر بن سهل الدمياطى ثنا محمد بن عبدالله بن سليمان ثنا داود ثنا عباد بن العوام عن عباد بن كثير عن أنس قال قال رسول الله ﷺ من لبس الصوف ليعرفه الناس كان حقاً على الله عز وجل أن يكسوه ثوباً من جرب حتى تتساقط عروقه. أنبأنا زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابونى وأبو بكر البيهقى قالا أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن يحيى ثنا العباس بن منصور ثنا سهل بن عمار ثنا نوح بن عبد الرحمن الصيرفى ثنا محمد بن عبيد الهمدانى ثنى عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ ان الأرض لتعج إلى ربها من الذين يلبسون الصوف رياء .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى ثنا أحمد بن جعفر ثنا عبدالله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبدالصمد ثنا خالد بن شوذب قال شهدت الحسن وأتاه فرقد فأخذ الحسن بكسائه فمده اليه وقال يافر يقد يا ابن أم فر يقد. ان البر ليس فى هذا الكساء وانما البر ماوقر فى الصدر وصدقه العمل. أنبأنا محمد بن عبدالباقى نا أبو محمد الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد قال حدثنا عمرو بن عاصم ثنا يزيد بن عوانة ثنى أبو شداد المجاشعى. قال: سمعت الحسن ـ وذكر عنده الذين يلبسون الصوف ـ فقال. مالهم تعاقدوا ثلاثاً أكنوا الكبر فى قلوبهم، وأظهروا التواضع فى لباسهم. والله لأحدهم أشد عجباً بكسائه من صاحب المطرف بمطرفه. أنبأنا ابن الحسين أنبأنا أبو على التميمى نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن سعيد بن يحيي البزورى ثنا عبدالله بن أيوب المخرمى قال حدثنا عبدالمجيد يعنى ابن أبى رواد عن ابن طهمان يعنى ابراهيم عن أبى مالك الكوفى عن الحسن أنه جاءه رجل ممن يلبس الصوف وعليه جبة صوف وعمامة صوف ورداء صوف فجلس فوضع بصره فى الأرض فجعل لا يرفع رأسه وكأن الحسن خال فيه العجب. فقال الحسن ها إن قوماً جعلوا كبرهم فى صدورهم شنعوا والله دينهم بهذا الصوف. ثم قال إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من زى المنافقين. قالوا يا أبا سعيد وما زى المنافقين قال خشوع اللباس بغير خشوع القلب. قال ابن عقيل هذا كلام رجل قد عرف الناس ولم يعره اللباس. ولقد رأيت الواحد من هؤلاء يلبس الجبة الصوف. فاذا قال له القائل. يا أبا فلان. ظهر منه ومن أوباشه الإنكار فعلم أن الصوف قد عمل عند هؤلاء مالا يعمله الديباج عند الأوباش. أخبرنا محمد بن عبدالباقى بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن اسحاق ثنا اسماعيل بن أبى الحارث ثنا هارون بن معروف عن ضمرة قال سمعت رجلا يقول قدم حماد بن أبى سليمان البصرة فجاءه فرقد السنجى وعليه ثوب صوف فقال له حماد. ضع عنك نصرانيتك هذه. فلقد رأيتنا ننتظر ابراهيم يعنى النخعى فيخرج علينا وعليه معصفرة. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم

الحافظ ثنا عبدالله بن محمد ثنا ابراهيم بن شريك الأسدى ثنا شهاب بن عباد ثنا حماد عن خالد الحذاء ان أبا قلابة قال . إياكم وأصحاب الأكسية . أخبرنا محمد ابن ناصر وعمر بن طفر قالا نا محمد بن الحسن الباقلاوى نا القاضى أبو العلاء الواسطى ثنا أبو نصر احمد بن محمد السازكى نا أبو الخير احمد بن محمد البزار ثنا محمد بن اسماعيل البخارى ثنا على بن حجر ثنا صالح بن عمر الواسطى عن أبى خالد قال . جاء عبد الكريم أبو أمية إلى أبى العالية وعليه ثياب صوف . فقال له أبو العالية . إنما هذه ثياب الرهبان ان كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن احمد نا احمد بن عبدالله الأصبهانى ثنا أبو محمد بن حبان ثنا احمد بن الحسين الحذاء ثنا احمد بن ابراهيم الدورقى ثنا العيص بن اسحاق : قال سمعت الفضيل يقول : تزينت لهم بالصوف فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزينت لهم بشيء بعد شيء كل ذلك إنما هو لحب الدنيا . أنبأنا بن الحصين . قال نا أبو على بن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال ثنا اسماعيل بن على قال ثنا الحسن بن على بن شبيب قال ثنا احمد بن أبى الحوارى . قال قال أبو سليمان : يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ونصف . وشهوته فى قلبه بخمسة دراهم . أما يستحى أن يجاوز شهوته لباسه . ولو ستر زهده بثوبين أبيضين من أبصار الناس كان أسلم له قال احمد بن أبى الحوارى قال لى سليمان ابن أبى سليمان ـ وكان يعدل بأبيه . أى شيء أرادوا بلباس الصوف . قلت . التواضع . قال : لا يتكبر أحدهم الا اذا لبس الصوف . أخبرنا المبارك بن احمد الانصارى نا عبدالله بن احمد السمرقندى ثنا أبو بكر الخطيب نا الحسن بن الحسين العالى (١) نا أبو سعيد احمد بن محمد بن رميح ثنا روح بن عبد المجيب ثنا احمد بن عمر بن يونس قال أبصر الثورى رجلا صوفياً فقال له الثورى هذا بدعة . أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد المنعم بن عمر ثنا احمد بن محمد بن زياد . قال سمعت أبا داود يقول . قال سفيان الثورى لرجل عليه صوف لباسك هذا بدعة .

(١) كذا بالمهملة .

أنبأنا زاهر بن طاهر . أنبأنا أبو بكر احمد بن الحسين البيهقى نا أبو عبدالله محمد ابن عبدالله الحاكم قال أخبرنى محمد بن عمر ثنا محمد بن المنذر قال سمعت احمد بن شداد يقول سمعت الحسن بن الربيع يقول سمعت عبدالله بن المبارك يقول لرجل رأى عليه صوفاً مشهوراً ـ أكره هذا أكره هذا . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه نى عبدالواحد بن بكر ثنا على بن أبى عثمان بن زهير ثنا عثمان بن احمد ثنا الحسن بن عمرو . قال سمعت بشر بن الحارس يقول: دخل على الموصلى على المعافى ـ وعليه جبة صوف ـ فقال له : ماهذه الشهرة يا أبا الحسن . فقال يا أبا مسعود أخرج أنا وأنت . فانظر أينا أشهر . فقال له المعافى : ليس شهرة البدن كشهرة اللباس . أخبرنا اسماعيل بن أبى بكر المقرى نا طاهر بن احمد نا على بن محمد بن بشران نا عثمان ابن احمد الدقاق ثنا الحسن بن عمرو قال سمعت بشر بن الحارث يقول: دخل بديل على أيوب السختيانى وقد مد على فراشه سبنية «١» حمراء تدفع التراب فقال بدليل : ماهذا . فقال أيوب : هذا خير من الصوف الذى عليك. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق قال أخبرنا ابو عبدالله بن باكويه ثنا علان بن احمد ثنا حبيب بن الحسن ثنا الفضل بن احمد ثنا محمد بن يسار . قال سمعت بشر بن الحارث ـ وسئل عن لبس الصوف . فشق عليه وتبين الكراهة فى وجهه ثم قال : لبس الخز والمعصفر أحب إلىّ من لبس الصوف فى الأمصار . أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار قال أخبرنا أبى نا الحسين بن على الطناجيرى نا احمد بن منصور البرسرى ثنا محمد بن مخلد ثنا احمد بن منصور ثنى يزيد السقا رفيق محمد بن ادريس الانبارى . قال . رأيت فتى عليه مسوح قال فقلت له من لبس هذا من العلماء . من فعل هذا من العلماء ، قال قد رآنى بشر بن الحارث فلم ينكر علىّ . قال يزيد فذهبت إلى بشر . فقلت له يا أبا نصر رأيت فلاناً عليه جبة مسوح فأنكرت عليه فقال: قد رآنى ابو نصر فلم ينكر علىّ . قال: فقال لى بشر ـ لم تستشرنى يا أبا خالد . لو قلت له . لقال لى. لبس فلان ، ولبس فلان . أخبرنا احمد بن منصور الهمدانى نا ابو على احمد بن

«١» فى النسخة الثانية شبينة حمراء تدفع الرياء والسبنية ازر للنساء .

سعد بن علي العجلي نا أبو ثابت هجير بن منصور بن علي الصوفى إجازة نا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن اسماعيل الصوفى ثنا ابن روزبه ثنا عبد الله ابن أحمد بن نصر القنطرى ثنا ابراهيم بن محمد الإمام ثنا هشام بن خالد، قال سمعت أباسليمان الدارانى يقول لرجل لبس الصوف. إنك قد أظهرت آلة الزاهدين، فماذا أورثك هذا الصوف، فسكت الرجل، فقال له: يكون ظاهرك قطنياً وباطنك صوفياً. أخبرنا يحي بن على المدبر نا أبو بكر محمد ابن علي الخياط نا الحسن بن الحسين بن حمكان سمعت أبامحمد الحسن بن عثمان ابن عبدربه البزار يقول: سمعت أبا بكر بن الزيات البغدادي يقول سمعت ابن سيرويه يقول: دخل أبو محمد بن أخي معروف الكرخي على ابى الحسن ابن بشار وعليه جبة صوف فقال له أبو الحسن: يا أبامحمد صوفت قلبك أو جسمك، صوف قلبك والبس القوهى على القوهى(١). أخبرنا عبدالوهاب ابن المبارك الحافظ ناجعفر بن أحمد بن السواح ناعبدالعزيز بن حسن الضراب قال: حدثنا أبي ثنا أحمد بن مروان ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ثنا أحمد بن سعيد قال: سمعت النضر بن شميل يقول: قلت لبعض الصوفية، تبيع جبتك الصوف، فقال: إذا باع الصياد شبكته بأى شيء يصطاد.

قال أبو جعفر بن جرير الطبرى: ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان، مع وجود السبيل إليه من حله، ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر، ومن ترك أكل اللحم خوفا من عارض شهوة النساء

﴿فصل﴾ قال المصنف: وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون. ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً، وقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أنه رأى حلة سيراء تباع عند باب المسجد، فقال لرسول الله ﷺ لو اشتريتها ليوم الجمعه وللوفود إذا قدموا عليك، فقال رسول الله ﷺ إنما يلبس هذه من لا خلاق له فى الآخرة فما أنكر عليه ذكر التجمل بها، وإنما أنكر عليه لكونها حريراً.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكرنا عن أبي العالية أنه قال: كان المسلمون

(١) القوهى الثياب البيض.

إذا تزاوروا تجملوا . أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقى أنبأنا الحسن بن على الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا اسماعيل بن إبراهيم الأسدى عن ابن عون عن محمد قال : كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباساً مرتفعاً ، وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف ، ولكنه كان يصلى بها . قال ابن سعد وأخبرنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا أيوب عن محمد ابن سيرين أن تميما الدارى اشترى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته . قال وحدثنا عفان قال حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت ، أن تميما الدارى كانت له حلة قد ابتاعها بألف كان يلبسها الليلة التى ترجى فيها ليلة القدر . وأخبرنا الفضل بن دكين ثنا همام عن قتادة أن ابن سيرين أخبره أن تميما الدارى اشترى رداء بالف فكان يصلى بأصحابه فيه .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوباً وأطيبهم ريحاً ، وكان الحسن البصرى يلبس الثياب الجياد ، قال كلثوم بن جوشن خرج الحسن وعليه جبة يمنية ورداء يمنى فنظر إليه فرقد ، فقال : يا أستاذ لا ينبغى لمثلك أن يكون هكذا ، فقال الحسن : يا ابن أم فرقد أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية وكان مالك بن أنس يلبس الثياب العدنية الجياد وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار وقد كانوا يؤثرون البذاذة إلى حد وربما لبسوا خلقان الثياب فى بيوتهم فإذا خرجوا تجملوا ولبسوا مالا يشتهرون به من الدون ولا من الأعلى . أخبرنا أحمد بن منصور الهمدانى نا أبو على أحمد بن سعد على العجلى ثنا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة نا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسين الصوفى ثنا ابن روزبه ثنا أبو سليمان محمد بن الحسين بن على بن ابراهيم الحرانى ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة ثنا محمد بن خلف ثنا عيسى بن حازم ، قال : كان لباس إبراهيم بن أدهم كتانا قطناً فروة لم أر عليه ثياب صوف ولا ثياب شهرة . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال : سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت محمد بن ريان يقول : رأى على ذو النون خفاً أحمر فقال انزع هذا يا بنى فانه شهرة ما لبسه رسول الله ﷺ إنما لبس النبى ﷺ خفين أسودين ساذجين . أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد ابن على بن ميمون نا عبد الكريم بن

محمد المحاملى نا على بن عمر الدار قطنى نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم نا أبو سعيد عبد الله بن شبيب المدنى ثنى الزبير عن أبى عرنة الأنصارى عن فليح بن سليمان عن الربيع بن يونس قال قال أبو جعفر المنصور : العرى الفادح خير من الزى الفاضح .

﴿فصل﴾ قال المصنف : واعلم أن اللباس الذى يزرى بصاحبه يتضمن إظهار الزهد، وإظهار الفقر وكأنه لسان شكوى من الله عز وجل ويوجب احتقار اللابس وكل ذلك مكروه ومنهى عنه . أخبرنا محمد بن ناصر نا على بن الحصين ابن أيوب نا أبو على بن شاذان ثنا أبو بكر بن سليمان النجاد ثنا أبو بكر ابن عبد الله ابن محمد القرشى ثنا عبد الله بن عمر القواريرى ثنا هشام بن عبد الملك ثنا شعبة عن ابن اسحاق عن الأحوص عن أبيه، قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشف الهيئة ، فقال : هل لك مال ، قلت : نعم قال من أى المال ، قلت : من كل المال قد آتانى الله عز وجل من الإبل والخيل والرقيق والغنم ، قال : فإذا آتاك الله عز وجل مالا فلير عليك . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا مسكين بن بكير ثنى الأوزاعى عن حسان بن عطية عن محمد بن المنكدر عن جابر، قال : أتانا رسول الله ﷺ زائراً فى منزلى فرأى رجلا شعثاً ، فقال : أما كان يجد هذا مايسكن به رأسه ، ورأى رجلا عليه ثياب وسخة ، فقال : أما كان يجد هذا مايغسل به ثيابه .أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ومحمد بن ناصر قالا نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى وأبو القاسم على بن المحسن التنوخى قالا نا أبو عمر محمد بن العباس بن حياة ثنا أبو بكر بن الأنبارى ثنى أبى ثنا أبو عكرمة الضبى ثنا مسعود بن بشر عن أبى عبيدة معمر بن المثنى ، قال : مضى على بن أبى طالب إلى الربيع بن زياد يعوده . فقال له : يا أمير المؤمنين أشكو إليك عاصما أخى ، قال : ماشأنه ، قال : ترك الملاذ ولبس العباءة فغم أهله ، وأحزن ولده ، فقال : على عاصما ، فلما حضر بش فى وجهه

(١) كذا فى النسختين ولعله الملاءة وكان لبسها من عاداتهم .

وقال : أترى الله أحل لك الدنيا وهو يكره أخذك منها ، انت والله أهون على الله من ذلك . فوالله لابتذالك نعم الله بالفعال ! أحب إليه من ابتذالك بالمقال ، فقال : يا أمير المؤمنين إنى أراك تؤثر لبس الخشن وأكل الشعير فتنفس الصعداء . ثم قال ويحك يا عاصم ، ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يتبيغ بالفقير فقره . قال أبو بكر الأنبارى : المعنى لئلا يزيد ويغلو ، يقال — تبيغ به الدم — إذا زاد وجاوز الحد .

﴿فصل﴾ قال المصنف : فان قال قائل تجويد اللبـاس هوى للنفس . وقد أمرنا بمعاهدتها . وتزين للخلق وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق . فالجواب : انه ليس كل ما تهواه النفس يذم ولا كل التزين للنـاس يكره . وإنما ينهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه . أو كان على وجه الرياء فى باب الدين فان الإنسان يحب أن يرى جميلا وذلك حظ النفس ولا يلام فيه ولهذا يسرح شعره ، وينظر فى المرآة ، ويسوى عمامته ، ويلبس بطانة الثوب الخشن إلى داخل . وظهارته الحسنة إلى خارج . وليس فى شىء من هـذا ما يكره ولا يذم . أخبرنا المبارك بن على الصيرفى نا على بن محمد بن العلاف نا عبد الملك بن محمد بن بشران نا أحمد بن ابراهيم الكندى نا محمد بن جعفر الخرائطى ثنا بنان بن سليمان ثنا عبد الرحمن بن هانىء عن العـلاء بن كثير عن مكحول عن عائشة قالت : كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم ، وفى الدار ركوة فيها ماء . فجعل ينظر فى الماء ويسوى شعره ولحيته ، فقلت يارسول الله وأنت تفعل هـذا ! قال نعم . إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهىء من نفسه فان الله جميل يحب الجمال . أخبرنا محمد ابن ناصر أنبأنا عبد المحسن بن محمد بن على ثنا مسعود بن ناصر بن أبى زيد نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد نا أبو القاسم عبد الله بن احمد الفقيه نا الحسن بن سفيان ثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العرزمى عن أبيه عن أم كلثوم عن عائشة قالت : خرج رسول الله ﷺ فمر بركوة لنا فيها ماء فنظر إلى ظله فيها . ثم سوى لحيته ورأسه ثم مضى فلما رجع قلت يارسول الله تفعل هـذا ؟ قال : وأى شىء فعلت ؟ نظرت فى ظل المـاء فهيأت من

لحيتى ورأسى . إنه لا بأس أن يفعله الرجل المسلم إذا خرج إلى إخوانه أن يهيء من نفسه .

قال المصنف رحمه الله : فان قيل ، فما وجه ما رويتم عن سرى السقطى أنه قال : لو أحسست بإنسان يدخل على فقلت كذا بلحيتى — وأمر يده على لحيته كأنه يريد ان يسويها من أجل دخول الداخل عليه — لخشيت أن يعذبنى الله على ذلك بالنار . فالجواب : ان هذا محمول منه على انه كان يقصد بذلك الرياء فى باب الدين من إظهار التخشع وغيره . فأما إذا قصد تحسين صورته لئلا يرى منه ما لا يستحسن فان ذلك غير مذموم . فمن اعتقده مذموماً فما عرف الرياء ولا فهم المذموم . أخبرنا سعد الخير بن محمد الأنصارى نا على بن عبد الله بن محمد النيسابورى نا أبو الحسين عبد الغافر ابن محمد الفارسى نا محمد بن عيسى بن عمرويه ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنى يحي بن حماد قال . أخبرنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل الفقيمى عن ابراهيم النخعى عن علقمة عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال : لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال رجل : إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس . انفرد به مسلم ومعناه الكبر كبر من بطر الحق . وغمط بمعنى ازدرى واحتقر .

﴿ فصل ﴾ وقال المصنف رحمه الله : وقد كان فى الصوفية من يلبس الثياب المرتفعة . أخبرنا محمد بن ناصر نا ابو طاهر محمد بن احمد بن أبى الصقر نا على بن الحسن بن جحاف ، قال ابو عبد الله احمد بن عطاء ، كان أبو العباس بن عطاء يلبس المرتفع من البز كالديبق ، ويسبح بسبح اللؤلؤ ويؤثر ما طال من الثياب .

قال المصنف رحمه الله : قلت وهذا فى الشهرة كالمرقعات وإنما ينبغى أن تكون ثياب أهل الخير وسطاً ، فانظر إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء بين طرفى نقيض .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد كان فى الصوفية من إذا لبس ثوباً

خرق بعضه . وربما أفسد الثوب الرفيع القدر . أخبرنا ابو منصور عبدالرحمن بن محمد القزاز نا ابو بكر احمدبن على بن ثابت نا الحسن بن غالب المقرى قال : سمعت عيسى بن على الوزير يقول ، كان ابن مجاهد يوماً عند أبي ، فقيل له الشبلى ، فقال ، يدخل ، فقال ابن مجاهد ، سأسكته الساعة بين يديك ، وكان من عادة الشبلى إذا لبس شيئاً خرق فيه موضعاً ، فلما جلس ، قال له ابن مجاهد ، يا أبا بكر أين فى العلم فساد ماينتفع به فقال له الشبلى اين فى العلم « فطفق مسحاً بالسوق والأعناق » قال فسكت ابن مجاهد فقال له أبي أردت أن تسكته فأسكتك ، ثم قال له قد أجمع الناس إنك مقرىء الوقت فأين فى القرآن إن الحبيب لايعذب حبيبه ، قال فسكت ابن مجاهد ، فقال له أبي : قل يا أبابكر فقال قوله تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم » فقال ابن مجاهد ، كأنني ماسمعتها قط .

قال المصنف رحمه الله قلت ، هذه الحكاية أنا مرتاب بصحتها لأن الحسن ابن غالب كان لايوثق به . أخبرنا القزاز نا أبوبكر الخطيب ، قال : ادعى الحسن ابن غالب أشياء تبين لنا فيها كذبه واختلاقه ، فان كانت صحيحة فقد أبانت عن قلة فهم الشبلى حين احتج بهذه الآية . وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه وذلك أن قوله « فطفق مسحاً بالسوق والأعناق » لأنه لايجوز أن ينسب إلى نبى معصوم أنه فعل الفساد . والمفسرون قد اختلفوا فى معنى الآية ، فنهم من قال مسح على أعناقها وسوقها ، وقال : أنت فى سبيل الله ، فهذا إصلاح ، ومنهم من قال : عقرها ، وذبح الخيل وأكل لحمها جائز فما فعل شيئاً فيه جناح ، فأما إفساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فانه لايجوز ومن الجائز أن يكون فى شريعة سليمان جواز مافعل ولا يكون فى شرعنا .

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ أنبأنا محمد بن أحمد بن أبي الصقر ثنا على بن الحسن بن جحاف الدمشقى ، قال أبوعبدالله أحمد بن عطاء كان مذهب أبي على الروزبارى تخريق أكمامه وتفتيق قميصه ، قال فكان يخرق الثوب المثمن فيرتدى بنصفه ويأتزر بنصفه حتى أنه دخل الحمام يوماً وعليه ثوب ولم يكن مع أصحابه مايتأزرون به ، فقطعه على عددهم فاتزروا به وتقدم إليهم أن يدفعوا الخرق إذا خرجوا للحمامى ، قال ابن عطاء : قال لى أبو سعيد الكازرونى : كنت معه فى هذا اليوم وكان الرداء الذى قطعه يقوم بنحو ثلاثين ديناراً .

قال المصنف رحمه الله : ونظير هذا التفريط ما أنبانا به زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو بكر البيهقى نا أبو عبدالله الحاكم قال سمعت عبدالله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن البوشنجي . يقول : كانت لى قبجة [1] طلبت بمائة درهم فحضرنى ليلة غريبان فقلت للوالدة : عندك شيء لضيفى . قالت . لا إلا الخبز . فذبحت القبجة وقدمتها إليهما .

قال المصنف رحمه الله: قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعها ويعطى فلقد فرط. أخبرنا محمد بن عبدالباقى بن احمد قال أنبأنا رزق الله بن عبدالوهاب قال أنبأنا أبو عبدالرحمن السلمى. قال : سمعت جدى يقول :دخل أبو الحسين الدراج البغدادى الرى . وكان يحتاج الى لفاف لرجله فدفع اليه رجل منديلا ديبقيا فشقه نصفين وتلفف به.فقيل له:لو بعته واشتريت منه لفافاً وأنفقت الباقى ، فقال رحمه الله : أنا لا أخون المذهب .

قال المصنف : وقد كان احمد الغزالى ببغداد نخرج إلى المحول فوقف على ناعورة تأنّ فرمى طيلسانه عليها فدارت فتقطع الطيلسان . قال المصنف رحمه الله قلت ، فانظر إلى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم فإنه قد صح عن رسول الله ﷺ : أنه نهى عن إضاعة المال ولو أن رجلا قطع ديناراً صحيحاً وأنفقه كان عند الفقهاء مفرطاً فكيف بهذا التبذير المحرم . ونظير هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عند الوجد على ماسيأتى ذكره إن شاء الله ثم يدعون أن هذه حالة ولاخير فى حالة تنافى الشرع . أفتراهم عبيد نفوسهم أم أمروا أن يعملوا بآرائهم ، فان كانوا عرفوا أنهم يخالفون الشرع بفعلهم هـذا ثم فعلوه أنه لعناد . وإن كانوا لايعرفو فلعمرى إنه لجهل شديد . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم احمد بن عبدربه الحافظ .قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبدالله الرازى يقول : لما تغير الحال على أبى عثمان وقت وفاته .مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه . ففتح أبو عثمان عينه. وقال يابنى خلاف السنة فى الظاهر ورياء باطن فى القلب .

---

(١) القبجة واحد القبج للذكر والأنثى ، وهو الحجل طائر معروف .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وفى الصوفية من يبالغ فى تقصير ثوبه وذلك شهرة أيضاً . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب ثنا احمد بن جعفر ثنا عبدالله ابن احمد ثنى أبى ثنا محمد بن أبى عدى عن العلاء عن أبيه. أنه سمع أبا سعيد: سئل عن الازار فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ازار المسلم إلى انصاف الساقين. لاجناح أو لا حرج عليه ما بينه وبين الكعبين. ما كان أسفل من ذلك فهو النار. أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله ثنا أبو حامد ابن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا إبراهيم بن بن سعيد الجوهرى . قال: كتب إلىّ عبد الرزاق عن معمر قال كان فى قميص أيوب بعض التذييل . فقيل له . فقال الشهرة اليوم فى التشمير . وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانىء قال دخلت يوماً على أبى عبدالله احمد بن حنبل وعلىّ قميص أسفل من الركبة وفوق الساق . فقال . أى شىء هذا وأنكره . وقال . هذا بالمرة لا ينبغى .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف. وقد كان فى الصوفية من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة وهذا أيضاً شهرة لأنه على خلاف لباس أهل البلد وكل ما فيه شهرة فهو مكروه . أخبرنا يحى بن ثابت بن بندار نا أبى الحسين بن على الطناجيرى نا احمد بن منصور البوسرى ثنا محمد بن مخلد ثنى محمد بن يوسف قال قال عباس بن عبدالعظيم العنبرى . قال بشر بن الحارث، إن ابن المبارك دخل المسجد يوم جمعة وعليه قلنسوة ، فنظر الناس ليس عليهم قلانس فأخذها فوضعها فى كمه .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد كان فى الصوفية من استكثر من الثياب وسوسة فيجعل للخلاء ثوباً وللصلاة ثوباً . وقد روى هذا عن جماعة منهم أبو يزيد وهذا لا بأس به إلا أنه ينبغى خشية أو يتخذ سنة . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله ثنا أبو حامد احمد بن محمد بن عبد الوهاب ثنا محمد بن إسحاق النيسابورى ثنا محمد بن الصباح ثنا حاتم يعنى ابن اسماعيل ثنى جعفر عن أبيه . أن على بن الحسين قال . يابنى لو اتخذت ثوباً للغائط ، رأيت الذباب يقع على الشىء ثم يقع على الثوب ، ثم أتيته ،

فقال : ماكان لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه الا ثوب فرفض .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف ، وقد كان فيهم من لا يكون له سوى ثوب واحدزهداًفى الدنيا،وهذا أحسن إلا أنه إذا أمكن اتخاذ ثوب للجمعةوالعيد كان أصلح واحسن.أخبرنا عبدالأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله بن احمد بن حباة نا إبراهيم بن حريم بن حميد ثنى ابن أبى شيبة ثنا محمد بن عمر عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن يحي بن حبان عن يوسف بن عبدالله بن سلام عن أبيه قال خطبنارسول الله ﷺفى يوم جمعة فقال ماعلى أحدكم لواشترى ثوبين ليوم جمعةسوى ثوب مهنته . أخبرنا محمد بن عبدالباقى نا محمدالجوهرى نا أبوعمر بن حياة نا احمدبنمعروف الحساب نا الحارث بن أبى أسامة ثنا محمد بنسعد نا محمد بن عبدالرحمن بن أبى الزناد عن عبد المجيد بن سهيل عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال محمد بن عمر وحدثنى غير محمد بن عبد الرحمن أيضاً ببعض ذلك قالواكان لرسول الله ﷺ برد يمنية وازار من نسج عمـان فكان يلبسهما فى يوم الجمعة ويوم العيد ثم يطويان .

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى مطاعمهم ومشاربهم (١) ﴾

قال المصنف رحمه الله : قد بالغ إبليس فى تلبيسه على قدماء الصوفية فأمرهم بتقليل المطعم وخشونتهومنعهم شرب الماء البارد.فلما بلغ إلىالمتأخرين استراح منالتعب واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم ورفاهية عيشهم .

﴿ ذكر طرف مما فعله قدماؤهم ﴾

قال المصنف رحمه الله : كان فى القوم من يبقى الأيام لا يأكل إلا أن تضعف قوته . وفيهم من يتناول كل يوم الشيء اليسير الذى لايقيم البدن فروى لنا عنسهل بنعبدالله أنه كان فى بدايته يشترى بدرهم دبساً وبدرهمين سمناً وبدرهم دقيق الأرز فيخلطه ويجعله ثلاثمائة وستين كرة فيفطر كل ليلة على واحدة . وحكى عنه أبو حامد الطوسى قال كان سهل يقتات ورق النبق مدة وأكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين واقتات بثلاث دراهم فى ثلاث سنين. أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبوسعد بن أبى صادق نا ابن باكويه

(١) فى الاصل وملابسهم وهو تحريف من الناسخ .

ثنى أبو الفرج بن حمزة التكريتى ثنى أبو عبدالله الحصرى قال سمعت أبا جعفر الحداد يقول . أشرف علىّ أبو تراب يوماً وأنا على بركة ماء ولى سته عشر يوما لم آكل شيئاً ولم أشرب فيها ماء فقال ماجلوسك ههنا فقلت أنا بين العلم واليقين وأنا انظر من يغلب فأكون معه فقال سيكون لك شأن . أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا ابن أبى صادق ثنا ابن باكويه نا عبد العزيز بن الفضل ثنا على بن عبد الله العمرى ثنا محمد بن فليح ثنى إبراهيم بن البنا البغدادى قال صحبت ذا النون من اخميم إلى الاسكندرية فلما كان وقت إفطاره أخرجت قرصاً وملحا كان معى وقلت هلم فقال لى ملحك مدقوق . قلت نعم . قال لست تفلح فنظرت إلى مزوده فإذا فيه قليل سويق شعير يستف منه . أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا عبدالعزيز ابن على الازجى نا ابن جهضم ثنا محمد بن عيسى ابن هارون الدقاق ثنا احمد بن أنس ثنا ابن أبى الحوارى . سمعت أبا سليمان يقول الزبد بالعسل اسراف . قال ابن جهضم وحدثنا محمد بن يوسف البصرى قال سمعت أبا سعيد صاحب سهل يقول : بلغ أبا عبد الله الزبيرى وزكريا الساجى وابن ابى أوفى . ان سهل بن عبدالله يقول . انا حجة الله على الخلق . فاجتمعوا عنده فاقبل عليه الزبيرى فقال له . بلغنا أنك قلت ـ أنا حجة الله على الخلق ـ فبماذا ، أنبىٌّ انت ؟ أصدّيق انت . قال سهل ، لم أذهب حيث تظن ولكن إنما قلت هذا لأخذى الحلال . فتعالوا كلكم حتى نصحح الحلال . قالو . فأنت ،قد صححته . قال نعم ، قال وكيف ، قال سهل قسمت عقلى ومعرفتى وقوتى على سبعة أجزاء . فاتركه حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد فاذا خفت أن يذهب ذلك الجزء ويتلف معه نفسى خفت أن أكون قد اعنت عليها وقتلتها دفعت إليها من البلغة ما يرد الستة الأجزاء .

أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال أخبرنى أبو عبدالله ابن مفلح قال خبرنى أبى أخبرنى أبو عبدالله بن زيد [1] قال لى : منذ أربعين سنه ما أطعمت نفسى طعاما إلا فى وقت ما أحل الله لها الميتة . أخبرنا ابن ناصر نا أبو الفضل محمد بن على بن احمد السهلكى ثنى أبو الحسن على بن محمد القوهى

(١) فى النسخة الثانية ، ابن وتد .

ثنا عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن عيسى ثنا موسى بن عيسى ثنا عيسى بن آدم ابن أخي أبي يزيد ، قال . جاء رجل إلى أبي يزيد قال أريد أن أجلس فى مسجدك الذى أنت فيه ، قال لا تطيق ذلك . فقال ، ان رأيت ان توسع لى فى ذلك. فأذن له فجلس يوماً لا يطعم فصبر فلما كان فى اليوم الثانى . قال له يا أستاذ : لابد مما لا بد منه . فقال : يا غلام لا بد من الله . قال ، يا أستاذ نريد القوت. قال، يا غلام القوت عندنا إطاعة الله . فقال، يا أستاذ أريد شيئاً يقيم جسدى فى طاعته عز وجل . فقال، يا غلام ان الأجسام لاتقوم إلا بالله عز وجل.

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ . قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبدالله بن شاذان يقول سمعت أبا عثمان الآدمى يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول . حدثنى أخ لى كان يصحب أبا تراب نظر إلى صوفى مد يده إلى قشر البطيخ وكان قد طوى ثلاثة أيام . فقال له تمد يدك إلى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف . إلزم السوق . أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا القاسم القيروانى يقول سمعت بعض أصحابنا يقول . أقام أبو الحسن النصيبى بالحرم أياماً مع أصحاب لهم سبعة لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه فأكله . فرآه انسان فاتبعه بشىء وجاء برفق فوضعه بين يدى القوم فقال الشيخ ، من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن مع جنايتك ومع هذا الرفق وخرج من الحرم ومعه أصحابه وتبعه الرجل . فقال . ألم أقل لك كن مع جنايتك ، فقال الرجل ، أنا تائب إلى الله تعالى مما جرى منى، فقال الشيخ : لا كلام بعد التوبة .

أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا أبو القاسم الأزجى نا أبو الحسن بن جهضم ثنا ابراهيم بن محمد الشنوزى قال سمعت بنان بن محمد يقول كنت بمكة مجاوراً فرأيت بها ابراهيم الخواص وأتى علىّ أيام لم يفتح علىّ بشىء وكان بمكة مزين يحب الفقراء وكان من أخلاقه إذا جاءه الفقير يحتجم اشترى له لحماً فطبخه فأطعمه فقصدته وقلت أريد أن أحتجم فأرسل من يشترى لحماً

وأمر باصلاحه وجلست بين يديه فجعلت نفسى تقول : ترى يكون فراغ القدر مع فراغ الحجامة . ثم استيقظت وقلت . يا نفس إنما جئت تحتجمين لتطعمى عاهدت الله تعالى ألا ذقت من طعامه شيئاً . فلما فرغ انصرفت فقال سبحان الله أنت تعرف الشرط . فقلت . ثم عقد : فسكت . وجئت إلى المسجد الحرام ولم يقدر لى شيء آكله : فلما كان من الغد بقيت إلى آخر النهار ولم يتفق أيضاً فلما قمت لصلاة العصر سقطت وغشى عليّ واجتمع حولى ناس وحسبوا أنى مجنون فقام ابراهيم وفرق الناس وجلس عندى يحدثنى . ثم قال تأكل شيئاً . قلت قرب الليل . فقال : أحسنتم يا مبتدئون اثبتوا على هذا تفلحوا ثم قام فلما صلينا العشاء الآخرة إذا هو قد جاءنى ومعه قصعة فيها عدس ورغيفان ودورق ماء فوضعه بين يدى وقال : كل ذلك فأكلت الرغيفين والعدس فقال فيك فضل تأكل شيئاً آخر قلت نعم فمضى وجاء بقصعة عدس ورغيفين فأكلتهما وقلت قد اكتفيت فاضطجعت فما قمت ليلتى ونمت إلى الصباح ما صليت ولا طفت

أنبأنا أبو المظفر عبدالمنعم بن عبد الكريم ثنا أبى قال سمعت محمد بن عبدالله الصوفى يقول سمعت منصور بن عبدالله الأصفهانى يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول : اذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب . أنبأنا عبد المنعم ثنا أبى قال سمعت ابن باكويه يقول سمعت أبا احمد الصغير يقول : أمرنى أبو عبدالله بن خفيف أن أقدم اليه كل ليلة عشر حبات زبيب لافطاره فأشفقت عليه ليلة فحملت اليه خمسة عشر حبة فنظر إلى وقال من أمرك بهذا وأكل عشر حبات وترك الباقى .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا على بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبدالله بن خفيف يقول : كنت فى ابتدائى بقيت أربعين شهراً أفطر كل ليلة بكف باقلاء فمضيت يوماً فافتصدت فخرج من عرقى شبه ماء اللحم وغشى على . فتحير الفصاد وقال . ما رأيت جسداً لا دم فيه إلا هذا .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد كان فيهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قال

بعضهم أكل درهم من اللحم يقسي القلب أربعين صباحا . وكان فيهم من يمتنع من الطيبات كلها ويحتج بما أخبرنا به على بن عبدالواحد الدينورى نا أبو الحسن القزوينى نا أبو حفص بن الزيات ثنا ابن ماجه ثنا أزهر بن جميل ثنا بزيغ عن هشام عن أبيه عن عائشة . قالت قال رسول الله ﷺ : أحرموا أنفسكم طيب الطعام فانما قوى الشيطان أن يجرى فى العروق بها . وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافى . وفيهم من يمتنع من شرب الماء البارد فيشرب الحار . ومنهم من كان يحمل ماءه فى دن مدفون فى الارض فيصير حاراً . ومنهم من يعاقب نفسه بترك الماء مدة . وأخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو الفضل محمد ابن على السهلكى قال : سمعت عبدالواحد بن بكر الوريانى ثنى محمد بن سعدان ثنى عيسى بن موسى البسطامى قال سمعت أبى يقول قال سمعت عمى خادم أبى يزيد يقول : ما أكلت شيئاً مما يأكله بنو آدم أربعين سنة . قال : وأسهل ما لاقت نفسى منى أنى سألتها أمراً من الأمور فأبت فعزمت أن لا أشرب الماء سنة فما شربت الماء سنة . وحكى أبو حامد الغزالى عن أبى يزيد انه قال : دعوت نفسى إلى الله عز وجل فجمحت فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لى بذلك .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد رتب أبو طالب المكى للقوم ترتيبات فى المطاعم فقال : استحب للمريد ألا يزيد على رغيفين فى يوم وليلة قال : ومن الناس من كان يعمل فى الأقوات فيقللها : وكان بعضهم يزن قوته بكربة من كرب النخل وهى تجف كل يوم قليلا فينقص من قوته بمقدار ذلك ، قال ، ومنهم من كان يعمل فى الأوقات فيأكل كل يوم ثم يتدرج إلى يومين وثلاثة ، قال ، والجوع ينقص دم الفؤاد فيبيضه وفى بياضه نوره ، ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رقته ، وفى رقته مفتاح المكاشفة .

قال المصنف رحمه الله تعالى ، وقد صنف لهم أبو عبدالله محمد بن على الترمذى كتاباً سماه رياضة النفوس قال فيه ، فينبغى للمبتدى فى هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم اليسير

ويأكل كسرة كسرة ، ويقطع الأدام والفواكه واللذة، ومجالسة الإخوان ، والنظر فى الكتب، وهذه كلها أفراح للنفس فيمنع النفس لذتها حتى تملىء غما.

قال المصنف ، وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الأربعينية . يبقى أحدهم أربعين يوماً لا يأكل الخبز ولكنه يشرب الزيوتات ويأكل الفواكه الكثيرة اللذيذة ، فهذه نبذة من ذكر أفعالهم فى مطاعمهم يدل مذكورها على مغفلها .

﴿ فصل ﴾ فى بيان تلبيس إبليس عليهم فى هذه الأفعال وإيضاح الخطأ فيها.

قال المصنف رحمه الله ، أما ما نقل عن سهل ففعل لا يجوز لأنه حمل على النفس مالا تطيق ثم ان الله عز وجل أكرم الآدميين بالحنطة وجعل قشورها لبهائمهم فلا تصلح مزاحمة البهائم فى أكل التبن وأى غداء فى التبن ومثل هذه الأشياء أشهر من أن تحتاج إلى رد وقد حكى أبو حامد عن سهل أنه كان يرى أن صلاة الجائع الذى قد أضعفه الجوع قاعداً أفضل من صلاته قائماً إذا قواه الأكل .

قال المصنف رحمه الله ، وهذا خطأ بل إذا تقوى على القيام كان أكله عبادة لأنه يعين على العبادة وإذا تجوع إلى أن يصلى قاعداً فقد تسبب إلى ترك الفرائض فلم يجز له ولو كان التناول ميتة ماجاز هذا فكيف وهو حلال ثم أى قربة فى هذا الجوع المعطل أدوات العبادة ، وأما قول الحداد وأنا أنظر أن يغلب العلم أم اليقين فانه جهل محض لأنه ليس بين العلم واليقين تضاد إنما اليقين أعلى مراتب العلم ، وأين من العلم واليقين ترك ما تحتاج اليه النفس من المطعم والمشرب وإنما أشار بالعلم إلى ما أمره الشرع ، وأشار باليقين إلى قوة الصبر وهذا تخليط قبيح ، وهؤلاء قوم شددوا فيما ابتدعوا وكانوا كقريش فى تشددهم حتى سموا بالحمس فجحدوا الأصل وشددوا فى الفرع ، وقول الآخر ، ملحك مدقوق لست تفلح من أقبح الأشياء وكيف يقال عمن استعمل ما أبيح له لست تفلح وأما سويق الشعير فإنه يورث القولنج وقول الآخر الزبد بالعسل إسراف قول مرذول لأن الإسراف ممنوع منه شرعاً وهذا مأذون فيه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه كان يأكل القثاء بالرطب، وكان يحب الحلوى والعسل، وأما ما روينا عن سهل أنه قال قسمت قوتى وعقلى سبعة أجزاء ففعل يذم به ولا يمدح عليه إذ لم يأمر الشرع بمثله

وهو إلى التحريم أقرب لأنه ظلم للنفس وترك لحقها وكذلك قول الذى قال: ما أكلت إلى وقت أن يباح لى أكل الميتة : فإنه فعل برأيه المرذول . وحمل على النفس مع وجود الحلال . وقول أبى يزيد : القوت عندنا لله . كلام ركيك فإن البدن قد بنى على الحاجة إلى الطعام حتى إن أهل النار فى النار يحتاجون إلى الطعام . وأما التقبيح على من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل فلا وجه له والذى طوى ثلاثا لم يسلم من لوم الشرع ، وكذلك الذى عاهد أن لا يأكل حين احتجم حتى وقع فى الضعف فإنه فعل مالا يحل له ، وقول إبراهيم له أحسنتم يامبتدئون خطأ أيضاً فإنه كان ينبغى أن يلزمه بالفطر ولو كان فى رمضان إذ من له أيام لم يأكل وقد احتجم وغشى عليه لايجوز له أن يصوم .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت ثنى الأزهرى ثنا على ابن عمر ثنا أبو حامد الحضرمى ثنا عبدالرحمن بن يونس السواح ثنا بقية بن الوليد عن عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ من أصابه جهد فى رمضان فلم يفطر فمات دخل النار .

قال المصنف رحمه الله قلت ، كل رجاله ثقات وقد أخبرنا به عاليا محمد ابن عبد الباقى نا أبو يعلى محمد بن الحسين نا على بن عمر السكرى ثنا احمد بن محمد الأسدى ثنا عبد الرحمن بن يونس فذكره وقال ، من أصابه جهد فى رمضان فلم يفطر دخل النار .

قال المصنف رحمه الله وأما تقليل ابن خفيف ففعل قبيح لا يستحسن وما يورد هذا الأخبار عنهم إيرادا مستحسناً لها إلا جاهل بأصول الشرع ، فأما العالم المتمكن فإنه لا يهوله قول معظم فكيف بفعل جاهل مبرسم ، وأما كونهم لا يأكلون اللحم فهذا مذهب البراهمة الذين لايرون ذبح الحيوان والله عز وجل أعلم بمصالح الأبدان فأباح اللحم لتقويتها فأكل اللحم يقوى القوة وتركه يضعفها ويسىء الخلق ، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة ، ودخل يوماً فقدم اليه طعام من طعام البيت فقال ، لم أر لكم برمة تفور ، وكان الحسن البصرى يشترى كل يوم لحما ، وعلى هذا كان السلف الا أن يكون فيهم فقير فيبعد عهده باللحم

لأجل الفقر ، وأما من منع نفسه الشهوات فان هذا على الإطلاق لا يصلح لأن الله عز وجل لما خلق بنى آدم على الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل الإخلاط الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء فتارة يزيد بعض الاخلاط فتميل الطبيعة إلى ما ينقصه مثل أن تزيد الصفراء فيميل الطبع إلى الحموضة أو ينقص البلغم فتميل النفس إلى المرطبات فقد ركب فى الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتوافقه فاذا مالت النفس إلى ما يصلحها فمنعت فقد قوبلت حكمة البارى سبحانه وتعالى بردها ثم يؤثر ذلك فى البدن فكان هذا الفعل مخالفاً للشرع والعقل ، ومعلوم أن البدن مطية الآدمى ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ ، وإنما قلت علوم هؤلاء فتكلموا بآرائهم الفاسدة فان أسندوا فالى حديث ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهم منه رديئاً ، ولقد عجبت لأبى حامد الغزالى الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه إلى مذاهبهم حتى إنه قال لا ينبغى للمريد اذا تاقت نفسه الى الجماع أن يأكل ويجامع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه .

قال المصنف رحمه الله . وهذا قبيح فى الغاية فان الإدام شهوة فوق الطعام فينبغى أن لا يأكل إداماً والماء شهوة أخرى . أوليس فى الصحيح أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه بغسل واحد فهلا اقتصر على شهوة واحدة . أوليس فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يأكل القثاء بالرطب وهاتان شهوتان . أو ما أكل عند أبى الهيثم بن التيهان خبزاً وشواء وبسراً وشرب ماء بارداً ، أو ما كان الثورى يأكل اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم فيصلى أو ما تعلف الفرس الشعير والتبن والقت . وتطعم الناقة الخبط والحمض . وهل البدن الاناقة وإنما نهى بعض القدماء عن الجمع بين إدامين على الدوام لئلا يتخذ ذلك عادة فيحوج إلى كلفة وإنما تجتنب فضول الشهوات لئلا يكون سبباً لكثرة الأكل وجلب النوم . ولئلا تتعود فيقل الصبر عنها فيحتاج الانسان إلى تضييع العمر فى كسبها وربما تناولها من غير وجهها . وهذا طريق السلف فى ترك فضول الشهوات . والحديث الذى احتجوا به أحرموا أنفسكم طيب الطعام حديث موضوع عملته يداً بزيغ الراوى . وأما اذ اقتصر الانسان على خبز الشعير والملح الجريش

فانه ينحرف مزاجه لأن خبز الشعير يابس مجفف والملح يابس قابض يضر الدماغ والبصر ، وتقليل المطعم يوجب تنشيف المعدة وضيقها وقد حكى يوسف الهمدانى عن شيخه عبد الله الجوفى أنه كان يأكل خبزالبلوط بغير إدام وكان أصحابه يسألونه أن يأكل شيئاً من الدهن والدسومات فلا يفعل .

قال المصنف رحمه الله : وهذا يورث القولنج الشديد . واعلم أن المذموم من الأكل إنما هو فرط الشبع وأحسن الآداب فى المطعم أدب الشارع ﷺ . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن حمكان ثنا عبدالله بن احمد ثنى أبى ثنا أبو المغيرة ثنا سليمان بن سليم الكنانى ثنا يحيى بن جابر الطائى . قال . سمعت المقدام بن معدى كرب يقول . سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه . حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه . فان كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه .

قال المصنف رحمه الله قلت . فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظاً لها وسعياً فى مصلحتها . ولو سمع أبقراط هذه القسمة فى قوله . ثلث وثلث وثلث . لدهش من هذه الحكمة لأن الطعام والشراب يربوان فى المعدة فيتقارب ملئها فيبقى للنفس من الثلث قريب فهذا أعدل الأمور فان نقص منه قليلا لم يضر وإن زاد النقصان أضعف القوة وضيق المجارى على الطعام .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : واعلم أن الصوفية إنما يأمرون بالتقلل شبانهم ومبتدئيهم ومن أضر الأشياء على الشاب الجوع فإن المشايخ يصبرون عليه والكهول أيضاً فأما الشبان فلا صبر لهم على الجوع . وسبب ذلك أن حرارة الشباب شديده فلذلك يجود هضمة ويكثر تحلل بدنه فيحتاج إلى كثرة الطعام كما يحتاج السراج الجديد إلى كثرة الزيت . فإذا صابر الشاب الجوع وتثبته فى أول النشوء قمع نشوء نفسه فكان كمن يعرقب أصول الحيطان ثم تمتد يد المعدة لعدم الغذاء إلى أخذ الفضول المجتمعة فى البدن فتغذيه بالاخلاط فيفسد الدهن والجسم وهذا أصل عظيم يحتاج إلى تأمل .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله . وذكر العلماء التقلل الذى يضعف البدن . أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الحسين بن عبدالجبار نا عبدالعزيز

ابن على الآزجى نا ابراهيم بن جعفر الساجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر احمد بن محمد بن هارون الخلال نا عبدالله بن ابراهيم بن يعقوب الجيلى قال سمعت أبا عبدالله احمد بن حنبل . قال . له عقبة بن مكرم . هؤلاء الذين يأكلون قليلا ويقللون من مطعمهم . فقال ما يعجبنى سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول فعل قوم هذا فقطعهم عن الفرض . قال الخلال . وأخبرنى أبو بكر احمد بن محمد بن عبدالله بن صدقة ثنا اسحق بن داود بن صبيح . قال قلت لعبدالرحمن بن مهدى . يا أباسعيد إن ببلدنا قوماً من هؤلاء الصوفية. فقال . لا تقرب هؤلاء فانا قد رأينا من هؤلاء قوماً أخرجهم الأمر إلى جنون . وبعضهم أخرجهم إلى الزندقة . ثم قال . خرج سفيان الثورى فى سفر فشيعته وكان معه سفرة فيها فالوذج وكان فيها حمل . قال الخلال . وأخبرنى المروزى قال سمعت أبا عبدالله احمد بن حنبل . وقال له رجل : انى منذ خمس عشرة سنة قد ولع بى إبليس . وربما وجدت وسوسة أتفكر فى الله عز وجل فقال. لعلك كنت تدمن الصوم . افطر وكل دسما وجالس القصاص .

قال المصنف رحمه الله . وفى هؤلاء القوم من يتناول المطاعم الرديئة ويهجر الدسم فيجمع فى معدته أخلاط نجة فتغتذى المعدة منها مدة لأن المعدة لا بد لها من شىء تهضمه . فاذا هضمت ما عندها من الطعام ولم تجد شيئاً تناولت الاخلاط فهضمتها وجعلتها غذاء . وذلك الغذاء الردىء يخرج إلى الوساوس والجنون وسوء الأخلاق . وهؤلاء المتقللون يتناولون مع التقلل أردأ المأكولات فتكثر أخلاطهم فتشتغل المعدة بهضم الاخلاط . ويتفق لهم تعود التقلل بالتدريج فتضيق المعدة فيمكنهم الصبر عن الطعام أياماً . ويعينهم على هذا قوة الشباب فيعتقدون الصبر عن الطعام كرامة . وإنما السبب ما عرفتك . وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم قال حدثنى أبى قال كانت امرأة قد طعنت فى السن فسئلت عن حالها . فقالت : كنت فى حال الشباب أجد من نفسى أحوالا أظنها قوة الحال . فلما كبرت زالت عنى . فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب فتوهمتها أحوالا . قال سمعت أبا على الدقاق يقول ماسمع أحد هذه الحكاية من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز وقال أنها كانت منصفة .

وقال المصنف . فان قيل كيف تمنعون من التقلل وقد رويتم أن عمر رضى الله عنه كان يأكل كل يوم إحدى عشرة لقمة . وإن ابن الزبير كان يبقى أسبوعا لا يأكل وإن ابراهيم التيمى بقى شهرين . قلنا . قد يجرى للانسان من هذا الفن فى بعض الأوقات غير انه لا يدوم عليه . ولا يقصد الترقى اليه . وقد كان فى السلف من يجوع عوزاً وفيهم من كان الصبر له عادة لا يضر بدنه . وفى العرب من يبقى أياماً لا يزيد على شرب اللبن . ونحن لا نأمر بالشبع إنما ننهى عن جوع يضعف القوة ويؤذى البدن . واذا ضعف البدن قلت العبادة . فان حملت البدن قوة الشباب جاء الشيب فأقذع بالراكب . وقد أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا عبد القادر بن يوسف نا أبو إسحق البرمكى ثنا أبو يعقوب ابن سعد النسائى ثنا جدى الحسن بن سفيان ثنا حرملة بن يحيى ثنا عبدالله بن وهب ثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن أنس عن إسحق بن عبيد الله بن أبى طلحة عن أنس رضى الله عنه . قال : كان يطرح لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الصاع من التمر فيأكله حتى حشفه . وقد روينا عن ابراهيم بن أدهم : انه اشترى زبداً وعسلا وخبزاً حوارى . فقيل له : هذا كله تأكله فقال : اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وأما الشرب من الماء الصافى : فقد تخيره رسول الله ﷺ . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا فليح بن سليمان عن سعيد بن الحارث عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ : أتى قوماً من الأنصار يعود مريضاً فاستسقى وجدول قريب منه ، فقال ان كان عندكم ماء بات فى شن وإلا كرعنا ، اخرجه البخارى . وأخبرنا منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو عمر بن مهدى ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملى ثنا محمد بن عمرو بن أبى مدعور ثنا عبد العزيز بن محمد نا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يستقى له الماء العذب من بئر السقيا .

قال المصنف : وينبغى أن يعلم أن الماء الكدر يولد الحصا فى الكلى والسدد فى الكبد ، وأما الماء البارد فانه اذا كانت برودته معتدلة فانه يشد المعدة ، ويقوى

الشهوة ، ويحسن اللون، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة واذا كان الماء حاراً أفسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن، وأدى إلى الاستسقاء والدق فان سخن بالشمس خيف منه البرص، وقد كان بعض الزهاد يقول اذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت وكذلك قال أبو حامد الغزالى . اذا أكل الانسان مايستلذه قسا قلبه وكره الموت واذا منع نفسه شهواتها وحرمها لذاتها اشتهت نفسه الافلات من الدنيا بالموت .

قال المصنف رحمه الله واعجباً كيف يصدر هذا الكلام من فقيه أترى لو تقلبت النفس فى أى فن كان من التعذيب ما أحبت الموت ثم كيف يجوز لنا تعذيبها وقد قال عزوجل « ولا تقتلوا أنفسكم » ورضى منا بالافطار فى السفر رفقاً بها وقال «يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» أو ليست مطيتنا التى عليها وصولنا

وكيف لا نأوى ها وهى التى ... بها قطعنا السهل والحزونا

وأما معاقبة أبى يزيد نفسه بترك الماء سنة فانها حالة مذمومة لايراها مستحسنة إلا الجهال ووجه ذمها أن للنفس حقاً ومنع الحق مستحقه ظلم ، ولا يحل للانسان أن يؤذى نفسه ، ولا أن يقعد فى الشمس فى الصيف بقدر ما يتأذى ، ولا فى الثلج فى الشتاء . والماء يحفظ الرطوبات الأصلية فى البدن وينفذ الأغذية وقوام النفس بالأغذية فاذا منعها أغذية الآدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها وهذا من أفحش الخطأ . وكذلك منعه إياها النوم، قال ابن عقيل، وليس للناس إقامة العقوبات ولا استيفاؤها من أنفسهم، يدل عليه أن إقامة الانسان الحد على نفسه لا يجزى فان فعله أعاده الامام . وهذه النفوس ودائع الله عز وجل حتى ان التصرف فى الأموال لم يطلق لأربابها الا على وجوه مخصوصة.

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد روينا فى حديث الهجرة أن النبى ﷺ تزود طعاماً وشراباً . وأن أبا بكر فرش له فى ظل صخرة وحلب له لبناً فى قدح ثم صب ماء على القدح حتى برد أسفله ، وكل ذلك من الرفق بالنفس . وأما ما رتبه أبو طالب المكى فحمل على النفس بما يضعفها . وإنما يمدح الجوع اذا كان بمقدار . وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ وأما ما صنفه الترمذى فكأن ابتداء شرع برأيه الفاسد . وما وجه صيام شهرين متتابعين عند التوبة

وما فائدة قطع الفواكه المباحة واذا لم ينظر فى الكتب فبأى سيرة يقتدى. وأما الأربعينية فحديث فارغ رتبوه على حديث لا أصل له من أخلص لله أربعين صباحاً لم يجب الاخلاص (١) أبداً فما وجه تقديره بأربعين صباحاً ثم لو قدرنا ذلك فالاخلاص عمل القلب فما بال المطعم ثم ما الذى حسن منع الفاكهة ومنع الخبز وهل هذا كله إلا جهل. وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى قال حدثنا أبى قال حجج الصوفية أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب. لأن الناس اما أصحاب نقل وأثر واما أرباب عقل وفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة والذى للناس غيب فلهم ظهور فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال فينبغى لمريدهم أن يقطع العلائق وأولها الخروج من المال ثم الخروج من الجاه وأن لا ينام إلا غلبة وأن يقلل غذاءه بالتدريج.

قال المصنف رحمه الله قلت: من له أدنى فهم يعرف أن هذا الكلام تخليط فان من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدود فى الناس وليس أحد من الخلق إلا وهو مستدل وذكر الوصال حديث فارغ. فنسأل الله عز وجل العصمة من تخليط المريدين والأشياخ والله الموفق.

﴿ فصل فى ذكر أحاديث تبين خطأهم فى أفعالهم ﴾

أخبرنا يحيى بن على المدبر نا أبو بكر محمد بن على الخياط ثنا الحسن بن الحسين بن حمكان ثنا عبدان بن يزيد العطار. وأخبرنا محمد بن أبى منصور أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه ثنا محمد بن أحمد الحافظ ثنا أبو عبدالله محمد ابن عيسى البرورجردى ثنا عمير بن مرداس قالا حدثنا محمد بن بكير الحضرمى ثنا القاسم بن عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم العمرى عن عبيدالله بن عمر عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب. قال: جاء عثمان بن مظعون إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله غلبنى حديث النفس فلم أحب أن أحدث شيئاً حتى أذكر لك ذلك فقال رسول الله ﷺ وما تحدثك نفسك يا عثمان. قال، تحدثنى نفسى بأن أختصى. فقال: مهلا يا عثمان

(١) من جب الشىء إذا قطع

فان خصى أمتى الصيام قال يارسول الله فان نفسى تحدثنى أن أترهب فى الجبال قال مهلا ياعثمان ، فان ترهب أمتى الجلوس فى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة قال : يارسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أسيح فى الأرض ، قال مهلا ياعثمان ، فان سياحة أمتى الغزو فى سبيل الله والحج والعمرة ، قال يارسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أخرج من مالى كله قال : مهلا ياعثمان فان صدقتك يوما بيوم وتكف نفسك وعيالك وترحم المسكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك ، قال : يارسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أطلق خولة امرأتى ، قال . مهلا ياعثمان فان هجرة أمتى من هجر ماحرم الله عليه ، أوهاجر إلىّ فى حياتى ، أو زار قبرى بعد موتى ، أومات وله امرأة أوامرأتان أوثلاث أوأربع قال . يارسول الله فان نفسى تحدثنى أن لاأغشاها ، قال . مهلا ياعثمان فان الرجل المسلم إذا غشى أهله فان لم يكن من وقعته تلك ولد كان له وصيف فى الجنة فان كان من وقعته تلك ولد فان مات قبله كان له فرطاً وشفيعاً يوم القيامة [illegible] قال . يارسول الله فان نفسى تحدثنى [illegible] أحب اللحم وآكله إذا وجدته ولو سألت ربى [illegible] ، قال : يارسول الله فان نفسى تحدثنى أن لا أمس طيباً ، قال : مهلا ياعثمان فان جبريل أمرنى بالطيب غبا ويوم الجمعة لامترك له ياعثمان لاترغب عن سنتى فمن رغب عن سنتى ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضى ، قال المصنف رحمه الله : [illegible] حديث عمير بن مرداس .

أخبرنا محمد بن أبى طاهر الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسن بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا الفضل بن دكين ثنا إسرائيل ثنا أبو اسحاق عن أبى بردة ، قال : دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبى ﷺ فرأينها سيئة الهيئة ، فقلن لها : مالك فما فى قريش رجل أغنى من بعلك ، قالت : مالنا منه شىء ، أما ليله فقائم ، وأما نهاره فصائم . فدخلن إلى النبى ﷺ فذكرن ذلك له فلقيه فقال : ياعثمان أمالك بى أسوة . فقال بأبى وأمى أنت وماذاك قال تصوم النهار وتقوم الليل . قال : إنى لأفعل قال لا تفعل أن لعينك عليك حقاً ، وإن

لجسدك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً ، فصل ونم وصم وافطر . قال ابن سعد وأخبرنا عارم بن الفضل ثنا حماد بن زيد ثنا معاوية بن عباس الحرمى عن ابى قلابة أن عثمان بن مظعون اتخذ بيتاً فقعد يتعبد فيه ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاه فأخذ بعضادتى باب البيت الذى هو فيه وقال : ياعثمان إن الله عز وجل لم يبعثنى بالرهبانية مرتين أو ثلاثا . وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة .

أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن على بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجانى نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا البخارى قال قال موسى ابن اسماعيل بن حماد بن زيد بن مسلم ثنا أبو معاوية بن قرة عن كهمس الهلالى قال : أسلمت وأتيت النبي ﷺ فأخبرته بإسلامى. فمكثت حولا ثم أتيته وقد ضمرت ونحل جسمى فخفض فى البصر ثم صعده ، قلت : أماتعرفنى ، قال . ومن أنت ، قلت : أنا كهمس الهلالى ، قال : فما بلغ بك ما أرى ، قلت : ماأفطرت بعدك نهاراً ، ولا نمت ليلا . قال : ومن أمرك أن تعذب نفسك صم شهر الصبر ومن كل شهر يوما ، قلت : زدنى قال : صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين ، قلت : زدنى . قال صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة أيام أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون أنبأنا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ثنا أبو حازم عمر بن أحمد العبدورى نا أبو أحمد محمد بن الغطريف ثنا أبو بكر الذهبى ثنا حميد بن الربيع ثنا عبدة بن حميد عن الأعمش عن جرير بن حازم عن أيوب عن أبى قلابة بلغ به ﷺ أن ناسا من أصحابه احتموا النساء واللحم اجتمعوا فذكرنا ترك النساء واللحم فأوعد فيه وعيداً شديداً ، وقال : لو كنت تقدمت فيه لفعلت . ثم قال : إنى لم أرسل بالرهبانية ، إن خير الدين الحنيفية السمحة .

قال المصنف رحمه الله : وقد روينا فى حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال : إن الله عز وجل يحب أن يرى آثار نعمته على عبده فى مأكله ومشربه ، وقال بكر بن عبد الله : من أعطى خيراً فرؤى عليه سمى حبيب الله محدثا بنعمة الله عز وجل ومن أعطى خيراً فلم ير عليه سمى بغيض الله عز وجل معادياً لنعمة الله عز وجل .

﴿فصل﴾ قال المصنف رحمه الله : وهذا الذى نهينا عنه من التقلل الزائد فى الحد ، قد انعكس فى صوفية زماننا فصارت همتهم فى المأكل كما كانت همة متقدميهم فى الجوع . لهم الغداء والعشاء والحلوى ، وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة ، وقد تركوا كسب الدنيا ، وأعرضوا عن التعبد وافترشوا فراش البطالة فلاهمة لأكثرهم إلا الأكل واللعب . فان أحسن محسن منهم قالوا : طرح شكراً . وإن أساء مسيء . قالوا : استغفر ، ويسمون مايلزمه إياه واجباً . وتسمية مالم يسمه الشرع واجباً جناية عليه . أخبرنا عبد الرحمن ابن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الحافظ النيسابورى ثنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبرى ثنا أحمد بن سلمة ثنا محمد بن عبدوس السراج البغدادى ، قال : قام أبو مرحوم القاضى بالبصرة يقص على الناس فأبكى فلما فرغ من قصصه قال من يطعمنا إرزة فى الله فقام شاب من المجلس فقال أنا فقال إجلس يرحمك الله فقد عرفنا موضعك ثم قام الثانية ذلك الشاب فقال إجلس فقد عرفنا موضعك فقام الثالثة فقال أبو مرحوم لأصحابه قوموا بنا إليه فقاموا معه فأتوا منزله قال فأتينا بقدر من باقلاء فأكلنا بلاملح ثم قال أبو مرحوم على بخوان خماسى وخمس مكاكيك أرز ، وخمسة أمنان سمن ، وعشرة أمنان سكر ، وخمسة أمنان صنوبر ، وخمسة أمنان فستق ، فجيء بها كلها ، فقال أبو مرحوم لأصحابه : يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها ، مبيضة شمسها ، قال : اخرقوا فيها أنهارها قال فأتى بذلك السمن فأجرى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا ، قالوا مشرق لونها ، مبيضة شمسها ، مجراة فيها أنهارها فقال يا إخوانى إغرسوا فيها أشجارها قال فأتى بذلك الفستق والصنوبر ، فألقى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال : يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا ، قالوا : مشرق لونها ، مبيض شمسها ، مجرى فيها أنهارها ، وقد غرست فيها أشجارها ، وقد تدلت لنا ثمارها ، قال : يا إخوانى ارموا الدنيا بحجارتها قال : فأتى بذلك السكر فألقى فيها ، ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه ، فقال يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا قالوا : مشرق لونها مبيضة شمسها وقد أجريت فيها أنهارها وقد غرست فيها أشجارها ، وقد تدلت لنا ثمارها ، فقال يا إخوانى : مالنا وللدنيا

اضربوا فيها براحتها ، قال : فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس قال أبو الفضل أحمد بن سلمة ذكرته لأبى حاتم الرازى فقال إمله على فأمليته عليه فقال : هذا شأن الصوفية .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد رأيت منهم من إذا حضر دعوة بالغ فى الأكل ثم اختار من الطعام فربما ملأ كميه من غير إذن صاحب الدار وذلك حرام بالإجماع ولقد رأيت شيخا منهم قد أخذ شيئاً من الطعام ليحمله معه فوثب صاحب الدار فأخذه منه .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى السماع والرقص والوجد ﴾

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين ، أحدهما : أنه يلهى القلب عن التفكر فى عظمة الله سبحانه والقيام بخدمته ، والثانى : أنه يميله إلى اللذات العاجلة التى تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته إلا فى المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يحث على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس ولهذا جاء فى الحديث : الغناء رقية الزنا .

وقد ذكر أبو جعفر الطبرى أن الذى اتخذ الملاهى رجل من ولد قابيل يقال له ثوبال . اتخذ فى زمان مهلائيل بن قينان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان فانهمك ولد قابيل فى اللهو وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من نسل شيث فنزل منهم قوم وفشت الفاحشة وشرب الخمور .

قال المصنف رحمه الله : وهذا لأن الالتذاذ بشىء يدعو إلى التذاذ بغيره خصوصا ما يناسبه ولما يئس إبليس أن يسمع من المتعبدين شيئاً من الأصوات المحرمة كالعود نظر إلى المعنى الحاصل بالعود فدرجه فى ضمن الغناء بغير العود وحسنه لهم وإنما مراده التدريج من شىء إلى شىء والفقيه من نظر فى الأسباب والنتائج وتأمل المقاصد فان النظر إلى الأمرد مباح ان أمن ثوران الشهوة فان لم يؤمن لم يجز . وتقبيل الصبية التى لها من العمر ثلاث سنين جائز إذ لا شهوة تقع هناك فى الأغلب فان وجد شهوة حرم ذلك ، وكذلك الخلوة بذوات المحارم فان خيف من ذلك حرم فتأمل هذه القاعدة .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد تكلم النـاس فى الغناء فأطالوا فمنهم من حرمه ومنهم من أباحه من غير كراهة و منهم من كرهه مع الاباحة وفصل الخطاب أن نقول ينبغي أن ينظر فى ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيج فى الطرقات فان أقواماً من الأعاجم يقدمون للحج فينشدون فى الطرقات أشعاراً يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وربما ضربوا مع إنشادهم بطبل فسماع تلك الأشعار مباح وليس إنشادهم إياها مما يطرب ويخرج عن الاعتدال وفى معنى هؤلاء الغزاة : فإنهم ينشدون أشعاراً يحرضون بها على الغزو . وفى معنى هذا إنشاد المبارزين للقتال للاشعار تفاخراً عند النزال وفى معنى هذا أشعار الحداة فى طريق مكة كقول قائلهم :

بشرهـا دليلهـا وقالا غداً ترين الطلح والجبالا

وهذا يحرك الابل والآدمى . إلا أن ذلك التحريك لا يوجب الطرب المخرج عن حد الاعتدال . وأصل الحداء ما أنبأنا به يحي بن الحسن بن البنا نا أبو جعفر بن المسلمة نا المخلص نا احمد بن سليمان الطوسى ثنا الزبير بن بكار ثنى إبراهيم بن المنذر ثنا أبو البحترى وهب عن طلحه المكى عن بعض علمائهم : أن رسول الله ﷺ مال ذات ليلة بطريق مكة إلى حاد مع قوم فسلم عليهم فقال ان حادينا نام (١) فسمعنا حاديكم فملت اليكم . فهل تدرون انى كان الحداء قالوا لا والله قال إن أباهم مضر خرج إلى بعض رعاته فوجد إبله قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح يايداه يايداه (٢) فسمعت الابل ذلك فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت فاشتقت الحداء .

قال المصنف رحمـه الله . وقد كان لرسول الله ﷺ حاد يقال له أنجشة يحدو فتعنق (٣) الابل. فقال رسول الله ﷺ: يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير

(١) فى النسخة الثانية . ان حادينا ونا ـ أى تعب .

(٢) فى النسخة الثانية وايداه مرة فقط .

(٣) العنق بفتحتين . نوع من السير سريع فسيح .

وفى حديث سلمة بن الأكوع قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الاكوع . ألا تسمعنا من هنياتك. وكان عامر رجلا شاعراً فنزل يحدو بالقول يقول .

لاهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فالقين سكينة علينا وثبت الاقدام إذ لاقينا

قال رسول الله ﷺ . من هذا السائق : قالوا . عامر بن الأكوع فقال رحمه الله .

قال المصنف رحمه الله . وقد روينا عن الشافعي رضى الله عنه أنه قال أما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به .

قال المصنف رحمه الله .ومن إنشاد العرب قول أهل المدينة عند قدوم رسول الله ﷺ عليهم .

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي

ومن هذا الجنس كانوا ينشدون أشعارهم بالمدينة . وربما ضربوا عليه بالدف عند إنشاده . ومنه ما أخبرنا بهابن الحصين ناابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنا أبي ثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعى ثنى الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها . أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تضربان بدفين ورسول الله ﷺ مسجى عليه بثوبه ـ فانتهرهما أبو بكر ـ فكشف رسول الله ﷺ عن وجهه . وقال . دعهن يا أبا بكر فإنها أيام عيد . أخرجاه فى الصحيحين .

قال المصنف رحمه الله . والظاهر من هاتين الجاريتين صغر السن لأن عائشة كانت صغيرة وكان رسول الله ﷺ يسرب (١) اليها الجوارى فيلعبن معها . وقد أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبدالجبار نا أبو إسحاق البرمكى أنبأنا عبدالعزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرنا منصور بن الوليد

(١) فى الثانية : وهو تفسير يسرب

ابن جعفر بن محمد حدثهم : قال . قلت لأبي عبدالله احمد بن حنبل حديث الزهري عن عروة عن عائشة عن جوار يغنين ـ أي شيء هذا الغناء . قال ، غناء الركب : أتيناكم أتيناكم . قال الخلال وحدثنا احمد بن فرج الحمصي ثنا يحي بن سعيد ثنا أبو عقيل عن نهية عن عائشة رضى الله عنها . قالت : كانت عندنا جارية يتيمة من الأنصار فزوجناها رجلا من الأنصار فكنت فيمن أهداها إلى زوجها . فقال رسول الله ﷺ ياعائشة إن الأنصار اناس فيهم غزل : فماقلت : قالت دعونا بالبركة : قال : أفلا قلتم :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولاالذهبالأحمـ ـر ما حلت بواديكم
ولو لاالحبة السمرا ء لم تسمن عذاريكم

أخبرنا أبو الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبي ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن أجلح عن أبي الزبير عن جابر ابن عبدالله رضى الله عنه : قال قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : أهديتم الجارية إلى بيتها . قالت نعم. قال : فهلا بعثتم معها من يغنيهم يقول :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم

فإن الأنصار قوم فيهم غزل .

قال المصنف رحمه الله : فقد بان بما ذكرنا ماكانوا يغنون به وليس مما يطرب ولا كانت دفوفهن على ما يعرف اليوم . ومن ذلك أشعار ينشدها المتزهدون بتطريب وتلحين تزعج القلوب إلى ذكر الآخرة ويسمونها الزهديات كقول بعضهم :

ياغاديا فى غفلة ورائحا إلى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا
ياعجباً منك وأنت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا

فهذا مباح أيضاً وإلى مثله أشار احمد بن حنبل فى الاباحة فيما أنبأنا به أبو عبد العزيز كاوس نا المظفر بن الحسن الهمداني نا أبو بكر بن لالى ثنا

الفضل بن الفضل الكندى قال سمعت عبدوس يقول سمعت أبا حامد الخلقانى يقول لأحمد بن حنبل : يا أبا عبدالله هذه القصائد الرقاق التى فى ذكر الجنة والنار أى شىء تقول فيها فقال : مثل أى شىء قلت يقولون :

إذا ما قال لى ربى أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيان تأتينى

فقال : أعد علىّ ، فأعدت عليه ، فقام ودخل بيته ورد الباب ـ فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول :

إذا ما قال لى ربى أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيان تأتينى

ومن الأشعار أشعار تنشدها النواح ، يثيرون بها الأحزان والبكاء ، فينهى عنها لما فى ضمنها (١)

فأما الأشعار التى ينشدها المغنون المتهيئون للغناء ويصفون فيها المستحسنات والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ويثير كامنها من حب اللهو وهو الغناء المعروف فى هذا الزمان مثل قول الشاعر :

ذهبى اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح
خوفونى من فضيحته ليته وافى وأفتضح

وقد أخرجوا لهذه الأغانى ألحاناً مختلفة كلها تخرج سامعها عن حيز الاعتدال ، وتثير حب الهوى ، ولهم شىء يسمونه البسيط يزعج القلوب عن مهل ثم يأتون بالنشيد بعده فيجعجع القلوب . وقد أضافوا إلى ذلك ضرب القضيب والإيقاع به على وفق الإنشاد والدف بالجلاجل ، والشبابة النائبة عن الزمر فهذا الغناء المعروف اليوم .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله . وقبل أن نتكلم فى إباحته . أو تحريمه ، أو كراهته : نقول . ينبغى للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه . ويحذر تلبيس إبليس فى إجراء هـذا الغناء مجرى الأقسام المتقدمة التى يطلق عليها

(١) كذا فى النسختين : وقد سقط ذكر العلة

اسم الغناء . فلا يحمل الكل محملا واحداً . فيقول قد أباحه فلان وكرهه فلان . فنبدأ بالكلام فى النصيحة للنفس والاخوان فنقول .

معلوم أن طباع الآدميين تتقارب ولا تكاد تتفاوت فاذا ادعى الشاب السليم البدن الصحيح المزاج أن رؤية المستحسنات لا تزعجه ولا تؤثر عنده ولا تضره فى دينه كذبناه لما نعلم من استواء الطباع — فان ثبت صدقه عرفنا أن به مرضاً خرج به عن حيز الاعتدال ، فان تعلل فقال . إنما أنظر إلى هذه المستحسنات معتبراً فأتعجب من حسن الصنعه فى دعج العينين، ورقة الأنف ونقاء البياض ، قلنا له فى أنواع المباحات ما يكفى فى العبرة وههنا ميل طبعك يشغلك عن الفكرة ولا يدع لبلوغ شهوتك وجود فكرة . فان ميل الطبع شاغل عن ذلك ، وكذا من قال ان هذا الغناء المطرب المزعج للطباع المحرك لها إلى العشق وحب الدنيا لا يؤثر عندى ولا يلفت قلبى إلى حب الدنيا الموصوفة فيه — فانا نكذبه لموضع اشتراك الطباع ثم ان كان قلبه بالخوف من الله عز وجل غائباً عن الهوى لأحضر هذا المسموع الطبع وان كانت قد طالت غيبته فى سفر الخوف ، وأقبح القبيح البهرجة ، ثم كيف تمر البهرجة على من يعلم السر وأخفى . ثم ان كان الأمر كما زعم هذا المتصوف فينبغى أن لا نبيحه إلا لمن هذه صفته والقوم قد أباحوه على الاطلاق للشاب المبتدى . والصبى الجاهل . حتى قال أبو حامد الغزالى . ان التشبيب بوصف الخدود . والأصداغ ، وحسن القد . والقامة . وسائر أوصاف النساء . الصحيح انه لا يحرم .

قال المصنف رحمه الله . فأما من قال انى لا أسمع الغناء للدنيا . وإنما آخذ منه إشارات فهو يخطىء من وجهين . أحدهما أن الطبع يسبق إلى مقصوده قبل أخذ الإشارات فيكون كمن قال انى أنظر إلى هذه المرأة المستحسنة لا تفكر فى الصنعة — والثانى انه يقل فيه وجود شىء يشار به إلى الخالق وقد جل الخالق تبارك وتعالى أن يقال فى حقه انه يعشق .ويقع الهيمان به . وإنما نصيبنا من معرفته الهيبة والتعظيم فقط وإذ قد انتهت النصيحة فنذكر ما قيل فى الغناء .

﴿ فصل ﴾ أما مذهب أحمد رحمه الله . فانه كان الغناء فى زمانه إنشاد قصائد الزهد إلا أنهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنه . فروى عنه ابنه عبدالله انه قال : الغناء ينبت النفاق فى القلب ، لا يعجبنى . وروى عنه اسماعيل بن اسحاق الثقفى : أنه سئل عن استماع القصائد فقال : أكرهه ، هو بدعة ، ولا يجالسون . وروى عنه أبو الحارث أنه قال : التغبير (١) بدعة ، فقيل له : أنه يرقق القلب . فقال هو بدعة . وروى عنه يعقوب الهاشمى : التغبير بدعة محدث . وروى عنه يعقوب بن غياث (٢) أكره التغبير وأنه نهى عن استماعه .

قال المصنف : فهذه الروايات كلها دليل على كراهية الغناء ، قال أبو بكر الخلال كره أحمد القصائد لما قيل له انهم يتماجنون ثم روى عنه ما يدل على أنه لا بأس بها . قال المروزى . سألت أبا عبدالله عن القصائد . فقال . بدعة . فقلت له : انهم يهجرون . فقال لا يبلغ بهم هذا كله .

قال المصنف . وقد روينا أن أحمد سمع قوالا عند ابنه صالح فلم ينكر عليه . فقال له صالح يا أبت أليس كنت تنكر هذا . فقال . إنما قيل لى انهم يستعملون المنكر فكرهته ، فأما هذا فانى لا أكرهه . قال المصنف رحمه الله قلت وقد ذكر أصحابنا عن أبى بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز إباحة الغناء . وإنما أشار إلى ما كان فى زمانهما من القصائد الزهديات . وعلى هذا يحمل ما لم يكرهه احمد . ويدل على ماقلت أن أحمد بن حنبل سئل عن رجل مات وترك ولداً وجارية مغنية . فاحتاج الصبى إلى بيعها . فقال لا تباع على أنها مغنية فقيل له أنها تساوى ثلاثين ألف درهم ولعلها إذا بيعت ساذجة تساوى عشرين ديناراً فقال لا تباع إلا على أنها ساذجة .

قال المصنف : وإنما قال هذا لأن الجارية المغنية لاتغنى بقصائدالزهديات بل بالأشعار المطربة المثيرة للطبع إلى العشق ، وهـذا دليل على أن الغناء

---

(١) فى النسخة الثانية ـ يعقوب بن محيان ـ ولفظ التغبير هو تغبير الذكر بدعاء وتضرع كما ذكره المصنف بعد فى صحيفة ٢٣٠

محظور إذ لو لم يكن محظوراً ما أجاز تفويت المال على اليتيم . وصار هذا كقول أبى طلحة للنبى ﷺ . عندى خمر لأيتام ، فقال أرقها . فلو جاز استصلاحها لما أمره بتضييع أموال اليتامى . وروى المروزى عن أحمد بن حنبل أنه قال . كسب المخنث خبيث يكسبه بالغناء وهذا لأن المخنث لا يغنى بالقصائد الزهدية إنما يغنى بالغزل والنوح . فبان من هذه الجملة أن الروايتين عن أحمد فى الكراهة وعدمها تتعلق بالزهديات الملحنة ، فأما الغناء المعروف اليوم فمحظور عنده كيف ولو علم ما أحدث الناس من الزيادات .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وأما مذهب مالك بن أنس رحمه الله فأخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبدالجبار نا أبو اسحاق البرمكى نا عبد العزيز ابن جعفر ثنا أبو بكر الخلال وأخبرنا عالياً سعيد بن الحسن بن البنا نا أبو نصر محمد بن محمد الديبثى نا أبو بكر محمد بن عمر الوراق نا محمد بن السرى ابن عثمان التمار قالا أخبرنا عبدالله بن أحمد عن أبيه عن اسحاق بن عيسى الطباع (١) قال سألت مالك بن أنس عن ما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء . فقال . إنما يفعله الفساق . أخبرنا هبة الله بن احمد الحريرى قال أنبانا أبو الطيب الطبرى قال . أما مالك بن أنس فانه نهى عن الغناء وعن استماعه . وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا ابراهيم بن سعد وحده فانه قد حكى زكريا الساجى أنه كان لا يرى به بأساً .

﴿ فصل ﴾ وأما مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه . أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريرى عن أبى الطيب الطبرى . قال كان أبو حنيفة يكره الغناء مع إباحته شرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب . قال : وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة : ابراهيم ، والشعبى وحماد ، وسفيان الثورى . وغيرهم لا اختلاف بينهم فى ذلك . قال ولا يعرف بين أهل البصرة خلاف فى كراهة ذلك والمنع منه إلا ما روى عبيدالله بن الحسن العنبرى أنه كان لا يرى به بأساً .

(١) فى نسخة : الطباخ

﴿ فصل ﴾ وأما مذهب الشافعى رحمة الله عليه قال حدثنا إسماعيل بن احمد نا احمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الاصفهانى ثنا محمد بن عبد الرحمن ثنا احمد بن محمد بن الحارث ثنا محمد بن إبراهيم بن جياد ثنا الحسن بن عبد العزيز الحروى قال سمعت محمد بن إدريس الشافعى يقول خلفت بالعرق شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغيير يشغلون به الناس عن القرآن .

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكر أبو منصور الأزهرى ـ المغيرة قوم يغيرون بذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا مايطربون فيه من الشعر فى ذكر الله عز وجل تغييراً كأنهم إذا شاهدوها بالألحان طربوا ورقصوا فسموا مغيرة لهذا المعنى . وقال . الزجاج سموا مغيرين لتزهيدهم الناس فى الفانى من الدنيا وترغيبهم فى الآخرة . وحدثنا هبة الله بن احمد الحريرى عن أبى الطيب طاهر ابن عبد الله الطبرى قال قال الشافعى الغناء لهو مكروه يشبه الباطل . ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته . قال . وكان الشافعى يكره التعبير . قال الطبرى فقد أجمع علماء الأمصار على كراهية الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد [1] وعبيد الله العنبرى وقد قال رسول الله ﷺ . عليكم بالسواد الأعظم فإنه من شذ شذ فى النار . وقال من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية .

قال المصنف قلت . وقد كان رؤساء أصحاب الشافعى رضى الله عنهم ينكرون السماع . وأما قدماؤهم فلا يعرف بينهم خلاف وأما أكابر المتأخرين فعلى الانكار . منهم أبو الطيب الطبرى وله فى ذم الغناء والمنع كتاب مصنف حدثنا به عنه أبو القاسم الحريرى ومنهم القاضى أبو بكر محمد بن مظفر الشامى أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الانماطى عنه . قال لايجوز الغناء ولا سماعه ولا الضرب بالقضيب . قال ومن أضاف إلى الشافعى هذا فقد كذب عليه . وقد نص الشافعى فى كتاب أدب القضاء . على أن الرجل إذا دام على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته .

قال المصنف رحمه الله قلت : فهذا قول علماء الشافعية وأهل التدين منهم

(١) فى النسخة الثانية : سعيد هنا وفيما تقدم عنه .

وإنما رخص فى ذلك من متأخريهم من قلّ علمه وغلبة هواه . وقال الفقهاء من أصحابنا لا تقبل شهادة المغنى والرقاص والله الموفق .

﴿ فصل فى ذكر الأدلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منهما ﴾

قال المصنف . وقد استدل أصحابنا بالقرآن والسنة والمعنى . فأما الاستدلال من القرآن فبثلاث آيات . الآية الأولى قوله عز وجل « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن على قالا نا أبو محمد الصريفينى نا أبو بكر بن عبدان ثنا عبد الله بن منيع ثنا عبد الله ابن عمر ثنا صفوان بن عيسى قال قال حميد الخياط أخبرنا عن عمار بن أبي معاوية عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء . قال سألت ابن مسعود عن قول الله عز وجل « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » قال هو والله الغناء . أخبرنا عبدالله بن على المقرى ومحمد بن ناصر الحافظ قالا نا طراد بن محمد نا ابى بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس « ومن الناس من يشتري لهو الحديث » . قال هو الغناء وأشباهه . أخبرنا عبدالله بن محمد الحاكم ويحيى ابن على المدبر قالا نا أبو الحسين بن النقور نا ابن حياة ثنا البغوى ثنا هدبه ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » قال الغناء . أخبرنا ابن ناصر نا المبارك بن عبدالجبار نا أبو إسحاق البرمكى نا احمد بن جعفر بن مسلم نا احمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزى ثنا احمد بن حنبل ثنا عبدة ثنا إسماعيل عن سعيد بن يسار . قال سألت عكرمة عن لهو الحديث قال الغناء . وكذلك قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وإبراهيم النخعى .

الآية الثانية قوله عز وجل « وأنتم سامدون » . أخبرنا عبد الله بن على نا طراد بن محمد نا ابن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا عبيدالله ابن عمر ثنا يحيى بن سعد عن سفيان عن أبيه عن عكرمه عن ابن عباس « وأنتم سامدون » قال هو الغناء بالحميرية سمدلنا ـ غنى لنا . وقال مجاهد هو الغناء يقول أهل اليمن سمد فلان إذا غنى .

الآية الثالثة قوله عز وجل : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك » . أخبرنا موهوب بن احمد نا ثابت بن بندار نا عمر بن إبراهيم الزهرى نا عبدالله بن إبراهيم بن ماسى ثنا الحسين بن الكميت ثنا محمد بن نعيم بن القاسم الجرمى عن سفيان الثورى عن ليث عن مجاهد : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك » . قال هو الغناء والمزامير .

أما السنة . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ناعبدالله ابن احمد ثنى أبى ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه . أنه سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه وعدل راحلته عن الطريق . وهو يقول يانافع أتسمع فأقول نعم فيمضى حتى قلت لا فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق وقال رأيت رسول الله ﷺ سمع زمارة راع فصنع مثل هذا .

قال المصنف رحمه الله ، إذا كان هذا فعلهم فى حق صوت لا يخرج عن الاعتدال فكيف بغناء أهل الزمان وزمورهم . أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك ابن عبد الجبار نا الحسين بن محمد النصيبى ثنا إسماعيل بن سعيد بن سويد ثنا أبو بكر بن الانبارى ثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار ثنا ابن ابى مريم ثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة قال نهى رسول الله ﷺ عن شراء المغنيات وبيعهن وتعليمهن . وقال ثمنهن حرام . وقرأ « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين .

أخبرنا عبدالله بن على المقرى نا أبو منصور محمد بن محمد المقرى نا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران ناعمر بن احمد بن عبد الرحمن الجمحى ثنا منصور ابن أبى الأسود عن أبى المهلب عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة . قال نهى رسول الله ﷺ عن بيع المغنيات وعن التجارة فيهن وعن تعليمهن الغناء . وقال ثمنهن حرام . وقال فى هذا أو نحوه . أو وقال شبهه نزلت علىّ « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » . وقال ما من رجل يرفع عقيرة صوته للغناء الا بعث الله له شيطانين يرتد

فانه أعنى هذا من ذا الجانب وهذا من ذا الجانب ولا يزالان يضربان بأرجلهما فى صدره حتى يكون هو الذى يسكت . وروت عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : إن الله عز وجل حرم المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والإستماع اليها ثم قرأ ومن الناس من يشترى لهو الحديث . وروى عبدالرحمن ابن عوف عن النبي ﷺ أنه قال : إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة .

أخبرنا ظفر بن على نا أبوعلى الحسن بن احمد المقتدى نا أبو نعيم الحافظ نا حبيب بن الحسن بن على بن الوليد ثنا محمد بن كليب ثنا خلف بن خليفة عن إبان المكتب عن محمد بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي رباح عن بن عمر قال دخلت مع رسول الله ﷺ فاذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه فى حجره ففاضت عيناه فقلت يا رسول الله أتبكى وتنهانا عن البكاء فقال لست أنهى عن البكاء إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة ضرب وجه وشق جيوب ورنة شيطان .

أخبرنا عبدالله بن على المقرى نا جدى أبو منصور محمد بن احمد الخياط نا عبد الملك بن محمد بن بشران ثنا أبو على احمد بن الفضل بن خزيمة ثنا محمد ابن سويد الطحان ثنا عاصم بن على ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن نخامر الثقة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه . أن النبي ﷺ قال . بعثت بهدم المزمار والطبل .

أخبرنا ابن الحصين نا أبو طالب بن عيلان نا أبو بكر الشافعى ثنا عبدالله ابن محمد بن ناجية ثنا عباد بن يعقوب ثنا موسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على . قال قال رسول الله ﷺ . بعثت بكسر المزامير.
أخبرنا أبو الفتح الكروجى نا أبو عامر الأزدى وأبو بكر العورجى قالا نا الجراحى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا صالح بن عبدالله ثنا الفرج بن فضالة عن يحي بن سعيد عن محمد بن عمر بن على بن أبي طالب عن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة

حل بها البلاء فذكر منها اذا اتخذت القيان والمعازف قال الترمذي وحدثنا علي بن حجر نا محمد بن يزيد عن المستلم بن سعيد عن رميح الجذامي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ اذا اتخذ الفيء دولا ، والأمانة مغنما، والزكاة مغرماً ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور ، ولعن آخر هـذه الأمة أولها . فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع . وقد روى عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال . يكون في أمتي خسف وقذف ومسخ . قيل يا رسول الله متى . قال . إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر . أنبأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الانصاري في كتاب السنن لابن ماجه قال نا أبو العباس أحمد بن محمد الأسداباذي نا أبو منصور المقومي نا أبو طلحة القاسم بن المنذر نا أبو الحسن بن ابراهيم القطان ثنا محمد بن يزيد بن ماجه ثنا الحسين بن أبي الربيع الجرجاني ثنا عبد الرازق أخبرني يحي بن العلاء أنه سمع مكحولا يقول أنه سمع يزيد بن عبدالله يقول أنه سمع صفوان بن أميه قال كنا مع رسول الله ﷺ فجاء عمرو بن قرة فقال يا رسول الله . أن الله عز وجل قد كتب على الشقوة فما أراني أرزق إلا من دفي بكفي فأذن لي في الغناء في غير فاحشة . فقال له رسول الله ﷺ لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة عين . كذبت يا عدو الله لقد رزقك الله حلالا طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله . ولو كنت تقدمت اليك لفعلت بك وفعلت . قم عني وتب إلى الله عز وجل . أما انك لو قلت بعد التقدمة اليك ضربتك ضرباً وجيعاً . وحلقت رأسك مثلة ونفيتك من أهلك . وأحللت سلبك نهبة لفتيان المدينة . فقام عمرو وبه من الشر والخزى ما لا يعلمه إلا الله عز وجل . فلما ولى قال رسول الله ﷺ هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة حشره الله عز وجل عريان لا يستتر بهدبة كلما قام صرع .

وأما الآثارفقال ابن مسعود : الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل . وقال . اذا ركب الرجل الدابة ولم يسم ردفه الشيطان . وقال : تغنه فان لم يحسن . قال له : تمنه . ومر ابن عمر رضى الله عنه بقوم محرمين وفيهم رجل يتغنى . قال ألا لا سمع الله لكم . ومر بجارية صغيرة تغنى فقال: لو ترك الشيطان أحدا لترك هذه . وسأل رجل القاسم بن محمد عن الغناء فقال : أنهاك عنه وأكرهه لك . قال : أحرام هو ؟ قال أنظر يا ابن أخى إذا ميز الله الحق من الباطل فى أيهما يجعل الغناء وعن الشعبى . قال لعن المغنى والمغنى له . اخبرنا عبدالله بن على المقرى ومحمد بن ناصر قالا نا طراد بن محمدنا أبو الحسين بن بشران نا أبوعلى بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنى الحسين ابن عبدالرحمن ثنى عبدالله بن الوهاب قال أخبرنى أبو حفص عمر بن عبيدالله الأرموى . قال . كتب عمر بن العزيز الى مؤدب ولده ليكن أول مايعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمان جل وعز . فانه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الأغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب . ولعمرى لتوقى ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذى الذهن من الثبوت على النفاق فى قلبه . وقال فضيل بن عياض . الغناء رقية الزنا . وقال الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب . وقال يزيد بن الوليد يا بنى أمية إياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وأنه لينوب عن الخمر ويفعل مايفعل السكر . فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء ، فان الغناء داعية الزنا .

قال المصنف رحمه الله قلت : وكم قد فتنت الأصوات بالغناء من عابد وزاهد وقد ذكرنا جملة من أخبارهم فى كتابنا المسمى بذم الهوى . أخبرنا محمد بن ناصر نا ثابت بن بندار نا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمه أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافى ثنى محمد بن يحيى عن معن بن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه . قال : كان سليمان بن عبد الملك فى بادية له . فسمر ليلة على ظهر سطح ثم تفرق عنه جلساؤه : فدعا بوضوء فجاءت به جارية له فبينا هى تصب عليه إذ استمدها بيده ، وأشار اليها فاذا هى ساهية

مصغية بسمعها مائلة بجسدها كله إلى صوت غناء تسمعه فى ناحية العسكر . فأمرها فتنحت واستمع هو الصوت . فاذا صوت رجل يغنى فأنصت له حتى فهم ما يغنى به من الشعر . ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس إذناً عاماً . فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه ولين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه فأفاضوا فى التليين والتحليل والتسهيل . فقال : هل بقى أحد يسمع منه . فقام رجل من القوم فقال . يا أمير المؤمنين عندى رجلان من أهل ايلة حاذقان ، قال . وأين منزلك من العسكر فأومى إلى الناحية التى كان الغناء منها . فقال سليمان يبعث اليهما فوجد الرسول أحدهما فأقبل به حتى أدخله على سليمان، فقال له ، ما إسمك ؟ قال ، سمير ، فسأله عن الغناء . كيف هو فيه فقال حاذق محكم . قال ومتى عهدك به . قال . فى ليلتى هذه الماضية . قال . وفى أى نواحي العسكر كنت فذكر له الناحية التى سمع منها الصوت . قال . فما غنيت فذكر الشعر الذى سمعه سليمان . فأقبل سليمان فقال هدر الجمل فضبعت الناقة وهب التيس فشكرت الشاة ، وهدل الحمام فزافت الحمامة ، وغنى الرجل فطربت المرأة . ثم أمر به فخصى . وسأل عن الغناء أين أصله وأكثر ما يكون . قالوا : بالمدينة وهو فى المخنثين وهم الحذاق به والائمة فيه فكتب إلى عامله على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أخصى من قبلك من المخنثين المغنين .

قال المصنف رحمه الله : وأما المعنى فقد بينا أن الغناء يخرج الانسان عن الاعتدال ويغير العقل . وبيان هذا أن الانسان اذا طرب فعل ما يستقبحه فى حال صحته من غيره من تحريك رأسه، وتصفيق يديه، ودق الأرض برجليه إلى غير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفة ، والغناء يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الخمر فى تغطية العقل . فينبغى أن يقع المنع منه . أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن على الأزجى نا ابن جهضم ثنا يحيى ابن المؤمل ثنا أبو بكر السفاف ثنا أبو سعيد الخراز . قال ذكر عند محمد ابن منصور أصحاب القصائد فقال : هؤلاء الفرارون من الله عز وجل لو ناصحوا الله ورسوله وصدقوه لافادهم فى سرائرهم مايشغلهم عن كثرة التلاقى .

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا محمد بن علي العبادى.قال قال أبو عبدالله بن بطة العكبرى . سألنى سائل عن استماع الغناء فنهيته عن ذلك وأعلمته أنه مما أنكرته العلماء واستحسنه السفهاء وإنما تفعله طائفة سموا بالصوفية وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيئة وشرائع بدعية يظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة . يدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء . يسمعونه من الأحداث والنساء ويطربون ويصعقون ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم اليه. تعالى الله عما يقوله الجاهلون علواً كبيرا .

﴿ فصل فى ذكر الشبه التى تعلق بها من اجاز سماع الغناء ﴾

فمنها حديث عائشة رضى الله عنها أن الجاريتين كانتا تضربان عندها بدفين وفى بعض الفاظه دخل على أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث . فقال : أبو بكر أمزمور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ . فقال رسول الله : دعهما يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا . وقد سبق ذكر الحديث : ومنها حديث عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الانصار .فقال النبي ﷺ ياعائشة ماكان معهم من اللهو . فإن الانصار يعجبهم اللهو ـ وقد سبق ومنها حديث فضالة ابن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال : الله أشد اذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته . قال ابن طاهر : وجه الحجة أنه أثبت تحليل استماع الغناء إذ لا يجوز أن يقاس على محرم ومنها حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ . أنه قال : ما أذن الله عز وجل لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن.ومنها حديث حاطب عن النبي ﷺ أنه قال : فصل مابين الحلال والحرام الضرب بالدف .

والجواب . أما حديثا عائشة رضى الله عنها فقد سبق الكلام عليهما وبينا أنهم كانوا ينشدون الشعروسمى بذلك غناء لنوع يثبت فى الانشاد وترجيع ومثل ذلك لايخرج الطباع عن الاعتدال وكيف يحتج بذلك الواقع فى الزمان السليم عند قلوب صافية على هذه الأصوات المطربة الواقعة فى زمان كدر

عند نفوس قد تملكها الهوى ما هـذا الامغالطة للفهم أو ليس قد صح فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها أنهاقالت . لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المساجد.وإنما ينبغى للمفتى أن يزن الأحوال كما ينبغى للطبيب أن يزن الزمان والسن والبلد ثم يصف على مقدار ذلك وأين الغناء بما تقاولت به الانصار يوم بعاث من غناء أمرد مستحسن بآلات مستطابة وصناعة تجذب إليها النفس وغزليات يذكر فيها الغزال والغزالة والخال والخد والقد والاعتدال فهل يثبت هنـاك طبع هيهات بل ينزعج شوقاً إلى المستلذ ولا يدعى أنه لا يجد ذلك إلا كاذب أو خارج عن حد الآدمية ومن ادعى أخذ الاشارة من ذلك إلى الخالق فقد استعمل فى حقه مالا يليق به على أن الطبع يسبقه إلى مايجد من الهوى وقدأجاب أبو الطيب الطبرى عن هذا الحديث بجواب آخر . فأخبرنا أبو القاسم الحريرى عنه أنه قال. هذا الحديث حجتنا لأن أبا بكر سمى ذلك مزمور الشيطان ولم ينكر النبى ﷺ على أبى بكر قوله وإنما منعه من التغليظ فى الانكار لحسن رفعته لا سيما فى يوم العيد . وقد كانت عائشة رضى الله عنها صغيرة فى ذلك الوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها إلا ذم الغناء . وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء ويمنع من سماعه وقد أخذ العلم عنها .

قال المصنف رحمه الله : وأما اللهو المذكور فى الحديث الآخر فليس بصريح فى الغناء فيجوز أن يكون إنشاد الشعر أو غيره. وأما التشبيه بالاستماع إلى القينة فلا يمتنع أن يكون المشبه حراماً . فإن الانسان لو قال وجدت للعسل لذة أكثر من لذة الخمر كان كلاماً صحيحاً وإنما وقع التشبيه بالاصغاء فى الحالتين فيكون أحدهما حلالا أو حراماً لا يمنع من التشبيه. وقد قال عليه الصلاة والسلام أنكم لترون ربكم كما ترون القمر فشبه أيضاً الرؤية بإيضاح الرؤية وإن كان وقع الفرق بأن القمر فى جهة يحيط به نظر الناظر والحق منزه عن ذلك والفقهاء يقولون فى ماء الوضوء لا ننشف الأعضاء منه لأنه أثر عبادة فلا يسن مسحه كدم الشهيد. فقد جمعوا بينهما من جهة اتفاقهما فى كونهما عبادة . وان افترقا فى الطهارة والنجاسة. واستدلال ابن طاهر بأن القياس لا يكون إلا على مباح

فقه الصوفية لاعلم الفقهاء . وأما قوله يتغنى بالقرآن فقد فسره سفيان بن عيينة فقال معناه يستغنى به وفسره الشافعي فقال . معناه يتحزن به ويترنم وقال غيرهما يجعله مكان غناء الركبان إذا ساروا . وأما الضرب بالدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وما كانت هكذا ـ فكيف لو رأوا هذه ـ وكان الحسن البصري يقول ليس الدف من سنة المرسلين في شيء . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام من ذهب به إلى الصوفية فهو خطأ في التأويل على رسول الله ﷺ . وإنما معناه عندنا إعلان النكاح واضطراب الصوت والذكر في الناس .

قال المصنف رحمه الله قلت : ولو حمل على الدف حقيقة على أنه قد قال أحمد ابن حنبل أرجو أن لا يكون بالدف بأس في العرس ونحوه وأكره الطبل .

أخبرنا عبدالله بن علي المقرى نا نصر بن أحمد بن النظر نا أبو محمد عبدالله بن عبيدالله المؤدب ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملي ثنا عبيدالله بن جرير بن جبلة ثنا عمر بن مرزوق ثنا زهير عن أبي اسحق عن عامر بن سعد البجلي قال طلبت ثابت ابن سعد وكان بدرياً فوجدته في عرس له قال واذا جوار يغنين ويضربن بالدفوف فقلت ألا تنهى عن هذا قال لا أن رسول الله ﷺ رخص لنا في هذا .

أخبرنا عبدالله بن علي نا جدى أبو منصور محمد بن أحمد الخياط نا عبدالملك بن بشران ثنا أبو علي أحمد بن الفضل بن خزيمة ثنا أحمد بن القاسم الطائي ثنا ابن سهم ثنا عيسى بن يونس عن خالد بن الياس عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن عن القاسم عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ اظهروا النكاح واضربوا عليه بالغربال يعني الدف.

قال المصنف رحمه الله . وكل ما احتجوا به لا يجوز أن يستدل به على جواز هذا الغناء المعروف المؤثر في الطباع ، وقد احتج لهم أقوام مفتونون بحب التصوف بما لا حجة فيه فمنهم أبو نعيم الأصفهاني فانه قال كان البراء بن مالك يميل إلى السماع ويستلذ بالترنم .

قال المصنف رحمه الله : وإنما ذكر أبو نعيم هذا عن البراء لانه روى عنه أنه استلقى يوماً فترنم فانظر الى هذا الاحتجاج البارد فان الانسان لا يخلو من أن يترنم فأين الترنم من السماع للغناء المطرب . وقد استدل لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغتر لم يصلح ذكرها لانها ليست بشيء فمنها أنه قال

فى كتابه باب الاقتراح على القوال والسنة فيه . فجعل الاقتراح على القوال سنة واستدل بما روى عمرو بن الشريد عن أبيه . قال ، استنشدنى رسول الله ﷺ من شعر أمية فأخذ يقول هى هى حتى أنشدته مائة قافية وقال ابن طاهر باب الدليل على استماع الغزل . قال العجاج سألت أبا هريرة رضى الله عنه طاف الخيالات فهاجا سقما . فقال أبو هريرة رضى الله عنه كان ينشد مثل هذا بين يدى رسول الله ﷺ .

قال المصنف رحمه الله : فانظر إلى احتجاج ابن طاهر ما اعجبه كيف يحتج على جواز الغناء بانشاد الشعر وما مثله الا كمثل من قال . يجوز أن يضرب بالكف على ظهر العود فجاز أن يضرب بأوتاره أو قال ، يجوز أن يعصر العنب ويشرب منه فى يومه فجاز أن يشرب منه بعد أيام ، وقد نسى أن إنشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء . وقد أنبأنا أبو زرعة بن محمد بن طاهر عن أبيه ، قال أخبرنا أبو محمد التميمى قال ، سألت الشريف أبا على بن أبى موسى الهاشمى عن السماع فقال . ما أدرى ما أقول فيه غير انى حضرت ذات يوم شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمى سنة سبعين وثلاثمائة فى دعوة عملها لأصحابه حضرها أبو بكر الأبهرى شيخ المالكيين وأبو القاسم الداركى شيخ الشافعيين وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبو الحسين ابن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد وأبو عبدالله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر بن الباقلانى فى دار شيخنا أبى الحسن التميمى شيخ الحنابلة . فقال : أبو على لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتى فى حادثة بسنة . ومعهم أبو عبدالله غلام وكان يقرأ القرآن بصوت حسن فقيل له قل شيئاً فقال : وهم يسمعون .

خطت أناملها فى بطن قرطاس رسالة بعبير لا بأنفاس
أن زر فديتك قف لى غير محتشم فان حبك لى قد شاع فى الناس
فكان قولى لمن أدى رسالتها قف لى لأمشى على العينين والرأس

قال أبو على فبعد ما رأيت هذا لا يمكننى أن أفتى فى هذه المسألة بحظر ولا أباحة.

قال المصنف رحمه الله . وهذه الحكاية ان صدق فيها محمد بن طاهر فان شيخنا ابن ناصر الحافظ كان يقول ليس محمد بن طاهر بثقة حملت هذه الأبيات على انه

أنشدها لا أنه غنى بها بقضيب ومخدة اذ لو كان كذلك لذكره ثم فيها كلام مجمل قوله لا يمكنني أن أقول فيها بحظر ولا إباحة لأنه ان كان مقلداً لهم فينبغي أن يفتى بالإباحة وان كان ينظر فى الدليل فيلزمه مع حضورهم أن يفتى بالحظر ثم بتقدير صحتها أفلا يكون اتباع المذهب أولى من اتباع أرباب المذاهب. وقد ذكرنا عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين ما يكفى فى هذا وشيدنا ذلك بالأدلة. وقال ابن طاهر فى كتابه: باب إكرامهم للقوال وإفرادهم الموضع له - واحتج بأن النبي ﷺ رمى بردة كانت عليه الى كعب بن زهير لما أنشده بانت سعاد. وإنما ذكرت هذا ليعرف قدر فقه هذا الرجل واستنباطه وإلا فالزمان أشرف من أن يضيع بمثل هذا التخليط. وأنبأنا أبو زرعة عن أبيه محمد بن طاهر نا أبو سعيد اسماعيل بن محمد الحجاجي ثنا أبو محمد عبدالله بن أحمد المقرى ثنا أبي ثنا علي بن أحمد ثنا محمد بن العباس بن بلال قال سمعت سعيد بن محمد قال حدثني ابراهيم بن عبدالله وكان الناس يتبركون به قال حدثنا المزنى قال مررنا مع الشافعي وابراهيم بن اسماعيل على دار قوم وجارية تغنيهم.

خليلى ما بال المطايا كأننا   نراها على الأعقاب بالقوم تنكص

فقال الشافعي. ميلوا بنا نسمع، فلما فرغت قال الشافعي لابراهيم: أيطربك هذا. قال لا. قال. فما لك حس.

قال المصنف رحمه الله قلت. وهذا محال على الشافعي رضى الله عنه وفى الرواية مجهولون وابن طاهر لا يوثق به وقد كان الشافعي أجل من هذا كله. ويدل على صحة ما ذكرناه ما أخبرنا به أبو القاسم الحريرى عن أبي الطيب الطبرى. قال: أما سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم فان أصحاب الشافعي قالوا. لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة قال وقال الشافعي: وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته. ثم غلظ القول فيه فقال وهو دياثة.

قال المصنف رحمه الله. وإنما جعل صاحبها سفيهاً فاسقاً لأنه دعا الناس إلى الباطل ومن دعا إلى الباطل كان سفيهاً فاسقاً.

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد أخبرنا محمد بن القاسم البغدادى عن أبي محمد

التيمى عن أبى عبد الرحمن السلمى . قال : اشترى سعد بن عبدالله الدمشقى جارية قوالة للفقراء وكانت تقول لهم القصائد .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد ذكر أبو طالب المكى فى كتابه قال أدركنا مروان القاضى وله جوار يسمعن التلحين قد أعدهن للصوفية . قال: وكانت لعطاء جاريتان تلحنان وكان اخوانه يسمعون التلحين منهما .

قال المصنف رحمه الله قلت : أما سعد الدمشقى فرجل جاهل ، والحكاية عن عطاء محال وكذب ، وان صحت الحكاية عن مروان (١) فهو فاسق والدليل على ما قلنا ما ذكرنا عن الشافعى رضى الله عنه وهؤلاء القوم جهلوا العلم فمالوا إلى الهوى . وقد أنبأنا زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابونى وأبو بكر البيهقى قالا أنبأنا الحاكم أبو عبدالله النيسابورى . قال أكثر ما التقيت أنا وفارس بن عيسى الصوفى فى دار أبى بكر الأبريسمى للسماع من هزارة رحمها الله فانها كانت من مستورات القوالات .

قال المصنف: قلت . وهذا أقبح شىء من مثل الحاكم كيف خفى عليه أنه لايحل له أن يسمع من امرأة ليست بمحرم ثم يذكر هذا فى كتاب تاريخ نيسابور وهو كتاب علم من غير تحاش عن ذكر مثله لقد كفاه هذا قد حافى عدالته .

قال المصنف رحمه الله . فان قيل ما تقول فيما أخبركم به اسماعيل بن احمد السمرقندى نا عمر بن عبدالله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن احمد نا حنبل بن اسحاق ثنا هرون بن معروف ثنا جرير عن مغيرة قال كان عون بن عبدالله يقص فاذا فرغ أمر جارية له تقص وتطرب . قال المغيرة . فأرسلت اليه أو أردت أن أرسل اليه انك من أهل بيت صدق وأن الله عز وجل لم يبعث نبيه ﷺ بالحمق . وان صنيعك هذا صنيع أحمق . فالجواب أنا لانظن بعون أنه أمر الجارية أن تقص على الرجال بل أحب أن يسمعها منفرداً وهى ملكه . فقال: له مغيرة الفقيه هذا القول وكره أن تطرب الجارية له فما ظنك بمن يسمعهن الرجال ويرقصهن ويطربهن :

(١) فى النسخة الثانية أبى مروان

وقد ذكر أبو طالب المكى أن عبد الله بن جعفر - كان يسمع الغناء .

قال المصنف رحمه الله . وإنما كان يسمع إنشاد جواريه وقد أردف ابن طاهر الحكاية التى ذكرها عن الشافعى وقد ذكرناها آنفاً بحكاية عن احمد بن حنبل رواها من طريق عبد الرحمن السلمى قال حدثنا الحسين بن احمد قال سمعت أبا العباس الفرغانى يقول سمعت صالح بن احمد بن حنبل يقول : كنت أحب السماع وكان أبى احمد يكره ذلك فوعدت ليلة ابن الخبازة فمكث عندى إلى أن علمت أن أبى قد نام وأخذ يغنى فسمعت حس أبى فوق السطح فصعدت فرأيت أبى فوق السطح يسمع وذيله تحت أبطه يتبخطر على السطح كأنه يرقص ،

قال المصنف رحمه الله :هذه الحكاية قد بلغتنا من طرق ففى بعض الطرق عن صالح قال. كنت أدعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبى فى الزقاق يذهب ويجىء ويسمع اليه وكان بيننا وبينه باب وكان يقف من وراء الباب يستمع وقد أخبرنا بها أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد بن على بن ثابت نا احمد بن على بن الحسين النورى ثنا يوسف بن عمر القواس قال سمعت أبا بكر بن مالك القطيعى يحكى أظنه عن عبد الله بن احمد قال كنت أدعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبى ينهانى عن التغنى فكنت إذا كان ابن الخبازة عندى أكتمه عن أبى لئلا يسمع فكان ذات ليلة عندى وكان يغنى [1] فعرضت لأبى عندنا حاجة وكنا فى زقاق فجاء فسمعه يغنى فتسمع فوقع فى سمعه شىء من قوله فخرجت لأنظر فإذا بأبى ذاهباً وجائياً فرددت الباب فدخلت فلما كان من الغد . قال لى :يابنى إذا كان هذا : نعم . . الكلام أو معناه .

قال المصنف رحمه الله . وهذا ابن الخبازة كان ينشد القصائد الزهديات التى فيها ذكر الآخرة . ولذلك استمع اليه احمد ، وقول من قال ينزعج فإن الإنسان قد يزعجه الطرب فيميل يميناً وشمالا . وأما رواية ابن طاهر التى فيها فرأيته وذيله تحت أبطه يتبختر على السطح كأنه يرقص فإنما هو من تغيير

(١) فى النسخة الثانية وكان يقول أى ينشد بدل قوله ويغنى فى المكانين .

الرواة وتغييرهم لا يظنونه المعنى [1] تصحيحاً لمذهبهم فى الرقص. وقد ذكرنا القدح فى السلمى وفى ابن طاهر الراويين لهذه اللفظات. وقد احتج لهم أبو طالب المكى على جواز السماع بمنامات وقسم السماع إلى أنواع وهو تقسيم صوفى لا أصل له. وقد ذكرنا أن من ادعى أنه يسمع الغناء ولا يؤثر عنده تحريك النفس إلى الهوى فهو كاذب. وقد أخبرنا أبو القاسم الحريرى عن أبى طالب الطبرى قال قال بعضهم. انا لا نسمع الغناء بالطبع الذى يشترك فيه الخاص والعام: قال وهذا تجاهل منه عظيم لأمرين. أحدهما أنه يلزمه على هذا أن يستبيح العود والطنبور وسائر الملاهى لأنه يسمعه بالطبع الذى لا يشاركه فيه أحد من الناس فإن لم يستبح ذلك فقد نقض قوله وإن استباح فقد فسق. والثانى أن هذا المدعى لا يخلو من أن يدعى أنه فارق طبع البشر وصار بمنزلة الملائكة. فإن قال هذا فقد تخرص على طبعه وعلم كل عاقل كذبه إذا رجع إلى نفسه ووجب أن لا يكون مجاهداً لنفسه ولا مخالفاً لهواه ولا يكون له ثواب على ترك اللذات والشهوات. وهذا لا يقوله عاقل وإن قال أنا على طبع البشر المجبول على الهوى والشهوة: قلنا له: فكيف تسمع الغناء المطرب بغير طبعك، أو تطرب لسماعه لغير ما غرس فى نفسك.

اخبرنا ابن ناصر نا احمد بن على بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال: سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول: سئل أبو على الروذبارى عمن سمع الملاهى ويقول هى لى حلال لأنى قد وصلت إلى درجة لا تؤثر فى اختلاف الاحوال فقال نعم. قد وصل لعمرى ولكن الى سقر.

قال المصنف رحمه الله. فإن قيل قد بلغنا عن جماعة أنهم سمعوا من المنشد شيئاً فأخذوه على مقصودهم فانتفعوا به. قلنا. لا ينكر أن يسمع الانسان بيتاً من الشعر أو حكمة فيأخذها إشارة فتزعجه بمعناها لا لأن الصوت مطرب كما سمع بعض المريدين صوت مغنية تقول.

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

---

(1) كذا فى النسختين وفى العبارة نقص أو تصحيف بالمعنى اه.

فصاح ومات فهذا لم يقصد سماع المرأة ولم يلتفت إلى التلحين . وإنما قتله المعنى ثم ليس سماع كلمة أو بيت لم يقصد سماعه كالاستعداد لسماع الأبيات المذكورة الكثيرة المطربة مع انضمام الضرب بالقضيب والتصفيق إلى غير ذلك ثم إن ذلك السامع لم يقصد السماع . ولو سألنا هل يجوز لى أن أقصد سماع ذلك منعناه .

قال المصنف رحمه الله : وقد احتج لهم أبو حامد الطوسى بأشياء نزل فيها عن رتبته عن الفهم مجموعها أنه قال : ما يدل على تحريم السماع نص ولا قياس وجواب هذا ما قد أسلفناه وقال : لا وجه لتحريم سماع صوت طيب فاذا كان موزوناً فلا يحرم أيضاً وإذا لم يحرم الآحاد فلا يحرم المجموع . فان أفراد المباحثات إذا اجتمعت كان المجموع مباحاً قال : ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك فان كان فيه شيء محظور حرم نثره ونظمه ، وحرم التصويت به .

قال المصنف رحمة الله : قلت : وإنى لأتعجب من مثل هذا الكلام فان الوتر بمفرده أو العود وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب فاذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج ، وكذلك ماء العنب جائز شربه وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم .

وكذلك هذا المجموع يوجب طربا يخرج عن الاعتدال فيمنع منه لذلك . وقال ابن عقيل : الأصوات على ثلاثة أضرب محرم ومكروه ومباح . فالمحرم الزمر والناى والسرنا والطنبور والمعزفة والرباب وما ماثلها ، نص الإمام أحمد بن حنبل على تحريم ذلك . ويلحق به الجرافة [1] والجنك لأن هذه تطرب فتخرج عن حد الاعتدال وتفعل فى طباع الغالب من الناس ما يفعله المسكر ، وسواء استعمل على حزن يهيجه أو سرور . لأن النبى ﷺ نهى عن صوتين أحمقين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة ، والمكروه القضيب لكنه ليس بمطرب فى نفسه وإنما يطرب بما يتبعه وهو تابع للقول ، والقول مكروه ، ومن أصحابنا من يحرم القضيب كما يحرم آلات اللهو فيكون فيه وجهان كالقول (٢) نفسه

(١) فى الثانية : الحراية وهذه كلها أسماء لآلات الملاهى وفى نسخة الجرانة .
(٢) وفى نسخة كالعود .

والمباح الدف وقد ذكرنا عن أحمد أنه قال أرجو أن لا يكون بالدف بأس فى العرس ونحوه وأكره الطبل . وقد قال أبو حامد : من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فالسماع فى حقه مؤكد لعشقه .

قال المصنف رحمه الله قلت وهذا قبيح أن يقال عن الله عز وجل يعشق وقد بينا فيما تقدم خطأ هذا القول ثم أى توكيد لعشقه فى قول المغنى :

ذهبى اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح

قال المصنف رحمه الله قلت : وسمع ابن عقيل بعض الصوفية يقول : أن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حداها الحادى إلى الله بالأناشيد فقال ابن عقيل : لا كرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله فى القرآن ووعيده وسنة الرسول ﷺ لأن الله سبحانه وتعالى قال : (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) وما قال : وإذا أنشدت عليه القصائد طربت . فأما تحريك الطباع بالألحان فقاطع عن الله والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق مما يتعدد عنه فتنه . ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون . بل ينبغى النظر إلى المحال التى أحالنا عليها الإبل والخيل والرياح ونحو ذلك ، فانها منظورات لا تهيج طبعا بل تورث استعظاما للفاعل . وإنما خدعكم الشيطان فصرتم عبيد شهواتكم ، ولم تقفوا حتى قلتم هذه الحقيقة . وأنتم زنادقة فى زى عباد ، شرهين فى زى زهاد مشبهة تعتقدون أن الله عز وجل يعشق ويهام فيه . ويؤلف ويؤنس به ، وبئس التوهم لأن الله عز وجل خلق الذوات مشاكلة لأن أصولها مشاكلة فهى تتؤانس وتتألم بأصولها العنصرية وتراكيبها المثلية فى الأشكال الحديثة . فمن ههنا جاء التلاوم والميل وعشق بعضهم بعضا ، وعلى قدر التقارب فى الصورة يتأكد الأنس . والواحد منا يأنس بالماء لأن فيه ماء وهو بالنبات آنس لقربه من الحيوانية بالقوة النمائية وهو بالحيوان آنس لمشاركته فى أخص النوع به أو أقربه إليه فأين المشاركة للخالق والمخلوق حتى يحصل الميل إليه والعشق والشوق . وما الذى بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة وإنما هؤلاء يصورون البارى سبحانه وتعالى صورة تثبت فى القلوب ، وما ذاك الله عز وجل ذاك صنم شكله الطبع والشيطان وليس لله وصف تميل إليه الطباع ولا تشتاق إليه

الأنفس وإنما مباينة الإلهية للمحدث أوجبت فى الأنفس هيبة وحشمة فما يدعيه عشاق الصوفية لله فى محبة الله إنما هو وهم اعترض . وصورة شكلت فى نفوس فحجبت عن عبادة القديم فتجدد بتلك الصورة أنس فاذا غابت بحكم ما يقتضيه العقل أقلقهم الشوق اليها فنالهم من الوجد وتحرك الطبع والهيمان ماينال الهائم فى العشق فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة والعوارض الطبيعية التى يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب كما يجب كسر الأصنام .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد كان جماعة من قدماء الصوفية ينكرون على المبتدى السماع لعلمهم بما يثير من قلبه . أخبرنا عمر بن ظفر المقرى نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن على الأزجى ثنا بن جهضم ثنى أبو عبدالله المقرى ثنا عبدالله بن صالح قال قال لى جنيد : إذا رأيت المريد يسمع السماع فاعلم أن فيه بقايا من اللعب . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد ابن أبى صادق نا أبو عبدالله بن باكويه قال سمعت احمد بن محمد البردعى يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول لبعض أصحابه : إذا رأيت المريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهية فلا ترج خيره .

قال المصنف رحمه الله : هذا قول مشايخ القوم وإنما ترخص المتأخرون حب اللهو فتعدى شرهم من وجهين . أحدهما سوء ظن العوام بقدمائهم لأنهم يظنون أن الكل كانوا هكذا . والثانى أنهم جرأوا العوام على اللعب فليس للعامى حجة فى لعبه إلا أن يقول فلان يفعل كذا ويفعل كذا .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن وما ذاك إلا لتمكن هوى باطن تمكن منه وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا عبد الكريم بن هوزان وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبى وقال سمعت أبا حاتم محمد بن احمد بن يحيى السجستانى قال سمعت أبا نصر السراج يقول . حكى لى بعض إخوانى عن أبى الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت الرى سألت عن منزله وكل من أساله عنه يقول إيش تفعل بذلك

الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت جئت إلى هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده وهو قاعد فى المحراب بين يديه رجل على يديه مصحف وهو يقرأ فدنوت فسلمت فرد السلام وقال من أين قلت من بغداد قصدت زيارة الشيخ فقال تحسن أن تقول شيئاً فقلت نعم وقلت :

رأيتك تبنى دائماً فى قطيعتى ولو كنت ذا حزم لهدمت ماتبنى

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه . ثم قال لى يابنى تلوم أهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هوذا أقرأ القرآن لم تقطر من عينى قطرة وقد قامت على القيامة بهذا البيت . وانبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن نا أبى قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول . فأخرجت إلى مرو فى حياة الاستاذ أبى سهل الصعلوكى وكان له قبل خروجى أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختمات فوجدته عند خروجى قد رفع ذلك المجلس وعقد لابن الفرغانى فى ذلك الوقت مجلس القوال يعنى المغنى فتداخلنى من ذلك شيء فكنت أقول قد استبدل مجلس الختمات بمجلس القوال . فقال لى يوماً . أى شيء تقول الناس . فقلت يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول . فقال من قال لأستاذه لم لم يفلح .

قال المصنف رحمه الله . هذه دعاة الصوفية يقولون الشيخ يسلم له حاله وما لنا أحد يسلم اليه حاله . فإن الآدمى يرد عن مراداته بالشرع والعقل والبهائم بالسوط .

﴿ فصل ﴾ وقد اعتقد قوم من الصوفية أن هذا الغناء الذى ذكرنا عن قوم تحريمه وعن آخر كراهته مستحب فى حق قوم . وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى قال حدثنا أبى قال سمعت أبا على الدقاق يقول ، السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم ، مباح الزهاد لحصول مجاهداتهم ، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم .

قال المصنف رحمه الله قلت . وهذا غلط من خمسة أوجه . أحدها اناقد

ذكرنا عن أبي حامد الغزالى أنه يباح سماعه لكل أحد. وأبو حامد كان أعرف من هذا القائل. والثانى أن طباع النفوس لا تتغير وإنما المجاهدة تكف عملها. فمن ادعى تغير الطباع ادعى المحال. فاذا جاء ما يحرك الطباع. واندفع الذى كان يكفها عنه عادت العادة. والثالث أن العلماء اختلفوا فى تحريمه وإباحته وليس فيهم من نظر فى السامع لعلمهم أن الطباع تتساوى فمن ادعى خروج طبعه عن طباع الآدميين ادعى المحال. والرابع أن الاجماع انعقد على انه ليس بمستحب وإنما غايته الإباحة فادعاء الاستحباب خروج عن الاجماع.. والخامس انه يلزم من هذا أن يكون سماع العود مباحاً أو مستحباً عند من لا يغير طبعه لأنه إنما حرم لأنه يؤثر فى الطباع ويدعوها إلى الهوى فاذا أمن ذلك فينبغى أن يباح وقد ذكرنا هذا عن أبي الطيب الطبرى.

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله. وقد ادعى قوم منهم أن هذا السماع قربة إلى الله عز وجل. قال أبو طالب المكى. حدثنى بعض أشياخنا عن الجنيد أنه قال تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواطن. عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة. وعند المذاكرة لأنهم يتجاوزون فى مقامات الصديقين وأحوال النبيين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً.

قال المصنف رحمه الله قلت، وهذا إن صح عن الجنيد وأحسنا به الظن كان محمولا على ما يسمعونه من القصائد الزهدية فانها توجب الرقة والبكاء، فأما أن تنزل الرحمة عند وصف سعدى وليلى ويحمل ذلك على صفات البارى سبحانه وتعالى فلا يجوز اعتقاد هذا ولو صح أخذ الإشارة من ذلك كانت الإشارة مستغرقة فى جنب غلبة الطباع. ويدل على ما حملنا الأمر عليه انه لم يكن ينشد فى زمان الجنيد مثل ما ينشد اليوم إلا أن بعض المتأخرين قد حمل كلام الجنيد على كل ما يقال. فحدثنى أبو جعفر احمد بن أزهر بن عبدالوهاب السباك عن شيخنا عبدالوهاب بن المبارك الحافظ قال كان أبو الوفا الفيروزبادى شيخ رباط الزوزنى صديقاً لى، فكان يقول لى والله إنى لأدعو لك وأذكرك وقت وضع المخدة والقول، قال فكان الشيخ عبد الوهاب يتعجب ويقول أترون هذا يعتقد أن ذلك وقت إجابة إن هذا لعظيم. وقال ابن عقيل، قد

سمعنا منهم أن الدعاء عند حدو الحادي وعند حضور المخدة مجاب وذلك أنهم يعتقدون انه قربة يتقرب بها إلى الله تعالى ، قال وهذا كفر ، لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً ، قال والناس بين تحريمه وكراهيته . أخبرنا أبو منصور عبدالرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن علي بن ثابت قال أخبرني علي بن أيوب قال أخبرنا محمد بن عمران بن موسى قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا الحسين بن فهم قال حدثني أبو همام قال حدثني ابراهيم بن أعين قال قال صالح المري، أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه إلى الله قربة ، وأثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ . أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبدالكريم القشيري قال حدثنا أبي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن عبدالله ابن شاذان يقول سمعت أبا بكر النهاوندي يقول سمعت علياً السائح يقول سمعت أبا الحارث الأولاسي يقول رأيت إبليس في المنام على بعض سطوح أولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف، فقال لطائفة منهم قولوا وغنوا ، فاستغرقني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح ثم قال أرقصوا فرقصوا أطيب ما يكون . ثم قال لي يا أبا الحارث ما أصبت منكم شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الوجد ﴾

قال المصنف رحمه الله: هذه الطائفة اذا سمعت الغناء تواجدت، وصفقت وصاحت ومزقت الثياب ، وقد لبس عليهم إبليس في ذلك وبالغ . وقد احتجوا بما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن عبدالباقي قال أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد ابن الفضل الكرماني قال أخبرنا أبو الحسن سهل بن علي الخشاب قال أخبرنا أبو نصر عبدالله بن علي السراج الطوسي . قال وقد قيل له : انه لما نزلت : « وأن جهنم لموعدهم أجمعين » : صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هارباً ثلاثة أيام . واحتجوا بما أخبرنا به عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الخياط قال أخبرنا احمد بن محمد بن يوسف بن دوست قال أخبرنا الحسين

ابن صفوان قال حدثنا أبو بكر عبدالله بن محمد القرشي قال اخبرنا على بن الجعد قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبى وائل . قال خرجنا مع عبدالله ومعنا الربيع بن خثيم فمررنا على حداد فقام عبدالله ينظر إلى حديدة فى النار فنظر الربيع اليها فال ليسقط ثم أن عبدالله مضى حتى أتينا على أتون على شاطىء الفرات فلما راه عبدالله والنار تلتهب فى جوفه قرأ هذه الآية : « إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً » إلى قوله « ثبوراً كثيراً » فصعق الربيع واحتملناه إلى أهله ورابطه عبدالله حتى يصلى الظهر فلم يفق ثم رابطه إلى العصر فلم يفق ثم رابطه إلى المغرب فأفاق فرجع عبدالله إلى أهله . قالوا : وقد اشتهر عن خلق كثير من العباد أنهم كانوا اذا سمعوا القرآن فمنهم من يموت ، ومنهم من يصعق ويغشى عليه ، ومنهم من يصيح ، وهذا كثير فى كتب الزهد : والجواب أما ما ذكره عن سلمان فمحال وكذب ، ثم ليس له إسناد والآية نزلت بمكة وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلا . وأما حكاية الربيع بن خثيم فان راويها عيسى بن سليم وفيه معمر . أنبأنا عبدالوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو بكر محمد المظفر الشامى قال أخبرنا أبو الحسن احمد بن محمد العتيقى قال أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن احمد الصيدلانى قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلى : قال قال احمد بن حنبل عيسى بن سليم عن أبى وائل لا أعرفه . قال العقيلى : وحدثنا عبدالله بن احمد قال حدثنى أبى قال حدثنى بن آدم . قال سمعت حمزة الزيات قال لسفيان انهم يروون عن الربيع بن خثيم أنه صعق . قال : ومن يروى هذا إنما كان يرويه ذاك القاص - يعنى عيسى بن سليم - فلقيته فقلت . عمن تروى أنت ذا - منكراً عليه

قال المصنف رحمه الله قلت . فهذا سفيان الثورى ينكر أن يكون الربيع ابن خثيم جرى له هذا لأن الرجل كان على السمت الأول ، وما كان فى الصحابة من يجرى له مثل هذا ولا التابعين . ثم نقول على تقدير الصحة . ان الإنسان قد يخشى عليه من الخوف فيسكنه ويسكته فيبقى كالميت وعلامة الصادق أنه لو كان على حائط لوقع لأنه غائب . فأما من يدعى الوجد

ويتحفظ من أن تزل قدمه ثم يتعدى إلى تخريق الثياب وفعل المنكرات فى الشرع فإنا نعلم قطعاً أن الشيطان يلعب به .

وأخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أحمد بن على بن ثابت قال أخبرنا محمد بن على بن الفتح قال اخبرنا محمد بن الحسين النيسابورى قال سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول : كان للشبلى يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صيحة فصاح يوماً صيحة تشوش من حوله من الخلق وكان بجنب حلقته حلقة أبى عمران الأشيب فخرد أبو عمران وأهل حلقته.

قال المصنف رحمه الله . واعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب . وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع . فجرى من بعض غرائبهم نحو ما أنكرناه فبالغ رسول الله ﷺ فى الإنكار عليه . فأخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال أنبأنا أحمد بن على بن خاف قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ وانبأنا بن الحصين قال انبأنا أبو على ابن المذهب قال اخبرنا أبو حفص بن شاهين قال حدثنا عثمان بن أحمد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفى قال حدثنا عبد المتعال ابن طالب قال حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس قال . وعظ رسول الله ﷺ يوماً فإذا رجل قد صعق . فقال النبى ﷺ من ذا الملبس علينا ديننا إن كان صادقاً فقد شهر نفسه وإن كان كاذباً فمحقه الله . قال ابن شاهين وحدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال حدثنا عبد الله بن يوسف الجبيرى قال حدثنا روح بن عطاء بن أبى ميمون عن أبيه عن أنس بن مالك . قال ذكر عنده هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة فقال أنس : لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله ﷺ ذات يوم حتى سمعنا للقوم حنيناً حين أخذتهم الموعظة وما سقط منهم أحد

قال المصنف رحمه الله : وهذا حديث العرباض بن سارية : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب . قال أبو بكر الآجرى ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان . أخبرنا عبد الله بن على المقرى قال أخبرنا أبو ياسر أحمد بن بندار ابن ابراهيم قال أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار قال أخبرنا أحمد بن جعفر ابن حمدان قال أخبرنا ابراهيم بن عبد الله البصرى قال حدثنا أبو عمر حفص ابن عبد الله الضرير قال أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطى قال حدثنا حصين

ابن عبد الرحمن . قال قلت لأسماء بنت أبى بكر . كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ وآله عند قراءة القرآن ، قالت كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم عز وجل تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم . فقلت لها إن ههنا رجالا إذا قرىء على أحدهم القرآن غشى عليه فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن محمد السراج نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل ثنا الوليد بن شجاع ثنا اسحاق الحلبى ثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة قال . سألت أسماء بنت أبى بكر هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف قالت . لا ولكنهم كانوا يبكون .

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى وأخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قالا أخبرنا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن أحمد ثنا سريج بن يونس ثنا سعيد ابن عبد الرحمن الجمحى عن أبى حازم قال . مر ابن عمر رضى الله عنه برجل ساقط من العراق . فقال . ما شأنه ؟ فقالوا . إذا قرىء عليه القرآن يصيبه هذا . قال : انا لنخشى الله عز وجل وما نسقط .

أخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن على الرستمى نا أبو الحسين بن بشران ثنا اسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة عن عبدالله بن أبى بردة عن ابن عباس . أنه ذكر الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن . فقال انهم ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى وهم مضلون .

أنبأنا ابن الحصين نا أبو على بن المذهب نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق نا ابراهيم بن فهد عن ابراهيم بن الحجاج الشامى ثنا شبيب بن مهران عن قتادة . قال قيل لأنس بن مالك . ان ناساً إذا قرىء عليهم القرآن يصعقون فقال . ذاك فعل الخوارج .

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف نا عمر ابن على بن الفتح نا أحمد بن محمد الكاتب ثنا عبدالله بن المغيرة ثنا أحمد بن سعيد الدمشقى قال بلغ عبدالله بن الزبير ان ابنه عامراً صحب قوماً يتصعقون

عند قراءة القرآن. فقال له . يا عامر لأعرفن ما صحبت الذين يصعقون عند القرآن لأوسعك جلداً .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد نا حمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن العباس ثنا الزبير بن بكار ثنى عبدالله بن مصعب بن ثابت عن عبدالله بن الزبير قال ثنى أبى عن عامر بن عبدالله بن الزبير قال . جئت إلى أبى فقال لى . أين كنت . فقلت . وجدت أقواماً ما رأيت خيراً منهم . يذكرون الله عز وجل فيرعد أحدهم حتى يخشى عليه من خشية الله عز وجل فقعدت معهم قال . لاتقعد معهم بعدها . فرآنى كأنى لم يأخذ ذلك فىّ فقال . رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن ولا يصيبهم هذا أفتراهم أخشع لله من أبى بكر وعمر . فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم .

أخبرنا محمد بن عبدالباقى نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ نا محمد بن احمد فى كتابه ثنا محمد بن أيوب ثنا حفص بن عمر النميرى ثنا حماد بن زيد ثنا عمرو بن مالك قال : بينا نحن عند أبى الجوزاء يحدثنا إذ خر رجل فاضطرب فوثب أبو الجوزاء يسعى قبله فقيل له ، يا أبا الجوزاء ، انه رجل به الموتة فقال : إنما كنت أراه من هؤلاء القفازين ولو كان منهم لأمرت به فاخرج من المسجد إنما ذكرهم الله تعالى فقال « تفيض أعينهم من الدمع » أو قال « تقشعر جلودهم »

أخبرنا أبو محمد بن على المقرى نا احمد بن بندار بن ابراهيم نا محمد بن عمر بن بكير النجار نا احمد بن جعفر بن حمدان ثنا ابراهيم بن عبدالله البصرى ثنا أبو عمر حفص بن عمر الضرير نا حماد بن زيدنى عمر بن مالك البكرى قال قرأ قارىء عند أبى الجوزاء قال فصاح رجل من أخريات القوم أو قال من القوم . فقام اليه أبو الجوزاء فقيل له . يا أبا الجوزاء انه رجل به شىء فقال طبيب انه من هؤلاء النفارين فلو كان منهم لوضعت رجلى على عنقه . وقال أبو عمر أخبرنا جرير بن حازم انه شهد محمد بن سيرين وقيل له أن ههنا رجالا إذا قرىء على أحدهم القرآن غشى عليه . فقال محمد بن سيرين . يقعد

أحدهم على جدار ثم يقرأ عليه القرآن (١) من أوله الى آخره فان وقع فهو صادق قال أبو عمرو. وكان محمد بن سيرين يذهب الى أن هذا تصنع وليس بحق من قلوبهم.

أخبرنا محمد بن عبد الباقى ثنا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو محمد ابن حبان ثنا محمد بن العباس ثنا زياد عن يحيى عن عمران بن عبدالعزيز قال سمعت محمد بن سيرين وسئل عن من يستمع القرآن فيصعق . فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فان سقطوا فهم كما يقولون.

أخبرنا ابن ناصر نا أبو طاهر عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف نا محمد بن على العشارى نا محمد بن عبدالله الدقاق نا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا محمد بن على عن ابراهيم بن الأشعث. قال سمعت أبا عصام الرملى عن رجل عن الحسن انه وعظ يوماً فتنفس رجل فى مجلسه . فقال الحسن إن كان لله تعالى فقد شهرت نفسك ، وإن كان لغير الله فقد هلكت.

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله بن احمد ثنى أبى ثنا روح ثنا السرى بن يحيى ثنا عبدالكريم بن رشيد قال . كنت فى حلقة الحسن فجعل رجل يبكى وارتفع صوته . فقال الحسن إن الشيطان ليبكى هذا الآن .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو غالب عمر بن الحسين الباقلانى نا أبو العلاء الواسطى نا محمد بن الحسين الأزدى ثنا ابراهيم بن رحمون ثنا اسحق بن ابراهيم البغدادى قال سمعت أبا صفوان يقول قال الفضيل بن عياض لابنه وقد سقط يا بنى إن كنت صادقاً لقد فضحت نفسك وإن كنت كاذباً فقد أهلكت نفسك .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا محمد بن احمد النجار ثنا المرتعش قال رأيت أبا عثمان سعيد بن عثمان الواعظ وقد تواجد إنسان بين يديه . فقال له . يابنى إن كنت صادقاً فقد أظهرت كل مالك ، وإن كنت كاذباً فقد أشركت بالله .

(١) فى الثانية : المصحف بدل القرآن

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله . فان قال قائل إنما يفرض الكلام فى الصادقين لا فى أهل الرياء . فما تقول فمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه فالجواب إن أول الوجد إنزعاج فى الباطن فان كف الانسان نفسه كيلا يطلع على حاله يئس الشيطان منه فبعد عنه كما كان أيوب السختيانى إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال ما أشد الزكام . وان أهمل الانسان نفسه ولم يبال بظهور وجده أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه ، كما أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله ثنى أبى ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحي بن الخزاز عن بن أخي زينب عن امرأة عبدالله قالت جاء عبدالله ذات يوم وعندى عجوز ترقينى من الحمرة فأدخلتها تحت السرير . قالت فدخل فجلس إلى جنبي فرأى فى عنقى خيطا . فقال ما هذا الخيط . قلت خيط رقى لى فيه رقية فأخذه وقطعه ثم قال إن آل عبدالله لأغنياء عن الشرك . سمعت رسول الله ﷺ يقول إن فى الرقى والتمائم والتولة شركا قالت فقلت له لم تقول هذا ، وقد كانت عينى تقذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقيها فكان إذا رقاها سكنت قال إنما ذاك من عمل الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقيتها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولى كما قال رسول الله ﷺ أذهب الباس رب الناس إشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً .

قال المصنف رحمه الله : التولة ـ ضرب من السحر يحبب المرأة الى زوجها . أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد نا الحسن بن عبدالملك بن يوسف نا أبو محمد الخلال ثنا أبو عمر بن حياة ثنا أبو بكر بن أبى داود ثنا هارون ابن زيد عن أبى الزرقاء ثنا أبى قال ثنا سفيان عن عكرمة بن عمار عن شعيب ابن أبى السنى عن أبى عيسى أو عيسى . قال . ذهبت إلى عبدالله بن عمر فقال أبو السوار يا أبا عبدالرحمن ان قوماً عندنا إذا قرىء عليهم القرآن يركض أحدهم من خشية الله . قال كذبت . قال بلى ورب هذه البنية . قال ويحك إن كنت صادقاً فان الشيطان ليدخل بجوف أحدهم ، والله ما هكذا كان أصحاب محمد ﷺ .

﴿ فصل ﴾ فإن قال قائل . فنفرض أن الكلام فيمن اجتهد فى دفع الوجد فلم يقدر عليه وغلبه الأمر فمن أين يدخل الشيطان فالجواب إنا لا ننكر ضعف بعض الطباع عن الدفع إلا أن علامة الصادق انه لا يقدر على أن يدفع ، ولا يدري ما يجرى عليه فهو من جنس قوله عز وجل « فخر موسى صعقا » وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن احمد نا احمد بن عبد الله ثنا ابراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن إسحق الثقفى ثنى حاتم بن الليث الجوهرى ثنا خالد بن خداش . قال . قرىء على عبد الله بن وهب كتاب أهوال القيامة . فخر مغشياً عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام .

قال المصنف رحمه الله قلت . وقد مات خلق كثير من سماع الموعظة وغشى عليهم قلنا . هذا التواجد الذى يتضمن حركات المتواجدين وقوة صياحهم وتخبطهم فظاهره انه متعمل والشيطان معين عليه .

قال المصنف رحمه الله . فان قيل فهل فى حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه قيل . نعم من جهتين . أحدهما انه لو قوى العلم أمسك . والثانى انه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفى هذا نقصاً .

أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا هبة الله بن عبد الرزاق السنى وأخبرنا سعيد بن احمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن على الرستمى قالا نا أبو الحسين ابن بشران نا أبو على اسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة قال سمعت خلف بن حوشب يقول . كان خوات يرعد عند الذكر فقال له ابراهيم . إن كنت تملكه فما أبالى أن لا أعتد بك . وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك . وفى رواية فقد خالفت من هو خير منك .

قال المصنف رحمه الله قلت : ابراهيم هو النخعى الفقيه ، وكان متمسكا بالسنة شديد الاتباع للأثر . وقد كان خوات من الصالحين البعداء عن التصنع وهذا خطاب ابراهيم له . فكيف بمن لا يخفى حاله فى التصنع .

﴿ فصل ﴾ فاذا طرب أهل التصوف لسماع الغناء صفقوا . أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا رزق الله بن عبد الوهاب التميمى نا أبو عبد الرحمن السلمى ،

قال سمعت أبا سليمان المغربي يقول سمعت أبا علي بن الكاتب يقول كان ابن بنان يتواجد وكان أبو سعيد الخراز يصفق له .

قال المصنف رحمه الله قلت . والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال وتتنزه عن مثله العقلاء ، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية . وهي التي ذمهم الله عز وجل بها فقال . « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ـ فالمكاء الصفير ـ والتصدية ـ التصفيق . أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الفضل بن حيرون نا أبو علي بن شاذان نا احمد ابن كامل ثنى محمد بن سعد ثنى أبي ثنى عمي عن أبيه عن جده عن بن عباس « إلا مكاء » يعني التصفير « وتصدية » يقول التصفيق .

قال المصنف رحمه الله قلت : وفيه أيضاً تشبه بالنساء والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار إلى أفعال الكفار والنسوة .

﴿ فصل ﴾ فاذا قوى طربهم رقصوا وقد احتج بعضهم بقوله تعالى لأيوب : « أركض برجلك » .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا الاحتجاج بارد لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة وإنما أمر بضرب الرجل لينبع الماء . قال بن عقيل أين الدلالة في مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازاً من الرقص . ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد أنحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الإسلام جاز أن يجعل قوله تعالى لموسى « اضرب بعصاك الحجر » دلالة على ضرب الجماد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع ، واحتج بعض ناصريهم بأن رسول الله ﷺ قال لعلي : أنت مني وأنا منك ـ فحجل وقال لجعفر ـ أشبهت خلقي وخلقي ـ فحجل وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا ـ فحجل . ومنهم من احتج بأن الحبشة زفنت والنبي ﷺ ينظر اليهم . فالجواب : أما الحجل فهو نوع من المشي يفعل عند الفرح فأين هو من الرقص ، وكذلك زفن الحبشة نوع من المشي بتشبيب يفعل عند اللقاء بالحرب .

واحتج لهم أبو عبد الرحمن السلمي على جواز الرقص بما أخبرنا به أبو

نصر محمد بن منصور الهمدانى نا إسماعيل بن احمد بن عبد الملك المؤذن نا أبو صالح احمد بن عبد الملك وأبو سعيد محمد بن عبد العزيز وأبو محمد عبد الحميد بن عبد الرحمن قالوا ثنا أبو عبد الرحمن السلمى ثنا أبو العباس احمد ابن سعيد المعدانى ثنا محمد بن سعيد المروزى ثنا عباس الرقيق ثنا عبدالله بن عمر الوراق ثنا الحسن بن على بن منصور ثنا أبو عتاب المصرى عن ابراهيم ابن محمد الشافعى أن سعيد بن المسيب مر فى بعض أزقة مكة فسمع الأخضر الحداء يتغنى فى دار العاص بن وائل بهذا :

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت ... به زينب فى نسوة عطرات

فلما رأت ركب النميرى أعرضت ... وهن من أن يلقينه حذرات

قال فضرب برجله الأرض زماناً وقال هذا مما يلذ سماعه. وكانوا يروون الشعر لسعيد بن المسيب . قال المصنف قلت : هذا إسناده مقطوع مظلم لا يصح عن ابن المسيب، ولا هذا شعره . كان ابن المسيب أوقر من هذا ، وهذه الأبيات مشهورة لمحمد بن عبدالله بن نمير النميرى الشاعر ولم يكن نمرياً وإنما نسب إلى اسم جده وهو ثقفى وزينب التى يشبب بها هى بنت يوسف أخت الحجاج ، وسأله عبد الملك بن مروان عن الركب ما كان، فقال : كانت أحمرة عجافاً حملت عليها قطراناً من الطائف فضحك وأمر الحجاج أن لا يؤذيه .

قال المصنف رحمه الله : ثم لو قدرنا أن ابن المسيب ضرب برجله الأرض فليس فى ذلك حجة على جواز الرقص ، فان الانسان قد يضرب الأرض برجله أو يدقها بيده لشيء يسمعه ولا يسمى ذلك رقصاً . فما أقبح هذا التعلق وأين ضرب الأرض بالقدم مرة أو مرتين من رقصهم الذى يخرجون به عن سمت العقلاء ، ثم دعونا من الاحتجاج تعالوا نتقاضى إلى العقول أى معنى فى الرقص إلا اللعب الذى يليق بالأطفال ، وما الذى فيه من تحريك القلوب إلى الآخرة . هذه والله مكبر باردة . ولقد حدثنى بعض المشايخ عن الغزالى أنه قال : الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول إلا بالتعب ، وقال أبو الوفاء ابن عقيل . قد نص القرآن على النهى عن الرقص . فقال عز وجل : « لا تمش فى الأرض مرحاً » : وذم المختال فقال تعالى « إنه لا يحب كل مختال فخور » .

والرقص أشد المرح والبطر أو لسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما فى الاطراب والسكر . فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما فى الاطراب، وهل شىء يزرى بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والأدب أقبح من ذى لحية يرقص فكيف اذا كانت شيبة ترقص وتصفق على وقاع الألحان والقضبان خصوصاً اذا كانت أصوات نسوان ومردان وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو الى إحدى الدارين صائران يشمس بالرقص شمس البهائم ويصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ فى عصرى ما بان لهم سن فى تبسم فضلا عن ضحك مع إدمان مخالطتى لهم . كالشيخ أبى القاسم بن زيدان ، وعبد الملك بن بشران، وأبى طاهر بن العلاف ، والجنيد والدينورى .

﴿ فصل ﴾ فاذا تمكن الطرب من الصوفية فى حال رقصهم جذب أحدهم بعض الجلوس ليقوم معه . ولا يجوز على مذهبهم المجذوب أن يقعد فاذا قام قام الباقون تبعاً له . فاذا كشف أحدهم رأسه كشف الباقون رؤوسهم موافقة له . ولا يخفى على عاقل أن كشف الرأس مستقبح وفيه إسقاط مروءة وترك أدب ، وإنما يقع فى المناسك تعبداً لله وذلا له .

﴿ فصل ﴾ فاذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغنى فمنهم من يرمى بها صحاحاً ومنهم من يخرقها ثم يرمى بها وقد احتج لهم بعض الجهال فقال هؤلاء فى غيبة فلا يلامون فان موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها ولم يدر ما صنع : والجواب ، أن نقول من يصحح عن موسى بأنه رماها رمى كاسر والذى ذكر فى القرآن إلقاءها فحسب فمن أين لنا أنها تكسرت ، ثم لو قيل تكسرت فمن أين لنا انه قصد كسرها ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا . كان فى غيبة حتى لو كان بين يديه حينئذ بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغنى من غيره ويحذرون من بئر إن كانت عندهم . ثم كيف يقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء ولقد رأيت شاباً من الصوفية يمشى فى الأسواق ويصيح والغلمان يمشون خلفه وهو يبربر ويخرج إلى الجمعة فيصيح صيحات وهو يصلى الجمعة

فسئلت عن صلاته ، فقلت : إن كان وقت صياحه غائباً فقد بطل وضوءه وإن كان حاضراً فهو متصنع وكان هذا الرجل جلداً لا يعمل شيئاً بل يدار له بزنبيل فى كل يوم فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين . ثم لو قدرنا أن القوم يصيحون عن غيبة فان تعرضهم لما يغطى على العقول من سماع ما يطرب منهى عنه كالتعرض لكل ما غالبه الأذى وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم فقال خطأ وحرام وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال وعن شق الجيوب فقال له قائل . فإنهم لا يعقلون ما يفعلون . قال إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم أثموا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التى تفضى إلى ذلك كما هم منهيون عن شرب المسكر فإذا سكروا وجرى منهم إفساد الأموال لم يسقط الخطاب لسكرهم كذلك هذا الطرب الذى يسميه أهل التصوف وجداً إن صدقوا فيه فسكر طبع وإن كذبوا فنبيذ ومع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب واجب. واحتج لهم ابن طاهر فى تخريقهم الثياب بحديث عائشة رضى الله عنها قالت . نصبت حجلة لى فيها رقم فمدها النبى ﷺ فشقها .

قال المصنف رحمه الله : فانظر إلى فقه هذا الرجل المسكين كيف يقيس حال من يمزق ثيابه فيفسدها وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال على مد ستر ليحط فانشق لا عن قصد . أو كان عن قصد لأجل الصور التى كانت فيه : وهذا من التشديد فى حق الشارع عن المنهيات كما أمر بكسر الدنان فى الخمور فإن ادعى مخرق ثيابه أنه غائب قلنا الشيطان غيبك لأنك لو كنت مع الحق لحفظك فإن الحق لا يفسد .

وقد أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد ابن على بن حشيش ثنا عبدالله بن الصقر ثنا الصلت بن مسعود ثنا جعفر بن سليمان قال سمعت أباعمران الجونى يقول وعظ موسى بن عمران عليه السلام يوماً فشق رجل منهم قميصه فأوحى الله عز وجل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه . أيشرح لى عن قلبه .

﴿فصل﴾ وقد تكلم مشايخ الصوفيـة فى الخرق المرامية . فقال محمد بن طاهر الدليل على أن الخرقة إذا طرحت صارت ملكا لمن طرحت بسببه حديث جرير جاء قوم مجتابى النمار فحض رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء رجل من الأنصار بصرة فتتابع الناس حتى رأيت كومين من ثياب وطعام قال والدليل على أن الجماعة إذا قدموا عند تفريق الخرقة أسهم لهم حديث أبى موسى قدم على رسول الله ﷺ بغنيمة وسلب فأسهم لنا.

قال المصنف رحمه الله . لقد تلاعب هـذا الرجل بالشريعة واستخرج بسوء فهمه ما يظنه يوافق مذهب المتأخرين من الصوفيه . فإنا ما عرفنا هـذا فى أوائلهم وبيان فساد استخراجه أن هذا الذى خرق الثوب ورمى به إن كان حاضراً فما جازله تخريقه وإن كان غائبا فليس له تصرف جائز شرعا لاهبة ولا تمليكا . وكذلك يزعمون بأن ثوبه كان كالشيء الذى يقع من الانسان ولايدرى به فلا يجوز لأحد أن يتملكه وإن كان رماه فى حال حضوره لاعلى أحد فلا وجه لتملكه ولو رماه على المغنى لم يتملكه لأن التملك لا يكون إلى بعقد شرعى والرمى ليس بعقد: ثم نقدر أنه ملك للمغنى فما وجه تصرف الباقين فيه. ثم إذا تصرفوا فيه خرقوه خرقاً وذلك لا يجوز لوجهين : أحدهما انه تصرف فيما لا يملكونه : والثانى أنه اضاعة للمال. ثم ما وجه أسهام من لم يحضر فأما حديث أبى موسى فقال العلماء منهم الخطابى يحتمل أن يكون رسول الله ﷺ أجازه عن رضى من شهد الواقعة أو من الخمس الذى هو حقه . وعلى مذهب الصوفية تعطى هذه الخرقة لمن جاء. وهذا مذهب خارج عن إجماع المسلمين وما أشبه ما وضع هؤلاء بأرائهم الفاسدة إلا بما وضعت الجاهلية من أحكام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. قال ابن طاهر أجمع مشايخنا على أن الخرقة المخرقة وما انبعث من الخرق الصحاح الموافقة لهـا ان ذلك كله يكون بحكم الجمع يفعلون فيه مايراه المشايخ . واحتجوا بقول عمر رضى الله عنه : الغنيمة لمن شهد الواقعة. وخالفهم شيخنا أبو إسماعيل الانصارى فجعل الخرقه على ضربين . ماكان مجروحا قسم على الجميع وماكان سليماً دفع إلى القوال واحتج بحديث سلمة من قتل الرجل؟ قالوا : سلمة بن الأكوع : قال له سلبه أجمع . فالقتل إنما وجد من جهه القوال فالسلب له .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إخوانى عصمنا الله وإياكم من تلبيس إبليس إلى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة وإجماع مشايخهم الذى لا يساوى إجماعهم بعرة فان مشايخ الفقهاء أجمعوا على أن الموهوب لمن وهب له سواء كان مخرقاً أو سليما ولا يجوز لغيره التصرف فيه : ثم إن سلب القتيل كل ما عليه فما بالهم جعلوه ما رمى به ثم ينبغى أن يكون الأمر على عكس ما قاله الأنصارى لأن المجروح من الثياب ما كان بسبب الوجد فينبغى أن يكون المجروح للمغنى دون الصحيح وكل أقوالهم فى هذا محال وهذيان وقد حكى لى أبو عبد الله التكريتى الصوفى عن أبى الفتوح الاسفراينى وكنت أنا قد رأيته وأنا صغير السن وقد حضر فى جمع كثير فى رباط وهناك المخاد والقضبان ودف بجلاجل فقام يرقص حتى وقعت عمامته فبقى مكشوف الرأس قال التكريتى إنه رقص يوماً فى خف له ثم ذكر أن الرقص فى الخف خطأ عند القوم فانفرد وخلعه ثم نزع مطرفا كان عليه فوضعه بين أيديهم كفارة لتلك الجناية فاقتسموه خرقا ، قال ابن طاهر : والدليل على أن الذى يطرح الخرقة لا يجوز أن يشتريها من الجمع حديث عمر لا تعودن فى صدقتك . قال المصنف : أنظر إلى بعد هذا الرجل عن فهم معانى الأحاديث فان الخرقة المطروحة باقية على ملك صاحبها فلا يحتاج إلى أن يشتريها .

﴿ فصل ﴾ وأما تقطيعهم الثياب المطروحة خرقاً وتفريقها فقد بينا أنه إن كان صاحب الثوب رماه إلى المغنى لم يملكه بنفس الرمى حتى يملكه إياه فإذا ملكه إياه فما وجه تصرف الغير فيه . ولقد شهدت بعض فقهائهم يخرق الثياب ويقسمها ويقول هذه الخرق ينتفع بها وليس هذا بتفريط ، فقلت : وهل التفريط إلا هذا ، ورأيت شيخاً آخر منهم يقول خرقت خرقا فى بلدنا فأصاب رجل منها خريقة فعملها كنفا فباعه بخمسة دنانير فقلت له : إن الشرع لا يجيز هذه الرعونات لمثل هذه النوادر . وأعجب من هذين الرجلين أبو حامد الطوسى فانه قال : يباح لهم تمزيق الثياب إذا خرقت قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الثوب يمزق حتى يخاط منه قميص ولا يكون ذلك تضييعاً ولقد عجبت من هذا الرجل كيف سلبه حب مذهب التصوف عن أصول الفقه ومذهب الشافعى فنظر إلى انتفاع خاص ثم ما معنى قوله مربعة

فان المطاولة ينتفع بها أيضاً ثم لو مزق الثوب قرامل[١] لانتفع بها ولو كسر السيف نصفين لانتفع بالنصف غير أن الشرع يتلمح الفوائد العامة ويسمى ما نقص منها للانتفاع إتلافاً ولهذا ينهى عن كسر الدرهم الصحيح لأنه يذهب منه قيمة بالإضافة إلى المكسور وليس العجب من تلبيس إبليس على الجهال منهم بل على الفقهاء الذين اختاروا بدع الصوفية على حكم أبي حنيفة والشافعى ومالك وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين .

﴿فصل﴾ ولقد أغربوا فيما ابتدعوا . وأقام لهم الأعذار من إلى هواهم مال . ولقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه باب السنة فى أخذ شىء من المستغفر ، واحتج بحديث كعب بن مالك فى توبته : يجزئك الثلث ثم قال باب الدليل على أن من وجبت عليه غرامة فلم يؤدها ألزموه أكثر منها . واستدل بحديث معاوية بن جعدة عن النبي ﷺ أنه قال فى الزكاة « من منعها فانا آخذها وشطر ماله » .

قال المصنف رحمه الله . قلت فانظر إلى تلاعب هؤلاء وجهل هذا المحتج لهم وتسمية ما يلزم بعضهم بما لا يلزمه غرامة وتسمية ذلك واجباً وليس لنا غرامة ولا وجوب إلا بالشرع ومتى اعتقد الإنسان ما ليس بواجب واجباً كفر . ومن مذهبهم كشف الرؤوس عند الاستغفار وهذه بدعة تسقط المروءة وتنافى الوقار ولولا ورود الشرع بكشفه فى الاحرام ما كان له وجه . وأما حديث كعب بن مالك فإنه قال إن من توبتى ان انخلع من مالى ، فقال له رسول الله ﷺ « يجزئك الثلث لا على سبيل الالزام له . وإنما تبرع بذلك فأخذه منه وأين إلزام الشرع تارك الزكاة مما يزيد عليها عقوبة من إلزامهم المريد غرامة لا تجب عليه فإذا امتنع ضاعفوها وليس إليهم الإلزام إنما ينفرد بالالزام الشرع وحده . وهذا كله جهل وتلاعب بالشريعة فهؤلاء الخوارج عليها حقاً .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على كثير من الصوفيه فى صحبة الأحداث ﴾

قال المصنف . اعلم أن أكثر الصوفية المتصوفة قد سدوا على انفسهم باب النظر إلى النساء الأجانب لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن

(١) القرامل من الشعر والصوف ما وصلت به المرأة شعرها .

واشتغلوا بالتعبد عن النكاح واتفقت صحبة الأحداث لهم على وجه الإرادة وقصدالزهادة فأمالهم إبليس اليهم، واعلم أن المتصوفة فى صحبة الأحداث على سبعة أقسام: القسم الأول أخبث القوم وهم ناس تشبهوا بالصوفية ويقولون بالحلول. أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد بن سليمان نا أبو على الحسين بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب نا أبو نصر عبدالله بن على السراج قال بلغنى أن جماعة من الحلولية زعموا أن الحق تعالى اصطفى أجساما حل فيها بمعانى الربوبية ، ومنهم من قال هو حال فى المستحسنات ، وذكر أبو عبدالله بن حامد من أصحابنا . أن طائفة من الصوفية قالوا انهم يرون الله عز وجل فى الدنيا وأجازوا أن يكون فى صفة الآدمى ولم يأبوا كونه حالا فى الصورة الحسنة حتى استشهدوه فى رؤيتهم الغلام الأسود . القسم الثانى : قوم يتشبهون بالصوفية فى ملبسهم ، ويقصدون الفسق . القسم الثالث : قوم يستبيحون النظر إلى المستحسن . وقد صنف أبو عبد الرحمن السلمى كتاباً سماه سنن الصوفية فقال فى أواخر الكتاب : باب فى جوامع رخصهم فذكر فيه الرقص والغناء والنظر إلى وجه الحسن . وذكر فيه ما روى عن النبى عليه السلام أنه قال : اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ، وانه قال : ثلاثة تجلو البصر : النظر إلى الخضرة والنظر إلى الماء والنظر إلى الوجه الحسن .

قال المصنف رحمه الله : وهذان الحديثان لا أصل لهما عن رسول ﷺ أما الحديث الأول فأخبرنا به عبد الأول بن عيسى نا عبدالرحمن بن محمد بن المظفر نا عبدالله بن احمد بن حمويه نا ابراهيم بن خزيم ثنا عبد بن حميد ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن عبد الرحمن بن المخير عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال . اطلبوا الخير عند حسان الوجوه . قال يحي بن معين محمد بن عبدالرحمن ليس بشىء . قال المصنف قلت وقد روى هذا الحديث من طرق قال العقيلى لا يثبت عن النبى عليه السلام فى هذا شىء ، وأما الحديث الآخر فأنبأنا أبو منصور بن خيرون نا احمد بن على بن ثابت نى احمد بن محمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبى نا أبو بكر محمد بن احمد بن هرون نا احمد ابن عمرو بن عبيدالريحانى قال سمعت أبا البخترى وهب بن وهب يقول : كنت

أدخل على الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر اليه فقال : أراك تدمن النظر إلى القاسم تريد أن تجعل انقطاعه اليك . قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس فيّ . وأما ادمان النظر اليه فان جعفراً الصادق ثنا عن أبيه عن جده على بن الحسين عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ . ثلاث يزدن فى قوة النظر . النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجارى وإلى الوجه الحسن.

قال المصنف رحمه الله : هذا حديث موضوع ولا يختلف العلماء فى أبى البخترى انه كذاب وضاع ، وأحمد بن عمر بن عبيد أحد المجهولين ، ثم قد كان ينبغى لأبى عبد الرحمن السلمى إذ ذكر النظر إلى المستحسن أن يقيده بالنظر إلى وجه الزوجة أو المملوكة فأما اطلاقه ففيه سوء ظن . وقال شيخنا محمد بن ناصر الحافظ كان ابن طاهر المقدسى قد صنف كتابا فى جواز النظر إلى المرد .

قال المصنف رحمه الله : قلت والفقهاء يقولون من ثارت شهوته عند النظر إلى الأمرد حرم عليه أن ينظر اليه ومتى ادعى الانسان انه لا تثور شهوته عند النظر إلى الأمرد المستحسن فهو كاذب وإنما أبيح على الاطلاق لئلا يقع الحرج فى كثرة المخالطة بالمنع فاذا وقع الإلحاح فى النظر دل على العمل بمقتضى ثوران الهوى . قال سعيد بن المسيب اذا رأيتم الرجل يلح النظر الى غلام أمرد فاتهموه . القسم الرابع قوم يقولون نحن لا ننظر نظر شهوة وانما ننظر نظر أعتبار فلا يضرنا النظر وهذا محال منهم فان الطباع تتساوى فمن ادعى تنزه نفسه عن أبناء جنسه فى الطبع ادعى المحال وقد كشفنا هذا فى أول كلامنا فى السماع . أخبرتنا شهدة بنت احمد الأبرى قالت باسناد مرفوع الى محمد بن جعفر الصوفى قال قال أبو حمزة الصوفى حدثنى عبدالله بن الزبير الحنفى قال كنت جالساً مع أبى النضر الغنوى وكان من المبرزين العابدين فنظر الى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع الا وقفت علىّ أروى من النظر اليك فوقف قليلا ثم ذهب ليمضى فقال له سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدى المعيد ألا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر اليه ويصوبه ثم ذهب ليمضى فقال سألتك بالواحد الأحد الجبار الصمد الذى لم يلد ولم يولد إلا وقفت فوقف ساعة

فنظر اليه طويلا ثم ذهب ليمضى فقال سألتك باللطيف الخبير السميع البصير ومن ليس له نظير إلا وقفت فوقف فأقبل ينظر اليه ثم أطرق رأسه الى الأرض ومضى الغلام فرفع رأسه بعد طويل وهو يبكى فقال قد ذكرنى هذا بنظرى اليه وجهاً جل عن التشبيه وتقدس عن التمثيل وتعاظم عن التحديد والله لأجهدن نفسى فى بلوغ رضاه بمجاهدتى جميع أعدائه وموالاتى لأوليائه حتى أصير الى ما أردته من نظرى الى وجهه الكريم وبهائه العظيم . ولوددت أنه قد أرانى وجهه وحبسنى فى النار ما دامت السموات والأرض ثم غشى عليه . وحدثنا محمد بن عبدالله الفزارى قال سمعت خيراً النساج يقول كنت مع محارب بن حسان الصوفى فى مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس الينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محارباً ينظر اليه نظراً أنكرته فقلت له: بعد أن قام انك محرم فى شهر حرام فى بلد حرام فى مشعر حرام وقد رأيتك تنظر الى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون . فقال لى تقول هذا : يا شهوانى القلب والطرف ألم تعلم انه قد منعنى من الوقوع فى شرك إبليس ثلاث فقلت وما هى قال سر الإيمان وعفة الاسلام وأعظمها الحياء من الله تعالى أن يطلع علىَّ وأنا جاثم على منكر نهانى عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا .

قال المصنف رحمه الله : قلت أنظروا الى جهل الأحمق الأول ورمزه الى التشبيه وإن تلفظ بالتنزيه والى حماقة هذا الثانى الذى ظن أن المعصية هى الفاحشة فقط وما علم أن نفس النظر بشهوة يحرم . ومحا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التى تكذبها شهوة النظر . وقد حدثنى بعض العلماء أن صبياً أمرد حكى له قال قال لى فلان الصوفى وهو يحبنى : يا بنى لله فيك اقبال والتفات . حيث جعل حاجتى اليك . وحكى ان جماعة من الصوفية دخلوا على احمد الغزالى وعنده أمرد وهو خال به وبينهما ورد وهو ينظر الى الورد تارة . والى الأمرد تارة . فلما جلسوا قال بعضهم لعلنا كدرنا . فقال : أى والله فتصايح الجماعة على سبيل التواجد .

وحكى أبو الحسين بن يوسف انه كتب اليه فى رقعة انك تحب غلامك

التركى فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد اليه النظر فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة .

قال المصنف رحمه الله قلت : انى لا أعجب من فعل هذا الرجل وإلقائه جلباب الحياء عن وجهه وإنما أعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الانكار عليه ولكن الشريعة بردت فى قلوب كثير من الناس . وأخبرنا أبو القاسم الحريرى أنبأنا أبو الطيب الطبرى قال : بلغنى عن هذه الطائفة التى تسمع السماع انها تضيف اليه النظر الى وجه الأمرد وربما زينته بالحلى والمصبغات من الثياب والحواشى وتزعم أنها تقصد به الازدياد فى الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية فى متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال الله تعالى « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » وقال « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » وقال : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض » فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار إلى ما نهاهم عنه ، وإنما تفعل هذه الطائفة ماذكرناه بعد تناول الألوان الطيبة والمآكل الشهية فاذا استوفت منها نفوسهم طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر الى وجوه المرد ولو أنهم تقللوا من الطعام لم يحنوا الى سماع ونظر . قال أبو الطيب وقد أخبر بعضهم فى شعره عن أحوال المستمعين للغناء وما يجدونه حال السماع فقال:

أتذكر وقتنا وقد اجتمعنا ... على طيب السماع الى الصباح
ودارت بيننا كأس الأغانى ... فأسكرت النفوس بغير راح
فلم نر فيهم إلا نشاوى ... سرورا والسرور هناك صاحى
اذا لبى أخو اللذات فيه ... منادى اللهو حى على الفلاح
ولم نملك سوى المهجات شيئاً ... أرقناها لألحاظ ملاح

قال فاذا كان السماع تأثيره فى قلوبهم ماذكره هذا القائل فكيف يجدى السماع نفعاً أو يفيد فائدة. قال ابن عقيل قول من قال لا أخاف من رؤية الصور المستحسنة ليس بشيء . فان الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تميز الأشخاص. وآيات القرآن تنكر هذه الدعاوى قال الله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » . وقال « أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت » فلم يحل النظر إلا على صور لا ميل للنفس اليها ولاحظ

فيها بل عبرة لا يمازجها شهوة . ولا تعتريها لذة فأما صور الشهوات فانها تعبر عن العبرة بالشهوة وكل صورة ليست بعبرة لا ينبغى أن ينظر إليها لأنها قد تكون سبباً للفتنة . ولذلك ما بعث الله تعالى امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضياً ولا إماماً ولا مؤذناً . كل ذلك لأنها محل فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر وكل من قال أنا أجد من الصور المستحسنة عبراً كذبناه . وكل من ميز نفسه بطبيعة تخرجه عن طباعنا بالدعوى كذبناه وإنما هذه خدع الشيطان للمدعين . القسم الخاص قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر إليهم بشهوة معصية وهذه من خلال الصوفية المذمومات وقد كان قدماؤهم على غير هذا وقيل كانوا على هذا بدليل وهو ما أخبرنا أحمد بن على بن ثابت قال أنشدنا أبو على الروزبارى .

أنزه فى روض المحاسن مقلتى   وأمنع نفسى أن تنال محرماً
وأحمل من ثقل الهوى مالو أنه   على الجبل الصلد الاصم تهدماً

قال المصنف رحمه الله : وسيأتى حديث يوسف بن الحسين . وقوله : عاهدت ربى أن لا أصحب حدثا مائة مرة ففسخنا على قوام القدود وغنج العيون . أخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن أبى المختار الصبى قال : حدثنى أبى قال قلت لأبى الكميت الأندلسى وكان جوالاً فى أرض الله حدثنى بأعجب ما رأيت من الصوفية قال صحبت رجلا منهم يقال له مهرجان وكان مجوسيا فأسلم وتصوف فرأيت معه غلاما جميلا لا يفارقه وكان إذا جاء الليل قام فصلى ثم ينام إلى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلى ما قدر له ثم يعود فينام إلى جانبه حتى فعل ذلك مراراً فاذا أسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم إنك تعلم أن الليل قد مضى علىّ سليما لم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت على الحفظة فيه معصية وأن الذى أضمره بقلبى لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت ثم يقول ياليل إشهد بما كان منى فيك فقد منعنى خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام ، ثم يقول سيدى أنت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة وأسمع هذا القول منه فلما هممت بالانصراف من

عنده قلت سمعتك تقول إذا انقضى الليل كذا وكذا فقال وسمعتنى قلت نعم، قال فو الله يا أخي إني لأدارى من قلبي ما لو داراه سلطان من رعيته لكان الله حقيقا بالمغفرة له فقلت وما الذى يدعوك إلى صحبة من تخاف على نفسك العنت من قبله[1] وقال أبو محمد بن جعفر بن عبد الله الصوفى قال أبو حمزه الصوفى رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاما مدة طويلة فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جلداً وعظما من الضنا والكمدفقلت له يوما لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبداً فقال كيف أسلو عن رجل أجلّ الله عز وجل أن يصيبه معى طرفة عين أبداً وصانني عن نجاسة الفسوق فى خلول صحبتى له وخلواتى معه فى الليل والنهار .

قال المصنف رحمه الله : هؤلاء قوم رآهم إبليس لا ينجذبون معه إلى الفواحش فحسن لهم بداياتها فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة وعزموا على مقاومة النفس فى ضدها عن الفاحشة فان صدقوا وتم لهم ذلك فقد اشتغل القلب الذى ينبغى أن يكون شغله بالله تعالى لا يغيره وصرف الزمان الذى ينبغى أن يخلو فيه القلب بما ينفع به فى الآخرة بمجاهدة الطبع فى كفه عن الفاحشة وهذا كله جهل وخروج عن آداب الشرع فان الله عز وجل أمر بغض البصر لأنه طريق إلى القلب ليسلم القلب لله تعالى من شائب تخاف منه وما مثل هؤلاء إلا كمثل من أقبل إلى سباع فى غيضة متشاغلة عنه لا تراه فأثارها وحاربها وقاومها فيا بعد سلامته من جراحة إن لم يهلك .

﴿فصل﴾ وفى هؤلاء من قويت مجاهدته مدة ثم ضعفت فدعته نفسه إلى الفاحشة فامتنع حينئذ من صحبة المرد . أخبرتنا شهدة الكاتبة عن عمر بن يوسف الباقلانى قال : قال أبو حمزة قلت لمحمد بن العلاء الدمشقى وكان سيد الصوفية وقد رأيته يماشى غلاما وضيئا مدة ثم فارقه ، فقلت له لم هجرت ذلك الفتى الذى كنت أراه معك بعد أن كنت له مواصلا وإليه مائلا . فقال والله لقد فارقته عن غير قلا ولا ملل . قلت ولم فعلت ذلك ؟ قال : رأيت قلبي يدعونى إلى أمر إذا خلوت به وقرب منى لو أتيته سقطت من عين الله عز وجل فهجرته لذلك تنزيها لله تعالى ولنفسى من مصارع الفتن .

(١) هكذا الأصل ولعل الجواب محذوف .

﴿ فصل ﴾ ومنهم من تاب وأطال البكاء عن إطلاق نظره . أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى باسناد عن عبيد الله . قال سمعت أخى أبا عبدالله محمد بن محمد يقول : سمعت خيراً النساج يقول :كنت مع أمية بن الصامت الصوفى إذ نظر إلى غلام فقرأ « وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » ثم قال . وأين الفرار من سجن الله وقد حصنه بملائكة غلاظ شداد تبارك الله فما أعظم ما امتحننى به من نظرى إلى هذا الغلام ما شبهت نظرى اليه إلا بنار وقعت على قصب فى يوم ريح فما أبقت ولا تركت ثم قال . استغفر الله من بلاء جنته عيناى على قلبى. لقد خفت ألا أنجو من معرته ولا أتخلص من اثمه ولو وافيت القيامة بعمل سبعين صديقا . ثم بكى حتى كاد يقضى نحبه فسمعته يقول فى بكائه ياطرف لأشغلنك بالبكاء عن النظر إلى البلاء .

﴿ فصل ﴾ ومنهم من تلاعب به المرض من شدة المحبة .أخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن أبى حمزة الصوفى قال . كان عبدالله بن موسى من رؤساء الصوفيه ووجوههم فنظر إلى غلام حسن فى بعض الأسواق فبلى به وكاد يذهب عقله عليه صبابة وحباً وكان يقف كل يوم فى طريقه حتى يراه إذا أقبل وإذا انصرف فطال به البلاء وأقعده عن الحركة الضنا وكان لا يقدر أن يمشى خطوة فأتيته يوماً لأعوده . فقلت يا أبا محمد ما قصتك وما هذا الأمر الذى بلغ بك ما أرى ، فقال ، أمور امتحننى الله بها فلم أصبر على البلاء فيها ولم يكن لى بها طاقة ، ورب ذنب يستصغره الانسان هو عند الله أعظم من كبير،وحقيق بمن تعرض للنظر الحرام أن تطول به الاسقام ثم بكى قلت ما يبكيك؟ قال أخاف أن يطول فى النار شقائى فانصرفت عنه وأنا راحم له لما رأيت به من سوء الحال ، قال أبو حمزة ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقى وكان من خيار عباد الله إلى غلام جميل فغشى عليه ، فحمل إلى منزله واعتاده السقم حتى أقعد من رجليه وكان لا يقوم عليهما زماناً طويلا فكنا نأتيه نعوده ونسأله عن حاله وأمره وكان لا يخبرنا بقصته ولا سبب مرضه ، وكان الناس يتحدثون بحديث نظره فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائداً فهش اليه وتحرك وضحك فى وجهه واستبشر برؤيته فمازال يعوده حتى قام على رجليه

وعاد إلى حالته فسأله الغلام يوما أن يسير معه إلى منزله فأبى أن يفعل ذلك، فسألني أن أسأله أن يتحول اليه فسألته فأبى أن يفعل، فقلت للشيخ، وما الذى تكره من ذلك، فقال، لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة، وأخاف أن يقع على من الشيطان محنة فتجرى بينى وبينه معصية فأكون من الخاسرين.

﴿ فصل ﴾ وفيهم من همت نفسه إلى الفاحشة فقتل نفسه. حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني قال، كان ببلاد فارس صوفى كبير فابتلى بحدث فلم يملك نفسه ان دعته إلى فاحشة فراقب الله عز وجل ثم ندم على هذه الهمة وكان منزله على مكان عال ووراء منزله بحر من الماء فلما أخذته الندامة صعد السطح ورمى بنفسه إلى الماء وتلى قوله تعالى «فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم» فغرق فى البحر.

قال المصنف رحمه الله. أنظر إلى إبليس كيف درج هذا المسكين من رؤية هذا الأمرد وإلى ادمان النظر اليه إلى أن مكن المحبة من قلبه إلى أن حرضه على الفاحشة فلما رأى استعصامه حسن له بالجهل قتل نفسه فقتل نفسه، ولعله هم بالفاحشة ولم يعزم، والهمة معفو عنها لقوله عليه السلام. عفى لأمتى عما حدثت به نفوسها، ثم إنه ندم على همته والندم توبة فأراه إبليس أن من تمام الندم قتل نفسه كما فعل بنو إسرائيل فأولئك أمروا بذلك بقوله تعالى «فاقتلوا أنفسكم» ونحن نهينا عنه بقوله تعالى «ولا تقتلوا أنفسكم» فلقد أتى بكبيرة عظيمة، وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال، من تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا.

﴿ فصل ﴾ وفيهم من فرق بينه وبين حبيبه فقتل حبيبه. بلغنى عن بعض الصوفية أنه كان فى رباط عندنا ببغداد ومعه صبى فى البيت الذى هو فيه فشنعوا عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفى إلى الصبى ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكى فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبى فرفعوه إلى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبى يبكى فجلس الصوفى يبكى ويقول له بالله عليك الا ما أقدتنى به، فقال الآن قد عفوت عنك: فقام الصوفى إلى قبر الصبى فجعل يبكى عليه ثم لم يزل يحج عن الصبى ويهدى له الثواب.

﴿فصل﴾ ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر والمجاهدة ، والحديث باسناد عن إدريس بن إدريس قال : حضرت بمصر قوما من الصوفية . ولهم غلام أمرد يغنيهم قال : فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال : يا هذا قل لا إله إلا الله ، فقال الغلام لا إله إلا الله فقال أقبل الفم الذى قال لا إله إلا الله . (القسم السادس) قوم لم يقصدوا صحبة المردان وإنما يتوب الصبي ويتزهد ويصحبهم على طريق الإرادة فيلبس إبليس عليهم ويقول لا تمنعوه من الخير ثم يتكرر نظرهم إليه لا عن قصد فيثير فى القلب الفتنة إلى أن ينال الشيطان منهم قدر ما يمكنه . وربما وثقوا بدينهم فاستفزهم الشيطان فرماهم إلى أقصى المعاصى كما فعل ببرصيصا.

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكرنا قصته فى أول الكتاب وغلطهم من جهة تعرضهم بالفتن وصحبة من لا يؤمن الفتنة فى صحبته .

(القسم السابع) قوم علموا أن صحبة المردان والنظر إليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا عن ذلك . والحديث بإسناد عن الرازى يقول : قال يوسف ابن الحسين : كل ما رأيتمونى أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث فإنها أفتن الفتن . ولقد عاهدت ربى أكثر من مائة مرة أن لا أصحب حدثا ففسخها علىّ حسن الخدود وقوام القدود وغنج العيون وما سألنى الله معهم عن معصية . وأنشد صريع الغوانى فى معنى ذلك شعراً .

إن ورد الخدود والحدق النجـ ل وما فى الثغور من أقحوان
واعوجاج الأصداغ فى ظاهر الخد وما فى الصدور من رمان
تركتنى بين الغوانى صريعاً فلهـذا أدعى صريع الغوانى

قال المصنف رحمه الله : قلت هذا الرجل قد فضح نفسه فى شيء ستره الله عليه وأخبر أنه كلما رأى فتنة نقض التوبة فأين عزائم التصوف فى حمل النفس على المشاق ثم ظن بجهله أن المعصية هى الفاحشة فقط ولو كان له علم لعلم أن صحبتهم والنظر إليهم معصية . فانظر إلى الجهل كيف يصنع بأربابه . والحديث بإسناد عن محمد بن عمر أنه قال : حكى لى عن أبى مسلم الخشوعى أنه نظر إلى غلام جميل فأطال . ثم قال سبحان الله ما أهجم طرفى عن مكروه نفسه وأدمنه على سخط سيده وأغراه بما قد نهى عنه وأبهجه بالأمر الذى

قد حزر عنه . لقد نظرت إلى هذا نظراً لا أحسب إلا أنه سيفضحنى عند جميع من عرفنى فى عرصات القيامة ولقد تركنى نظرى هذا وأنا أستحى من الله تعالى وإن غفر لى ثم صعق . وبإسناد عن أبى بكر محمد بن عيد يقول : سمعت أبا الحسين النورى يقول : رأيت غلاماً جميلا ببغداد فنظرت إليه ثم أردت أن أردد النظر فقلت له تلبسون النعال الصرارة ، وتمشون فى الطرقات فقال أحسنت الحشر بالعلم .

﴿ فصل ﴾ وكل من فاته العلم تخبط فان حصل له وفاته العمل به كان أشد تخبيطاً . ومن استعمل أدب الشرع فى قوله عزوجل « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » سلم فى البداية بما صعب أمره فى النهاية ، وقد ورد الشرع بالنهى عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك . والحديث بإسناده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا تجالسوا أبناء الملوك فإن النفوس تشتاق إليهم ما لا تشتاق إلى الجوارى العواتق . والحديث بإسناده عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : لا تملأوا أعينكم من أولاد الملوك فإن لهم فتنة أشد من فتنة العذارى . والحديث بإسناد عن الشعبى قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاة فأجلسه النبى عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال : كانت خطيئة داود عليه السلام النظر . وعن أبى هريرة قال : نهى رسول الله ﷺ أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد . وقال عمر بن الخطاب : ما أتى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمرد . وبإسناد عن الحسن بن ذكوان أنه قال : لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى .

وبإسناد عن محمد بن حمير عن النجيب السرى قال : كان يقال لا يبيت الرجل فى بيت مع المرد . وبإسناد عن عبدالعزيز بن أبى السائب عن أبيه قال : لانا أخوف على عابد من غلام من سبعين عذراء . وعن أبى على الروزبارى قال : سمعت جنيدا يقول جاء رجل إلى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فقال له

من هذا ، قال ، ابنى فقال أحمد لاتجىء به معك مرة أخرى فلما قام قال له محمد بن عبدالرحمن الحافظ وفى رواية الخطيب فقيل له أيد الله الشيخ أنه رجل مستور وابنه أفضل منه فقال احمد الذى قصدنا اليه من هذا الباب ليس يمنع منه سترهما على هذا رأينا أشياخنا وبه أخبرونا عن أسلافهم . وباسناد عن أبى بكر المروزى قال : جاء حسن البزاز إلى احمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فتحدث معه فلما أراد أن ينصرف قال له أبو عبد الله يا أباعلى لا تمش مع هــذا الغلام فى طريق فقال له إنه ابن أختى ، قال وإن كان لا يهلك الناس فيك . وباسناد من شجاع بن مخلد أنه سمع بشر بن الحارث يقول احذروا هؤلاء الأحداث . وباسناد عن فتح الموصلى أنه قال، صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدون من الأبدال كلهم أوصونى عند فراقى لهم اتق معاشرة الأحداث . وباسناد عن الحلبي أنه يقول نظر سلام الأسود إلى رجل ينظر إلى حدث فقال له ياهذا ابق على جاهك عند الله فإنك لاتزال ذا جاه ما دمت له معظما . وباسناد عن أبى منصور عبد القادر بن طاهر يقول من صحب الأحداث وقع فى الاحداث وعن أبى عبدالرحمن السلمى، قال قال مظفر القرميسينى من صحب الاحداث على شرط السلامة والنصيحة اداه ذلك إلى البلاء ، فكيف بمن يصحبهم على غير وجه السلامة .

﴿ فصل ﴾ وقد كان السلف يبالغون فى الاعراض عن المرد . وقد روينا عن رسول الله ﷺ أنه أجلس الشاب الحسن الوجه وراء ظهره والحديث باسناد عن عطاء بن مسلم قال كان سفيان لايدع أمرداً يجالسه . وروى إبراهيم بن هانىء عن يحي بن معين قال ما طمع أمرد بصحبتى . ولاحمد بن حنبل قال فى طريق . وباسناد عن أبى يعقوب . قال كنا مع أبى نصر بن الحرث فوقفت عليه جارية ما رأينا أحسن منها فقالت : ياشيخ أين مكان باب حرب . فقال لها هذا الباب الذى يقال له باب حرب ثم جاء بعدها غلام ما رأينا أحسن منه : فسأله فقال ياشيخ أين مكان باب حرب فأطرق الشيخ رأسه . فرد عليه الغلام السؤال وغمض عينيه فقلنا للغلام تعال إيش تريد فقال باب حرب . فقلنا له هاهو بين يديك فلما غاب قلنا للشيخ يا أبا نصر

جاءتك جارية فأجبتها وكلمتها وجاءك غلام فلم تكلمه . فقال : نعم يروى عن سفيان الثورى أنه قال . مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان فخشيت على نفسي من شيطانيه وباسناد عن عبدالله بن المبارك يقول . دخل سفيان الثورى الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال اخرجوه اخرجوه . فإنى أرى مع كل امرأة شيطانا . ومع كل غلام بضعة عشر شيطاناً . وباسناد عن محمد بن احمد بن أبي القسم . قال دخلنا على محمد بن الحسين صاحب يحي بن معين وكان يقال انه ما رفع رأسه إلى السماء من منذ أربعين سنة وكان معنا غلام حدث فى المجلس بين يديه . فقال له . قم من حذائى فاجلسه من خلفه. وباسناد عن أبي إمامه قال : وكنا عند شيخ يقرى فبقى عنده غلام يقرأ عليه فأردت الانصراف فأخذ بثوبى وقال اصبر حتى يفرغ هذا الغلام ، وكره أن يخلو مع هذا الغلام. وباسناد عن أبي الروزبارى قال قال لى أبو العباس أحمد المؤدب يا أبا على من أين أخذ صوفية عصرنا هذا الإنس بالاحداث فقلت له يا سيدى أنت بهم أعرف ، وقد تصحبهم السلامة لى كثير من الأمور فقال هيهات قد رأينا من كان أقوى إيماناً منهم إذا رأى الحدث قد أقبل فر كفراره من الزحف وإنما ذلك حسب الأوقات التى تغلب الأحوال على أهلها فتأخذها عن تصرف الطباع ما أكثر الخطر ما أكثر الغلط .

﴿ فصل ﴾ وصحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التى يصيد بها الصوفية أخبرنا ابن ناصر عن أبي عبدالرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الرازى يقول قال يوسف بن الحسين نظرت فى آفات الخلق فعرفت من أين أتو ورأيت آفة الصوفية فى صحبة الاحداث ومعاشرة الأضداد وارفاق النسوان . وباسناد عن ابن الفرج الرستمى الصوفى يقول رأيت إبليس فى النوم فقلت له ـ كيف رأيتنا أعرضنا عن الدنيا ولذاتها وأموالها فليس لك الينا طريق فقال كيف رأيت ما اشتملت به قلوبكم باستماع الغناء ومعاشرة الاحداث. وباسناد عن ابن سعيد الخراز يقول رأيت إبليس فى النوم يمر غنى ناحية فقلت ، تعال ، فقال ايش أعمل بكم ، أنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس ، قلت ماهو ، قال الدنيا ، فلما ولى التفت إلى فقال غير ان فيكم لطيفة ، قلت وماهى ؟

قال ، صحبة الاحداث . قال أبو سعيد وقل من يتخلص منها من الصوفية .

﴿ فصل ﴾ فى عقوبة النظر إلى المردان ، عن أبى عبدالله بن الجلاء قال كنت انظر الى غلام نصرانى حسن الوجه فمر بى أبو عبدالله البلخى . فقال إيش وقوفك فقلت . يا عم أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار. فضرب بيده بين كتفى . وقال لتجدن غبها ولو بعد حين . قال فوجدت غبها بعد أربعين سنة أن أنسيت القرآن . وباسناد عن أبى الأديان وقال كنت مع أستاذى وأبى بكر الدقاق فمر حدث فنظرت اليه فرآنى أستاذى وأنا أنظر اليه فقال يابنى لتجدن غبه ولو بعد حين . فبقيت عشرين سنة وأنا أراعى فما أجد ذلك الغب فنمت ذات ليلة وأنا مفكر فيه فأصبحت وقد أنسيت القرآن كله. وعن أبى بكر الكتانى قال رأيت بعض أصحابنا فى المنام فقلت ما فعل الله بك قال عرض على سيئاتى وقال فعلت كذا وكذا فقلت نعم . ثم قال وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقره فقلت انى استحى أن أقر فقال انى غفرت لك بما أقررت فكيف بما استحييت فقلت له ماكان ذلك الذنب فقال مر بى غلام حسن الوجه فنظرت اليه . وقد روى نحو هذه الحكاية عن أبى عبدالله الزراد انه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا إلا واحد فاستحييت أن أقر به فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى . فقيل له ما الذنب فقال نظرت الى شخص جميل . وقد بلغنا عن أبى يعقوب الطبرى انه قال كان معى شاب حسن الوجه يخدمنى فجاءنى انسان من بغداد صوفى فكان كثير الالتفات الى ذلك الشاب فكنت أجد عليه لذلك فنمت ليلة من الليالى فرأيت رب العزة فى المنام فقال يا أبا يعقوب لم لم تنهه وأشار الى البغدادى عن النظر الى الأحداث فوعزتى انى لا أشغل بالأحداث الا من باعدته عن قربى . قال أبو يعقوب فانتبهت وأنا اضطرب فحكيت الرؤيا للبغدادى فصاح صيحة ومات فغسلناه ودفناه ، واشتغل عليه قلبى فرأيته بعد شهر فى النوم فقلت له ما فعل الله بك قال وبخنى حتى خفت أن لا أنجو ثم عفا عنى قلت . إنما مددت النفس يسيراً فى هذا الباب لأنه مما تعم به البلوى عند الأكثرين فمن أراد الزيادة فيه وفيما يتعلق باطلاق البصر وجميع أسباب الهوى فلينظر فى كتابنا المسمى بذم الهوى . ففيه غاية المراد من جميع ذلك .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ادعاء التوكل ﴾
وقطع الأسباب وترك الاحتراز فى الأموال

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى باسناد عن احمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى يقول لو توكلنا على الله تعالى ما بنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقاً مخافة اللصوص . وباسناد عن ذى النون المصرى انه قال سافرت سنين وماصح لى التوكل إلا وقتاً واحداً ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشبه من خشب المركب فقالت لى نفسى ان حكم الله عليك بالغرق فما تنفعك هذه الخشبة فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل .

أخبرنا محمد قال سألت أبا يعقوب الزيات عن مسألة فى التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابنى . فأعطى التوكل حقه ثم قال استحييت أن أجيبك وعندى شيء وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال جاء رجل الى عبدالله بن الجلاء فسأله عن مسألة فى التوكل وعنده جماعته فلم يجبه ودخل البيت فأخرج اليهم صرة فيها أربعة دوانق فقال اشتروا بهذه شيئاً . ثم أجاب الرجل عن سؤاله فقيل له فى ذلك فقال . استحييت من الله تعالى أن أتكلم فى التوكل وعندى أربعة دوانق . وقال سهل بن عبدالله من طعن فى الاكتساب فقد طعن على السنة ومن طعن على التوكل فقد طعن على الإيمان .

قال المصنف قلت : قلة العلم أوجبت هذا التخليط ، ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا انه ليس بينه وبين الأسباب تضاد . وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وذلك لا يناقض حركة البدن فى التعلق بالأسباب ولا ادخار المال . فقد قال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » أى قواما لأبدانكم وقال ﷺ . نعم المال الصالح مع الرجل الصالح ، وقال ﷺ إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس . واعلم أن الذى أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر ، فقال « خذوا حذركم » وقال « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وقال « أن أسر بعبادى ليلا » وقد ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين وشاور طبيبين واختفى فى الغار . وقال من يحرسنى الليلة . وأمر بغلق الباب . وفى الصحيحين من

من حديث جابر أن النبي ﷺ قال اغلق بابك . وقد أخبر نا أن التوكل لا ينافى الاحتراز

أخبرنا إسماعيل بن احمد السمرقندى نا عبد الله بن يحيى الموصلى ونصر بن احمد قالا أخبرنا أبو الحسين بن بشران ثنا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنى أبو جعفر الصيرفى ثنا يحى بن سعيد ثنا المغيرة بن أبى قرة السدوسى قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول جاء رجل إلى النبى ﷺ وترك ناقته بباب المسجد فسأله رسول الله ﷺ عنها فقال أطلقتها وتوكلت على الله قال اعقلها وتوكل .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الازجى نا إبراهيم بن محمد بن جعفر نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرنى حرب بن إسماعيل الكرمانى ثنى عبد الرحمن بن محمد بن سلام ثنا الحسين بن زياد المروزى قال سمعت سفيان بن عيينة يقول تفسير التوكل أن يرضى بما يفعل به .وقال ابن عقيل يظن أقوام ان الاحتياط والاحتراز ينافى التوكل . وإن التوكل هو إهمال العواقب وإطراح التحفظ وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذى يقتضى من العقلاء التوبيخ والتهجين ولم يأمر الله بالتوكل الا بعد التحرز واستفراغ الوسع فى التحفظ . فقال تعالى (وشاورهم فى الأمر) (فإذا عزمت فتوكل على الله) فلو كان التعلق بالاحتياط قادحاً فى التوكل لما خص الله به نبيه حين قال له (وشاورهم فى الأمر)وهل المشاورة الا استفادة الرأى الذى منه يؤخذ التحفظ والتحرز من العدو ولم يقنع فى الاحتياط بأن يكله الى رأيهم واجتهادهم حتى نص عليه وجعله عملا فى نفس الصلاة وهى أخص العبادات . فقال فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم) وبين علة ذلك بقوله تعالى (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ومن علم أن الاحتياط هكذا لا يقال أن التوكل عليه ترك ما علم . لكن التوكل التفويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة .قال عليه الصلاة والسلام « اعقلها وتوكل » ولو كان التوكل ترك التحرز لخص به خير الخلق ﷺ فى خير الأحوال وهى حالة الصلاة .

وقد ذهب الشافعي رحمه الله إلى وجوب حمل السلاح حينئذ لقوله . (وليأخذوا أسلحتهم) فالتوكل لا يمنع من الاحتياط والاحتراز فإن موسى عليه السلام لما قيل له (إن الملاء يأتمرون بك ليقتلوك) . خرج . ونبينا ﷺ خرج من مكة لخوفه من المتآمرين عليه ووقاه أبو بكر رضى الله عنه بسد أثقاب الغار وأعطى القوم التحرز حقه ثم توكلوا وقال عز وجل فى باب الاحتياط (لا تقصص رؤياك على إخوتك) وقال (لا تدخلوا من باب واحد) وقال. (فامشوا فى مناكبها) وهذا لأن الحركة للذب عن النفس إستعمال لنعمة الله تعالى وكما أن الله تعالى يريد إظهار نعمه المبدأة يريد إظهار وداعه فلا وجه لتعطيل ما أودع اعتماداً على ما جاد به. لكن يجب استعمال ما عندك ثم أطلب ما عنده وقد جعل الله تعالى للطير والبهائم عدة وأسلحة تدفع عنها الشرور كالمخلب والظفر والناب وخلق للادمى عقلا يقوده إلى حمل الأسلحة ويهديه إلى التحصين بالابنية والدروع ومن عطل نعمة الله تعالى بترك الاحتراز فقد عطل حكمته كمن يترك الأغذية والأدوية ثم يموت جوعاً أو مرضا . ولا أبله ممن يدعى العقل والعلم ويستسلم للبلاء إنما ينبغي أن تكون أعضاء المتوكل فى الكسب وقلبه ساكن مفوض إلى الحق منع أو أعطى . لأنه لا يرى إلا أن الحق سبحانه وتعالى لا يتصرف إلا بحكمة ومصلحة . فمنعه عطاء فى المعنى. وكم زين للعجزة عجوزهم وسولت لهم أنفسهم أن التفريط توكل فصاروا فى غرورهم بمثابة من اعتقد التهور شجاعة والخور حزماً .ومتى وضعت أسباب فأهملت كان ذلك جهلا بحكمة الواضع . مثل وضع الطعام سبباً للشبع والماء للرى والدواء للمرض . فإذا ترك الانسان ذلك إهواناً بالسبب ثم دعا وسأل فربما قيل له قد جعلنا لعافيتك سبباً فإذا لم تتناوله كان إهوانا لعطائنا فربما لم نعافك بغير سبب لإهوانك للسبب وما هذا إلى بمثابة من بين قراحة وماء الساقية رفسه بمسحاة فأخذ يصلى صلاة الاستسقاء طلباً للمطر فإنه لا يستحسن منه ذلك شرعاً ولا عقلا .

قال المصنف رحمه الله . فان قال قائل كيف أحترز مع القدر قيل له وكيف لا تحترز مع الأوامر من المقدر فالذى قدر هو الذى أمر. وقد قال تعالى (وخذوا حذركم) أنبأنا إسماعيل بن احمد نا عاصم بن الحسين نا ابن بشران ثنا أبو صفوان نا أبو بكر القرشى ثنى شريح بن يونس نا على بن ثابت عن خطاب بن القاسم عن

أبى عثمان قال : كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فأتاه إبليس فقال أنت الذى تزعم أن كل شىء بقضاء وقدر. قال نعم قال فألق نفسك من الجبل وقل قدر على ؟ فقال . يالعين الله يختبر العباد وليس للعباد أن يختبروا الله تعالى .

﴿ فصل ﴾ وفى معنى ما ذكرنا من تلبيسه عليهم فى ترك الأسباب انه قد لبس على خلق كثير منهم بأن التوكل ينافى الكسب . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبدالله قال سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت محمد بن المنذر يقول سمعت سهل بن عبدالله التسترى يقول: من فى طعن التوكل فقد طعن فى الإيمان ومن طعن على الكسب فقد طعن على السنة .

أخبرنا محمد بن ناصر نا احمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت محمد بن عبدالله الرازى يقول : سأل رجل أبا عبدالله بن سالم وأنا أسمع أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل فقال التوكل حال رسول الله ﷺ والكسب سنة رسول الله ﷺ وإنما سن الكسب لمن ضعف عن التوكل وسقط عن درجة الكمال التى هى حاله فمن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال إلا كسب معاونة لا كسب اعتماد عليه ومن ضعف عن حال التوكل التى هى حال رسول الله ﷺ أبيح له طلب المعاش فى الكسب لئلا يسقط عن درجة سنته حين سقط عن درجة حاله .

أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبى قال سمعت محمد بن الحسين قال سمعت أبا القاسم الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين قال : اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص والكسب فليس يجىء منه شىء .

قال المصنف رحمه الله : قلت هذا كلام قوم ما فهموا معنى التوكل وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل وقد بينا أن التوكل فعل القلب فلا ينافى حركة الجوارح ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حراثاً ونوح وزكريا نجارين وادريس خياطا وابراهيم ولوط زراعين وصالح تاجراً ، وكان سليمان يعمل الخوص وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين وقال نبينا ﷺ كنت أرعى غنما لأهل مكة بالقراريط .

فلما أغناه الله عز وجل بما فرض له من الفيء لم يحتج الى الكسب . وقد كان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله تعالى عليهم بزازين وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مهران بزازين ، وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خزازين [1] وكذلك أبو حنيفة . وكان سعد بن أبي وقاص يبرى النبل وكان عثمان بن طلحة خياطا . وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا أبو محمد الجوهرى نا ابن حياة نا أبو الحسن ابن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا مسلم بن ابراهيم نا هشام الدستوائى قال حدثنا عطاء بن السائب قال : لما استخلف أبو بكر رضى الله عنه أصبح غاديا الى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا . أين تريد : فقال السوق قالا تصنع ماذا . وقد وليت أمور المسلمين قال . فمن أين أطعم عيالى . قال ابن سعد وأخبرنا احمد بن عبدالله بن يونس ثنا أبو بكر بن عياش عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال . لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين . فقال زيدونى فان لى عيالا وقد شغلتمونى عن التجارة فزادوه خمسمائة .

قال المصنف رحمه الله : قلت لو قال رجل للصوفية من أين أطعم عيالى لقالوا قد أشركت ، ولو سئلوا عمن يخرج الى التجارة لقالوا ليس بمتوكل ولا موقن وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين ، ولو كان أحد يغلق عليه الباب ويتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين أمرين أما الغالب من الناس فنهم من يسعى الى الدنيا مستجدياً ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له . . وإما الجلوس فى الرباط فى هيئة المساكين وقد علم أن الرباط لا يخلو من فتوح كما لا تخلو الدكان من أن يقصد للبيع والشراء .

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو طالب العشارى نا محمد بن عبد الرحمن المخلص نا عبيدالله بن عبدالرحمن السكرى ثنا

«١» أى يعملون الخز وهى ثياب تنسج من صوف وابريسم .

أبو بكر بن عبيد قال حدثت عن الهيثم بن خارجة ثنا سهل بن هشام عن إبراهيم بن أدهم قال.كان سعيد بن المسيب يقول من لزم المسجدوترك الحرفة وقبل مايأتيه فقد ألحف فى السؤال .

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبدالباقى قالا :نا حمدبن أحمدنا أبو نعيم الحافظ . قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جدى إسماعيل بن نجيدى يقول :كان أبو تراب يقول لأصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سأل ومن قعد فى خانقاه أو مسجد فقد سأل .

قال المصنف رحمه الله . قلت وقدكان السلف ينهون عن التعرض لهذه الأشياء ويأمرون بالكسب . أخبرنا عبدالوهاب بن المبارك نا أبو الحسين ابن عبدالجبار نا محمد بن على بن الفتح نامحمد بن عبدالرحمن المخلص ناعبيدالله ابن عبدالرحمن السكرى نا أبو بكر بن عبيد القرشي ناعبيد بن الجعد ناالمسعودي عن خوات التيمي قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . يامعشر الفقراء أرفعوا رؤسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهرى وأبو الخير القزوينى قالوا نا أبو عمر بن حياة نا محمد بن خلف ثنا أبو جعفر اليمانى نا أبو الحسن المداينى عن محمد بن عاصم قال : بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا رأى غلاماً فأعجبه سأل عنه هل له حرفة فإن قيل لا قال سقط من عينى .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبد الله البقال نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن احمد الدقاق نا حنبل ثنى أبو عبدالله نا معاذ بن هشام ثنى أبى عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون فى تجر الشام منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد .

أخبرنا عبدالوهاب بن المبارك ناجعفر بن أحمد السراج ناعبدالعزيز بن الحسن ابن إسماعيل الضراب نا أبى نا احمد بن مروان المالكى نا أبو القاسم بن الختلى : سألت احمد بن حنبل وقلت : ما تقول فى رجل جلس فى بيته أو فى مسجده

وقال لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقى فقال احمد هذا رجل جهل العلم أما سمعت قول رسول الله ﷺ . جعل الله رزقى تحت ظل رمحى ، وحديث الآخر فى ذكر الطير تغدو خماصاً فذكر انها تغدو فى طلب الرزق ، قال تعالى (وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله) وقال : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم ولنا القدوة بهم . وقد ذكرنا فيما مضى عن احمد أن رجلا قال له . أريد الحج على التوكل فقال له فاخرج فى غير القافلة . قال لا . قال فعلى جراب الناس توكلت .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الأزجى نا ابراهيم بن محمد بن جعفر الناجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر احمد بن محمد الخلال نا أبو بكر المروزى قال : قلت لأبى عبد الله هؤلاء المتوكلة يقولون نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل . فقال هذا قول ردىء . أليس قد قال الله تعالى . (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) ثم قال إذا قال لا أعمل وجىء اليه بشىء قد عمل واكتسب لأى شىء يقبله من غيره . قال الخلال : وأخبرنا عبد الله بن احمد قال : سألت أبى عن قوم يقولون نتوكل على الله ولا نكتسب فقال . ينبغى للناس كلهم يتوكلون على الله . ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب . هذا قول انسان أحمق .

قال الخلال : وأخبرنى محمد بن على قال ثنا صالح انه سأل أباه يعنى احمد ابن حنبل عن التوكل فقال التوكل حسن ولكن ينبغى أن يكتسب ويعمل حتى يغنى نفسه وعياله ولا يترك العمل . قال وسئل أبى وأنا شاهد عن قوم لا يعملون ويقولون نحن المتوكلون فقال هؤلاء مبتدعون . قال الخلال وأخبرنا المروزى انه قال لأبى عبد الله أن ابن عيينة كان يقول هم مبتدعة . فقال أبو عبد الله هؤلاء قوم سوء يريدون تعطيل الدنيا . وقال الخلال وأخبرنا المروزى قال سألت أبا عبد الله عن رجل جلس فى بيته وقال اجلس واصبر واقعد فى البيت ولا أطلع على ذلك أحداً فقال . لو خرج فاحترف كان أحب إلى فاذا جلس خفت أن يخرجه جلوسه الى غير هذا قلت الى أى شىء يخرجه . قال يخرجه الى أن

يكون يتوقع أن يرسل اليه قال الخلال وحدثنا أبو بكر المروزى قال سمعت رجلا يقول لأبى عبدالله احمد بن حنبل انى فى كفاية قال إلزم السوق تصل به الرحم وتعود به على عيالك . وقال لرجل آخر إعمل وتصدق بالفضل على قرابتك . وقال احمد بن حنبل قد أمرتهم يعنى أولاده أن يختلفوا الى السوق وأن يتعرضوا للتجارة .

قال الخلال وأخبرنى محمد بن الحسين أن الفضل بن محمد بن زياد حدثهم قال سمعت أبا عبدالله يأمر بالسوق ويقول . ما أحسن الاستغناء عن الناس . وقال الخلال وأخبرنى يعقوب بن يوسف المطوعى قال ، سمعت أبا بكر بن جناد . يقول : الجصاصى قال سمعت احمد بن حنبل يقول أحب الدراهم إلىّ درهم من تجارة وأكرهها عندى الذى من صلة الإخوان .

قال المصنف رحمه الله : قلت وكان ابراهيم بن أدهم يحصد وسلمان الخواص يلقط وحذيفة المرعشى يضرب اللبن ، وقال ابن عقيل التسبب لا يقدح فى التوكل لأن تعاطى رتبة ترقى على رتبة الأنبياء نقص فى الدين . ولما قيل لموسى عليه السلام (أن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) خرج ولما جاع واحتاج إلى عفة نفسه أجر نفسه ثمان سنين . وقال الله تعالى (فامشوا فى مناكبها) وهذا لأن الحركة استعمال بنعمة الله وهى القوى فاستعمل ماعندك ثم أطلب ماعنده. وقد يطلب الانسان من ربه وينسى ما له عنده من الذخائر فاذا تأخر عنه مايطلبه بسخط . فترى بعضهم يملك عقاراً وأثاثاً فاذا ضاق به القوت واجتمع عليه دين فقيل له . لو بعت عقارك . قال كيف أفرط فى عقارى وأسقط جاهى عند الناس وإنما يفعل هذه الحماقات العادات وإنما قعد أقوام عن الكسب استثقالا له فكانوا بين أمرين قبيحين . إما تضييع العيال فتركوا الفرائض أو التزين باسم انه متوكل فيحن عليهم المكتسبون فضيقوا على عيالهم لأجلهم وأعطوهم. وهذه الرذيلة لم تدخل قط إلا على دنىء النفس الرذيلة وإلا فالرجل كل الرجل من لم يضيع جوهره الذى أودعه الله إيثاراً للكسل أو لإسم يتزين به بين الجهال فان الله تعالى قد يحرم الانسان المال ويرزقه جوهراً يتسبب به إلى تحصيل الدنيا يقبول الناس عليه .

(فصل) وقد تشبث القاعدون عن التكسب بتعللات قبيحة . منها أنهم قالوا لابد من أن يصل الينا رزقنا وهذا فى غاية القبح فان الانسان لو ترك الطاعة وقال لا أقدر بطاعتى أن أغير ما قضى الله على فان كنت من أهل الجنة فانا إلى الجنة أو من أهل النار فانا من أهل النار . قلنا له هذا يرد الأوامر كلها ولو صح لأحد ذلك لم يخرج آدم من الجنة لأنه كان يقول ما فعلت إلا ماقضى على . ومعلوم اننا مطالبون بالأمر لا بالقدر . ومنها انهم يقولون أين الحلال حتى نطلب وهذا قول جاهل لأن الحلال لا ينقطع أبداً لقوله ﷺ « الحلال بين والحرام بين » ومعلوم أن الحلال ما أذن الشرع فى تناوله وإنما قولهم هذا احتجاج للكسل . ومنها أنهم قالوا إذا كسبنا أعنا الظلمة والعصاة مثل ما أخبرنا به عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد نا عبدالعزيز بن على نا ابن جهضم نا على بن محمد السيروانى قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت الحلال فى كل شيء حتى طلبته فى صيد السمك فأخذت قصبة وجعلت فيها شعراً وجلست على الماء فألقيت الشص فخرجت سمكة فطرحتها على الأرض وألقيت الثانية فخرجت لى سمكة فانا أطرحها ثالثة اذا من ورائى لطمة لا أدرى من يد من هى ولا رأيت أحداً وسمعت قائلا يقول أنت لم تصب رزقاً فى شيء إلا أن تعمد الى من يذكرنا فتقتله قال فقطعت الشعر وكسرت القصبة وانصرفت . أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى ثنا أبى قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عثمان بن الآدمى قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت فقصدت الخ ما تقدم .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذه القصة ان صحت فان فى الروايتين بعض من يتهم فان اللاطم إبليس وهو الذى هتف به لأن الله تعالى أباح الصيد فلا يعاقب على ما أباحه وكيف يقال له تعمد الى من يذكرنا فتقتله وهو الذى أباح له قتله وكسب الحلال ممدوح ولو تركنا الصيد وذبح الأنعام لأنها تذكر الله تعالى لم يكن لنا مايقيم قوى الأبدان لأنه لايقيمها الا اللحم فالتحرى من أخذ السمك وذبح الحيوان مذهب البراهمة فانظر الى الجهل ما يصنع والى إبليس كيف يفعل . أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا

عبد العزيز بن على الأزجى ثنا على بن عبدالله الهمدانى ثنا محمد بن جعفر ثنا احمد بن عبدالله بن عبد الملك قال سمعت شيخاً يكنى أبا تراب يقول قيل لفتح الموصلى أنت صياد بالشبكة ولم تصد شيئاً الا وتطعمه لعيالك فلم تصد وتبيح ذلك الناس فقال أخاف أن أصطاد مطيعاً لله تعالى فى جوف الماء فأطعمه عاصياً لله على وجه الأرض .

قال المصنف رحمه الله قلت : إن صحت هذه الحكاية عن فتح الموصلى فهو من التعلل البارد المخالف للشرع والعقل لأن الله تعالى أباح الكسب وندب اليه فاذا قال قائل ربما خبزت خبزاً فأكله عاص كان حديثاً فارغا لأنه لا يجوز لنا إذاً ان نبيع الخبز لليهود والنصارى .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك التداوى ﴾

قال المصنف رحمه الله : لا يختلف العلماء أن التداوى مباح وإنما رأى بعضهم أن العزيمة تركه . وقد ذكرنا كلام الناس فى هذا وبينا بما اخترناه فى كتابنا لقط المنافع فى الطب . والمقصود ههنا انا نقول اذا ثبت أن التداوى مباح بالإجماع مندوب اليه عند بعض العلماء فلا يلتفت الى قول قوم قد رأوا أن التداوى خارج من التوكل لأن الإجماع على انه لايخرج من التوكل وقد صح عن رسول الله ﷺ انه تداوى وأمر بالتداوى ولم يخرج بذلك من التوكل ولا أخرج من أمره أن يتداوى من التوكل . وفى الصحيح من حديث عثمان ابن عفان رضى الله عنه أن النبى ﷺ رخص اذا اشتكى المحرم عينه أن يضمدها بالصبر . قال ابن جرير الطبرى وفى هذا الحديث دليل على فساد ما يقوله ذوو الغباوة من أهل التصوف والعباد من أن التوكل لا يصح لأحد عالج علة به فى جسده بدواء إذ ذاك عندهم طلب العافية من غير من بيده العافية والضر والنفع . وفى إطلاق النبى ﷺ للمحرم علاج عينه بالصبر لدفع المكروه أدل دليل على أن معنى التوكل غير ما قاله الذين ذكرنا قولهم. وان ذلك غير مخرج فاعله من الرضا بقضاء الله كما أن من عرض له كلب الجوع لا يخرجه فزعه إلى الغذاء من التوكل والرضا بالقضاء لأن الله تعالى

لم ينزل داء إلا أنزل له دواء إلا الموت وجعل أسبابا لدفع الادواء كما جعل الأكل سبباً لدفع الجوع . وقد كان قادرا أن يحيى خلقه بغير هذا ولكنه خلقهم ذوى حاجة فلا يندفع عنهم أذى الجوع إلا بما جعل سبباً لدفعه عنهم فكذا الداء العارض والله الهادى .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية ﴾
فى ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة

قال المصنف . كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزة عن الناس اشتغالا بالعلم والتعبد إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق . وإنما هى عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من أعتزل فى جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم . وعمومهم اعتزل فى الأربطة ففاتهم السعى إلى المساجد وتوطنوا على فراش الراحة وتركوا الكسب وقد قال أبو حامد الغزالى فى كتاب الأحياء مقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك إلا بخلوة فى مكان مظلم وقال فان لم يكن مكان مظلم فيلف رأسه فى جبته أو يتدثر بكساء ، أو أزار . ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية .

قال المصنف رحمه الله قلت . أنظر إلى هذه الترتيبات والعجب كيف تصدر من فقيه عالم ومن أين له أن الذى يسمعه نداء الحق وأن الذى يشاهده جلال الربوبية وما يؤمنه أن يكون ما يجده من الوساوس والخيالات الفاسدة وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل فى المطعم فإنه يغلب عليه الماليخوليا . وقد يسلم الإنسان فى مثل هذه الحالة من الوساوس إلا أنه إذا تخشى بثوبه وغمض عينيه تخايل هذه الأشياء لأن فى الدماغ ثلاث قوى : قوة يكون بها التخيل وقوة يكون بها الفكرة وقوة يكون بها الذكر وموضع التخيل البطنان المقدمان من بطون الدماغ وموضع التفكر البطن الأوسط من بطون الدماغ وموضع الحفظ الموضع المؤخر فإن أطرق الإنسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية إلى غير ذلك

نعوذ بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة .

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا بكر البجلي يقول سمعت أبا عثمان بن الآدمي قال كان أبو عبيد التستري إذا كان أول يوم من شهر رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته طيني باب البيت والق إليّ كل ليلة من الكوة رغيفاً فإذا كان يوم العيد دخلت فوجدت ثلاثين رغيفاً في الزاوية ولا أكل ولا شرب ولا يتهيأ لصلاة ويبقى على طهر واحد إلى آخر الشهر .

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية عندي بعيدة عن الصحة من وجهين أحدهما بقاء الآدمي شهراً لا يحدث بنوم ولا بول ولا غائط ولا ريح : والثاني ترك المسلم صلاة الجمعة والجماعة وهي واجبة لا يحل تركها فإن صحت هذه الحكاية فما أبقى إبليس لهذا في التلبيس بقية . قال أنبأنا زاهر بن طاهر نا احمد بن الحسين البيهقي ثنا الحاكم أبو عبد الله النيسابوري وسمعت أبا الحسن البوشنجي الصوفي غير مرة يعاتب في ترك الجمعة والجماعة والتخلف عنها فيقول : ان كانت البركة في الجماعة فإن السلامة في العزلة .

﴿ فصل ﴾ وقد جاء النهي عن الانفراد الموجب للبعد عن العلم والجهاد للعدو . أخبرنا ابن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد قال حدثني أبي ثنا أبو المغيرة ثنا معان بن رفاعة ثني علي بن زيد عن القاسم عن أبي امامة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه قال فمر رجل بغار فيه شيء من ماء قال فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه وفيه شيء من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا ثم قال : لو أني أتيت نبي الله ﷺ فذكرت ذلك له فإن أذن لي فعلت وإلا لم أفعل فأتاه فقال يانبي الله اني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا . قال فقال نبي الله ﷺ « اني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية ﴾
فى التخشع ومطأطأة الرأس وإقامة الناموس

قال المصنف رحمه الله :. إذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متأدبا متذللا وقد كانوا يجتهدون فى ستر مايظهر منهم من ذلك . وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويبكى بالليل ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام فإن ذلك يؤذيهم . فقد روى عن على رضى الله عنه إذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم اذا تفسح فى المباح فينبغى أن يتلقاهم بالصمت والأدب وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكى ومطأطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحة وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فيتهيأ للدعاء كأنه يستنزل الإجابة وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعى أنه قيل له ادع لنا فكره ذلك واشتد عليه . وقد كان فى الخائفين من حمله الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه إلى السماء وليس هذا بفضيلة لأنه لاخشوع فوق خشوع رسول الله ﷺ . وفى صحيح مسلم من حديث أبى موسى قال كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء . وفى هذا الحديث دليل على استحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى (أولم يروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) وقال (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) وفى هذا رد على المتصوفين فإن أحدهم يبقى سنين لا ينظر إلى السماء. وقد ضم هؤلاء الى ابتداعهم الرمز إلى التشبيه ولو علموا أن اطراقهم كرفعهم فى باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك غير أن ماشغل إبليس إلا التلاعب بالجهلة . فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخوف منهم لأنهم يعرفون جميع أمره ويحترزون من فنون مكره .

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلانى نا القاضى أبو العلاء الواسطى نا أبو نصر احمد بن محمد نا أبو الخير احمد بن محمد البزاز ثنا البخارى ثنا إسحاق ثنا محمد بن المفضل ثنا الوليد بن جميع عن

أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر فى مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد احد منهم على شىء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون .
أخبرنا عبدالوهاب الحافظ ثنا جعفر بن احمد نا عبدالعزيز الحسن بن إسماعيل الضراب نا أبى ثنا احمد بن مروان ثنا إبراهيم الحربى ثنا محمد بن الحارث عن المداينى عن محمد بن عبدالله القرشى عن أبيه قال : نظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له . ياهذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما فى قلبه فإنما أظهر نفاقا على نفاق .

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا على بن احمد الملطى ثنا احمد بن محمد بن يوسف ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشى ثنى يعقوب بن إسماعيل قال : قال عبد الله أخبرنا المعتمر عن كهمس بن الحسين أن رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكزه عمر أو قال لكمه .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن عاصم بن كليب الجرمى : قال لقى أبى عبدالرحمن بن الأسود وهو يمشى وكان إذا مشى يمشى جنب الحائط متخشعاً هكذا . وأمال أبو بكر عنقه شيئاً فقال أبى مالك أذا مشيت مشيت إلى جنب الحائط : أما والله ان عمر إذا مشى لشديد الوطء على الأرض جهورى الصوت .

أخبرنا محمد بن أبى طاهر نا أبو محمد الجوهرى نا ابن حياة نا أبو الحسن ابن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد يرفعه إلى سليمان بن أبى خيثمة عن أبيه قال قالت الشفا بنت عبدالله ورأت فتياناً يقصرون فى المشى ويتكلمون رويدا فقالت ماهذا قالوا نساك . قالت . كان والله عمر إذا تكلم أسمع وإذ مشى أسرع وإذا ضرب أوجع وهو الناسك حقا .

قال المصنف رحمه الله . قلت وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع . وقد ذكرنا عن أيوب السختيانى أنه كان فى ثوبه بعض الطول

ليستر حاله . وكان سفيان الثورى يقول لا أعتد بما ظهر من عملى وقال لصاحب له ورآه يصلى ما أجرأك تصلى والناس يرونك . قال حدثنا محمد بن ناصر ثنا عبد القادر بن يوسف نا ابن المذهب نا القطيعى ثنا عبدالله بن احمد ثنا أبو عبدالله يعنى السلمى ثنا بقية عن محمد بن زياد قال : مر أبو أمامة برجل ساجد فقال يا لها من سجدة لو كانت فى بيتك .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا الجوهرى ثنا محمد بن العباس ثنا محمد بن القاسم الأنبارى ثنا الحارث بن محمد ثنا يحي بن أيوب ثنا شعيب بن حرب ثنا الحسين بن عمار . قال رجل فى مجلس الحسن بن عمارة آه قال . فجعل يتبصره ويقول من هذا حتى ظننا أنه لو عرفه أمر به . أخبرنا اسماعيل بن احمد المقرى نا احمد بن احمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ نا أبو عبدالله محمد بن جعفر ثنا عبدالله بن محمد بن يعقوب ثنا أبو حاتم ثنا حرملة قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول :

ودع الذين اذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا فهم ذئاب خفاف

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا أبو عمر الحسن بن عثمان الواعظ نا جعفر بن محمد الواسطى نا الحسين بن عبدالله الابزارى قال سمعت ابراهيم بن سعيد يقول . كنت واقفاً على رأس المأمون فقال لى يا ابراهيم : قلت لبيك قال عشرة من أعمال البر لا يصعد الى الله والله منها شىء . قلت ماهى يا أمير المؤمنين فقال بكاء ابراهيم على المنبر ، وخشوع عبدالرحمن بن اسحاق ، وتقشف ابن سماعة ، وصلاة خيعويه بالليل ، وصلاة عباس الضحى ، وصيام ابن السندى الاثنين والخميس ، وحديث أبى رجاء ، وقصص الحاجى ، وصدقة حفصويه وكتاب الشامى ليعلى بن قريش .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك النكاح ﴾

قال المصنف: النكاح مع خوف العنت واجب ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء . ومذهب أبى حنيفة واحمد ابن حنبل انه حينئذ أفضل من جميع النوافل لأنه سبب فى وجود الولد قال عليه الصلاة والسلام « تناكحوا تناسلوا » وقال رسول الله ﷺ « النكاح من سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

أخبرنا محمد بن أبى طاهر نا الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا احمد بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا سليمان بن داود الطيالسى نا إبراهيم ابن سعد عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبى وقاص قال: لقد رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له فى ذلك لاختصينا. قال ابن سعد وأخبرنا ابن عفان نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك «أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبى عليه السلام عن عمله فى السر فأخبروهم فقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أنام الليل على فراش. وقال بعضهم أصوم ولا أفطر فحمد الله النبى عليه الصلاة والسلام وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتى فليس منى» قال ابن سعد وأخبرنا سعيد بن منصور نا أبو عوانة عن عطاء بن السايب عن سعيد بن عبيد قال قال ابن عباس رضى الله عنه: «إن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء» قال ابن سعد وأخبرنا احمد ابن عبد الله بن قيس ثنا ميذل عن أبى رجاء الجزرى عن عثمان بن خالد بن محمد بن مسلم قال قال شداد بن أوس. زوجونى فإن رسول الله ﷺ أوصانى أن لا ألقى الله عزباً. وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله بن احمد ثنى أبى ثنا عبدالرزاق نا محمد بن راشد عن مكحول عن رجل عن أبى ذر قال. دخل على رسول الله ﷺ رجل يقال له عكاف بن بشر التميمى الهلالى فقال له النبى ﷺ «ياعكاف هل لك من زوجة قال لا قال ولا جارية قال لا قال وأنت موسر بخير قال وأنا موسر قال أنت اذاً من إخوان الشياطين لو كنت من النصارى لكنت من رهبانهم إن سنتنا النكاح شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم أبا لشياطين تمرسوم ماللشياطين من سلاح أبلغ فى الصالحين من ترك النساء». أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر نا عبد الله بن احمد بن حنبل ثنى أبى ثنى أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة قال: «لعن رسول الله ﷺ مخنثى الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء

المتشبهات بالرجال. والمتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج والمتبتلات من النساء اللاتى يقلن ذلك » . أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد القادر بن محمد قال نا أبو بكر الخياط نا أبو الفتح بن أبى الفوارس نا احمد بن جعفر الجيلى ثنا احمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزى قال سمعت أبا عبد الله احمد بن حنبل يقول: ليس العزوبة من أمر الإسلام فى شيء النبى عليه الصلاة والسلام تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع ثم قال لو كان بشر بن الحارث تزوج كان قد تم أمره كله . لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا ولم يكن كذا وقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يصبح وما عندهم شيء وكان يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل فمن رغب عن فعل النبى عليه الصلاة والسلام فهو على غير الحق . ويعقوب عليه السلام فى حزنه قد تزوج وولد له. والنبى عليه الصلاة والسلام قال حبب إلىّ النساء : قلت فإن ابراهيم ابن آدم يحكى عنه بأنه قال لروعة صاحب عيال فما قدرت أن أتم الحديث حتى صاح بى وقال وقعنا فى بنيات الطريق أنظر عافاك الله ما كان عليه نبينا محمد ﷺ وأصحابه ثم قال : لبكاء الصبى بين يدى أبيه يطلب منه خبزاً أفضل من كذا وكذا انى يلحق المتعبد المتعزب المتزوج .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على كثير من الصوفية فمنعهم من النكاح فقدماؤهم تركوا ذلك تشاغلا بالتعبد ورأوا النكاح شاغلا عن طاعة الله عز وجل وهؤلاء وإن كانت بهم حاجة إلى النكاح أو بهم نوع تشوق اليه فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم وان لم يكن بهم حاجة اليه فأتتهم الفضيلة. وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « وفى بضع أحدكم صدقة قالوا يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر قالوا نعم قال وكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر» ثم قال « أفتحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير» ومنهم من قال النكاح يوجب النفقة والكسب صعب. وهذه حجة للترفه عن تعب الكسب وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار أنفقته فى الصدقة ودينار أنفقته على عيالك أفضلها الدينار الذى أنفقته على عيالك »

ومنهم من قال النكاح يوجب الميل الى الدنيا فروينا عن أبى سليمان الدارانى انه قال : اذا طلب الرجل الحديث أو سافر فى طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا .

قال المصنف رحمه الله قلت . وهذا كله مخالف للشرع وكيف لا يطلب الحديث والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم . وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن أموت من سعى على رجلى أطلب كفاف وجهى أحب إلىّ من أن أموت غازياً فى سبيل الله . وكيف لا يتزوج وصاحب الشرع يقول « تناكحوا تناسلوا » فما أرى هذه الأوضاع الا على خلاف الشرع . فأما جماعة من متأخرى الصوفية فانهم تركوا النكاح ليقال زاهد والعوام تعظم الصوفى اذا لم تكن له زوجة فيقولون ما عرف امرأة قط فهذه رهبانية تخالف شرعنا . قال أبو حامد ينبغى أن لا يشغل المريد نفسه بالتزويج فانه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى .

قال المصنف رحمه الله : وإنى لأعجب من كلامه أتراه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته فانه لم يخرج عن جادة السلوك أو يرى الأنس الطبيعى بالزوجة ينافى أنس القلوب بطاعة الله تعالى والله تعالى قد منّ على الخلق بقوله (وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) . وفى الحديث الصحيح عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال له « هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك » وما كان بالذى ليدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى . أترى رسول الله ﷺ لما كان ينبسط إلى نسائه ويسابق عائشة رضى الله عنها أكان خارجا عن الأنس بالله . هذه كلها جهالات بالعلم .

﴿ فصل ﴾ واعلم انه اذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم إلى ثلاثة أنواع : النوع الأول المرض بحبس الماء فان المرء اذا طال احتقانه تصاعد الى الدماغ منه منيه . قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازى . أعرف قوماً كانوا كثيرى المنى فلما منعوا أنفسهم من الجماع لضرب من التفلسف

بردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم الكآبة بلا سبب وعرضت لهم أعراض الماليخوليا وقلت شهواتهم وهضمهم قال . ورأيت رجلا ترك الجماع ففقد شهوة الطعام وصار ان أكل القليل لم يستمره وتقايأه فلما عاد إلى عادته من الجماع سكنت عنه هذه الأعراض سريعاً . النوع الثانى الفرار إلى المتروك فان منهم خلقاً كثيراً صابروا على ترك الجماع فاجتمع الماء فأقلقوا جمعوا فلامسوا النساء ولابسوا من الدنيا أضعاف ما فروا منه فكانوا كمن أطال الجوع ثم أكل ما ترك فى زمن الصبر . النوع الثالث الانحراف الى صحبة الصبيان فان قوماً منهم أيسوا أنفسهم من النكاح فأقلقهم ما اجتمع عندهم فصاروا يرتاحون إلى صحبة المرد .

(فصل) وقد لبس على قوم منهم تزوجوا وقالوا انا لا ننكح شهوة فان أرادوا أن الأغلب فى طلب النكاح إرادة السنة جاز وان زعموا انه لا شهوة لهم فى نفس النكاح فمحال ظاهر .

(فصل) وقد حمل الجهل أقواماً فجبوا أنفسهم وزعموا انهم فعلوا ذلك حياء من الله تعالى وهذه غاية الحماقة لأن الله تعالى شرف الذكر على الأنثى بهذه الآلة وخلقها لتكون سبباً للتناسل والذى يجب نفسه يقول بلسان الحال الصواب ضد هـذا ثم قطعهم الآلة لا تزيل شهوة النكاح من النفس فما حصل لهم مقصودهم .

(ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك طلب الأولاد)

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبدالله ثنا إسحاق بن احمد ثنا ابراهيم بن يوسف ثنا احمد بن أبى الحوارى قال . سمعت أبا سليمان الدارانى يقول الذى يريد الولد أحمق لا للدنيا ولا للآخرة ان أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نغص عليه وان أراد أن يتعبد شغله.

قال المصنف رحمه الله قلت: وهذا غلط عظيم وبيانه انه لما كان مراد الله تعالى من إيجاد الدنيا إتصال دوامها الى أن ينقضى أجلها وكان الآدمى غير ممتد البقاء فيها الا الى أمد يسير أخلف الله تعالى منه مثله لحثه على سببه فى ذلك تارة من حيث الطبع بايقاد نار الشهوة وتارة من باب الشرع بقوله تعالى

(وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم) وقول الرسول ﷺ « تناكحوا تناسلوا فانى أباهى بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط » وقد طلب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأولاد . فقال تعالى حكاية عنهم (رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى) إلى غير ذلك من الآيات . وتسبب الصالحون الى وجودهم ورب جماع حدث منه ولد مثل الشافعى واحمد بن حنبل فكان خيراً من عبادة ألف سنة . وقد جاءت الأخبار باثابة المباضعة والانفاق على الأولاد والعيال ومن يموت له ولد ومن يخلف ولداً بعده فمن أعرض عن طلب الأولاد والتزوج فقد خالف المسنون والأفضل وحرم أجراً جسيما ومن فعل ذلك فانما يطلب الراحة . أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد بن السراج نا أبو القاسم الأزجى ثنا ابن جهضم ثنا الخلدى قال سمعت الجنيد يقول : الأولاد عقوبة شهوة الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام .

قال المصنف رحمه الله : وهذا غلط فان تسمية المباح عقوبة لايحسن لأنه لا يباح شيء ثم يكون ماتجدد منه عقوبة ولايندب الى شيء إلا وحاصله مثوبة.

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الأسفار والسياحة ﴾

قد لبس إبليس على خلق كثير منهم فأخرجهم إلى السياحة لا إلى مكان معروف ولا إلى طلب علم وأكثرهم يخرج على الوحدة ولا يستصحب زاداً ويدعى بذلك الفعل التوكل فكم تفوته من فضيلة وفريضة وهو يرى أنه فى ذلك على طاعة وأنه يقرب بذلك من الولاية وهو من العصاة المخالفين لسنة رسول الله ﷺ . وأما السياحة والخروج لا إلى مكان مقصود فقد نهى رسول الله ﷺ عن السعى فى الأرض فى غير أرب حاجة . أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبدالجبار نا إبراهيم ابن عمر البرمكي نا ابن حياة نا عبيدالله ابن عبد الرحمن السكرى قال : سمعت أبا محمد ابن قتبة يقول . ثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبى إسحاق عن سفيان عن ابن جريج عن مسلم عن طاوس أن رسول الله ﷺ قال : « لا زمام ولاخزام ولارهبانية ولا تبتل ولا سياحة فى الإسلام » قال ابن قتيبة الزمام فى الأنف والخزام حلقة من شعر يجعل فى أحد جانبى المنخرين . وأراد ﷺ ماكان عباد بنى

إسرائيل يفعلونه من خزم التراقى وزم الأنوف والتبتل ترك النكاح والسياحة مفارقة الأمصار والذهاب فى الأرض . وروى أبو داود فى سننه من حديث أبى أمامة أن رجلا قال يارسول الله إئذن لى فى السياحة فقال النبى ﷺ : « إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله » .

قال المصنف رحمه الله . وقد ذكرنا فيما تقدم من حديث ابن مظعون إنه قال يارسول الله . إن نفسى تحدثنى بأن أسيح فى الأرض . فقال النبى ﷺ له « مهلا ياعثمان فإن سياحة أمتى الغزو فى سبيل الله والحج والعمرة » . وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانىء عن احمد بن حنبل انه سئل عن الرجل يسيح يتعبد أحب اليك أو المقيم فى الأمصار قال . ما السياحة من الاسلام فى شيء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين .

﴿ فصل ﴾ وأما الخروج على الوحدة فقد نهى رسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحده . فأخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا احمد بن على بن ثابت نا محمد بن الطيب الصباغ نا احمد بن سليمان النجاد ثنا يحي بن جعفر بن أبى طالب ثنا على بن عاصم ثنا عبد الرحمن بن يزيد ثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال « الراكب شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب » أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة قال « لعن رسول الله ﷺ راكب الفلاة وحده .

﴿ فصل ﴾ وقد يمشون بالليل أيضاً على الوحدة . وقد نهى النبى ﷺ عن ذلك . وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله بن أحمد ثنى أبى ثنا محمد بن عبيد ثنا عاصم عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى ﷺ . لو يعلم الناس مافى الوحدة ما سار أحد وحده بليل أبداً . قال عبد الله وحدثنى أبى ثنا محمد بن أبى عدى ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عطاء بن يسار عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « أقلوا الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله تعالى يبث فى خلقه ما شاء » .

قال المصنف رحمه الله. وفيهم من جعل دأبه السفر والسفر لا يراد لنفسه قال النبي ﷺ « السفر قطعة من العذاب فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله . فمن جعل دأبه السفر فقد جمع بين تضييع العمر وتعذيب النفس وكلاهما مقصود فاسد . أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبي قال سمعت محمد بن أبي الطيب العكي يقول سمعت أبا الحسن المصري يقول سمعت أبا حمزة الخراساني يقول كنت قد بقيت محرماً فى عباء أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس عليّ وتغرب كلما أحللت أحرمت .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى دخول الفلاة بغير زاد ﴾

قال المصنف رحمه الله : قد لبس على خلق كثير منهم فأوهمهم أن التوكل ترك الزاد وقد بينا فساد هذا فيما تقدم إلا أنه قد شاع هذا فى جهلة القوم ، وجاء حمقى القصاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم به فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك وبأفعال أولئك ومدح هؤلاء لهؤلاء فسدت الأحوال وخفيت على العوام طرق الصواب . والاخبار عنهم بذلك كثيرة وأنا أذكر منها نبذة . أنبأنا محمد بن عبدالملك نا أبو بكر نا رضوان بن محمد الدينوري ثنا طاهر بن عبد الله ثنا الفضل بن الفضل الكندي ثنى أبو بكر محمد بن عبدالواحد بن جعفر الواسطي ثنا محمد بن السفاح عن على بن سهل المصري قال أخبرني فتح الموصلي قال خرجت حاجاً فلما توسطت البادية إذا أنا بغلام صغير فقلت ياعجبا بادية بيداء وأرض قفراء ، وغلام صغير فأسرعت فلحقته فسلمت عليه ثم قلت يابني إنك غلام صغير لم تجر عليك الأحكام قال ياعم قد مات من كان أصغر سناً مني فقلت وسع خطاك فإن الطريق بعيد حتى تلحق المنزل. فقال ياعم عليّ المشي وعلى الله البلاغ ، أما قرأت قوله تعالى . « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » . فقلت له مالي لا أرى معك لا زاداً ولا راحلة. فقال ياعم . زادي يقيني وراحلتي رجائي . قلت : سألتك عن الخبز والماء قال ياعم أخبرني لو أن أخاً من إخوانك أوصديقا من أصدقائك دعاك إلى منزله أكنت تستحسن أن تحمل معك طعاماً فتأكله في منزله. فقلت أزودك فقال اليك عني يابطال هو يطعمنا ويسقينا قال فتح. فما رأيت

صغيراً أشد توكلا منه ولا رأيت كبيراً أشد زهداً منه .

قال المصنف رحمه الله . بمثل هذه الحكاية تفسد الأمور ويظن أن هذا هو الصواب ويقول الكبير إذا كان الصغير قد فعل هذا فانا أحق بفعله منه . وليس العجب من الصبي بل من الذى لقيه كيف لم يعرفه إن هذا الذى يفعله منكر وان الذى استدعاك أمرك بالتزود ومن ماله يتزود ولكن مضى على هذا كبار القوم فكيف الصغار . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد ابن على الحافظ نا أبو نعيم الاصفهانى قال سمعت محمد بن الحسن بن على اليعيطى يقول حضرت أبا عبد الله الجلاء وقيل له عن هؤلاء الذين يدخلون البادية بلا زاد ولا عدة يزعمون أنهم متوكلون فيموتون فى البرارى . فقال هذا فعل رجال الحق فإن ماتوا فالدية على القاتل أخبرنا ابن ناصر أنبأنا أحمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت أحمد بن على يقول . قال رجل لأبى عبدالله بن الجلاء . ما تقول فى الرجل يدخل البادية بلا زاد. قال. هذا من فعل رجال الله ، قال فإن مات قال: الدية على القاتل .

قال المصنف رحمه الله : قلت هذة فتوى جاهل بحكم الشرع إذ لاخلاف بين فقهاء الإسلام انه لا يجوز دخول الباديه بغير زاد وإن من فعل ذلك فمات بالجوع فانه عاص لله تعالى مستحق لدخول النار . وكذلك إذا تعرض بما غالبه العطب فإن الله جعل النفوس وديعة عندنا فقال : (ولا تقتلوا أنفسكم) وقد تكلمنا فيما تقدم فى وجوب الاحتراز من المؤذى ولولم يكن المسافر بغير زاد إلا أنه خالف أمر الله فى قوله « وتزودوا » . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال : سمعت أبا احمد الكبير يقول سمعت أبا عبدالله بن خفيف قال خرجت من شيراز فى السفرة الثالثة فتهت فى البادية وحدى وأصابنى من الجوع والعطش ما أسقط من أسنانى ثمانية وانتثر شعرى كله .

قال المصنف رحمه الله . قلت هذا قد حكى عن نفسه ماظاهره طلب المدح على ما فعل والذم لا حق به : أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن

ثابت نا عبدالكريم بن هوازن قال . سمعت اباعبدالرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله الواعظ . وأخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا أبو عبد الله بن باكويه واللفظ له ثنا أبو الفضل يوسف بن على البلخى ثنا محمد بن عبدالله أبو حمزة الصوفى . قال : انى لا ستحى من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعى زاداً تزودته.

قال المصنف رحمه الله . قلت وقد سبق الكلام على مثل هذا وإن هؤلاء القوم ظنوا أن التوكل ترك الأسباب . ولوكان هكذا لكان رسول الله ﷺ حين تزود لما خرج إلى الغار قد خرج من التوكل . وكذلك موسى لما طلب الخضر تزود حوتا.وأهل الكهف حين خرجوا انما استصحبوا دراهم واستخفوا مامعهم وإنما خفى على هؤلاء معنى التوكل لجهلهم وقد اعتذر لهم أبو حامد . فقال لايجوز دخول المفازة بغيرزاد إلابشرطين أحدهما أن يكون الإنسان قدراض نفسه حيث يمكنه الصبر على الطعام اسبوعا ونحوه والثانى أن يمكنه التقوت بالحشيش ولاتخلوالبادية من أن يلقاه آدمى بعدأسبوع أوينتهى إلى حلة أو حشيش يرجى به وقته .

قال المصنف رحمه الله قلت . أقبح ما فى هذا القول انه صدر من فقيه فإنه قد لايلق أحدا وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح له الحشيش وقد يلق من لايطعمه ويتعرض بمن لايضيفه وتفوته الجماعة قطعاً وقد يموت ولايلبه أحد. ثم قد ذكرنا ما جاء فى الوحدة ثم ما المخرج إلى هذه المحن إن كان يعتمد فيها على عادة أو لقاء شخص والاجتزاء بحشيش وأى فضيلة فى هذه الحال حتى يخاطر فيها بالنفس . وأين أمر الإنسان أن يتقوت بحشيش ومن فعل هذا من السلف وكأن هؤلاء القوم يجزمون على الله سبحانه هل يرزقهم فى البادية . ومن طلب الطعام فى البرية فقد طلب مالم تجر به العادة الا ترى ، أن قوم موسى عليه السلام لما سألوا من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها أوحى الله إلى موسى (أن اهبطوا مصرا) وذلك لأن الذى طلبوه فى الأمصار فهؤلاء القوم على غاية الخطأ فى مخالفة الشرع والعقل والعمل بموافقات النفس.

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبدالجبار نا عبدالعزيز بن على الازجى

نا إبراهيم بن محمد بن جعفر الساجى نا أبو بكر عبدالعزيز بن جعفر ثنا أبو بكر احمد بن محمد الخلال نا الحسن بن احمد الكرمانى ثنا أبو بكر ثنا شبابة ثنا ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمه عن ابن عباس . قال كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيحجون فيأتون إلى مكة فيسألون الناس فأنزل الله عز وجل (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) . أخبرنا أبو المعمر الانصارى نا يحى بن عبدالوهاب بن منده نا أبو طاهر محمد بن احمد بن عبد الرحيم نا محمد بن حسان ثنا أبو بكر احمد بن هارون المردنجى ثنا عبد الله بن الأزهر ثنا أسباط ثنا محمد بن موسى الجرجانى قال سألت محمد بن كثير الصنعانى عن الزهاد الذين لايتزودون ولا ينتعلون ولا يلبسون الخفاف . فقال سألتنى عن أولاد الشياطين ولم تسألنى عن الزهاد. فقلت له.فأى شيء الزهد : قال التمسك بالسنة والتشبيه بأصحاب النبى ﷺ. أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبدالجبار نا عبدالعزيز بن على الأزجى نا ابراهيم ابن محمد الساجى نا أبو بكر عبدالعزيز بن جعفر نا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال نا احمد بن الحسين بن حسان . أن أبا عبدالله احمد بن حنبل سئل عن الرجل يريد المفازة بغير زاد فأنكره إنكاراً شديدا وقال أف أف لا لا ومد بها صوته إلا بزاد ورفقاء قافلة . قال الخلال : وقال أبو بكر المروزى وجاء رجل إلى أبى عبدالله فقال رجل يريد سفراً ايما أحب اليك يحمل معه زاداً أو يتوكل . فقال له أبو عبد الله . يحمل معه زاداً ويتوكل حتى لا يتشرف للناس قال الخلال : وأخبرنى إبراهيم بن الخليل أن احمد بن نصر حدثهم أن رجلا سأل أبا عبد الله أيخرج الرجل إلى مكة متوكلا لا يحمل معه شيئاً قال لا يعجبنى فمن أين يأكل قال فيتوكل فيعطيه الناس قال فاذالم يعطوه أليس يتشرف لهم حتى يعطوه لا يعجبنى هذا . لم يبلغنى أن أحدا من أصحاب النبى ﷺ والتابعين فعل هذا . قال الخلال . واخبرنا محمد بن على السمسار أن محمد بن موسى بن مسيس حدثهم أن أبا عبد الله سأله رجل فقال أحج بلا زاد فقال لا .اعمل واحترف وأخرج النبى ﷺ زود اصحابه (١) فقال :

(١) قوله واخرج النبى الخ هذه الجملة غير موجودة فى بعض النسخ و لعلها حشو

فهؤلاء الذين يعرفون ويحجون بلازادهم على الخطأ. قال نعم هم على الخطأ. قال الخلال وأخبرنى محمد بن احمد بن جامع الرازى قال سمعت الحسين الرازى قال شهدت احمد بن حنبل وجاءه رجل من أهل خراسان فقال له يا أباعبدالله معى درهم أحج بهذا الدرهم. فقال له أحمد اذهب إلى باب الكرخ فاشتر بهذا الدرهم حبا واحمل على رأسك حتى يصير عندك ثلثمائة درهم فحج. قال يا أبا عبد الله أما ترى مكاسب الناس قال احمد لا تنظر إلى هذا فإنه من رغب فى هذا يريد أن يفسد على الناس معايشهم قال يا أبا عبد الله أنا متوكل قال فتدخل البادية وحدك أو مع الناس قال لا مع الناس قال كذبت إذن لست بمتوكل فادخل وحدك والا فأنت متوكل على جراب الناس.

﴿ سياق ما جرى للصوفية فى أسفارهم وسياحاتهم ﴾

(من الأفعال المخالفة للشرع)

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن على ابن ثابت نا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أحمد ابن محمد بن مقسم ثنى أبو بدر الخياط الصوفى قال سمعت أبا حمزة يقول: سافرت سفرة على التوكل فبينما أنا أسير ذات ليلة والنوم فى عينى إذ وقعت فى بئر فرأيتنى قد حصلت فيها فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها فجلست فيها فبينما أنا جالس إذ وقف على رأس البئر رجلان فقال أحدهما لصاحبه نجوز ونترك هذه البئر فى طريق المسلمين السابلة والمارة، فقال الآخر: فما نصنع قال: فبدرت نفسى أن أناديهما فنوديت تتوكل علينا وتشكو بلاءنا إلى سوانا. فسكت فمضيا ثم رجعا ومعهما شىء فجعلاه على رأسها غطوها به. فقالت لى نفسى أمنت طمها ولكن حصلت فيها مسجوناً. فمكثت يومى وليلتى فلما كان الغد نادانى شىء يهتف بى ولا أراه تمسك بى شديداً فمددت يدى فوقعت على شىء خشن فتمسكت به فعلاها وطرحنى فوق الأرض فاذا هو سبع فلما رأيته لحق نفسى من ذلك ما يلحق من مثله فهتف بى هاتف وهو يقول: يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء وكفيناك ما تخاف بما تخاف. أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن أبى نصر الحميدى نا أبو بكر محمد ابن أحمد الأردستانى ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت محمد بن حسن

المحرمى سمعت ابن المالكى يقول : قال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشى فى الطريق وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى ان أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما أتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال نسد رأس هذا البئر فى هذا الطريق فأتوا بقصب وبارية فهممت فقلت إلى من هو أقرب إليك منهما وسكت حتى طموا رأس البئر فإذا بشيء قد جاء فكشف عن رأس البئر ودلى رجليه وكان يقول فى همهمة له تعلق بى فتعلقت به فأخرجنى فنظرت فإذا هو سبع فهتف بى هاتف وهو يقول يا أبا حمزة أليس ذا حسن نجيناك من التلف بالتلف . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا أبو القاسم رضوان بن محمد بن الحسن الدينورى قال سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابورى يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن نعيم يحكى عن أبى حمزة الصوفى الدمشقى أنه لما خرج من البئر أنشد يقول :

نهانى حيائى منك أن أكشف الهوى ... فأغنيتنى بالقرب منك عن الكشف
تراءيت لى بالغيب حتى كأننى ... تبشرنى بالغيب إنك فى الكف
أراك وبى من هيبتى لك وحشة ... وتؤنسنى بالعطف منك وباللطف
وتحيي محباً أنت فى الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف

قال المصنف رحمه الله قلت : اختلفوا فى أبى حمزة هذا الواقع فى البئر فقال أبو عبد الرحمن السلمى : هو أبو حمزة الخراسانى وكان من أقران الجنيد . وقد ذكرنا فى رواية أخرى أنه دمشقى . وقال أبو نعيم الحافظ : هو أبو حمزة البغدادى واسمه محمد بن إبراهيم وذكره الخطيب فى تاريخه وذكر له هذه الحكاية ، وأيهم كان فهو مخطىء فى فعله مخالف للشرع بسكوته معين بصمته على نفسه وقد كان يجب عليه أن يصيح ويمنع من طم البئر كما يجب عليه أن يدفع عن نفسه من يقصد قتله . وقوله لا أستغيث كقول القائل : لا آكل الطعام ولا أشرب الماء وهذا جهل من فاعله ومخالفة الحكمة فى وضع الدنيا فان الله تعالى وضع الأشياء على حكمة فوضع للآدمى يداً يدافع بها ولساناً ينطق به وعقلا يهديه إلى دفع المضار واجتلاب المصالح . وجعل الأغذية والأدوية لمصلحة الآدميين فمن أعرض عن استعمال ما خلق له

وأرشد إليه فقد رفض أمر الشرع وعطل حكمة الصانع . فإن قال جاهل فكيف احترز مع أمر القدر قلنا وكيف لا يحترز مع أمر المقدر وقد قال الله تعالى « خذوا حذركم » وقد اختفى النبي ﷺ فى الغار وقال لسراقة « اخف عنا واستأجر دليلا إلى المدينة » ولم يقل اخرج على التوكل وما زال ببدنه مع الأسباب وبقلبه مع المسبب . وقد أحكمنا هذا الأصل فيما تقدم . وقول أبى حمزة فنوديت من باطنى هذا من حديث النفس الجاهلة التى قد استقر عندها بالجهل أن التوكل ترك التمسك بالاسباب لأن الشرع لا يطلب من الإنسان ما نهاه عنه وهلا نافره باطنه فى مديده وتعليقه بذلك المتدلى اليه وتمسكه به فإن ذلك أيضاً نقض لما ادعاه من ترك الأسباب الذى يسميه التوكل لأنه أى فرق بين قوله أنا فى البئر وبين تمسكه بما تدلى عليه لا بل هذا آكد لأن الفعل آكد من القول فهلا سكت حتى يحمل بلا سبب . فإن قال : هذا بعثه الله لى . قلنا : والذى جار على البئر من بعثه واللسان المستغيث من خلقه فإنه لو استغاث كان مستعملا للاسباب التى خلقها الله تعالى لينتفع بها للدفع عنه فلم يستعمها وإنما بسكوته عطل الأسباب التى خلقها الله تعالى له ودفع الحكمه فصح لومه على ترك السبب . وأما تخليصه بالأسد فإن صح هذا فقد يتفق مثله ثم لا ينكر أن الله تعالى يلطف بعبده وإنما ينكر فعله المخالف للشرع .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد بن على بن ثابت ثنا عبد العزيز ابن أبى الحسن قال سمعت على بن عبدالله بن جهضم المكى يقول . ثنا الخلدى قال : قال الجنيد قال لى محمد السمين : كنت فى طريق الكوفة بقرب الصحراء التى بين قباء والصخرة التى تفريقنا منها والطريق منقطع فرأيت على الطريق جملا قد سقط ومات وعليه سبعة أو ثمانية من السباع تتناهش لحمه يحمل بعضها على بعض فلما أن رأيتهم كأن نفسى اضطربت وكانوا على قارعة الطريق . فقالت لى نفسى تميل يمينا أو شمالا فأبيت عليها الا أن آخذ على قارعة الطريق فحملتها على أن مشيت حتى وقفت عليهم بالقرب منهم كأحدهم ثم رجعت إلى نفسى لأنظر كيف فإذا هى الروع معى قائم فأبيت أن أبرح وهذه صفتى فقعدت بينهم ثم نظرت بعد قعودى فإذا الروع معى فأبيت أن أبرح وهذه صفتى

فوضعت جنبي فنمت مضطجعاً فتغاشانى النوم فنمت وأنا على تلك الهيئة والسباع فى المكان الذى كانوا عليه فمضى بى وقت وأنا نائم فاستيقظت فإذا السباع قد تفرقت ولم يبق منها شىء واذا الذى كنت أجده قد زال فقمت وأنا على تلك الهيئة فانصرفت .

قال المصنف رحمه الله قلت .فهذا الرجل قدخالف الشرع فى تعرضه للسباع ولا يحل لأحد أن يتعرض لسبع أو لحية بل يجب عليه أن يفر مما يؤذيه أو يهلكه.وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال« إذا وقع الطاعون وأنتم بأرض فلا تقدموا عليه ».وقال ﷺ « فرّ من المجذوم فرارك من الأسد » ومر عليه الصلاة والسلام بحائط مائل فأسرع .وهذا الرجل قد أراد من طبعه أن لا ينزعج.وهذا شىء ماسلم منه موسى عليه السلام فإنه لما رأى الحية خاف وولى مدبراً . فإن صح ما ذكره وهو بعيد الصحة لأن طباع الآدميين تتساوى . فمن قال لا أخاف السبع بطبعى كذبناه كما لو قال أنا لا أشتهى النظر إلى المستحسن. وكأنه قهر نفسه حتى نام بينهم استسلاماً للهلاك لظنه أن هذا هو التوكل.وهذا خطأ لأنه لوكان هذا هو التوكل مانهى عن مقاربة مايخاف شره . ولعل السباع اشتغلت عنه وشبعت من الجمل والسبع إذا شبع لا يفترس .ولقد كان أبو تراب النخشبي من كبار القوم فلقيته السباع البرية فنهشته فمات . ثم لا ينكر أن يكون الله تعالى لطف به ونجاه بحسن ظنه فيه غير أنا نبين خطأ فعله للعامى الذى إذا سمع هذه الحكاية ظن أنها عزيمة عظيمة ويقين قوى وربما فضل حالته على حالة موسى عليه السلام إذ هرب من الحية . وعلى حالة نبينا ﷺ إذ مر بجدار مائل فهرول . وعلى لبسه ﷺ الدرع فى غزواته كلها وقت الحرب حتى قال عليه الصلاة والسلام فى غزوة الخندق « ليس لنبى أن يلبس لامة حربه ثم ينزعها من غير قتال »وعلى حالة أبى بكر رضى الله عنه إذ سد خروق الغار اتقاء ذى الحيات : وهيهات أن تعلو مرتبة هذا المخالف للشرع على على مرتبة النبيين والصديقين بما يخايل له ظنه الفاسد من أن هذا الفعل هو التوكل .

وقد أخبرنا عنه أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا إسماعيل بن احمد الجبرى ثنا محمد بن الحسين السلمى قال سمعت محمد بن الحسين البغدادى

يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى قال سمعت مؤملا المغابى يقول . كنت أصحب محمد بن السمين فسافرت معه مابين تكريت والموصل فبينا نحن فى برية نسير إذ زأر السبع من قريب منا فجزعت وتغيرت وظهر ذلك على وجهى وهممت أن أبادر فأفر فضبطنى وقال يامؤمل التوكل ههنا ليس فى المسجد الجامع .

قال المصنف رحمه الله : قلت لا أشك فى أن التوكل يظهر أثره فى المتوكل عند الشدائد . ولكن ليس من شروطه الاستسلام للسبع فإنه لا يجوز .

أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز بن على الأزجى نا ابن جهضم ثنا إبراهيم بن احمد بن على العطار . قال له الخواص : حدثنى بعض المشايخ أنه قيل لعلى الرازى . مالنا لا نراك مع أبى طالب الجرجانى . قال : خرجنا فى سياحة فنمنا فى موضع فيه سباع فلما نظر إلىّ رآنى لم أنم طردنى . وقال : لا تصحبنى بعد هذا اليوم .

قال المصنف رحمه الله : لقد تعدى هذا الرجل إذ أراد من صاحبه أن يغير ماطبع عليه وليس ذلك فى قدرته ولا فى وسعه . ولا يطالبه بمثله الشرع وما قدر على هذه الحالة موسى عليه السلام حين هرب من الحية فهذا كله مبناه على الجهل .

أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الأزجى ثنا بن جهضم . قال سمعت الخلدى يقول : سمعت إبراهيم الخواص يقول . سمعت حسناً أخا سنان يقول : كنت أسلك طريق مكة فتدخل فى رجلى الشوكة فيمنعنى ما أعتقده من التوكل أن أخرجها من رجلى فأدلك رجلى على الأرض وامشى .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد أنبأنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الحساب نا عبدالله بن على السراج قال سمعت احمد ابن على الوجدى يقول : حج الدينورى اثنتى عشرة حجة حافياً مكشوف الرأس وكان إذا دخل فى رجله شوك يمسح رجله فى الأرض ويمشى ولا يتطاطى إلى الأرض من صحة توكله .

قال المصنف رحمه الله . قلت : انظروا إلى ما يصنع الجهل بأهله وليس

من طاعة الله تعالى أن يقطع الإنسان تلك البادية حافياً لأنه يؤذى نفسه غاية الأذى . ولا مكشوف الرأس وأى قربة تحصل بهذا ولولا وجوب كشف الرأس فى مدة الإحرام لم يكن لكشفه معنى . فمن ذا الذى أمره ألا يخرج الشوك من رجله وأى طاعة تقع بهذا ولو أن رجله انتفخت بما يبقى فيها من الشوك وهلك كان قد أعان على نفسه وهل ذلك الرجل بالأرض الا دفع بعض شر الشوك فهلا دفع الباقى بالإخراج . وأين التوكل من هذه الأفعال المخالفة للعقل والشرع لأنهما يقضيان بجلب المنافع للنفس ودفع المضار عنها. ولذلك أجاز الشرع لمن أدركه ضرر فى إحرامه أن يخرق حرمة الإحرام ويلبس ويغطى رأسه ويفدى . ولقد سمعت أبا عبيد يقول : انى لأتبين عقل الرجل بأن يدع الشمس ويمشى فى الظل .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبدالعزيز بن أبى الحسن القرميسينى قال سمعت على بن عبدالله بن جهضم قال سمعت أبا بكر الرقى يقول حدثنى أبو بكر الدقاق قال : خرجت فى وسط السنة الى مكة وأنا حدث السن فى وسطى نصف جل وعلى كتفى نصف جل فرمدت عينى فى الطريق وكنت أمسح دموعى بالجل فأقرح الجل الموضع فكان يخرج الدم مع الدموع فمن شدة الإرادة وقوة سرورى بحالى لم أفرق بين الدموع والدم وذهبت عينى فى تلك الحجة وكانت الشمس اذا أثرت فى بدنى قبلت يدى ووضعتها على عينى سرور آمنى بالبلاء . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا احمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قال سمعت أبا الفضل احمد بن أبى عمران يقول سمعت محمد بن داود الرقى يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول : كان سبب ذهاب بصرى أنى خرجت فى وسط السنة أريد مكة وفى وسطى نصف جل وعلى وسطى نصف جل فرمدت إحدى عينى فمسحت الدموع بالجل فقرح المكان وكانت الدموع والدم تسيلان من عينى . أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنا أبو محمد التميمى أنا عبدالرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الرازى يقول قلت لأبى بكر الدقاق . وكان بفرد عين ماسبب ذهاب عينك قال كنت أدخل البادية على التوكل فجعلت على نفسى أن لا آكل لأهل المنازل شيئاً تورعاً فسالت إحدى عينى على خدى من الجوع .

قال المصنف رحمه الله . اذا سمع مبتدىء حالة هذا الرجل ظن ان هذه مجاهدات وقد جمعت هذه السفرة التى افتخر فيها فنوناً من المعاصى والمخالفات منها خروجه فى تنصيف السنة على الوحدة، ومشيه بلا زاد ولا راحلة، ولباسه الجل، ومسح عينيه به وظنه أن ذلك يقربه الى الله تعالى وإنما يتقرب الى الله تعالى بما أمر به وشرعه لا بما نهى وكف عنه، فلو أن إنساناً قال أريد أن أضرب نفسى بعصا لأنها عصت أتقرب بذلك الى الله كان عاصياً . وسرور هذا الرجل بهذا خطأ قبيح لأنه إنما يفرح بالبلاء اذا كان بغير تسبب منه لنفسه فلو أن إنساناً كسر رجل نفسه ثم فرح بهذه المصيبة كان نهاية فى الحماقة ثم تركه السؤال وقت الاضطرار وحمله على النفس فى شدة المجاعة حتى سالت عينه ثم يسمى هذا تورعاً حماقات زهاد أكبرها الجهل والبعد عن العلم . وقد أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن العباس بن أيوب الأصفهانى ثنا عبدالرحمن بن يوسف الرقى ثنا مطرف ابن مازن عن سفيان الثورى . قال : من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار.

قال المصنف رحمه الله . فانظر الى كلام الفقهاء ما أحسنه . ووجهه ان الله تعالى قد جعل للجائع مكنة التسبب فاذا عدم الأسباب الظاهرة فله قدرة السؤال التى هى كسب مثله فى تلك الحال فاذا تركه فقد فرط فى حق نفسه التى هى وديعة عنده فاستحق العقاب . وقد روى لنا فى ذهاب عين هذا الرجل ما هو أظرف مما ذكرنا فأخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد ثنا حمد بن احمد الحداد ثنا أبو نعيم قال سمعت أبا احمد القلانسى يقول قال أبو على الروزبارى يحكى عن أبى بكر الدقاق قال : استضفت حياً من العرب فرأيت جارية حسناء فنظرت اليها فقلعت عينى التى نظرت بها اليها . وقلت مثلك من نظر لله .

قال المصنف رحمه الله قلت : فانظروا الى جهل هذا المسكين بالشريعة والبعد عنها لأنه ان كان نظر اليها عن غير تعمد فلا إثم عليه وان تعمد فقد أتى صغيرة قد كان يكفيه منها الندم . فضم اليها كبيرة وهى قلع عينه ولم يتب عنها لأنه اعتقد قلعها قربة الى الله سبحانه ومن اعتقد المحظور قربة فقد انتهى خطؤه الى الغاية ولعله سمع تلك الحكاية عن بعض بنى اسرائيل انه نظر الى

امرأة فقلع عينه وتلك مع بعد صحتها ربما جازت فى شريعتهم . فأما شريعتنا فقد حرمت هذا ، وكأن هؤلاء القوم ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نبيهم محمد ﷺ نعوذ بالله من تلبيس إبليس . وقد روى عن بعض عابدات الصوفية مثل هذا . أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال أخبرنى أبو الحسن على بن احمد البصرى غلام شعوانة قال أخبرتنى شعوانة انه كان فى جيرانها امرأة صالحة فخرجت ذات يوم الى السوق فرآها بعض الناس فافتتن بها وتبعها الى باب دارها . فقالت له المرأة أى شىء تريد منى قال فتنت بك فقالت : ما الذى استحسنت منى قال عيناك . فدخلت الى دارها فقلعت عينيها وخرجت الى خلف الباب ورمت بها اليه وقالت له خذهما فلا بارك الله فيك .

قال المصنف رحمه الله . فانظروا اخوانى كيف يتلاعب إبليس بالجهلة فان ذلك الرجل أتى صغيرة بالنظر وأتت هى بكبيرة ثم ظنت انها فعلت طاعة وكان ينبغى أنها لا تكلم رجلا أجنبياً . وقد وجد من القوم ضد هذا كما يروى عن ذى النون المصرى وغيره انه قال لقيت امرأة فى البرية فقلت لها وقالت لى وهذا لا يحل له . وقد أنكرت عليه امرأة متيقظة . فأخبرنا عبد الملك بن عبدالله الطروحى نا محمد بن على بن عمر نا أبو الفضل محمد بن محمد العامى نا أبو سعيد محمد بن احمد بن يوسف ثنى سكر ثنى محمد بن يعقوب العرجى قال سمعت ذى النون يقول : رأيت امرأة بنحو أرض البجة فناديتها فقالت وما للرجال أن يكلموا النساء لولا نقص عقلك لرميتك بشىء . أخبرنا عبدالرحمن بن محمد نا احمد بن على بن ثابت ثنا عبد العزيز الأزجى ثنا على ابن عبدالله الهمدانى ثنى على بن اسماعيل الطلاثى محمد بن الهيثم قال قال لى أبو جعفر الحداد . دخلت البادية بعض السنين على التوكل فبقيت سبعة عشر يوماً لا آكل فيها شيئاً وضعفت عن المشى فبقيت أياماً أخر لم أذق فيها شيئاً فسقطت على وجهى وغشى علىّ وغلب علىّ من القمل شىء ما رأيت مثله ولا سمعت به فبينا أنا كذلك اذ مر بى ركب فرأونى على تلك الحالة فنزل أحدهم عن راحلته فحلق رأسى ولحيتى وشق ثوبى وتركنى فى الرمضاء وسار

فمر بى ركب آخر فحملونى الى حيهم وأنا مغلوب فطرحونى ناحية فجاءتنى امرأة فجلست على رأسى وصبت اللبن فى حلق ففتحت عينى قليلا وقلت لهم أقرب المواضع منكم أين قالوا : جبل الشراة فحملونى الى الشراة .

قال المصنف رحمه الله قلت : لو يحكى أن رجلا من المجانين أخذ من السلسلة فأخذ سكيناً وجعل يشرح لحم نفسه ويقول أنا ما رأيت مثل هذا الجنون لصدق على هذا : وإلا فانظروا الى حال هذا المسكين وبما فعل بنفسه ثم يعتقد أن هذا قربة نسأل الله العافية . أخبرنا احمد بن ناصر نا احمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الدارى يقول سمعت أبا الحسين الريحانى يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول: رأيت شيخاً من أهل المعرفة عرج بعد سبعة عشر يوماً على سبب فى البرية فنهاه شيخ كان معه فأبى أن يقبل فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب . قلت هذا قد أراد أن يصبر عن القوت أكثر من هذا وليس الصبر الى هذا الحد وان أطيق بفضيلة . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين . قال سمعت جدى اسماعيل بن نجيد يقول : دخل ابراهيم الهروى مع شبة (١) البرية . فقال يا شبة اطرح ما معك من العلائق قال فطرحتها كلها وأبقيت ديناراً فخطا خطوات ثم قال : اطرح كل ما معك لا تشغل سرى قال : فأخرجت الدينار ودفعته اليه فطرحه ثم خطا خطوات وقال اطرح ما معك . قلت ليس معى شيء . قال بعدُ سرى مشتغل ثم ذكرت أن معى دستجة شسوع فقلت ليس معى إلا هذه . قال فأخذها فطرحها ثم قال امشى فمشينا فما احتجت الى شسع فى البادية إلا وجدته مطروحا بين يدى فقال لى كذا من عامل الله بالصدق .

قال المصنف رحمه الله قلت : كل هذه الأفعال خطأ ورمى المال حرام والعجب ممن يرمى ما يملكه ويأخذ ما لا يدرى من أين هو وهل يحل له أخذه أم لا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال :

(١) فى نسخة مع سبتية

سمعت نصر بن أبى نصر العطار يقول سمعت على بن محمد المصرى قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول : دخلت البادية مرة بغير زاد فاصابتنى فاقة فرأيت المرحلة من بعد فسررت بوصولى ثم فكرت فى نفسى أنى شكيت وأنى توكلت على غيره فآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن حملت اليها فحفرت لنفسى فى الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى فسمعت صوتا فى نصف الليل عالياً يا أهل المرحلة إن لله ولياً حبس نفسه فى هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجونى وحملونى إلى المرحلة .

قال المصنف رحمه الله قلت : لقد تنطع هذا الرجل على طبعه فأراد منه مالم يوضع عليه لأن طبع ابن آدم أن يهش إلى مايحب ولا لوم على العطشان إذا هش إلى الماء ولا على الجائع إذا هش إلى الطعام فكذلك كل من هش إلى محبوب له وقد كان النبى ﷺ : إذا قدم من سفر فلاحت له المدينة أسرع السير حباً للوطن . ولما خرج من مكة تلفت اليها شوقا . وكان بلال يقول لعن الله عتبة وشيبة إذا أخرجونا من مكة ويقول .

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل

فنعوذ بالله من الاقبال على العمل بغير مقتضى العلم والعقل . ثم حبسه نفسه عن صلاة الجماعة قبيح . وأى شيء فى هذا من التقرب إلى الله سبحانه إنما هو محض جهل . أنبأنا ابن ناصر نا جعفر بن احمد السراج نا عبد العزيز ابن على بن أحمد ثنا أبو الحسن على بن جهضم ثنا بكر بن محمد . قال كنت عند أبى الخير النيسابورى فبسطنى بمحادثته لى بذكر باديته إلى أن سألته عن سبب قطع يده . فقال يد جنت فقطعت . ثم اجتمعت به مع جماعة فسألوه عن ذلك . فقال : سافرت حتى بلغت اسندرية فأقمت بها إثنتى عشرة سنة وكنت قد بنيت بها كوخاً فكنت أجيء اليه من ليل إلى ليل وأفطر على ما ينفضه المرابطون وإذا حم الكلاب على قمامة السفر وآكل من البردى فى الشتاء فنوديت فى سرى يا أبا الخير تزعم انك لاتشارك الخلق فى أقواتهم وتشير إلى التوكل وأنت فى وسط القوم جالس فقلت : إلهى وسيدى وعزتك لا مددت يدى إلى شيء مما تنبته الارض حتى تكون الموصل إلى رزق

من حيث لا أكون فيه فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض وأتنفل ثم عجزت عن النافلة فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض والسنة ثم عجزت عن السنة فأقمت اثنى عشر يوما أصلى الفرض لا غير ثم عجزت عن القيام فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى جالساً لا غير ثم عجزت عن الجلوس فرأيت ان طرحت نفسى ذهب فرضى فلجأت إلى الله بسرى وقلت إلهى وسيدى افترضت علىّ فرضا تسألنى عنه وقسمت لى رزقاً وضمنته لى فتفضل علىّ برزقى ولا تؤاخذنى بما عقدته معك فوعزتك لاجتهدن ان لاحللت عقداً عقدته معك فإذا بين يدى قرصان بينهما شىء فكنت أجده على الدوام من الليل إلى الليل ثم طولبت بالمسير إلى الثغر فسرت حتى دخلت الفرما فوجدت فى الجامع قاصاً يذكر قصة زكرياء والمنشار وان الله تعالى أوحى اليه حين نشر فقال إن صعدت إلى منك انه لأمحونك من ديوان النبوة فصبر حتى قطع شطرين . فقلت لقد كان زكريا صباراً إلهى وسيدى لئن ابتليتنى لاصبرن. وسرت حتى دخلت انطاكية فرآنى بعض إخوانى وعلم أنى أريد الثغر فدفع إلى سيفا وترسا وحربة فدخلت الثغر وكنت حينئذ أحتشم من الله تعالى أن أتوارى وراء السور خيفة من العدو فجعلت مقامى فى غابة أكون فيها بالنهار وأخرج بالليل إلى شاطىء البحر فأغرز الحربة على الساحل وأسند الترس اليها محراباً وأتقلد سيفى وأصلى إلى الغداة فإذا صليت الصبح غدوت إلى الغابة فكنت فيها نهارى اجمع فبدوت فى بعض الأيام فعثرت بشجرة فاستحسنت ثمرها ونسيت عقدى مع الله وقسمى به إنى لا أمد يدى إلى شىء مما تنبت الأرض فمددت يدى فأخذت بعض الثمرة فبينا أنا امضغها ذكرت العقد فرميت بها من فى وجلست ويدى على رأسى فدار بى فرسان وقالوا لى قم فأخرجونى إلى الساحل فإذاً أمير وحوله خيل ورجالة وبين يديه جماعة سودان كانوا يقطعون الطريق وقد أخذهم وافترقت الخيل فى طلب من هرب منهم فوجدونى أسود معى سيف وترس وحربة فلما قدمت إلى الأمير قال ايش أنت قلت عبد من عبيد الله فقال للسودان تعرفونه قالوا لا، قال : بلى هو رئيسكم وإنما تفدونه بأنفسكم لأقطعن أيديكم وأرجلكم فقدموهم ولم يزل يقدم رجلا رجلا ويقطع يده ورجله حتى انتهى إلىّ فقال تقدم مد يدك فمددتها فقطعت ثم قال مد رجلك فمددتها ورفعت رأسى

إلى السماء وقلت إلهي وسيدي يدى جنت ورجلي ايش عملت فإذا بفارس قد وقف على الحلقة ورمى بنفسه إلى الأرض وصاح ايش تعملون تريدون أن تنطبق الخضراء على الغبراء . هذا رجل صالح يعرف بأبي الخير فرمى الأمير نفسه وأخذ يدى المقطوعة من الأرض وقبلها وتعلق بي يقبل صدرى ويبكى ويقول سألتك بالله أن تجعلنى فى حل . فقلت قد جعلتك فى حل من أول ما قطعتها هذه يد قد جنت فقطعت .

قال المصنف رحمه الله : فانظروا رحمكم الله إلى عدم العلم كيف صنع بهذا الرجل وقد كان من أهل الخير ولو كان عنده علم لعلم أن ما فعله حرام عليه وليس لإبليس عون على العباد والزهاد أكثر من الجهل. أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعيد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسى قال سمعت محمد بن داود الدينورى يقول سمعت ابن حديق يقول دخلنا المصيصة مع حاتم الأصم فعقد أنه لا يأكل فيها شيئاً الا حتى يفتح فمه ويوضع فى فيه والا ما يأكل فقال لأصحابه . تفرقوا وجلس فأقام تسعة أيام لا يأكل فيها شيئاً فلما كان فى اليوم العاشر جاء اليه إنسان فوضع بين يديه شيئاً يؤكل فقال كل فلم يجبه فقال له ثلاثاً فلم يجبه فقال هذا مجنون فأصلح لقمة وأشار بها إلى فمه فلم يفتح فمه ولم يتكلم فأخرج مفتاحاً كان معه فقال كل وفتح فمه بالمفتاح ودس اللقمه فى فمه فأكل ثم قال له إن أحببت أن ينفعك الله به فأطعم أولئك وأشار إلى أصحابه . أنبأنا محمد بن أبي طاهر نا على بن المحسن التنوخى عن أبيه ثنى محمد بن هلال بن عبد الله ثنى القاضى احمد بن سيار . قال حدثنى رجل من الصوفية قال صحبت شيخاً من الصوفية أنا وجماعة فى سفر فجرى حديث التوكل والأرزاق وضعف اليقين فيها وقوته فقال الشيخ وحلف على إيماناً عظيمة لا ذقت مأكولاً أو يبعث لى بجام فالوذج حار لا آكله إلا بعد أن يحلف عليّ .قال وكنا نمشى فى الصحراء فقالت له الجماعة الا أنك غير جاهد ومشى ومشينا فانتهينا إلى قرية وقد مضى يوم وليلتان لم يطعم فيها شيء ففارقته الجماعة غيرى فطرح نفسه فى مسجد القرية مستسلماً للموت ضعفاً . فأقمت عليه فلما كان فى ليلة اليوم الرابع وقد انتصف الليل وكاد الشيخ يتلف . إذا بباب المسجد قد فتح وإذا بجارية سوداء معها طبق

مغطى . فلما رأتنا قالت أنتم غرباء أو من أهل القرية فقلت غرباء فكشفت الطبق وإذا بجام فالوذج يفور لحرارته فقدمت لنا الطبق وقالت كلوا فقلت له كل فقال لا أفعل فرفعت الجارية يدها فصفعته صفعة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لأصفعنك هكذا إلى أن تأكل ، فقال كل معى فأكلنا حتى فرغ الجام وهمت الجارية بالانصراف فقلت للجارية ما خبرك وخبر هذا الجام ؟ فقالت أنا جارية لرئيس هذه القرية ، وهو رجل حاد ، طلب منا منذ ساعة فالوذج فقمنا نصلحه له فطال الأمر عليه فاستعجلنا فقلنا نعم ! فعاد فاستعجل فقلنا نعم ، فحلف بالطلاق لا أكله هو ولا أحد ممن هو داره ولا أحد من أهل القرية ولا يأكله إلا رجل غريب ، فخرجنا نطلب فى المساجد رجلا غريباً فلم نجد إلى أن انتهينا إليكم ولو لم يأكل هذا الشيخ لقتلته ضرباً إلى أن يأكل لئلا تطلق سيدتى من زوجها ، قال : فقال الشيخ : كيف تراه إذا أراد أن يرزق .

قال المصنف رحمه الله : ربما سمع هذا جاهل فاعتقده كرامة وما فعله الرجل من أقبح القبيح فانه يجرب على الله ويتألى عليه ويحمل على نفسه من الجوع ما لا يجوز له وهذا لا يجوز له ولا ينكر أن يكون لطف به إلا أنه فعل ضد الصواب وربما كان إنفاذ ذلك ردياً لأنه يعتقد أنه قد أكرم وإن ذلك منزلة . وكذلك حكاية حاتم التى قبلها فانها إن صحت دلت على جهل بالعلم وفعل لما لا يجوز لأنه ظن أن التوكل إنما هو ترك التسبب فلو عمل بمقتضى واقعته لم يمضغ الطعام ولم يبلعه فانه تسبب وهل هذا إلا من تلاعب إبليس بالجهال لقلة علمهم بالشرع ثم أى قربة فى هذا الفعل البارد وما أظن غالبه إلا من الماليخوليا . أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد ابن على ابن المحسن قال حدثنى أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبرى قال : قال لى جعفر الخلدى : وقفت بعرفة ستاً وخمسين وقفة منها إحدى وعشرون على المذهب . فقلت لأبى إسحق : وأى شىء أراد بقوله — على المذهب — فقال يصعد إلى قنطرة الناشرية فينفض كميه حتى يعلم أنه ليس معه زاد ولا ماء ويلبى ويسير.

قال المصنف رحمه الله : وهذا مخالف للشرع فان الله تعالى يقول : «وتزودوا» ورسول الله ﷺ قد تزود ، ولا يمكن أن يقال إن هذا الآدمى لا يحتاج إلى شىء فى مدة أشهر فان احتاج ولم يتزود فعطب اثم وإن سأل

الناس أو تعرض لهم لم يف ذلك بدعوى التوكل وإن ادعى أنه يكرم ويرزق بلا سبب فنظره إلى أنه مستحق لذلك محنة ولو تبع أمر الشرع وحمل الزاد كان أصلح له على كل حال . وأنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال : أخبرني أبي عن بعض الصوفية ، أنه قدم عليه من مكة جماعة من المتصوفة فقال لهم من صحبتم فقالوا حاج اليمن فقال أوه التصوف قد صار إلى هذا أو التوكل قد ذهب . انتم ما جئتم على الطريقة والتصوف وإنما جئتم من مائدة اليمن إلى مائدة الحرم ، ثم قال : وحق الأحباب والفتيان لقد كنا أربعة نفر مصطحبين في هذا الطريق نخرج إلى زيارة قبر النبي ﷺ على التجريد و نتعاهد بيننا أن لا نلتفت إلى مخلوق ولا نستند إلى معلوم ، فجئنا إلى النبي ﷺ ومكثنا ثلاثة ايام لم يفتح لنا بشيء فخرجنا حتى بلغنا الجحفة ونزلنا وبحذائنا نفر من الأعراب فبعثوا إلينا بسويق فأخذ بعضنا ينظر إلى بعض ويقول : لو كنا من اهل هذا الشأن لم يفتح لنا بشيء حتى ندخل الحرم فشربناه على الماء وكان طعامنا حتى دخلنا مكة .

قلت : إسمعوا إخواني إلى توكل هؤلاء كيف منعهم من التزود المأمور به فأحوجهم إلى أخذ صدقات الناس . ثم ظنهم أن ما فعلوه مرتبة جهل بمعرفة المراتب . ومن عجب ما بلغني عنهم في اسفارهم ما أخبرنا به محمد بن ابي القاسم البغدادي نا أبو محمد التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : بلغني أن أبا شعيب* المقفع وكان قد حج سبعين حجة راجلا أحرم في كل حجة بعمرة وحجة من عند صخرة بيت المقدس ودخل بادية تبوك على التوكل فلما كان في حجته الأخيرة رأى كلباً في البادية يلهث عطشاً ، فقال : من يشتري حجة بشربة ماء ، قال : فدفع إليه إنسان شربة ماء فسقى الكلب ثم قال هذا خير لي من حجي لأن النبي ﷺ قال : « في كل ذات كبد حراء اجر » . اخبرنا عبد الأول بن عيسى نا ابن أبي الكوفاني ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن مورى الجبوساني نا ابو نصر عبد الله بن علي الطوسي المعروف بابن السراج قال : سمعت الوجهي يقول سمعت أبا علي الروزباري يقول : كان في البادية جماعة ومعنا أبو الحسين العطوفي فربما كانت تلحقنا القافلة ويظلم علينا الطريق وكان أبو الحسين يصعد تلا فيصيح صياح الذئب حتى تسمع كلاب الحي

فينبحون فيمر على بيوتهم ويحمل إلينا من عندهم معونة ، قلت : وإنما ذكرت مثل هذه الأشياء ليتنزه العاقل فى مبلغ علم هؤلاء وفهمهم للتوكل وغيره ويرى مخالفتهم لأوامر الشرع وليت شعرى كيف يصنع من يخرج منهم ولا شيء معه بالوضوء والصلاة وإن تخرق ثوبه ولا إبرة معه فكيف يفعل . وقد كان بعض مشايخهم يأمر المسافر بأخذ العدة قبل السفر . فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى قال : سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت الفرغانى يقول : كان إبراهيم الخواص مجرداً فى التوكل يدقق فيه وكان لا تفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له يا أبا إسحاق لم تجمع هذا وأنت تمنع من كل شيء ، فقال : مثل هذا لا ينقض التوكل لأن لله تعالى علينا فرائض والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فربما يتخرق ثوبه وان لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلواته وإن لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته وإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا أبرة ولا خيوط فاتهمه فى صلاته .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا قدموا من السفر ﴾

قال المصنف رحمه قلت : من مذهب القوم أن المسافر إذا قدم فدخل الرباط وفيه جماعة لم يسلم عليهم حتى يدخل الميضة فإذا توضأ جاء وصلى ركعتين ثم سلم على الشيخ ثم سلم على الجماعة وهذا ما ابتدعه متأخرهم على خلاف الشريعة لأن فقهاء الإسلام أجمعوا على أن من دخل على قوم سن له أن يسلم عليهم سواء كان على طهارة أو لم يكن إلا أن يكونوا أخذوا هذا من مذهب الأطفال فإنه إذا قيل للطفل لم لا تسلم علينا قال ما غسلت وجهى بعد أو لعل الأطفال علموه من هؤلاء المبتدعين . أخبرنا ابن الحصين نا ابو على بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن احمد ثنى أبى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ليسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير » أخرجاه فى الصحيحين ومن مذهب القوم تغميز القادم من السفر مساء . أنبأنا ابو زرعة طاهر بن محمد عن أبيه . قال باب السنة فى تغميزهم القادم من السفر أول ليلة

لتعبه واحتج بحديث عمر رضي الله عنه دخلت على النبي ﷺ وغلام له حبشي يغمز ظهره فقلت ما شأنك يا رسول الله قال إن الناقة قد اقتحمتني .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إخواني إلى فقه هذا المحتج فانه كان ينبغي أن يقول باب السنة في تغميز من رمت به ناقته ، وتكون السنة تغميز الظهر لا القدم ومن أين له انه كان في سفر وانه غمز أول ليلة ثم يجعل تغميز النبي ﷺ كما اتفق لأجل ألم ظهره سنة لقد كان ترك استخراج هذا الفقه الدقيق أحسن من ذكره ، ومن مذهبهم عمل دعوة للقادم . قال ابن طاهر : باب اتخاذهم العتيرة (١) للقادم واحتج بحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ سافر سفراً فنذرت جارية من قريش إن الله تعالى رده أن تضرب في بيت عائشة رضي الله عنها بدف فلما رجع فقال النبي ﷺ إن كنت نذرت فاضربي .

قال المصنف رحمه الله : قد بينا أن الدف مباح ولما نذرت هذه المرأة مباحاً أمرها أن تفي فكيف يحتج بهذا على الغناء والرقص عند قدوم المسافر .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية اذا مات لهم ميت ﴾

له في ذلك تلبيسان الأول . أنهم يقولون لا يبكى على هالك ومن بكى على هالك خرج عن طريق أهل المعارف قال ابن عقيل . وهذه دعوى تزيد على الشرع فهي حديث خرافة وتخرج عن العادت والطباع فهي انحراف عن المزاج المعتدل فينبغي أن يطالب لها بالعلاج بالأدوية المعدلة للمزاج فان الله تعالى أخبر عن نبي كريم فقال : (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) وقال : (يا أسفى على يوسف) . وبكى رسول الله ﷺ عند موت ولده وقال « إن العين لتدمع » وقال « واكرباه » وقالت فاطمة رضي الله عنها واكرب أبتاه فلم ينكر وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه متمماً يندب أخاه ويقول :

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فقال عمر رضي الله عنه ليتني كنت أقول الشعر فأندب أخي زيداً فقال متمم لو مات أخي كما مات أخوك ما رثيته ، وكان مالك مات على الكفر وزيد

(١) العتيرة بوزن الذبيحة شاة وكانت الجاهلية تذبح للاصنام فيصب دمها على رأسها نهى الشرع عن ذلك ففيه تشبيه بالمشركين أيضا

قتل شهيداً فقال عمر: ما عزاني أحد في أخي كمثل تعزيتك ، ثم لاتزال الإبل الغليظة الأكباد تحن الى مآلفها من الأعطان والأشخاص وترغوا للفصلان وحمام الطير ترجع . وكل مأخوذ من البلاء فلا بد أن يتضرع ومن لم تحركه المسار والمطربات وتزعجه المخزيات فهو الى الجماد به أقرب . وقد أبان النبي عليه الصلاة والسلام عن العيب في الخروج عن سمت الطبع فقال للذى قال : لم أقبل أحداً من ولدى ـ وكان له عشرة من الولد ـ فقال « أو أملك لك ان نزع الله الرحمة من قلبك » وجعل يلتفت الى مكة لما خرج فالمطالب لما يخرج عن الشرائع وينبو عن الطباع جاهل يطالب بجهل . وقد قنع الشرع منا أن لانلطم خداً ولانشق جيباً فاما دمعة سائلة وقلب حزين فلا عيب في ذلك .

التلبيس الثاني: انهم يعملون عند موت الميت دعوة ويسمونها عرسا ويغنون فيها ويرقصون ويلعبون ويقولون نفرح للميت إذ وصل الى ربه ، والتلبيس في هذا عليهم من ثلاثة أوجه أحدها ان المسنون أن يتخذ لأهل الميت طعام لاشتغالهم بالمصيبة عن اعداد الطعام لأنفسهم وليس من السنة أن يتخذه أهل الميت ويطعمونه الى غيرهم والأصل في اتخاذ الطعام لأجل الميت . ما أخبرنا به أبو الفتح الكروخي نا أبو عامر الأزدى وأبو بكر الغورجي قال أخبرنا الجراحي ثنا المحبوبي ثنا الترمذى ثنا احمد بن منيع وعلى بن حجر قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد عن أبيه عن عبدالله بن جعفر قال : لما جاء نعي جعفر فقال النبي ﷺ « اصنعوا لآل جعفر طعاما فانه قد جاءهم ما يشغلهم » قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح . والثاني انهم يفرحون للميت ويقولون وصل الى ربه ولا وجه للفرح لأنا لا نتيقن انه غفر له ومايؤمنا أن نفرح له وهو في المعذبين . وقد قال عمر بن ذر لما مات ابنه لقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك . أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن أعين ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا أبو اليمان نا شعيب عن الزهرى ثنى خارجة بن زيد الانصارى عن أم العلاء قالت : لما مات عثمان بن مظعون دخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السايب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال النبي ﷺ : «ومايدريك ان الله أكرمه » . والثالث انهم يرقصون ويلعبون

فى تلك الدعوة فيخرجون بهذا عن الطباع السليمة التى يؤثر عندها الفراق . ثم ان كان ميتهم قد غفر له فما الرقص واللعب بشكرهم وان كان معذباً فأين أثر الحزن .

﴿ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك التشاغل بالعلم﴾

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم لأن العلم نور فاذا أطفأ مصابيحهم خبطهم فى الظلم كيف شاء . وقد دخل على الصوفية فى هذا الفن من أبواب . أحدها انه منع جمهورهم من العلم أصلا وأراهم انه يحتاج الى تعب وكلف فحسن عندهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساط البطالة . أخبرنا اسماعيل بن احمد السمرقندى نا حمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الأصفهانى ثنا أبو حامد بن حيان ثنا أبو الحسن البغدادى ثنا ابن صاعد قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول : أسس التصوف على الكسل . وبيان ما قاله الشافعى ان مقصود النفس أما الولايات وأما استجلاب الدنيا بالعلوم يطول ويتعب البدن وهل يحصل المقصود أو لا يحصل . والصوفية قد تعجلوا الولايات فانهم يرون بعين الزهد . واستجلاب الدنيا فانها اليهم سريعة . أخبرنا عبد الحق نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الطناجيرى ثنا أبو حفص بن شاهين قال . ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى ان الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا ان علومنا بلا واسطة وانما رأوا بعد الطريق فى طلب العلم فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحملوا الركاء وأظهروا الزهد .

والثانى انه قنع قوم منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير فى كثرته فاقتنعوا بأطراف الأحاديث وأوهمهم أن علو الاسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وان للنفس فى ذلك لذة . وكشف هذا التلبيس انه ما من مقام عال الا وله فضيلة وفيه مخاطرة فان الامارة والقضاء والفتوى كله مخاطرة وللنفس فيه لذة ولكن فضيلة عظيمة كالشوك فى جوار الورد فينبغى أن تطلب الفضائل ويتقى ما فى ضمنها من الآفات . فأما ما فى الطبع من حب الرياسة فانه إنما وضع لتجتلب هذه الفضيلة كما وضع حب النكاح ليحصل الولد وبالعلم يتقوم قصد العالم كما قال يزيد بن هرون . طلبنا العلم لغير الله فأبى الا أن يكون لله . ومعناه انه دلنا على الاخلاص ومن طالب نفسه بقطع ما فى طبعه لم يمكنه . والثالث انه أوهم قوماً منهم ان المقصود العمل وما

فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى الأعمال ثم ان العالم وان قصر سير عمله فانه على الجادة والعابد بغير علم على غير الطريق. والرابع انه أرى خلقاً كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حتى ان أحدهم يتخايل له وسوسة فيقول حدثني قلبي عن ربي. وكان الشبلي يقول:

اذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواجس النفوس العلم الباطن واحتجوا له بما أخبرنا به عبدالحق بن عبدالخالق نا الحسين بن على الطناجيرى نا أبو حفص بن شاهين ثنا على بن محمد بن جعفر بن احمد بن عنبسة العسكرى ثنى دارم بن قبيصة بن بهشل الصنعانى قال سمعت يحي بن الحسين بن زيد بن على قال سمعت يحي بن عبدالله بن حسين عن يحي بن زيد بن على عن أبيه عن جده عن الحسن بن على عن على بن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي ﷺ انه قال «علم الباطن سر من سر الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل فى قلوب من يشاء من أوليائه».

قال المصنف رحمه الله قلت: وهذا حديث لا أصل له عن النبي ﷺ. وفى إسناده مجاهيل لا يعرفون. أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل محمد بن على السهلكى نا أبو على عبدالله بن ابراهيم النيسابورى ثنا أبو الحسن على ابن عبدالله بن جهضم ثنا أبو الفتح احمد بن الحسن ثنا على بن جعفر عن أبي موسى قال: كان فى ناحية أبي يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية فقصد أبا يزيد وقال له قد حكى لى عنك عجايب. فقال أبو يزيد. وما لم تسمع من عجايبي أكثر. فقال له علمك هذا يا أبا يزيد عن من ومن أين ومن من. فقال أبو يزيد علمى من عطاء الله تعالى. ومن حيث قال ﷺ «من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم» ومن حيث قال ﷺ «العلم علمان علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه وعلم باطن وهو العلم النافع» وعلمك يا شيخ نقل من لسان عن لسان التعليم وعلمى من الله إلهام من عنده. فقال له الشيخ علمى عن الثقات عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربه عز وجل. فقال

له أبو يزيد . ياشيخ كان للنبي ﷺ علم عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل قال نعم: ولكن أريد أن يصح لى علمك الذى تقول هو من عند الله ، قال : نعم أبينه لك قدر ما يستقر فى قلبك معرفته . ثم قال : ياشيخ علمت أن الله تعالى كلم موسى تكليما وكلم محمداً ﷺ ورآه كفاحاً . وان حلم الأنبياء وحى . قال نعم قال أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بالهام منه وفوائده من من قلوبهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة : ومما يؤكد ما قلت ما ألهم الله تعالى أم موسى أن تلقى موسى فى التابوت فألقته وألهم الخضر فى السفينة والغلام والحائط قوله موسى (وما فعلته عن أمرى) وكما قال أبو بكر لعائشة رضى الله عنهما : إن ابنة خارجة حاملة بينت : وألهم عمر رضى الله عنه فنادى يا سارية الجبل . أنبأنا ابن ناصر أنبأنا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبدالله الشيرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت إبراهيم سبتية يقول حضرت مجلس أبى يزيد والناس يقولون فلان لقى فلاناً وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلان لقى فلاناً . فقال أبو يزيد . مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت .

قال المصنف رحمه الله : هذا الفقه فى الحكاية الأولى من قلة العلم إذ لو كان عالما لعلم أن الالهام للشيء لا ينافى العلم ولا يتسع به عنه ولا ينكر ان الله عز وجل يلهم الإنسان الشيء كما قال النبي ﷺ «إن فى الأمم محدثين وان يكن فى أمتى فعمر » والمراد بالتحديث إلهام الخير إلا أن الملهم لو ألهم مايخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه : وأما الخضر فقد قيل انه نبى ولا ينكر للانبياء الإطلاع بالوحى على العواقب وليس الإلهام من العلم فى شيء إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشد : فأما أن يترك العلم ويقول أنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشيء إذ لولا العلم النقلى ما عرفنا ما يقع فى النفس أمن الإلهام للخير أو الوسوسة من الشيطان . واعلم أن العلم الإلهامى الملقى فى القلوب لا يكفى عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لا تكفى عن العلوم الشرعية فإن العقلية كالأغذيه والشرعية كالأدوية ولا ينوب هذا عن هذا . وأما قوله أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . أصلح ماينسب

اليه هذا القائل أنه مايدرى مافى ضمن هذا القول والا فهذا طعن على الشريعة.
أنبانا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو حفص بن شاهين ، قال : من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا نحن علومنا بلا واسطة . قال وما كان المتقدمون فى التصوف إلا رؤساً فى القرآن والفقه والحديث والتفسير ولكن هؤلاء أحبوا البطالة. وقال أبو حامد الطوسى اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الالهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ماصنفه المصنفون. بل قالوا : الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة وذلك بأن يقطع الانسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه فى زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى نفسه ولا يكتب حديثاً ولا غيره ولا يزال يقول الله الله الله إلى أن ينتهى إلى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحى عن القلب صورة اللفظ .

قال المصنف رحمه الله قلت : عزيز علىّ أن يصدر هذا الكلام من فقيه فإنه لا يخفى قبحه فإنه على الحقيقة طى لبساط الشريعة التى حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم . وعلى هذا المذهب فقد رأيت الفضلاء من علماء الأمصار فإنهم ما سلكوا هذه الطريق وإنما تشاغلوا بالعلم أولا . وعلى ما قد رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكون عندها من العلم مايطرد ذلك فيلعب بها إبليس أى ملعب فيريها الوسوسة محادثة .ومناجاة ولا ننكر أنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى فينظر بنور الله إلا أنه ينبغى أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافيه فإن الجوع الشديد والسهر وتضييع الزمان فى التخيلات أمور ينهى الشرع عنها فلا يستفاد من صاحب الشرع شيء ينسب (١) الى ما نهى عنه كما لا تستباح الرخص فى سفر قد نهى عنه . ثم لا تنافى بين العلم والرياضة بل العلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها . وإنما تلاعب الشيطان بأقوام أبعدوا العلم وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم والعلم بعيد عنهم فتارة يفعلون الفعل المنهى عنه. وتارة يؤثرون ما غيره أولى

(١) فى النسخة الثانية بسبب قد نهى عنه الخ .

منه وإنما كان يفتى فى هذه الحوادث العلم وقد عزلوه فنعوذ بالله من الخذلان. أنبأنا ابن ناصر عن أبى على بن البنا قال: كان عندنا بسوق السلاح رجل كان يقول القرآن حجاب، والرسول حجاب ليس الا عبد ورب فافتتن جماعة به فأهملوا العبادات واختفى مخافة القتل. أنبأنا محمد بن عبدالملك نا احمد ابن على بن ثابت نا أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد الجبائى ثنا احمد بن سليمان النجاد ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا هشام بن يونس ثنا المحاربى عن بكر بن حنش عن ضرار بن عمرو قال إن قوماً تركوا العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه وخالفوا السنة فهلكوا فوالله الذى لا إله غيره ما عمل عامل قط على جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

﴿ فصل ﴾ وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة. وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق. فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة. وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم فى إعراضهم عن ظواهر الشرع. وعن أبى الحسن غلام شعوانه بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم يقول جاء رجل إلى سهل بن عبدالله وبيده محبرة وكتاب فقال لسهل جئت أن أكتب شيئاً ينفعنى الله به. فقال اكتب، ان استطعت أن تلقى الله وبيدك المحبرة والكتاب فافعل: قال يا أبا محمد أفدنى فائدة. فقال: الدنيا كلها جهل إلا ماكان علماً، والعلم كله حجة إلا ماكان عملا، والعمل كله موقوف إلا ما كان منه على الكتاب والسنة. وتقوم السنة على التقوى وعن سهل بن عبد الله أنه قال احفظوا السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر الا تزندق وعن سهل بن عبدالله انه قال مامن طريق إلى الله أفضل من العلم فإن عدلت عن طريق العلم خطوة تهت فى الظلام أربعين صباحاً. وعن أبى بكر الدقاق قال. سمعت أباسعيد الخراز يقول. كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل. وعن أبى بكر الدقاق انه قال. كنت ماراً فى تيه بنى إسرائيل فخطر ببالى أن علم الحقيقة مباين للشريعة فهتف بى هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهى كفر.

قال المصنف رحمه الله. وقد نبه الإمام أبو حامد الغزالى فى كتاب الأحياء

فقال . من قال ان الحقيقة تخالف الشريعة أوالباطن يخالف الظاهر فهو إلى الـكفر أقرب منه إلى الايمان . وقال ابن عقيل جعلت الصوفية الشريعة إسما وقالوا المراد منها الحقيقة قال وهذا قبيح لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم فما الحقيقة بعد هـذا سوى شيء واقع فى النفس من القاء الشياطين وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع .

﴿ ذكر تلبيس ابليس على جماعة من القوم فى دفنهم كتب العلم وإلقائها فى الماء ﴾

قال المصنف رحمه الله . قد كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم ثم لبس عليهم إبليس وقال ماالمقصود إلا العمل ودفنوا كتبهم . فقد روى أن احمد ابن أبي الحوارى رمى كتبه فى البحر ، وقال : نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعدالوصول محال . ولقد طلب احمد بن أبي الحوارى الحديث ثلاثين سنة فلما بلغ منه الغاية حمل كتبه إلى البحر فغرقها . وقال : ياعلم لم أفعل بك هذا تهاوناً ولا استخفافاً بحقك ولـكنى كنت أطلبك لأهتدى بك إلى ربي فلما اهتديت بك استغنيت عنك . أخبرنا أبوبكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا الحسن غلام شعوانة بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال احمد ابن محمد بن إسماعيل . أبو الحسين بن الخلال كان حسن الفهم له صبر على الحديث وانه كان يتصوف ويرمى بالحديث مـدة ثم يرجع ويكتب . ولقد أخبرت انه رمى بجملة من سماعاته القـديمة فى دجلة . فأول ما سمع على أبي العباس الأصم وطبقته وكتب الـكثير . أنبأنا زاهر بن طاهر نا احمد بن الحسين البيهقى قال . سمعت أباعمرو بن أبي جعفر يقول سمعت أبا طاهر الجنابذى يقول . لقد كان موسى بن هرون يقرأ علينا فإذا فرغ من الجزء رمى بأصله فى دجلة ويقول قد أديته .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن على بن خلف نا أبوعبدالرحمن السلمى قال سمعت أبا نصر الطوسى يقول . سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون ـ ورث أبو عبدالله المقرى عن أبيه خمسين الف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن جميع ذلك وأنفقها على الفقراء قال : فسألت أبا عبدالله عن ذلك

فقال . أحرمت وأنا غلام حدث وخرجت إلى مكة على الوحدة حين لم يبق لى شيء أرجع اليه . وكان اجتهادى أن أزهد فى الكتب وماجمعت من العلم والحديث أشد على من الخروج إلى مكة والتقطع فى الأسفار والخروج عن ملكى . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا إسماعيل الحيرى ثنا محمد ابن الحسين السلمى قال سمعت أبا العباس بن الحسين البغدادى يقول سمعت الشبلى يقول . أعرف من لم يدخل فى هذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه وغرق فى هذه الدجلة سبعين قمطرا مكتوباً بخطه وحفظ وقرأ بكذا وكذا رواية يعنى بذلك نفسه .

قال المصنف رحمه الله . قد سبق القول بأن العلم نور وان إبليس يحسن للانسان إطفاء النور ليتمكن منه فى الظلمة ولا ظلمة كظلمة الجهل . ولما خاف إبليس أن يعاود هؤلاء مطالعة الكتب فربما استدلوا بذلك على مكايده حسن لهم دفن الكتب وإتلافها وهذا فعل قبيح محظور وجهل بالمقصود بالكتب وبيان هذا أن أصل العلوم القرآن والسنة فلما علم الشرع أن حفظهما يصعب أمر بكتابة المصحف وكتابة الحديث فأما القرآن فان رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية دعى بالكاتب فأثبتها وكانوا يكتبونها فى العسب والحجارة وعظام الكتف ثم جمع القرآن بعده فى المصحف أبو بكر صوناً عليه ثم نسخ من ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه وبقية الصحابة وكل ذلك لحفظ القرآن لئلا يشذ منه شيء . وأما السنة . فإن النبى ﷺ قصر الناس فى بداية الإسلام على القرآن وقال لا تكتبوا عنى سوى القرآن فلما كثرت الأحاديث ورأى قلة ضبطهم أذن لهم فى الكتابة . فروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه شكى إلى رسول الله ﷺ قلة الحفظ فقال . ابسط رداءك فبسط رداءه وحدثه النبى عليه الصلاة والسلام وقال ضمه اليك . فقال أبو هريرة فلم أنس بعد ذلك شيئاً بما حدثنيه رسول الله ﷺ . وفى رواية أنه قال استعن على حفظك بيمينك يعنى بالكتابة . وروى عنه ﷺ عبدالله بن عمرو انه قال « قيدوا العلم فقلت يارسول الله وما تقييده . قال الكتابة » . وروى عنه أيضاً رافع بن خديج قال قلنا يارسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها : قال . اكتبوا ولا حرج .

قال المصنف رحمه الله : واعلم أن الصحابة ضبطت ألفاظ رسول الله ﷺ وحركاته وأفعاله واجتمعت الشريعة من رواية هذا ورواية هذا . وقد قال رسول الله ﷺ بلغوا عنى : وقال نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها وتأدية الحديث كما يسمع لايكاد يحصل إلا من الكتابة لأن الحفظ خوان . وقد كان احمد بن حنبل رضى الله عنه يحدث بالحديث فيقال له: إمله علينا . فيقول لا بل من الكتاب . وقد قال على بن المدينى . أمرنى سيدى احمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من الكتاب فاذا كانت الصحابة قد روت السنة وتلقتها التابعون وسافر المحدثون وقطعوا شرق الأرض وغربها لتحصيل كلمة من ههنا وكلمة من هنا وصححوا ماصح وزيفوا مالم يصح وجرحوا الرواة وعدلوا وهذبوا السنن وصنفوا ثم من يغسل ذلك فيضيع التعب ولا يعرف حكم الله فى حادثة فما عوندت الشريعة بمثل هذا . فهل لشريعة من الشرائع قبلنا إسناد الى نبيهم وإنما هذه خصيصة لهذه الأمة . وقد روينا عن الإمام احمد بن حنبل مع كونه طاف الشرق والغرب فى طلب الحديث انه قال لابنه ما كتبت عن فلان؟ فذكر له أن النبي عليه الصلاة والسلام «كان يخرج يوم العيد من طريق ويرجع من أخرى» فقال الامام أحمد بن حنبل إنا لله سنة من سنن رسول الله ﷺ لم تبلغنى وهذا قوله مع اكثاره وجمعه فكيف بمن لم يكتب واذا كتب غسل أفترى اذا غسلت الكتب ودفنت على م يعتمد فى الفتاوى والحوادث على فلان الزاهد أو فلان الصوفى أو على الخواطر فيما يقع لها نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : ولا تخلو هذه الكتب التى دفنوها أن يكون فيها حق أو باطل أو قد اختلط الحق بالباطل . فان كان فيها باطل فلا لوم على من دفنها وان كان قد اختلط الحق بالباطل ولم يمكن تمييزه كان عذراً فى إتلافها فان أقواماً كتبوا عن ثقات وعن كذابين واختلط الأمر عليهم فدفنوا كتبهم . وعلى هذا يحمل مايروى عن دفن الكتب عن سفيان الثورى وان كان فيها الحق والشرع فلا يحل إتلافها بوجه لكونها ضابطة العلم وأموالا وليسأل من يقصد إتلافها عن مقصوده فان قال تشغلنى عن العبادة . قيل له

جوابك من ثلاثة أوجه : أحدها انك لو فهمت لعلمت أن التشاغل بالعلم أوفى العبادات . والثانى أن اليقظة التى وقعت لك لا تدوم فكأنى بك وقد ندمت على ما فعلت بعد الفوات . واعلم أن القلوب لا تبقى على صفائها بل تصدأ فتحتاج الى جلاء وجلاؤها النظر فى كتب العلم . وقدكان يوسف بن أسباط دفن كتبه ثم لم يصبر على التحديث فحدث من حفظه فخلط ، والثالث أننا نقدر تمام يقظتك ودوامها والغنى عن هذه الكتب فهلا وهبتها لمبتدىء من الطلاب ممن لم يصل الى مقامك أو وقفتها على المنتفعين بها أو بعتها وتصدقت بثمنها أما إتلافها فلا يحل بحال . وقد روى المروزى عن احمد بن حنبل انه سئل عن رجل أوصى أن تدفن كتبه فقال ما يعجبنى أن يدفن العلم . وأنبأنا محمد بن عبدالملك ويحيى بن على قال أنبأنا احمد بن على بن ثابت نا عبيدالله بن عبد العزيز البرادعى نا محمد بن عبدالله السحير ثنا أبو بكر محمد بن احمد بن النحاس قال : سمعت المروزى يقول: سمعت احمد بن حنبل يقول لا أعرف لدفن الكتب معنى .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى إنكارهم من تشاغل بالعلم ﴾

قال المصنف رحمه الله : لما انقسم هؤلاء بين متكاسل عن طلب العلم وبين ظان أن العلم هو ما يقع فى النفوس من ثمرات التعبد وسموا ذلك العلم : العلم الباطن نهوا عن التشاغل بالعلم الظاهر .

أخبرنا عبدالرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن على نا على بن أبى على البصرى ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الطبرى قال سمعت جعفراً الخلدى يقول : لو تركنى الصوفية لجئتكم بإسناد الدنيا لقد مضيت الى عباس الدورى وأنا حدث فكتبت عنه مجلساً واحداً وخرجت من عنده فلقينى بعض من كنت أصحبه من الصوفية فقال: إيش هذا معك . فأريته إياه فقال: ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق . ثم خرق الأوراق فدخل كلامه فى قلبى فلم أعد الى عباس .

قال المصنف رحمه الله : وبلغنى عن أبى سعيد الكندى قال كنت أنزل رباط الصوفية وأطلب الحديث فى خفية بحيث لا يعلمون فسقطت الدواة

يوماً من كمى فقال لى بعض الصوفية استر عورتك .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو القاسم هبة الله بن عبد الله الواسطى نا أبو بكر الخطيب نا أبو الفتح بن أبى الفوارس نا الحسين بن احمد الصفار قال : كان بيدى محبرة فقال لى الشبلى غيب سوادك عنى يكفينى سواد قلبى .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبدالله الغزال المذكر قال سمعت على بن مهدى يقول: وقفت ببغداد على حلقة الشبلى فنظر إلىّ ومعى محبرة فأنشأ يقول :

تسربلت للحرب ثوب الغرق ... وجبت البلاد لوجد القلق

ففيك هتكت قناع الغوىّ (١) ... وعنك نطقت لدى من نطق

اذا خاطبونى بعلم الورق ... برزت عليهم بعلم الخرق

قال المصنف رحمه الله قلت : من أكبر المعاندة لله عز وجل الصد عن سبيل الله وأوضح سبيل الله العلم لأنه دليل على الله وبيان لأحكام الله وشرعه وإيضاح لما يحبه ويكرهه فالمنع منه معاداة لله ولشرعه ولكن الناهين عن ذلك ما تفطنوا لما فعلوا . أخبرنا ابن حبيب قال نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: اشتغلوا بتعلم العلم ولا يغرنكم كلام الصوفية فانى كنت أخبىء محبرتى فى جيب مرقعتى والكاغد فى حزة سراويلى وكنت أذهب خفية الى أهل العلم فاذا علموا بى خاصمونى . وقالوا لا تفلح ثم احتاجوا إلىّ بعد ذلك . وقد كان الامام احمد بن حنبل يرى المحابر بأيدى طلبة العلم فيقول : هذه سرج الاسلام . وكان هو يحمل المحبرة على كبر سنه فقال له رجل الى متى يا أبا عبدالله فقال : المحبرة الى المقبرة وقال فى قوله عليه الصلاة والسلام « لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة » فقال احمد : ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدرى من هم . وقال أيضاً ان لم يكن أصحاب الحديث الابدال فمن يكون . وقيل له ان رجلا قال فى أصحاب الحديث انهم كانوا قوم سوء فقال احمد : هو زنديق وقد قال الامام الشافعى رحمه الله : اذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث

(١) فى النسخة الثانية : ففيك قناع العزاء

فكأنى رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ . وقال يوسف بن أسباط بطلبة الحديث يدفع الله البلاء عن أهل الأرض .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن على ثنا ابن جهضم ثنا محمد بن جعفر ثنا احمد بن محمد بن مسروق قال : رأيت كأن القيامة قد قامت والخلق مجتمعون إذ نادى مناد . الصلاة جامعة فاصطف الناس صفوفا فأتانى ملك فتأملته فاذا بين عينيه مكتوب جبريل أمين الله . فقلت أين النبي ﷺ فقال مشغول بنصب الموائد لاخوانه الصوفية . فقلت وأنا من الصوفية فقيل نعم . ولكن شغلك كثرة الحديث .

قال المصنف رحمه الله : معاذ الله أن ينكر جبريل التشاغل بالعلم . وفى إسناد هذه الحكاية ابن جهضم وكان كذاباً ولعلها عمله . وأما ابن مسروق فأخبرنى القزاز نا أبو بكر الخطيب حدثنى على بن محمد بن نصر قال سمعت حمزة بن يوسف قال سمعت الدارقطنى يقول أبو العباس بن مسروق ليس بالقوى يأتى بالمعضلات .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى كلامهم فى العلم ﴾

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن هؤلاء القوم لما تركوا العلم وانفردوا بالرياضيات على مقتضى آرائهم لم يصبروا عن الكلام فى العلوم فتكلموا بواقعاتهم فوقعت الأغاليط القبيحة منهم فتارة يتكلمون فى تفسير القرآن وتارة فى الحديث وتارة فى الفقه وغير ذلك ويسوقون العلوم الى مقتضى علمهم الذى انفردوا به والله سبحانه لا يخلى الزمان من أقوام قوام بشرعه يردون على المتخرصين ويبينون غلط الغالطين .

﴿ ذكر نبذة من كلامهم فى القرآن ﴾

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن على ابن ثابت نا أبو القاسم عبد الواحد بن عثمان البجلى قال سمعت جعفر

ابن محمد الخلدى قال حضوت شيخنا الجنيد وقد سأله كيسان عن قوله عز وجل (سنقرئك فلا تنسى) فقال الجنيد لا تنس العمل به ، وسأله عن قوله تعالى (ودرسوا مافيه) فقال له الجنيد تركوا العمل به ، فقال لا يفضض الله فاك قلت : أما قوله ـ لا تنس العمل به ـ فتفسير لا وجه له والغلط فيه ظاهر لأنه فسره على أنه نهى وليس كذلك إنما هو خبر لا نهى وتقديره ـ فما تنس ـ إذ لو كان نهياً كان مجزوماً فتفسيره على خـــلاف إجماع العلماء وكذلك قوله (ودرسوا مافيه) إنما هو من الدرس الذى هو التلاوة من قوله عز وجل (وبما كنتم تدرسـون) . لا من دروس الشيء الذى هو اهلاكه . أخبرنا محمد بن عبدالباقى نا حمد بن احمد ثنا أبو نعيم الحافظ قال سمعت احمد بن محمد ابن مقسم يقول حضرت أبا بكر الشبلى . وسئل عن قوله عز وجل . (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) . فقال : لمن كان الله قلبه . وأخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد نا عبدالعزيز بن على نا ابن جهضم ثنا محمد بن جرير قال سمعت أبا العباس بن عطاء وقد سئل عن قوله : (فنجيناك من الغم) . قال نجيناك من الغم بقومك وفتناك بنا عن من سوانا .

قال المصنف رحمه الله : وهـذه جرأة عظيمة على كتاب الله عز وجل ونسبة الكليم إلى الافتتان بمحبة الله سبحانه . وجعل محبته تفتن غاية فى القباحة . أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن على الحافظ نا أبو حازم عمر ابن إبراهيم العبدرى قال سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله الرازى يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول فى قوله عز وجل : (وأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) فقال الروح النظر إلى وجه الله عز وجل . والريحان الاستماع لكلامه . وجنة نعيم : هو أن لا يحجب فيها عن الله عز وجل . قلت : هـذا كلام بالواقع على خلاف أقوال المفسرين وقد جمع أبو عبـد الرحمن السلمى فى تفسير القرآن من كلامهم الذى أكثره هـذيان لا يحل نحو مجلدين سماها حقائق التفسير فقال فى فاتحة الكتاب عنهم أنهم قالوا إنما سميت فاتحة الكتاب لأنها أوائل مافاتحناك به من خطابنا فإن تأدبت بذلك والا حرمت لطائف ما بعد .

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح لأنه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول مانزل : وقال فى قول الإنسان (آمين) أى قاصدون نحوك.

قال المصنف رحمه الله : وهذا قبيح لأنه ليس من أم لأنه لو كان كذلك لكانت الميم مشددة. وقال فى قوله: (وان يأ توكم أسارى) قال قال أبو عثمان: غرقى فى الذنوب . وقال الواسطى : غرقى فى رؤية أفعالهم . وقال الجنيد . أسارى فى أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق . قلت . وإنما الآية على وجه الإنكار ومعناها إذا أسرتموهم فديتموهم وإذا حاربتموهم قبلتوهم وهؤلاء قدفسروها على مايوجب المدح. وقال محمد بن على . (يحب التوابين) من توبتهم وقال النورى : (يقبض ويبسط) . أى يقبضك باياه ويبسطك لاياه . وقال فى قوله: (ومن دخله كان آمنا) أى من هواجس نفسه ووساوس الشيطان. وهذا غاية فى القبح لأن لفظ الآية لفظ الخبر و معناه الأمر و تقديرها من دخل الحرم فأمنوه . وهؤلاء قدفسروها على الخبر ثم لا يصح لهم لأنه كم من داخل إلى الحرم ماأمن من الهواجس ولا الوساوس وذكر فى قوله (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) . قال أبو تراب هى الدعاوى الفاسدة (والجار ذى القربىٰ) . قال سهل هو القلب (والجار الجنب) النفس (وابن السبيل) الجوارح. وقال فى قوله . (وهمّ بها) . قال أبو بكر الوراق الهمان لها و يوسف ما هم بها . قلت : هذا خلاف لصريح القرآن وقوله . (ما هذا بشراً) . قال محمد بن على ماهذا بأهل أن يدعى إلى المباشرة . وقال الزنجانى الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم. وقال فى قوله. (ولله المكر جميعا) قال الحسين لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم ان لهم سبيلا اليه بحال . أو للحدث اقتران مع القدم .

قال المصنف رحمه الله . ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفر محض لأنه يشير إلى أنه كالهزء واللعب . ولكن الحسين هذا هو الحلاج وهذا يليق بذاك . وقال فى قوله (لعمرك) أى بعمارتك سرك بمشاهدتنا. قلت . وجميع الكتاب من هذا الجنس ولقد هممت أن أثبت منه هاهنا كثيراً فرأيت أن الزمان يضيع فى كتابة شيء بين الكفر والخطأ والهذيان . وهو من جنس

ما حكينا عن الباطنية ، فمن أراد أن يعرف جنس ما فى الكتاب فهذا أنموذجه . ومن أراد الزيادة فلينظر فى ذلك الكتاب . وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال : للصوفية استنباط منها قوله : « ادعو الى الله على بصيرة » قال الواسطى : معناه لا أرى نفسى . وقال الشبلى : لو اطلعت على الكل مما سوانا لوليت منهم فراراً إلينا . قلت : هذا لا يحل لأن الله تعالى إنما أراد أهل الكهف . وهذا السراج يسمى هذه الأقوال فى كتابه مستنبطات . وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب ذم المال فى قوله عز وجل « واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام » قال : إنما عنى الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعبد الآلهة والأصنام ، وإنما عنى بعبادته حبه والاغترار به .

قال المصنف رحمه الله : وهذا شىء لم يقله أحد من المفسرين ، وقد قال شعيب « وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا » ومعلوم أن ميل الأنبياء إلى الشرك أمر ممتنع لأجل العصمة لا لأنه مستحيل ، ثم قد ذكر مع نفسه من يتصور فى حقه الإشراك والكفر فجاز أن يدخل نفسه معهم ، فقال « واجنبنى وبنى » ومعلوم أن العرب أولاده وقد عبد أكثرهم الأصنام.

أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق نا المبارك بن عبد الجبار نا الحسين بن على الطناجيرى نا أبو حفص بن شاهين قال : وقد تكلمت طائفة من الصوفية فى نفس القرآن بما لا يجوز فقالت فى قوله : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » فقالوا هم لآيات لى ، فأضافوا إلى الله تعالى ما جعله لأولى الألباب » وهذا تبديل للقرآن وقالوا (ولسليمان الريح » قالوا : ولى سليمان .

وأخبرنا ابن ناصر نا أحمد بن على بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال : قال أبو حمزه الخراسانى : قد يقطع بأقوام فى الجنة فيقال : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية » فشغلهم عنه بالأكل والشرب ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا وفقكم الله إلى هذه الحماقة وتسمية المنعم به مكراً ، وإضافة المكر بهذا إلى الله سبحانه وتعالى . وعلى مقتضى

قول هذا أن الأنبياء لا يأكلون ولا يشربون بل يكونون مشغولين بالله عز وجل . فما أجرأ هذا القائل على مثل هذه الألفاظ القباح . وهل يجوز أن يوصف الله عز وجل بالمكر على ما نعقله من معنى المكر . وإنما معنى مكره وخداعه أنه مجازى الماكرين والخادعين . وإنى لأتعجب من هؤلاء وقد كانوا يتورعون من اللقمة والكلمة كيف انبسطوا فى تفسير القرآن إلى ما هذا حده . وقد أخبرنا على بن عبيد الله وأحمد بن الحسن وعبد الرحمن ابن محمد قالوا : حدثنا عبد الصمد بن المأمون نا على بن عمر الحربى ثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ثنا بشر بن الوليد ثنا سهيل أخو حزم ثنا أبو عمران الجونى عن جندب قال : قال رسول الله ﷺ « من قال فى القرآن برأيه فقد أخطأ » . أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنا وكيع عن الثورى عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله ﷺ « من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » .

قال المصنف رحمه الله : وقد رويت لنا حكاية عن بعضهم فيما يتعلق بالمكر إنى لأقشعر من ذكرها لكنى أنبه بذكرها على قبح ما يتخايله هؤلاء الجهلة . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا أبو عبد الله ابن باكويه قال : أخبرنا أبو عبد الله بن خفيف قال سمعت رويما يقول : اجتمع ليلة بالشام جماعة من المشايخ فقالوا ما شهدنا مثل هذه الليلة وطيبها فتعالوا نتذاكر مسألة لئلا تذهب ليلتنا فقالوا : نتكلم فى المحبة فإنها عمدة القوم فتكلم كل واحد من حيث هو . وكان فى القوم عمرو بن عثمان المكى فوقع عليه البول ولم يكن من عادته فقام وخرج إلى صحن الدار فإذا ليلة مقمرة فوجد قطعة رق مكتوب فأخذه وحمله إليهم وقال : يا قوم اسكنوا فان هذا جوابكم . أنظروا ما فى هذه الرسالة فاذا فيها مكتوب مكار مكار وكلكم يدعون حبه وأحرم البعض وافترقوا فما جمعهم إلا الموسم .

قال المصنف رحمه الله ، قلت : هذه بعيدة الصحة وابن خفيف لا يوثق به وإن صحت فان شيطاناً ألقى ذلك الرق ، وإن كانوا قد ظنوا أنها رسالة من

الله بظنونهم الفاسدة . وقد بينا أن معنى المكر منه المجازاة على المكر . فأما أن يقال عنه مكار ففوق الجهل وفوق الحماقة .

وقد أخبرنا ابن ظفرنا ابن السراج نا الأزجي ثنا ابن جهضم ثنا الخلدى قال سمعت رويما يقول : إن الله غيب أشياء فى أشياء غيب مكره فى علمه. وغيب خداعه فى لطفه وغيب عقوباته فى باب كراماته.قلت . وهذا تخليط من ذلك الجنس وجرأة . أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت خالى يقول قال الحسن بن علويه.خرج أبو يزيد لزيارة أخ له فلما وصل إلى نهر جيحون التقى له حافتا النهر . فقال سيدى . ايش هذا المكر الخفى . وعزتك ما عبدتك لهذا ثم رجع ولم يعبر. قال السهلكى.وسمعت محمد بن احمد المذكر يذكران أبا يزيد قال من عرف الله عز وجل صار للجنة بوابا وصارت الجنة عليه وبالا .

قلت : وهذه جرأة عظيمة فى إضافة المكر إلى الله عز وجل وجعل الجنة التى هى نهاية المطالب وبالا وإذا كانت وبالا للعارفين فكيف تكون لغيرهم . وكل هذا منبعه من قلة العلم وسوء الفهم . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا أبو الفرج الورثانى ثنا احمد بن الحسن بن محمد ثنى محمد بن جعفر الوراق ثنا احمد بن العباس المهلبي قال سمعت طيفور وهو أبو يزيد يقول العارفون فى زيارة الله تعالى فى الآخرة على طبقتين طبقة تزوره متى شاءت وانى شاءت.وطبقة تزوره مرة واحدة ثم لاتزوره بعدها أبداً فقيل له كيف ذلك قال . إذا رآه العارفون أول مرة جعل لهم سوقاً ما فيه شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء فمن دخل منهم السوق لم يرجع الى زيارة الله أبداً قال وقال أبو يزيد . فى الدنيا يخدعك بالسوق وفى الآخرة يخدعك بالسوق فأنت أبداً عبد السوق .

قال المصنف رحمه الله . تسمية ثواب الجنة خديعة وسبباً للانقطاع عن الله عز وجل قبيح وإنما يجعل لهم السوق ثواباً لا خديعة فإذا أذن لهم فى أخذ ما فى السوق ثم عوقبوا بمنع الزيارة فقد صارت المثوبة عقوبة .ومن أين له أن من اختار شيئاً من ذلك السوق لم يعد إلى زيارة الله تبارك وتعالى

ولا يراه أبداً نعوذ بالله من هـذا التخليط والتحكم في العلم والاخبار عن هذه المغيبات التي لا يعلمها إلا نبي فمن أين له علمها وكيف يكون كما قال أبو هريرة راوي الحديث لسعيد بن المسيب : جمعني الله وإياك في سوق الجنـة أفتراه طلب ترك العقوبة بالبعد عن الله عزوجل لـكن بعد هؤلاء عن العلم واقتناعهم بواقعاتهم الفاسدة أوجب هـذا التخليط وليعلم أن الخواطر والواقعات إنما هي ثمرات علمه فمن كان عالماً كانت خواطره صحيحة لأنها ثمرات علمه ومن كان جاهلا فثمرات الجهل كلها حظه . ورأيت بخط ابن عقيل : جاز أبو يزيد على مقابر اليهود فقال ماهؤلاء حتى تعذبهم كف عظام جرت عليهم القضايا أعف عنهم .

قال المصنف رحمه الله : وهذا قلة علم وهو أن قوله ـ كف عظام ـ احتقار للآدمي فإن المؤمن إذا مات كان كف عظام : وقوله ـ جرت عليهم القضايا ـ فكذلك جرى على فرعون ، وقوله ، أعف عنهم ، جهل بالشريعة لأن الله عز وجل أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافراً فلو قبلت شفاعته في كافر لقبل سؤال إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه في أبيه ، ومحمد ﷺ في أمه فنعوذ بالله من قلة العلم .

أنبأنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى نا أبو بكر احمد بن أبي نصر الكوفاني ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن قوري الحوبياني نا أبو نصر عبدالله بن علي الطوسي المعروف بالسراج قال كان ابن سالم يقول عبر أبو يزيد على مقبرة اليهود . فقال : معذورين . ومر بقبر المسلمين . فقال مغرورين . قال المصنف رحمه الله . وفسره السراج فقال كأنه لما نظر إلى ماسبق لهم من الشقاوة . من غير فعل كان موجوداً في الازل وان الله عزوجل جعل نصيبهم السخط فذلك عذر .

قال المصنف رحمه الله : وتفسير السراج قبيح لأنه يوجب أن لا يعاقب فرعون ولا غيره .

ومن كلامهم في الحديث وغيره . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا الأزهري نا احمد بن إبراهيم بن الحسن ثنـا عبدالله بن احمد ابن حنبل قال جاء أبو تراب النخشبي الى أبي فجعل أبي يقول : فلان ضعيف

وفلان ثقة فقال أبو تراب . ياشيخ لا تغتب العلماء فالتفت أبي إليه وقال له . ويحك هذه نصيحة ليست هذه غيبة . أنبأنا يحي بن على المدبر نا أحمد بن على ابن ثابت نا رضوان بن محمد بن الحسن الدينورى قال سمعت احمد بن محمد بن عبدالله النيسابورى يقول سمعت أبا الحسن على بن محمد البخارى يقول سمعت محمد بن الفضل العباسى يقول . كنا عند عبد الرحمن بن أبى حاتم وهو يقرأ علينا كتاب الجرح والتعديل فقال اظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة . فقال له يوسف بن الحسين . استحييت إليك يا أبا محمد كم من هؤلاء القوم قد حطوا رواحلهم فى الجنة منذ مائة سنة أو مائتى سنة وأنت تذكرهم وتغتابهم على أديم الأرض . فبكى عبد الرحمن وقال يا أبا يعقوب لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيفى هذا الكتاب لم أصنفه . قلت عفا الله عن ابن أبى حاتم فانه لو كان فقيهاً لرد عليه كما رد الإمام أحمد على أبى تراب . ولولا الجرح والتعديل من أين كان يعرف الصحيح من الباطل . ثم كون القوم فى الجنة لا يمنع أن نذكرهم بما فيهم وتسمية ذلك غيبة حديث سوء . ثم من لا يدرى الجرح والتعديل كيف هو يزكى كلامه . وينبغى ليوسف أن يشتغل بالعجائب التى تحكى عن مثل هذا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله بن يزيد الاردبيلى يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول من عرف الله أمسك عن رفع حوائجه إليه لما علم أنه العالم بأحواله . قلت هذا سد لباب السؤال والدعاء وهو جهل بالعلم .

أخبرنا محمد بن عبدالملك بن خيرون نا أحمد بن الحسن الشاهد قال قرىء على محمد بن الحسن الاهوازى وأنا أسمع أبا بكر الديف الصوفى وقال سمعت الشبلى وقد سأله شاب يا أبا بكر لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله ، فقال الشبلى . استحي أن أوجه إثباتاً بعد نفى . فقال الشاب أريد حجة أقوى من هذه . فقال أخشى أنى أؤخذ فى كلمة الوجود ولا أصل إلى كلمة الاقرار .

قال المصنف رحمه . أنظروا إلى هذا العلم الدقيق فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بقول لاإله إلا الله ويحث عليها . وفى الصحيحين عنه أنه كان يقول

فى كل دبر صلاة لا إله إلا الله وحده لاشريك له وكان يقول إذا قام لصلاة الليل لاإله إلا أنت . وذكر الثواب العظيم لمن يقول لاإله إلا الله فانظروا إلى هذا التعاطى على الشريعه واختيار مالم يختره رسول الله ﷺ .

أخبرنا محمد بن عبدالباقى ثنا أبوعلى الحسن بن محمد بن الفضل نا سهل ابن على الحساب نا عبدالله بن على السراج قال بلغنى أن أبا الحسن النورى شهدوا عليه أنه سمع أذان المؤذن فقال طعنه سم الموت وسمع نباح كلب فقال لبيك وسعديك فقيل له فى ذلك فقال . ان الرجل المؤذن أغار عليه أن يذكر الله وهو غافل ويأخذ عليه الأجرة ولولاها ما أذن فلذلك قلت طعنه سم الموت والكلب يذكر الله عز وجل بلا رياء فانه قد قال (وان من شىء إلا يسبح بحمده)

قال المصنف رحمه الله . انظروا اخوانى عصمنا الله وإياكم من الزلل إلى هذا الفقه الدقيق والاستنباط الطريف .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا أبو يعقوب الخراط نا النورى أنه رأى رجلا قابضا على لحية نفسه قال فقلت له نح يدك عن لحية الله فرفع ذلك إلى الخليفة فطلبت وأخذت فلما دخلت عليه قال بلغنى أنه نبح كلب فقلت لبيك ونادى المؤذن فقلت طعنه قال نعم قال الله عز وجل (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) فقلت لبيك لأنه ذكر الله . فأما المؤذن فانه يذكر الله وهو متلوث بالمعاصى غافل عن الله تعالى قال وقولك للرجل . نح يدك عن لحية الله . قلت نعم . أليس العبد لله ولحيته لله وكل ما فى الدنيا والآخرة له . قلت عدم العلم أوقع هؤلاء فى هذا التخبيط وما الذى أحوجه إلى أن يوهم أن صفة الملك صفة الذات .

أخبرنا ابن حبيب قال ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت احمد ابن محمد بن عبد العزيز قال سمعت الشبلى يقول : وقد سئل عن المعرفة . فقال . ويحك ما عرف الله من قال الله . والله لو عرفوه ماقالوه . قال ابن باكويه وسمعت أبا القاسم أحمد بن يوسف البرادانى يقول سمعت الشبلى يقول يوماً لرجل يسأله . ما اسمك ؟ قال آدم . قال وبلك . أتدرى ما صنع آدم ؟ باع ربه بلقمه . ثم كان يقول سبحان من عذرنى بالسوداء قال ابن باكويه

وسمعت بكران بن احمد الجيلى يقول . كان للشبلى جليس فأعلمه أنه يريد التوبة فقال . بع مالك ، واقض دينك ، وطلق امرأتك . ففعل . فقال : أيتم أولادك بأن تؤيسهم من التعلق بك فقال قد فعلت فجاء بكسر قدجمعها . فقال اطرحها بين يدى الفقراء وكل معهم .

أنبأنا أبو المظفر عبدالمنعم بن عبدالكريم نا أبى . قال : سمعت بعض الفقراء يقول سمعت أباالحسن الحرفانى يقول لاإله إلاالله من داخل القلب محمد رسول الله من القرط .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا ابن باكويه قال أخبرنا احمد بن محمد الحلفاى قال . رأى الشبلى فى الحمام غلاماً شاباً بلامئزر . فقال له ياغلام ألا تغطى عورتك . فقال له : اسكت يا بطال : ان كنت على الحق فلا تشهد إلا الحق ، وإن كنت على الباطل فلا تشهد إلا الباطل . لأن الحق مشتغل بالحق ، والباطل مشتغل بالباطل .

أنبأنا أبو بكر محمد بن أبى طاهر نا على بن المحسن التنوخى عن أبيه ثنى أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرافى الفقيه . قال حضرت بشيراز عند قاضيها أبى سعيد بشر بن الحسن الداودى ـ وقد ارتفع اليه صوفى وصوفية ـ قال وأمر الصوفية هناك مفرط جداً حتى يقال ان عددهم الوف فاستعدت الصوفية على زوجها إلى القاضى فلما حضرا قالت له : أيها القاضى ، ان هذا زوجى ويريد أن يطلقنى وليس له ذلك فان رأيت أن تمنعه . قال . فأخذ القاضى أبوسعيد يتعجب ـ وحنق على مذاهب الصوفية ـ ثم قال لها . وكيف ليس له ذلك قالت : لأنه تزوج بى ومعناه قائم بى والآن هو يذكر ان معناه قد انقضى منى وأنا معناى قائم فيه ما أنقضى فيجب عليه أن يصير حتى ينقضى معناى منه كما انقضى منعاه منى فقال لى أبو سعيد : كيف ترى هذا الفقه : ثم أصلح بينهما وخرجا من غير طلاق . وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب الأحياء ان بعضهم قال : للربوبية سرلوأظهر بطلت النبوةوللنبوة سر لو كشف لبطل العلم . وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام .

قلت : فانظهروا إخوانى إلى هذا التخليط القبيح والادعاء على الشريعة

أن ظاهرها يخالف باطنها قال أبو حامد : ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فقيل له : لو سألت الله أن يرده عليك فقال : اعترا ي عليه فيما يقضى أشد على من ذهاب ولدى .

قلت : لقد طال تعجبي من أبى حامد كيف يحكى هذه الأشياء فى معرض الاستحسان والرضى عن قائلها وهو يدرى أن الدعاء والسؤال ليس باعتراض وقال أحمد الغزالى : دخل يهودى الى أبى سعيد بن أبى الخير الصوفى . فقال له أريد أن أسلم على يديك فقال : لاترد فاجتمع الناس وقالوا : يا شيخ تمنعه من الاسلام فقال له : تريد بلا بد قال : نعم . قال له برئت من نفسك ومالك قال : نعم قال : هذا الاسلام عندى احملوه الآن الى الشيخ أبى حامد يعلم لا لا المنافقين . يعنى لاإله إلا الله قلت : وهذا الكلام أظهر عيباً من أن يعاب فانه فى غاية القبح . ومما يقارب هذه الحكاية فى دفع من أراد الاسلام . ما أخبرنا به أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت أخبرنى محمد بن احمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبي قال سمعت أبا على الحسين بن محمد بن احمد الماسرخسي يحكى عن جده وغيره من أهل بيته قال كان الحسن والحسين ابنا عيسى بن ماسرخس أخوين يركبان فيتحير الناس من حسنهما وزيهما فاتفقا على أن يسلما فقصدا حفص بن عبدالرحمن ليسلما على يده فقال لهما حفص أنتما من أجل النصارى وعبدالله بن المبارك خارج فى هذه السنة الحج واذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين فانه شيخ أهل المشرق والمغرب فانصرفا فمرض الحسين ومات على نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك فلما قدم أسلم الحسن قلت : وهذه المحنة إنما جلبها الجهل فليعرف قدر العلم لأنه لو كان عنده حظ من علم لقال أسلما الآن ولا يجوز تأخير ذلك لحظة واعجب من هذا أبو سعيد الذى قال لليهودى ما قال لأنه يريد الإسلام . وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع لمع المتصوفة قال : كان سهل بن عبدالله اذا مرض أحد من أصحابه يقول له: إذا أردت أن تشتكى فقل أوه فهو اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه المؤمن ولا تقل أفرج فانه اسم من أسماء الشيطان . فهذه نبذة من كلام القوم وفقههم نبهت على علمهم وسوء فهمهم وكثرة خطئهم . وقد سمعت أبا عبدالله حسين بن

على المقرى يقول سمعت أبا محمد عبدالله بن عطاء الهروى يقول سمعت عبد الرحمن ابن محمد بن المظفر يقول سمعت أبا عبد الرحمن بن الحسين يقول سمعت عبدالله بن الحسين السلامى يقول سمعت على بن محمد المصرى يقول سمعت أيوب بن سليمان يقول سمعت محمد بن محمد بن ادريس الشافعى يقول سمعت أبى يقول . صحبت الصوفية عشرة سنين ما استفدت منه إلا هذين الحرفين: الوقت سيف ، وأفضل العصمة أن لا تقدر .

﴿ ذكر تلبيس إبليس فى الشطح والدعاوى ﴾

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت واذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالباً عليهم والدعاوى بعيدة عنهم كما قال أبو بكر : ليتنى كنت شعرة فى صدر مؤمن . وقال عمر عند موته الويل لعمر ان لم يغفر له وقال ابن مسعود : ليتنى اذا مت لا أبعث وقالت عائشة رضى الله عنها : ليتنى كنت نسياً منسياً . وقال سفيان الثورى لحماد بن سلمة عند الموت ترجو أن يغفر لمثلى .

قال المصنف رحمه الله : وإنما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوة علمهم بالله وقوة العلم به تورث الخوف والخشية . قال الله عز وجل « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقال ﷺ « أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » ولما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوى .

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الفضل محمد بن على السهلكى قال : سمعت أبا عبدالله محمد بن عبدالله الشيرازى يقول ثنا أبو بكر عمر بن يمن ثنا أبو عمر الرهاوى ثنا احمد بن محمد الجزرى قال سمعت أبا موسى الدئيلى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : وددت ان قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتى على جهنم فسأله رجل ولم ذاك يا أبا يزيد فقال : انى أعلم أن جهنم اذا رأتنى تخمد فأكون رحمة للخلق . أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا ابن باكويه نى ابراهيم بن محمد نى حسن بن علوية نى طيفور بن عيسى نى أبو موسى الشبلى قال : سمعت أبا يزيد يقول : إذا كان

يوم القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فاسأله أن يدخلنى النار فقيل له لم : قال حتى تعلم الخلائق أن بره ولطفه فى النار مع أوليائه.

قال المصنف رحمه الله : هذا الكلام من أقبح الأقوال لانه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره من النار فانه عز وجل بالغ فى وصفها فقال : (واتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة) وقال : (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) الى غير ذلك من الآيات . وقد أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن أعين ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا اسماعيل ثنا مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ ان ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم . قالوا له الصحابة والله ان كانت لكافية يا رسول الله . قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها أخرجاه فى الصحيحين . وفى أفراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ انه قال : يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » . أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن احمد نا أبو على التميمى نا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن احمد ثنى أبى ثنا بهز بن أسد ثنا جعفر بن سليمان ثنا على بن زيد عن مطرف عن كعب قال قال عمر بن الخطاب : يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لازدرأت عملك مما ترى فأطرق عمر رضى الله عنه ملياً ثم أفاق قال : زدنا يا كعب قلت : يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها . فأطرق عمر ملياً ثم أفاق فقال : زدنا يا كعب قلت: يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مصطفى إلا خر جاثياً على ركبتيه ويقول رب نفسى نفسى لا أسألك اليوم غير نفسى . أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد نا حمد بن احمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ ثنا أبى ثنا احمد بن محمد بن الحسن البغدادى ثنا ابراهيم بن عبدالله الجنيد ثنا عبدالله ابن محمد بن عائشة ثنا سالم الخواص عن فرات بن السائب عن زاذان قال : سمعت كعب الأحبار يقول : اذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين

فى صعيد واحد ونزلت الملائكة وصارت صفوفاً فيقول يا جبرائيل ائتنى بجهنم فيأتى بها جبريل فتقاد بسبعين ألف زمام حتى اذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا جثى على ركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول فيفزع كل امرىء الى عمله حتى أن ابراهيم الخليل يقول بخلتى لا أسألك الا نفسى . ويقول موسى بمناجاتى لا أسألك الا نفسى . وان عيسى ليقول بما أكرمتنى لا أسألك الا نفسى لا أسألك مريم التى ولدتنى . قلت وقد روينا أن النبى ﷺ قال يا جبرائيل مالى أرى ميكائيل لا يضحك فقال : ما ضحك ميكائيل مذ خلقت النار وما جفت لى عين مذ خلقت جهنم مخافة أن أعصى الله فيجعلنى فيها. وبكى عبدالله بن رواحة يوماً فقالت : امرأته ما لك تبكى قال أنبئت انى وارد ولم أنبأ أنى صادر .

قال المصنف رحمه الله : فاذا كانت هذه حالة الملائكة والأنبياء والصحابة وهم المطهرون من الأدناس وهذا انزعاجهم لأجل النار فكيف هانت عند هذا المدعى ثم انه يقطع لنفسه بما لا يدرى به من الولاية والنجاة وهل قطع بالنجاة الا لقوم مخصوصين من الصحابة . وقد قال ﷺ « من قال انى فى الجنة فهو فى النار » وهذا محمد بن واسع يقول عند موته يا أخوتاه أتدرون أين يذهب بى يذهب بى والله الذى لا إله إلا هو الى النار أو يعفو عنى . قلت وهذا ان صح عن هذا المدعى فهذا غاية من تلبيس إبليس. وقد كان ابن عقيل يقول : قد حكى عن أبى يزيد انه قال . وما النار والله لئن رأيتها لأطفأنها بطرف مرقعتى أو نحو هذا قال . ومن قال هذا كائن من كان فهو زنديق يجب قتله فان الاهوان للشيء ثمرة الجحد لأن من يؤمن بالجن يقشعر فى الظلمة ومن لا يؤمن لا ينزعج وربما قال يا جن خذونى . ومثل هذا القائل ينبغى أن يقرب الى وجهه شمعة فاذا انزعج قيل له هذه جذوة من نار . أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبدالله الشيرازى يقول ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علوية يقول : سمعت طيفور الصغير يقول سمعت عمى خادم أبى يزيد يقول . سمعت أبا يزيد يقول

سبحانى سبحانى ما أعظم شأنى . ثم قال : حسبى من نفسى حسبى : قلت هذا إن صح عنه فربما يكون الراوى لم يفهم لأنه يحتمل أن يكون قد ذكر تمجيد الحق نفسه فقال فيه . « سبحانى » . حكاية عن الله لا عن نفسه . وقد تأوله له الجنيد بشىء إن لم يرجع إلى ماقلته فليس بشىء . فأنبأنا ابن ناصر ناالسهلكى نامحمد بن القاسم الفارسى سمعت الحسن بن على المذكر سمعت جعفرا الخلدى يقول . قيل للجنيد إن أبا يزيد يقول سبحانى سبحانى أنا ربى الأعلى :فقال الجنيد . إن الرجل مستهلك فى شهود الجلال فنطق بما استهلكه ، أذهله الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق فنعته . قلت وهـذا من الخرافات . أنبأنا الحسن عن محمد بن الفضل الكرمانى ناسهل بن على الخشاب، وأنبأنا أبو الوقت عبد الأول نااحمد بن أبى نصر الكوفانى ناالحسن بن محمد بن فوزى ناعبدالله ابن على السراج قال سمعت احمد بن سالم البصرى بالبصرة يقول فى مجلسه يوماً فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد لأن فرعون قال « أنا ربكم الأعلى » والرب يسمى به المخلوق يقال رب الدر . وقال أبو يزيد سبحانى سبحانى لا يجوز إلا لله . فقلت قد صح عندك هـذا عن أبى يزيد فقال قد قال ذلك . فقلت يحتمل أن يكون لهذا الكلام مقدمات يحكى بأن الله يقول سبحانى لأنا لو سمعنا رجلا يقول « لا إله إلا أنا » علمنا أنه يقرأ . وقد سألت جماعة من أهل بسطام من بيت أبى يزيد عن هـذا فقالوا لا تعرف هذا . أنبأنا ابن ناصر ناأبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبدالله الشيرازى يقول سمعت عامر بن احمد قال سمعت الكتانى يقول حدثنى أبو موسى الدئيلى قال سمعت أبا يزيد يقول . كنت أطوف حول البيت أطلبه فلما وصلت اليه رأيت البيت يطوف حولى . قال الشيرازى . وحدثنا إبراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علويه يقول سمعت طيفور الصغير يقول سمعت أبا يزيد يقول حججت أول حجة فرأيت البيت : وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت . وحججت الثالثة فلم أر البيت ولا صاحب البيت . قال الشيرازى وسمعت محمد بن دادويه يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت أبا موسى الدئيلى يقول سمعت أبا يزيد « وسئل عن اللوح المحفوظ » . قال ـ أنا اللوح المحفوظ . قال الشـيرازى وسمعت المظفر بن عيسى المراغى . يقول سمعت سيرين

يقول سمعت أباموسى الديلى .يقول قلت لأبى يزيد بلغنى أن ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل قال أنا أولئك الثلاثة فقلت كيف . قال قلبي واحد . وهمى واحد . وروحى واحد . قلت وبلغنى أن واحداً قلبه على قلب إسرافيل . قال وأنا ذلك الواحد ومثلى مثل بحر مصطلم لا أول له ولا آخر : قال السهلكى وقرأ رجل عند أبي يزيد « إن بطش ربك لشديد » فقال .أبو يزيد وحياته إن بطشى أشد من بطشه . وقيل لأبى يزيد . بلغنا إنك من السبعة . قال : أنا كل السبعة . وقيل له . إن الخلق كلها تحت لواء سيدنا محمد ﷺ فقال . والله ان لوائى أعظم من لواء محمد . لوائى من نور تحته الجن والإنس كلهم مع النبيين، وقال أبو يزيد . سبحانى سبحانى ما أعظم سلطانى ليس مثلى فى السماء يوجد ولا مثلى صفة فى الأرض تعرف أنا هو وهو أنا وهو هو. أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبدالباقى قالا نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا احمد ابن أبى عمران ثنا منصور بن عبدالله . قال سمعت أبى يقول قيل لأبى يزيد إنك من الابدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض ، فقال : أنا كل السبعة . أنبانا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا الحسين محمد بن القاسم الفارسى قال سمعت أبا نصر بن محمد بن إسماعيل البخارى يقول سمعت أبا الحسين على بن محمد الجرجانى يقول سمعت الحسن بن على بن سلام يقول دخل أبو يزيد مدينة فتبعه منها خلق كثير فالتفت اليهم فقال « إنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى » . فقالوا : جن أبو يزيد فتركوه ، قال : الفارسى وسمعت أبا بكر احمد بن محمد النيسابورى قال : سمعت ابا بكر احمد بن إسرائيل قال سمعت خالى على بن الحسين يقول سمعت الحسن بن على بن حياة يقول سمعت عمى وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخى أبى يزيد قال سمعت أبى يقول قال أبو يزيد : رفع بى مرة حتى قمت بين يديه. فقال لى. يا أبا يزيد إن خلق يحبون أن يروك . قلت ياعزيزى وأنا أحب أن يرونى. فقال يا أبايزيد إنى أريد أريكهم . فقلت ياعزيزى إن كانوا يحبون أن يرونى وأنت تريد ذلك وأنا لا أقدر على مخالفتك . قربنى بوحدانيتك ، وألبسنى ربانيتك ، وارفعنى إلى أحديتك . حتى إذا رآنى خلقك . قالوا رأيناك فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ففعل بى ذلك وأقامنى وزينى ورفعنى .

ثم قال اخرج إلى خلقي فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق خارجاً فلما كان من الخطوة الثانية غشي عليّ فنادى ردوا حبيبي فإنه لا يصبر عني ساعة . أنبانا ابن ناصر نا السهلكي . قال سمعت محمد بن إبراهيم الواعظ . يقول سمعت محمد بن محمد الفقيه يقول سمعت احمد بن محمد الصوفي يقول سمعت أباموسى يقول حكى عن أبي يزيد أنه قال أراد موسى عليه الصلاة السلام أن يرى الله تعالى . وأنا ما أردت أن أرى الله تعالى هو أراد أن يراني . أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبوسعد بن أبي صادق الحيرى ثنا أبو عبدالله ابن باكويه ثنا أبو الطيب بن الفرغاني قال سمعت الجنيد بن محمد يقول . دخل عليّ أمس رجل من أهل بسطام فذكر أنه سمع ابا يزيد البسطامي يقول : اللهم ان كان في سابق علمك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقي حتى لا تسع معي غيري .

قال المصنف رحمه الله : أما ماتقدم من دعاويه فمايخفى قبحها . وأما هذا القول فخطأ من ثلاثة أوجه . أحدها أنه قال ان كان في سابق علمك وقد علمنا قطعاً انه لا بد من تعذيب خلق بالنار وقد سمى الله عز وجل منهم خلقاً . كفرعون وأبي لهب فكيف يجوز أن يقال بعد القطع واليقين إن كان . والثاني قوله تعظم خلقي فلو قال لادفع عن المؤمنين ولكنه قال حتى لاتسع غيري فاشفق على الكفار أيضاً وهذا تعاط على رحمة الله عز وجل . والثالث أن يكون جاهلا بقدر هذه النار أو واثقاً من نفسه بالصبر وكلا الأمرين معدوم عنده قلت : ثم قال والله لقد تكلمت أمس مع الخضر في هذه المسألة : وكانت الملائكة يستحسنون قولي . والله عز وجل يسمع كلامي فلم يعب عليّ ولو عاب عليّ لاخرسني . قلت لولا أن هذا الرجل قد نسب إلى التغير لكان ينبغي أن يرد عليه . وأين الخضر ومن أين له أن الملائكة تستحسن قوله . وكم من قول معيب لم يعاجل صاحبه بالعقوبة وقد بلغني عن ميمون عبده قال بلغني عن سمنون المحب أنه كان يسمى نفسه الكذاب بسبب أبياته التي قال فيها .

وليس لي في سواك حظ فكيفما ما شئت فامتحني

فابتلي بحبس البول فلم يقر له قرار فكان بعد ذلك يطوف على المكاتب وبيده قارورة يقطر منها بوله ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب .

قال المصنف رحمه الله : إنه ليقشعر جلدى من هذه أتراه على مايتقاوى وإنما هذه ثمرة الجهل بالله سبحانه وتعالى ولو عرفه لم يسأله إلا العافية . وقد قال من عرف الله كلّ لسانه . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال : سمعت محمد بن داود الجوزجانى يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول : كنت أرد هذه الكرامات حتى حدثنى الثقة عن أبى الحسين النورى وسألته فقال كذا كان . قال : كنا فى سميرية فى دجلة فقالوا لأبى الحسين أخرج لنا من دجلة سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقٍ فحرك شفتيه . فاذا سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقى ظهرت من الماء حتى وقعت فى السميريه . فقيل لأبى الحسين : سألناك بالله إلا أخبرتنا بماذا دعوت فقال : قلت وعزتك لئن لم تخرج من الماء حوتاً فيها ثلاث أرطال وثلاث أواقى لأغرقن نفسى فى دجلة . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر ابن ثابت قال أخبرنى عبد الصمد بن محمد الخطيب ثنا الحسن بن الحسين الهمدانى قال سمعت جعفراً الخلدى سمعت الجنيد يقول سمعت النورى يقول : كنت بالرقة فجاءنى المريدون الذين كانوا بها . وقالوا . نخرج ونصطاد السمك . فقالوا لى يا أبا الحسين هات من عبادتك واجتهادك وما أنت عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص . فقلت لمولاى إن لم تخرج إلى الساعة سمكة فيها ما قد ذكروا لأرمين بنفسى فى الفرات . فأخرجت سمكة فوزنتها فاذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان . قال الجنيد : فقلت له يا أبا الحسين لو لم تخرج كنت ترمى بنفسك قال نعم . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه نا أبو يعقوب الخراط . قال قال لى أبو الحسين النورى كان فى نفسى من هذه الكرامات شىء وأخذت من الصبيان قصبة وقمت بين زورقين وقلت وعزتك لئن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص لا آكل شيئاً . قال فبلغ ذلك الجنيد فقال : كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت على بن محمد بن أبان قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول : أكبر ذنبى إليه معرفتى إياه .

قال المصنف رحمه الله . هذا ان حمل على معنى انى لما عرفته لم أعمل بمقتضى معرفته فعظم ذنبي كما يعظم جرم من علم وعصى وإلا فهو قبيح . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنى احمد الحلفاى قال سمعت الشبلى يقول : أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك . أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب . وأخبرنا أبو الوقت نا احمد بن أبي نصر نا الحسن بن محمد بن فورى قالا نا عبد الله ابن على السراج قال سمعت أبا عبدالله احمد بن محمد الهمدانى يقول . دخلت على الشبلى فلما قمت لأخرج كان يقول لى ولمن معى الى أن خرجنا من الدار مروا أنا معكم حيث ما كنتم وأنتم فى رعايتى وكلاءتى . نا محمد بن ناصر نا أبو عبدالله الحميدى نا أبو بكر محمد بن احمد الاردستانى نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت منصور بن عبد الله يقول . دخل قوم على الشبلى فى مرض موته الذى مات فيه . فقالوا كيف تجدك يا أبا بكر فأنشأ يقول :

ان سلطان حبه ... قال لا أقبل الرشا
فسلوه فديته ... ما لقتلى تحرشا

قال ابن عقيل وقد حكى عن الشبلى أنه قال أن الله سبحانه وتعالى . قال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) . والله لا رضى محمد ﷺ وفى النار من أمته أحد . ثم قال ان محمداً يشفع فى أمته وأشفع بعده فى النار حتى لا يبقى فيها أحد قال ابن عقيل والدعوى الأولى على النبى ﷺ كاذبة فإن النبى ﷺ يرضى بعذاب الفجار . كيف وقد لعن فى الخمر عشرة . فدعوى أنه لا يرضى بتعذيب الله عز وجل للفجار دعوى باطلة وإقدام على جهل بحكم الشرع . ودعواه بأنه من أهل الشفاعة فى الكل وأنه يزيد على محمد ﷺ كفر لأن الإنسان متى قطع لنفسه بأنه من أهل الجنة كان من أهل النار فكيف وهو يشهد لنفسه بأنه على مقام يزيد على مقام النبوة بل يزيد على المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى . قال ابن عقيل والذى يمكننى فى حق أهل البدع لسانى وقلبى ولو اتسعت قدرتى فى السيف لرويت الثرى من دماء خلق .

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت أخبرنا جعفر بن احمد ثنا أبو طاهر محمد ابن على العلاف سمعت أبا الحسين بن سمعون سمعت أبا عبد الله العلقى

صاحب أبا العباس بن عطاء سمعت أبا العباس بن عطاء يقول . قرأت القرآن فما رأيت الله عز وجل ذكر عبداً فأثنى عليه حتى ابتلاه . فسألت الله تعالى أن يبتليني فما مضت الأيام والليالى حتى خرج من دارى نيف وعشرون ميتاً ما رجع منهم أحد . قال وذهب ماله ، وذهب عقله ، وذهب ولده وأهله . فمكث بحكم الغلبة سبع سنين أو نحوها . وكان أول شيء قاله بعد صحوه من غلبته حقا أقول لقد كلفتنى شططا حملى هواك وصبرى ان ذا عجب

قلت : قلة علم هذا الرجل أثمر ان سأل البلاء . وفى سؤال البلاء معنى التقاوى وذاك من أقبح القبيح . و ـ الشطط ـ الجور ولا يجور أن ينسب إلى الله تعالى . وأحسن ما حمل عليه حاله أن يكون قال هذا البيت فى زمان التغير ، أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا احمد بن على بن خلف نا محمد بن الحسين السلمى سمعت أبا الحسن على بن ابراهيم الحصرى . يقول ، دعونى وبلائى ألستم أولاد آدم الذى خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأمره بأمره فخالفه ، إذا كان أول الدن دردى كيف يكون آخره ، قال وقال الحصرى كنت زماناً إذا قرأت القرآن لا أستعيذ من الشيطان وأقول الشيطان حتى يحضر كلام الحق .

قال المصنف رحمه الله قلت : أما القول الأول بأنه يتسلط على الأنبياء جرأة قبيحة وسوء أدب . وأما الثانى فمخالف لما أمر الله عز وجل به فإنه قال « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله » أخبرنا أبو بكر بن أبى طاهر نا عباد ابن ابراهيم النسفى ثنا محمد بن الحسين السلمى قال وجدت فى كتاب أبى بخطه سمعت أبا العباس احمد بن محمد الدينورى يقول . قد نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامى أحدثوها سموا الطبع زيادة ، وسوء الأدب إخلاصا ، والخروج عن الحق شطحا ، والتلذذ بالمذموم طيبة وسوء الخلق صولة ، والبخل جلادة . واتباع الهوى ابتلاء ، والرجوع إلى الدنيا وصولا والسؤال عملا . وبذأ اللسان ملامة وما هذا طريق القوم . وقال ابن عقيل عبرت الصوفية عن الحرام بعبارات غيروا لها الأسماء مع حصول المعنى فقالوا فى الاجتماع على الطيبة والغناء والخنكرة ، أوقات . وقالوا فى المردان شب وفى المعشوقة أخت . وفى المحبة مريدة وفى الرقص والطرب

وجد ، وفى مناخ اللهعود والبطالة رباط . وهذا التغيير للاسماء لا يباح .

﴿ بيان جملة مروية على الصوفية من الأفعال المنكرة ﴾

قلت . قد سبق ذكر أفعال كثيرة لهم كلها منكرة وإنما نذكر ههنا من امهات الأفعال وعجائبها . أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد أنبأنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى نا أبو الحسن سهل بن على الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن على السراج . قال ذكر عن أبى الكريتى ـ وكان أستاذ الجنيد ـ انه أصابته جنابة . وكان عليه مرقعة ثخينة . فجاء إلى شاطىء الدجلة والبرد شديد فحرنت نفسه عن الدخول فى الماء لشدة البرد فطرح نفسه فى الماء مع المرقعة ولم يزل يغوص ثم خرج . وقال :عقدت أن لا أنزعها عن بدنى حتى تجف علىّ فلم تجف عليه شهراً .

أخبرنا عبدالرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت ثنا عبدالعزيز ابن على ثنا على بن عبدالله الهمدانى ثنا الخلدى ثنى جنيد قال سمعت أباجعفر ابن الكريتى يقول أصبت ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت فى نفسى تأخراً وتقصيراً وحدثتنى نفسى لو تركت حتى تصبح ويسخن لك الماء . أو تدخل حماماً . والا اعيأ على نفسك . فقلت واعجبا أنا أعامل الله تعالى فى طول عمرى . يجب له على حق لا أجد المسارعة اليه . وأجد الوقوف والتباطؤ والتأخر . آليت لا أغتسل الا فى نهر .وآليت لا أغتسلت الا فى نهر . وآليت لا اغتسلت الا فى مرقعتى هذه . وآليت لا أعصرنها وآليت لا اجففنها فى شمس .أو كما قال . قلت قدسبق فى ذكر المرقعات وصف هذه المرقعة لابن الكريتى وأنه وزن أحد كميها فكان فيه أحد عشر رطلاً وإنما ذكر هذا للناس ليبين أنى فعلت الحسن الجميل . وحكوه عنه ليبين فضله وذلك جهل محض لأن هذا الرجل عصى الله سبحانه وتعالى بما فعل . وإنما يعجب هذا الفعل العوام الحمقى لا العلماء . ولا يجوز لأحد أن يعاقب نفسه فقد جمع هـذا المسكين لنفسه فنوناً من التعذيب : إلقاؤها فى الماء البارد ، وكونه فى مرقعة لا يمكنه الحركة فيها كما يريد . ولعله قد بقى من مغابنه مالم يصل اليه الماء لكثافة هذه المرقعة ، وبقاءها عليه مبتلة شهراً وذلك يمنعه

لذة النوم . وكل هذا الفعل خطأ واثم وربما كان ذلك سبباً لمرضه أو قتله .

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قال أخبرنا حمد بن احمد بن عبدالله الاصبهانى ، قال : كانت أم على زوجة احمد بن حضرويه قد أحلت زوجها احمد من صداقها على أن يزوربها أبا يزيد البسطامى فحملها اليه فدخلت عليه وقعدت بين يديه مسفرة عن وجهها . فلما قال لها أحمد: رأيت منك عجبا . أسفرت عن وجهك بين يدى أبى يزيد : قالت لأنى لما نظرت اليه فقدت حظوظ نفسى . وكلما نظرت اليك رجعت إلىّ حظوظ نفسى . فلما أراد احمد الخروج من عند أبى يزيد قال له أوصنى . قال تعلم الفتوة من زوجتك .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا بن باكويه سمعت أبا بكر الفازى «وفاز قرية بطرسوس. سمعت أبا بكر السباك سمعت يوسف ابن الحسين يقول : كان بين احمد بن أبى الحوارى وبين أبى سليمان عقد أن لايخالفه فى شىء يؤمره به فجاءه يوماً وهو يتكلم فى المجلس فقال ان التنور قد سجرناه فما تأمرنا فما أجابه فأعاد مرة أو مرتين فقال له فى الثالثة اذهب واقعد فيه ففعل ذلك . فقال أبو سليمان ألحقوه فإن بينى وبينه عقداً أن لايخالفنى فى شىء آمره به فقام وقاموا معه فجاؤا إلى التنور فوجدوه قاعداً فى وسطه فأخذ بيده وأقامه فما أصابه خدش .

قال المصنف رحمه الله :هذه الحكاية بعيدة الصحة ولو صحت كان دخوله النار معصية. وفى الصحيحين من حديث على رضى الله عنه قال بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليها رجلا من الأنصار فلما خرجوا وجد عليهم فى شىء فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعونى قالوا بلى قال فاجمعوا حطباً فجمعوا ثم دعا بنار فأضرمها ثم قال عزمت عليكم لتدخلنها قال فهم القوم ان يدخلوها فقال لهم شاب إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا النبى ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوا فرجعوا إلى النبى ﷺ فاخبروه فقال لهم رسول الله ﷺ «لو دخلتموها ماخرجتم منها أبداً إنما الطاعة فى المعروف» . أخبرنا عبدالرحمن بن محمد القزاز نا احمد ابن على بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ أخبرنى الحسن بن جعفر بن على أخبرنى

عبدالله بن إبراهيم الجزرى قال : قال أبوالخير الديلى كنت جالساً عند خير النساج فأتته امرأة وقالت له اعطينى المنديل الذى دفعته اليك قال نعم فدفعه اليها قالت كم الأجرة قال درهمان قالت ما معى الساعة شيء وأنا قد ترددت اليك مراراً فلم أراك وأنا آتيك به غداً إن شاء الله تعالى فقال لها خير ان أتتينى بهما ولم تجدينى فارمى بهما فى دجلة فإنى إذا جئت أخذتهما فقالت المرأة كيف تأخذمن دجلة فقال لها خيرهذا التفتيش فضول منك افعلى ماأمرتك. قالت ان شاءالله فمرت المرأة قال أبوالحسين فجئت من الغد وكان خير غائباً وإذا المرأة قد جاءت ومعها خرقة فيها درهمان فلم تجده فرمت بالخرقة فى دجلة وإذا بسرطان قد تعلقت بالخرقة وغاصة وبعدساعةجاءخيروفتح باب حانوته وجلس على الشط يتوضأ وإذا بسرطان قد خرجت من الماء تسعى نحوه والخرقة علىظهرها فلما قربت من الشيخ أخذها . فقلت له رأيت كذا وكذا فقال أحب أن لا تبوح به فى حياتى فأجبته إلى ذلك .

قال المصنف رحمه الله : صحة مثل هذا تبعد ، ولو صح لم يخرج هذا الفعل من مخالفةالشرع لأن الشرع قد أمر بحفظ المال وهذا إضاعة . وفى الصحيح أن النبى ﷺ « نهى عن إضاعة المال » ولاتلتفت إلىقول من يزعم أن هذا كرامة لأن الله عزوجل لايكرم مخالفاً لشرعه .أخبرنا أبومنصور القزاز نا أبوبكر بن ثابت نا أبونعيم الحافظ سمعت أباالفرج الوريانى سمعت على بن عبد الرحيم يقول : دخلت على النورى ذات يوم فرأيت رجليه منتفختين فسألته عن أمره . فقال طالبتنى نفسى بأكل التمر فجعلت أدافعها فتأبى علىّ فخرجت فاشتريت . فلما ان اكلت قلت لها قومى فصلى فأبت علىّ فقلت لله على ان قعدت إلى الأرض أربعين يوماً إلا فى التشهد فما قعدت قلت من سمع هذا من الجهال يقول ما أحسن هذه المجاهدة ولا يدرى أن هذا الفعل لا يحل لأنه حمل على النفس ما لا يجوز ومنعها حقها من الراحة وقد حكى أبو حامد الغزالى فى كتاب الاحياء قال كان بعض الشيوخ فى بداية إرادته يكسل عن القيام فالزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع قال وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه فى البحر

إذا خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل : قال وكان بعضهم يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس لعود نفسه الحلم قال وكان آخر يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعاً .

قال المصنف رحمه الله : أعجب من جميع هؤلاء عندى أبو حامد كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرها . وكيف ينكرها وقد أتى بها فى معرض التعليم وقال قبل أن يورد هذه الحكايات : ينبغى للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدىء فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر حاجته أخذه وصرفه فى الخير وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه . وان رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للكد ويكلفه السؤال والمواظبه على ذلك . وان رأى الغالب عليه البطالة استخدمه فى بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان، وان رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم . وان رآه عزبا ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره إن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأساً .

قلت : وأنى لأتعجب من أبى حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التى تخالف الشريعة وكيف يحل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم إلى وجهه ويورثه ذلك مرضاً شديداً وكيف يحل رمى المال فى البحر . وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال . وهل يحل سب مسلم بلا سبب . وهل يجوز للمسلم أن يستاجر على ذلك وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه وذلك زمان قد سقط فيه الخطاب بأداء الحج . وكيف يحل السؤال لمن يقدر أن يكتسب . فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالى الفقه بالتصوف .

أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى نا أبو على عبد الله بن ابراهيم النيسابورى ثنا أبو الحسن على بن جهضم ثنا أبو صالح الدامغانى عن الحسن ابن على الدامغانى . قال : كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن مجلس أبى يزيد لا يفارقه . فقال له ذات يوم . يا أستاذ . أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست أجد فى قلبى من هذا الذى تذكره شيئا البتة . فقال له أبو يزيد لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ثلاثمائة سنة وأنت على

ما أراك لا تجد من هذا العلم ذرة . قال ولم يا أستاذ . قال : لأنك محجوب بنفسك فقال له : أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب قال : نعم ولكنك لم تقبل قال : بلى أقبل وأعمل ما تقول . قال أبو يزيد أذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع عنك هذا اللباس وابرز بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة واملأها جوزاً واجمع حولك صبياناً وقل باعلا صوتك ياصبيان . من يصفعنى صفعة أعطيه جوزة وادخل إلى سوقك الذى تعظم فيه . فقال يا أبا يزيد سبحان الله تقول لى مثل هذا ويحسن أن أفعل هذا . فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك . قال وكيف قال لأنك عظمت نفسك فسبحتها . فقال يا أبا يزيد هذا ليس أقدر عليه ولا أفعله ولكن دلنى على غيره حتى أفعله . فقال أبو يزيد ابتدر هذا قبل كل شىء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك ما يصلح لك قال : لا أطيق هذا . قال . انك لا تقبل .

قال المصنف رحمه الله قلت . ليس فى شرعنا بحمد الله من هذا شىء بل فيه تحريم ذلك والمنع منه وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام « ليس للمؤمن أن يذل نفسه » ولقد فاتت الجمعة حذيفة فرأى الناس راجعين فاستتر لئلا يرى بعين النقص فى قصة الصلاة . وهل طالب الشرع أحداً بمحو أثر النفس وقد قال ﷺ « من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله » كل هذا للابقاء على جاه النفس . ولو أمر بهلول الصبيان أن يصفعوه لكان قبيحاً فنعوذ بالله من هذه العقول الناقصة التى تطالب المبتدىء بما لا يرضاه الشرع فينفر .

وقد حكى أبو حامد الغزالى فى كتاب الأحياء عن يحي بن معاذ انه قال قلت لأبى يزيد هل سألت الله تعالى المعرفة يقال عزت عليه أن يعرفها سواه . فقلت هذا إقرار بالجهل فإن كان يشير إلى معرفه الله تعالى فى الجملة وأنه موجود وموصوف بصفات وهذا لا يسمع أحداً من المسلمين جهله وإن تخايل له أن معرفته هى اطلاع على حقيقة ذاته وكنهها فهذا جهل به .

وحكى أبو حامد : أن ابا تراب النخشبى قال لمريد له . لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة ، قلت . وهذا فوق الجنون بدرجات .

وحكى أبو حامد الغزالى عن ابن الكرينى انه قال نزلت فى محلة فعرفت فيها بالصلاح فنشب فى قلبي فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتى وخرجت فجعلت أمشى قليلا قليلا فلحقونى فنزعوا مرقعتى وأخذوا الثياب وصفعونى فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسى . قال أبو حامد . فهكذا كانوا يرضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس وأرباب الأحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا فى الحمام. قلت سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الاحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذى لا يحل: والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمى أصحابه أرباب أحوال وأى حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة فى النهى عنه وكيف يجوز ان يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصى وقد عدم فى الشريعة ما يصلح به قلبه حتى يستعمل مالا يحل فيها وهذا من جنس ما تفعله الامراء الجهلة من قطع من لا يجب قطعه وقتل من لا يجوز قتله ويسمونه سياسة ومضمون ذلك الشريعة ماتفى بالسياسة . وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال عنه سارق وهل يجوز أن يقصد وهن دينه ومحو ذلك عند شهداء الله فى الأرض ولو أن رجلا وقف مع امرأته فى طريق يكلمها ويلمسها ليقول عنه من لا يعلم هذا فاسق لكان عاصياً بذلك، ثم كيف يجوز التصرف فى مال الغير بغير إذنه . ثم فى نص مذهب احمد والشافعى أن من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ وجب قطع يده ثم من أرباب الأحوال حتى يعملوا بواقعاتهم كلا والله إن لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه . فعجبى من هذا الفقيه المستلب عن الفقه بالتصوف أكثر من تعجبى من هذا المستلب الثياب .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا بن باكويه قال : سمعت محمد بن احمد النجارى يقول . كان على بن بابويه من الصوفية فاشترى

يوماً من الأيام قطعة لحم فأحب أن يحمله إلى البيت فاستحيا من أهل السوق فعلق اللحم فى عنقه وحمله إلى بيته .

قلت : واعجبا من قوم طالبوا أنفسهم بمحو أثر الطبع وذلك أمر لا يمكن ولا هو مراد الشرع . وقد ركز فى الطباع إن الإنسان لا يحب أن يرى إلا متجملا فى ثيابه وأنه يستحيي من العرى وكشف الرأس . والشرع لا ينكر عليه هذا . وما فعله هذا الرجل من الإهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح فى الشرع والعقل فهو إسقاط مروءة لا رياضة كما لو حمل نعليه على رأسه .

وقد جاء فى الحديث « الأكل فى السوق دناءة » فان الله قد أكرم الآدمى وجعل لكثير من الناس من يخدمه . فليس من الدين إذلال الرجل نفسه بين الناس . وقد تسمى قوم من الصوفية بالملامتية فاقتحموا الذنوب فقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فسلم من آفات الجاه والمرائين . وهؤلاء مثلهم كمثل رجل زنى بامرأة فأحبلها . فقيل له : لم تعزل . فقال بلغنى أن العزل مكروه . فقيل له : وما بلغك أن الزنا حرام . وهؤلاء الجهلة قد أسقطوا جاههم عند الله سبحانه ونسوا أن المسلمين شهداء الله فى الأرض . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا بن باكويه قال سمعت أبا احمد الصغير سمعت أبا عبد الله بن خفيف سمعت أبا الحسن المدينى . يقول خرجت مرة من بغداد إلى نهر الناشرية وكان فى إحدى قرى ذلك النهر رجل يميل إلى أصحابنا فبينا أنا أمشى على شاطىء النهر رأيت مرقعة مطروحة ونعلا وخريقة فجمعتها وقلت هذه لفقير . ومشيت قليلا فسمعت همهمة وتخبيطاً فى الماء . فنظرت فإذا بأبى الحسن النورى قد ألقى نفسه فى الماء والطين وهو يتخبط ويعمل بنفسه كل بلاء . فلما رأيته علمت أن الثياب له فنزلت اليه فنظر إلىّ ، وقال يا أبا الحسن أما ترى ما يعمل بى . قد أماتنى موتات وقال لى مالك منا الا الذكر الذى لسائر الناس . وأخذ يبكى ويقول ترى ما يفعل بى . فازلت أرفق به حتى غسلته من الطين وألبسته المرقعة وحملته إلى دار ذلك الرجل . فأقمنا عنده إلى العصر ثم خرجنا إلى المسجد فلما كان وقت المغرب رأيت الناس يهربون ويغلقون الأبواب ويصعدون السطوح فسألناهم فقالوا : السباع

تدخل القرية بالليل . وكان حوالى القرية أجمة عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين . فلما سمع النورى هذا الحديث قام فرمى بنفسه فى الأجمة على أصول القصب المقطوع ويصيح ويقول . أين أنت ياسبع . فما شككنا أن الأسد قد افترسه أو قد هلك فى أصول القصب . فلما كان قريب الصبح جاء فطرح نفسه وقدهلكت رجلاه فأخذنا بالمنقاش ماقدرنا عليه فبقى أربعين يوماً لا يمشى على رجليه . فسألته أى شيء كان ذلك الحال. قال : لماذكروا السبع وجدت فى نفسى فزعاً فقلت لأطرحنك إلى ماتفزعين منه .

قلت : لا يخفى على عاقل تخبيط هذا الرجل قبل أن يقع فى الماء والطين . وكيف يجوز للانسان أن يلقى نفسه فى ماء وطين وهل هذا إلا فعل المجانين وأين الهيبة والتعظيم من قوله : ترى ما يفعل بى وما وجه هذا الانبساط وينبغى أن تجف الألسن فى أفواهها هيبة . ثم ما الذى يريده غير الذكر ولقد خرج عن الشريعة بخروجه إلى السبع ومشيه على القصب المقطوع . وهل يجوز فى الشرع أن يلقى الإنسان نفسه إلى سبع . أترى أراد منها أن يغير ما طبعت عليه من خوف السباع ليس هذا فى طوقها ولا طلبه الشرع منها . ولقد سمع هذا الرجل بعض أصحابه يقول مثل هذا القول فأجابه بأجود جواب . أخبرنا محمد بن عبد الله بن حبيب نا على بن أبى صادق نا ابن باكويه نا يعقوب الخواط نا ابواحمد المغازى قال : رأيت النورى وقد جعل نفسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهو يقول : من الخلق أوحشتنى ، ومن النفس والمال والدنيا افقرتنى . ويقول ما معك إلا علم وذكر قال فقلت له إن رضيت وإلا فانطح برأسك الحائط . أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب نا عبدالله بن على السراج قال سمعت أبا عمرو بن علوان يقول حمل أبو الحسين النورى ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له : وجلس على قنطرة وجعل يرمى واحداً واحدا منها إلى الماء ويقول . جئتى - تريدى أن تخدعينى منك بمثل هذا . قال السراج . فقال بعض الناس لو نفقها فى سبيل الله كان خيراً له . فقلت . إن كانت تلك الدنانير تشغله عن الله طرفة عين كان الواجب

أن يرميها فى الماء دفعة واحدة حتى يكون أسرع لخلاصه من فتنتها كما قال الله عز وجل (فطفق مسحاً بالسوق والأعناق) قلت : لقد أبان هؤلاء القوم عن جهل بالشرع وعدم عقل . وقد بينا فيما تقدم أن الشرع أمر بحفظ المال وأن لا يسلم إلا الى رشيد ، وجعله قواماً للآدمى ، والعقل يشهد بأنه إنما خلق للمصالح : فاذا رمى به الانسان فقد أفسد ما هو سبب صلاحه وجهل حكمة الواضع ، واعتذار السراج له أقبح من فعله . لأنه ان كان خاف فتنته فينبغى أن يرميه الى فقير ويتخلص ، ومن جهل هؤلاء حملهم تفسير القرآن على رأيهم الفاسد لأنه يحتج بمسح السوق والأعناق ، ويظن بذلك جواز الفساد والفساد لايجوز فى شريعة ، وإنما مسح بيده عليها وقال أنت فى سبيل الله وقد سبق بيان هذا ، وقال أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال أبو جعفر الدراج ، خرج أستاذى يوماً يتطهر فأخذت كتفه ففتشته فوجدت فيه شيئاً من الفضة مقدار أربعة دراهم وكان ليلا وبات لم يأكل شيئاً . فلما رجع قلت له ، فى كتفك كذا وكذا درهما ونحن جياع ، فقال أخذته ؟ رده ، ثم قال لى بعد ذلك : خذه واشتر به شيئاً ، فقلت له ، بحق معبودك ما أمر هذه القطع فقال : لم يرزقنى الله من الدنيا شيئاً غيرها فأردت أن أوصى أن تدفن معى فاذا كان يوم القيامة رددتها الى الله وأقول هذا الذى أعطيتنى من الدنيا . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا عبدالواحد بن بكر قال سمعت أبا بكر الجوال سمعت أبا عبدالله الحصرى يقول ، مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشائين فيتصدق من الأبواب ما يفطر عليه .

قال المصنف رحمه الله قلت : لو علم هذا الرجل أن المسألة لا تجوز لمن يقدر على الاكتساب لم يفعل ، ولو قدرنا جوازها ، فأين أنفة النفس من ذل الطلب ، أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التميمى نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل ثنى أبى ثنا اسماعيل ثنا معمر عن عبدالله بن مسلم أخى الزهرى عن حمزة بن عبدالله بن عمر عن أبيه . قال قال رسول الله ﷺ . لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله عز وجل وما على وجهه

مزعة لحم . قال احمد وحدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن الزبير ابن العوام قال : قال رسول الله ﷺ لأن يأخذ الرجل حبلا فيحتطب ثم يجيء فيضعه فى السوق فيبيعه ثم يستغنى به فينفقه على نفسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه

قلت : انفرد به البخارى واتفقا على الذى قبله ، وفى حديث عبدالله بن عمرو عن النبى ﷺ انه قال : لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى — والمرة — القوة ، وأصلها من شدة فتل الحبل يقال أمررت الحبل اذا أحكمت فتله . فمعنى المرة فى الحديث شدة أمر الخلق وصحة البدن التى يكون معها احتمال الكل والتعب . قال الشافعى رضى الله عنه : لا تحل الصدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب . أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر ابن ثابت أنبأنا أبو سعد المالينى قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الواحد الهاشمى سمعت أبا الحسن يونس بن أبى بكر الشبلى يقول قام أبى ليلة فترك فرد رجل على السطح والأخرى على الدار . فسمعته يقول لئن أطرفت لأرمين بك إلى الدار فما زال على تلك الحال حتى أصبح فلما أصبح قال لى : يا بنى ما سمعت الليلة ذاكراً لله عز وجل إلا ديكا يساوى دانقين .

قال المصنف رحمه الله : هذا الرجل قد جمع بين شيئين لا يجوزان . أحدهما : مخاطرته بنفسه فلو غلبه النوم فوقع كان معيناً على نفسه ولا شك انه لو رمى بنفسه كان قد أتى معصية عظيمة فتعرضه للوقوع معصية ، والثانى . انه منع عينه حظها من النوم . وقد قال ﷺ ان لجسدك عليك حقاً وان لزوجتك عليك حقاً . وان لعينك عليك حقاً وقال : اذا نعس أحدكم فليرقد . ومر بحبل قد مدته زينب فاذا فترت أمسكت به فأمر بحله . وقال ليصل أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليقعد وقد تقدمت هذه الأحاديث فى كتابنا هذا . أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو عبدالله الحميدى نا أبو بكر الأردستانى ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا العباس البغدادى يقول : كنا نصحب أبا الحسن بن أبى بكر الشبلى ونحن أحداث ، فأضافنا ليلة فقلنا بشرط أن لا تدخل علينا أباك ، فقال لا يدخل . فدخلنا داره فلما أ كنا اذا نحن بالشبلى وبين كل

أصبعين من أصابعه شمعة ـ ثمان شموع ـ فجاء وقعد وسطنا فاحتشمنا منه، فقال يا سادة عدونى فيما بينكم طشت شموع، ثم قال أين غلامى أبو العباس فتقدم اليه فقال غنى الصوت الذى كنت تغنى :

ولما بلغ الحيرة حادى جملى حارا
فقلت احطط بها رحلى ولا تحفل بمن سارا [1]

فغنيته فتغبر وألقى الشموع من يده وخرج . أخبرنا ابن ناصر ثنا هبة الله ابن عبدالله الواسطى نا أبو بكر احمد بن على الحافظ نا محمد بن احمد بن أبى الفوارس نا الحسين بن احمد بن عبد الرحمن الصفار قال خرج الشبلى يوم عيد وقد حلق اشفار عينيه وحاجبيه وتعصب بعصابة وهو يقول :

للناس فطر وعيد . انى فريد وحيد

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا احمد بن على بن ثابت نا التنوخى نا أبو الحسن على بن محمد بن أبى سابر الدلال قال : وقفت على الشبلى فى قبة الشعراء فى جامع المنصور والناس مجتمعون عليه فوقف عليه فى الحلقة غلام جميل لم يكن ببغداد فى ذلك الوقت أحسن وجها منه يعرف بابن مسلم فقال له : تنح فلم يبرح فقال له الثانية تنح يا شيطان عنا فلم يبرح فقال له فى الثالثة تنح وإلا والله خرقت كل ما عليك وكانت عليه ثياب فى غاية الحسن تساوى جملة كثيرة فانصرف الفتى فقال الشبلى :

طرحوا اللحم للبزا ة على ذروتى عدن
ثم لاموا البزاة إذ خلعوا منهم الرسن
لو أرادوا صلاحنا ستروا وجهك الحسن

قال ابن عقيل من قال هذا فقد أخطأ طريق الشرع . لأنه يقول ما خلق الله عز وجل هذا الانسان إلا للافتتان به . وليس كذلك وإنما خلقه للاعتبار والامتحان فان الشمس خلقت لتضىء لا لتعبد . وباسناد عن احمد بن محمد النهاوندى يقول مات للشبلى ابن ولد كان اسمه علياً فجزّت أمه شعرها عليه،

(١) كذا فى النسخة وسقطت هذه الحكاية وما بعدها فى النسخة الثانية

وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلقها جميعها فقيل له : يا أستاذ ما حملك على هذا فقال . جزت هذه شعرها على مفقود ، ألا أحلق أنا لحيتي على موجود . وباسناد عن عبدالله بن على السراج قال : ربما كان الشبلي يلبس ثياباً مثمنة ثم ينزعها ويضعها فوق النار ، قال : وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار يبخر بها ذنب الحمار وقال بعضهم : دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر يحرقه بالنار قال السراج : إنما أحرقه بالنار لأنه كان يشغله عن ذكر الله قلت : اعتذار السراج عنه أعجب من فعله ، قال السراج وحكى عنه أنه باع عقاراً ففرق ثمنه وكان له عيال فلم يدفع اليهم شيئاً ، وسمع قارئاً يقرأ « اخسئوا فيها » ، فقال ليتني كنت واحداً منهم ، قلت وهذا الرجل ظن ان الذى يكلمهم هو الله تعالى والله لا يكلمهم ثم لو كلمهم كلام إهانة فأى شيء هذا حتى يطلب ، قال السراج ، وقال الشبلي يوماً فى مجلسه إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفؤها ، قلت ، وهذا من جنس ما ذكرناه عن أبي يزيد وكلاهما من إناء واحد ، وباسناد عن أبى على الدقاق يقول : بلغنى أن الشبلي اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم .

قال المصنف رحمه الله : وهذا فعل قبيح لا يحل لمسلم أن يؤذى نفسه وهو سبب للعمى ولا تجوز إدامة السهر لأن فيه إسقاط حق النفس والظاهر أن دوام السهر والتقلل من الطعام أخرجه إلى هذه الأحوال والأفعال . وباسناد عن أبي عبد الله الرازى قال ، كسانى رجل صوفاً فرأيت على رأس الشبلي قلنوسة تليق بذلك الصوف فتمنيتها فى نفسى ، فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إلىّ فتبعته ، وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلتفت إلىّ فلما دخل داره فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنوسة عليه ودعى بنار فأحرقهما ، قلت ، وقد حكى أبو حامد الغزالى أن الشبلي أخذ خمسين ديناراً فرماها فى دجلة وقال ، ما أعزك أحد إلا أذاله الله ، وأنا أتعجب من أبي حامد أكثر من تعجبي من الشبلي لأنه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الإنكار فأين أثر الفقه . وباسناد عن حسين بن عبد الله القزوينى قال . حدثنى من كان مجالسا لبنان أنه قال : تعذر على قوتى يوماً ولحقنى ضرورة فرأيت قطعة

ذهب مطرحة فى الطريق فأردت أخذها فقلت لقطة فتركتها ، ثم ذكرت الحديث الذى يروى « لو أن الدنيا كانت دماً عبيطاً لكان قوت المسلم منها حلالا » فأخذتها وتركتها فى فمى ومشيت غير بعيد فإذا أنا بحلقة فيها صبيان وأحدهم يتكلم عليهم ، فقال له واحد ، متى يجد العبد حقيقة الصدق ، فقال إذا رمى القطعة من الشدق فأخرجتها من فمى ورميتها .

قال المصنف رحمه الله: لاتختلف الفقهاء ان رميه إياها لا يجوز، والعجب انه رماها بقول صبى لايدرى ماقال ، وقد حكى أبو حامد الغزالى أن شقيقا البلخى جاء إلى أبو القاسم الزاهد وفى طرف كسائه شيء مصرور فقال له أى شيء معك قال لوزات دفعها إلى أخ لى وقال أحب أن تفطر عليها فقال ياشقيق وأنت تحدث نفسك أن تبقى إلى الليل لا كلمتك أبداً فاغلق الباب فى وجهى ودخل .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إلى هذا الفقه الدقيق كيف هجر مسلماً على فعل جائز بل مندوب لأن الإنسان مأمور أن يستعد لنفسه بما يفطر عليه واستعداد الشيء قبل مجيء وقته حزم ولذلك قال الله عز وجل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقد أدخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله وأدخر الباقى ولم ينكر عليهُ فالجهل بالعلم أفسد هؤلاء الزهاد . وباسناد أحمد بن إسحاق العمانى قال رأيت بالهند شيخاً وكان يعرف بالصابر قد أتى عليه مائة سنة قد غمض إحدى عينيه فقلت له ياصابر مابلغ من صبرك قال إنى هويت النظر إلى زينة الدنيا فلم أحب أن أشتفى منها فغمضت عينى منذ ثمانين سنة فلم أفتحها ، وقد حكى لنا عن آخر ، انه قير أحد عينيه وقال النظر إلى الدنيا بعينين إسراف قلت كان قصده أن ينظر إلى الدنيا بفرد عين ونحن نسأل الله سلامة العقول . وقد حكى يوسف بن أيوب الهمدانى عن شيخه عبد الله الجونى انه كان يقول هذه الدولة ما أخرجتها من المحراب بل من موضع الخلاء وقال كنت أخدم فى الخلاء فبينما أنا يوما أكنسه وأنظفه قالت لى نفسى أذهبت عمرك فى هذا فقلت انت تأنفين من خدمة عباد الله فوسعت رأس البئر ورميت نفسى

فيها وجعلت أدخل النجاسة فى فى، فجاؤا وأخرجونى وغسلونى قلت أنظروا إلى هذا المسكين كيف اعتقد جمع الأصحاب خلفه دولة واعتقد أن تلك الدولة انما حصلت بالقاء نفسه فى النجاسة وإدخالها فى فيه وقد نال بذلك فضيلة أثيب عليها بكثرة الأصحاب وهذا الذى فعله معصية توجب العقوبة ، وفى الجملة لما فقد هؤلاء العلم كثر تخبيطهم . وباسناد عن محمد بن على الكتانى يقول دخل الحسين بن منصور مكة فى ابتداء أمره فجهدنا حتى أخذنا مرقعته قال السوسى أخذنا منها قملة فوزناها فإذا فيها نصف دانق من كثرة رياضته وشدة مجاهدته قلت أنظروا إلى هذا الجاهل بالنظافة التى حث عليها الشرع وأباح حلق الشعر المحظور على المحرم لأجل تأذيه من القمل وجبر الحظر بالفدية وأجهل من هذا من أعتقد هذا رياضته .

وباسناد عن أبى عبدالله بن ملقح يقول كان عندنا فقير صوفى فى الجامع فجاع مره جوعاً شديداً فقال يارب إما أن تطعمنى إما أن ترمينى بشرف المسجد فجاء غراب فجلس على الشرف فوقعت عليه من تحت رجله آجرة فجرى دمه وكان يمسح الدم ، ويقول ، إيش تبالى بقتل العالم ، قلت ، قتل الله هذا ولا أحياه فى مقابلته هذا الاستنباط ، هلا قام إلى الكسب أو إلى الكدية . وبإسناد عن غلام خليل قال :رأيت فقيراً يعدو ويلتفت ويقول ! أشهدكم على الله هوذا يقتلنى ، وسقط ميتاً .

﴿فصل﴾ وفى الصوفية قوم يسمون الملامتية اقتحموا الذنوب وقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع قال وفى القوم طائفة يظهرون من أنفسهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ماهم عليه وفعلهم هذا من أقبح الأشياء ولقد قال رسول الله ﷺ :من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله . وقال فى حق ماعز هلا سترته بثوبك ياهذا ، واجتاز على رسول الله ﷺ بعض الصحابة وهو يتكلم مع صفية زوجته فقال له أنها صفية وقد علم الناس التجافى عن ما يوجب سوء الظن فان المؤمنين شهداء الله فى الأرض وخرج حذيفة إلى الجمعة ففاتته فرأى الناس وهم راجعون فاستتر لئلا يسوء ظن

الناس به وقد قدمنا هـذه . وقال أبو بكر الصديق لرجل قال له إنى لمست امرأة وقبلتها ، فقال تب إلى الله ولا تحدث أحداً بذلك وجاء رجل إلى النبي ﷺ وقال إنى أتيت من أجنبية ما دون الزنا يا رسول الله قال : ألم تصل معنا قال بلى يا رسول الله قال ألم تعلم أن الصلاتين تكفر ما بينهما وقال رجل لبعض الصحابة إنى فعلت كذا وكذا من الذنوب فقال لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك ، فهؤلاء قد خالفوا الشريعة وأرادوا قطع ما جبلت عليه النفوس .

﴿فصل﴾ وقد اندس فى الصوفية أهل الإباحة فتشبهوا بهم حفظاً لدمائهم وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول ، كفار فمنهم قوم لا يقرون بالله سبحانه وتعالى ومنهم من يقر به ولكن يجحد النبوة ويرى أن ما جاء به الأنبياء محال وهؤلاء لما أرادوا أمراح أنفسهم فى شهواتها لم يجدوا شيئا يحقنون به دماءهم ويستترون به وينالون فيه أغراض النفوس ، كمذهب التصوف فدخلوا فيه ظاهراً وهم فى الباطن كفرة وليس لهؤلاء إلا السيف لعنهم الله ، والقسم الثانى قوم يقرون بالإسلام إلا أنهم ينقسمون قسمين : القسم الأول يقلدون فى أفعالهم لشيوخهم من غير اتباع دليل ولا شبهة فهم يفعلون ما يأمرونهم به وما رأوهم عليه ، القسم الثالث قوم عرضت لهم شبهات فعملوا بمقتضاها . والأصل الذى نشأت منه شبهاتهم أنهم لما هموا بالنظر فى مذاهب الناس لبس عليهم إبليس فأراهم أن الشبهة تعارض الحجج وأن التمييز يعسر وأن المقصود أجل من أن ينال بالعلم وإنما الظفر به رزق يساق إلى العبد لا بالطلب فسد عليهم باب النجاة الذى هو طلب العلم فصاروا يبغضون إسم العلم كما يبغض الرافضى اسم أبى بكر وعمر ويقولون العلم حجاب والعلماء محجوبون عن المقصود بالعلم فان أنكر عليهم عالم قالوا لأتباعهم هذا موافق لنا فى الباطن وإنما يظهر ضد ما نحن فيه للعوام الضعاف العقول فان جد فى خلافهم قالوا : هذا أبله مقيد بقيود الشريعة محجوب عن المقصود ، ثم عملوا على شبهات وقعت لهم ولو فطنوا لعلموا أن عملهم بمقتضى شبهاتهم

علم ، فقد بطل إنكارهم العلم ، وأنا أذكر شبهاتهم وأكشفها إن شاء الله تعالى وهى ست شبهات :

الشبهة الأولى — انهم قالوا إذا كانت الأمور مقدرة فى القدم وأن أقواما خصوا بالسعادة ، وأقواما بالشقاوة ، والسعيد لا يشقى ، والشقى لا يسعد ، والأعمال لا تراد لذاتها بل لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة ، وقد سبقنا وجود الأعمال فلا وجه لاتعاب النفس فى عمل ولا نكفها عن ملذوذ لأن المكتوب فى القدر واقع لا محالة .

والجواب عن هذه الشبهة ، أن يقال لهم هذا رد لجميع الشرائع وابطال لجميع أحكام الكتب وتبكيت للأنبياء كلهم فيما جاءوا به لأنه إذا قال فى القرآن ان أقيموا الصلاة قال القائل لماذا ان كنت سعيداً فصيرى الى السعادة وان كنت شقياً فصيرى الى الشقاوة فما تنفعنى إقامة الصلاة وكذلك اذا قال ولا تقربوا الزنا يقول القائل لماذا أمنع نفسى ملذوذها والسعادة والشقاوة مقضيتان قد فرغ منهما ، وكان لفرعون أن يقول لموسى حين قال له (هل لك الى أن تزكى) مثل هذا الكلام ثم يترقى الى الخالق فيقول ، ما فائدة ارسالك الرسل وسيجرى ما قدرته . وما يفضى الى رد الكتب وتجهيل الرسل محال باطل ، ولهذا كان رد الرسول ﷺ على أصحابه حين قالوا ألا نتكل ، فقال (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) واعلم ان للآدمى كسباً هو اختياره فعليه يقع الثواب والعقاب فاذا خالف تبين لنا ان الله عز وجل قضى فى السابق بأن يخالفه وإنما يعاقبه على خلافه لا على قضائه . ولهذا يقتل القاتل ولا يعتذر له بالقدر ، وإنما ردهم الرسول عن ملاحظة القدر الى العمل لأن الأمر والنهى حال ظاهر والمقدر من ذلك أمر باطن وليس لنا أن نترك ما عرفناه من تكليف ما لا نعلمه من المقضى وقوله : فكل ميسر لما خلق له ، إشارة إلى أسباب القدر ، فانه من قضى له بالعلم يسر له طلبه وحبه وفهمه ، ومن حكم له بالجهل نزع حب العلم من قلبه ، وكذلك من قضى له بولد يسر له النكاح ، ومن لم يقض له بولد لم ييسر له .

الشبهة الثانية : أنهم قالوا إن الله عز وجل مستغن عن أعمالنا غير متأثر بها معصية كانت أو طاعة فلا ينبغى أن نتعب أنفسنا فى غير فائدة .

وجواب هذه الشبهة أن نجيب أولا ـ بالجواب الأول ، ونقول هذا رد على الشرع فيما أمر به فكأنا قلنا للرسول والمرسل لا فائدة فيما أمرتنا به ثم نتكلم عن الشبهة فنقول من يتوهم أن الله جل وعلا ينتفع بطاعة أو يتضرر بمعصية أو ينال بذلك غرضاً فما عرف الله جـلا جلاله لأنه مقدس عن الاعراض والاغراض ومن انتفاع أو ضرر وإنما نفع الأعمال تعود على أنفسنا كما قال عز وجل (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه) وإنما يأمر الطبيب المريض بالحمية لمصلحة المريض لا لمصلحة الطبيب وكما أن للبدن مصالح من الأغذية ومضار فللنفس مصالح من العلم والجهل والاعتقاد والعمل فالشرع كالطبيب فهو أعرف بما يأمر به من المصالح ، هـذا مذهب من علل وأكثر العلماء قالوا أفعاله لا تعلل . وجواب آخر ، وهو انه إذا كان غنياً عن أعمالنا كان غنياً عن معرفتنا له وقد أوجب علينا معرفته ، فكذلك أوجب طاعته ، فينبغى أن تنظر إلى أمره لا إلى الغرض بأمره[1] .

الشبهة الثالثة ، قالوا قد ثبت سعة رحمة الله سبحانه وتعالى وهى لا تعجز عنا فلا وجه لحرمان نفوسنا مرادها .

فالجواب كالجواب الأول ، لأن هـذا القول يتضمن إطراح ما جاء به الرسل من الوعيـد وتهوين ما شددت فى التحذير منه فى ذلك وبالغت فى ذكر عقابه ومما يكشف التلبيس فى هذا ان الله عز وجل كما وصف نفسه بالرحمة وصفها بشديد العقاب ونحن نرى الأولياء والأنبياء يبتلون بالأمراض والجوع ويأخـذون بالزلل وكيف وقد خافه من قطع له بالنجاة ، فالخليل يقول يوم القيامة نفسى نفسى ، والكليم يقول نفسى نفسى ، وهذا عمر رضى الله عنه يقول الويل لعمر ان لم يغفر له واعلم أن من رجا الرحمة تعرض لأسبابها فمن أسبابها التوبة من الزلل كما أن من رجا أن يحصد زرع ، وقد قال الله عز وجل ، (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك

(١) الجواب الأخير لم يرد فى النسخة الثانية .

يرجون رحمة الله) يعنى أن الرجاء بهؤلاء يليق وأما المصرون على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد ،وقد قال عليه الصلاة والسلام « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » وقد قال معروف الكرخي رجاؤك لرحمة من لاتطيعه خذلان وحمق . واعلم أنه ليس فى الأفعال التى تصدر من الحق سبحانه وتعالى مايوجب أن يؤمن عقابه إنما فى أفعاله ما يمنع اليأس من رحمته وكما لا يحسن اليأس لما يظهر من لطفه فى خلقه لا يحسن الطمع لما يبدو من أخذانه وانتقامه فان من قطع أشرف عضو بربع دينار لا يؤمن أن يكون عقابه غداً هكذا .

﴿ الشبهة الرابعة ﴾ ان قوما منهم وقع لهم ان المراد رياضة النفوس لتخلص من أكدارها المردية فلما راضوها مدة ورأوا تعذر الصفاء قالوا مالنا نتعب أنفسنا فى أمر لايحصل لبشر فتركوا العمل . وكشف هذا التلبيس انهم ظنوا أن المراد قمع ما فى البواطن من الصفات البشرية مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك ، وليس هذا مراد الشرع ولا يتصور إزالة ما فى الطبع بالرياضة وإنما خلقت الشهوات لفائدة إذ لولا شهوة الطعام هلك الانسان، ولولا شهوة النكاح انقطع النسل. ولولا الغضب لم يدفع الانسان عن نفسه ما يؤذيه وكذلك حب المال مركوز فى الطباع لأنه يوصل الى الشهوات ، وإنما المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذى من جميع ذلك وردها إلى الاعتدال فيه ، وقد مدح الله عز وجل من نهى النفس عن الهوى وإنما تنتهى عما تطلبه ولو كان طلبه قد زال عن طبعها ما احتاج الانسان إلى نهيها ، وقد قال الله عز وجل (والكاظمين الغيظ) وما قال والفاقدين الغيظ ، والكظم رد الغيظ يقال كظم البعير على جرته اذا ردها فى حلقه فمدح من رد النفس عن العمل بمقتضى هيجان الغيظ فمن ادعى أن الرياضة تغير الطباع ادعى المحال وإنما المقصود بالرياضة كسر شرة شهوة النفس والغضب لا إزالة أصلها والمرتاض كالطبيب العاقل عند حضور الطعام يتناول ما يصلحه ويكف عما يؤذيه وعادم الرياضة كالصبى الجاهل يأكل ما يشتهى ولا يبالى بما جنى .

﴿ الشبهة الخامسة ﴾ ان قوما منهم داموا على الرياضة مدة فرأوا أنهم

قد تجوهروا فقالوا لا نبالى الآن ما عملنا وإنما الأوامر والنواهى رسوم للعوام ولو تجوهروا لسقطت عنهم قالوا وحاصل النبوة ترجع الى الحكمة والمصلحة ، والمراد منها ضبط العوام ولسنا من العوام فندخل فى حجر التكليف لأنا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة وهؤلاء قد رأوا ان من أثر جوهرهم ارتفاع الحمية عنهم حتى انهم قالوا أن رتبة الكمال لا تحصل إلا لمن رأى أهله مع أجنبى فلم يقشعر جلده فان أقشعر جلده فهو ملتفت الى حظ نفسه ولم يكمل بعد إذ لو كمل لماتت نفسه فسموا الغيرة نفساً وسموا ذهاب الحمية الذى هو وصف المخانيث كمال الإيمان . وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه إلى الريوندية كانوا يستحلون الحرمات فيدعو الرجل منهم الجماعة الى بيته فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته .

وكشف هذه الشبهة انه مادامت الأشباح قائمة فلا سبيل الى ترك الرسوم الظاهرة من التعبد فان هذه الرسوم وضعت لمصالح الناس، وقد يغلب صفاء القلب على كدر الطبع إلا أن الكدر يرسب مع الدوام على الخير ويركد فأقل شيء يحركه كالمدرة تقع فى الماء الذى تحته حمأة وما مثل هذا الطبع إلا كالماء يجرى بسفينة النفس والعقل مداد ولو أن المداد مد عشرين فرسخاً ثم أهمل عادت السفينة تنحدر ومن ادعى تغير طبعه كذب ومن قال انى لا أنظر إلى المستحسنات بشهوة لم يصدق ، كيف وهؤلاء لو فاتتهم لقمة أو شتمهم شاتم تغيروا فأين تأثير العقل والهوى يقودهم ، وقد رأينا أقواما منهم يصافحون النساء وقد كان رسول الله ﷺ وهو المعصوم لا يصافح المرأة وبلغنا عن جماعة منهم أنهم يؤاخون النساء ويخلون بهن ثم يدعون السلامة وقد رأوا أنهم يسلمون من الفاحشة وهيهات فأين السلامة من إثم الخلوة المحرمة والنظر الممنوع منه وأين الخلاص من جولان الفكر الردىء وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لو خلا عظمان نخران لهمّ أحدهما بالآخر ، يشير إلى الشيخ والعجوز . وباسناد عن ابن شاهين قال ومن الصوفية قوماً أباحوا الفروج بادعاء الاخوة فيقول أحدهم المرأة تؤاخينى على ترك الإعتراض فيما بيننا قلت وقد روى لنا أبو عبدالله محمد بن على الترمذى الحكيم

فى كتاب رياضة النفوس قال روى لنا أن سهل بن على المروزى كان يقول لامرأة أخيه وهى معه فى الدار استترى منى زماناً ثم قال لها كونى كيف شئت قال الترمذى ، وكان ذلك منه حين وجد شهوته قلت، أما موت الشهوة هذا لا يتصور مع حياة الآدمى وإنما يضعف والانسان قد يضعف عن الجماع ولكنه يشتهى اللمس والنظر ، ثم يقدر أن جميع ذلك ارتفع عنه أليس نهى الشرع عن النظر والنظر باق وهو عام وقد أخبرنا ابن ناصر باسناد عن أبى عبد الرحمن السلمى قال قيل لأبى نصر النصراباذى أن بعض الناس يجالس النسوان ويقول أنا معصوم فى رؤيتهن فقال ما دامت الأشباح قائمة فان الأمر والنهى باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولن يجترىء على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات وقد قال أبو على الروزبارى وسئل عمن يقول وصلت إلى درجة لا تؤثر فى اختلاف الأحوال فقال قد وصل ولكن إلى سقر . وباسناد عن الجريرى يقول سمعت أبا القسم الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل فقال الجنيد أن هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال وهذه عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا ، وأن العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها لأنه أوكد فى معرفتى به وأقوى فى حالى . وباسناد عن أبى محمد المرتعش يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول من رأيته يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم شرعى فلا تقربنه ومن رأيته يدعى حالة باطنة لا يدل عليها ويشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه .

﴿ الشبهة السادسة ﴾ أن أقواماً بالغوا فى الرياضة فرأوا ما يشبه نوع كرامات أو منامات صالحة أو فتح عليهم كلمات لطيفة أثمرها الفكر والخلوة فاعتقدوا انهم قد وصلوا إلى المقصود وقد وصلنا فما يضرنا شىء ومن وصل الى الكعبة انقطع عن السير فتركوا الأعمال الا انهم يزينون ظواهرهم بالمرقعة

والسجادة والرقص والوجد ويتكلمون بعبارات الصوفية فى المعرفة والوجد والشوق وجوابهم هو جواب الذين قبلهم .

قال ابن عقيل اعلم أن الناس شردوا على الله عز وجل وبعدوا عن وضع الشرع إلى أوضاعهم المخترعة . فمنهم من عبد سواه تعظيما له عن العبادة وجعلوا تلك وسائل على زعمهم ومنهم من وحد إلا أنه أسقط العبادات وقال هذه أشياء نصبت للعوام لعدم المعارف وهذا نوع شرك لأن الله عز وجل لما عرف أن معرفته ذات قعر بعيد وجو عال وبعيد أن يتقى من لم يعرف خوف النار لأن الخلق قد عرفوا قدر لذعها وقال لأهل المعرفة « ويحذركم الله نفسه » وعلم أن المتعبدات أكثرها تقتضى الإنس بالأمثال ووضع الجهات والأمكنة والأبنية والحجارة للانساك والاستقبال فابان عن حقائق الايمان به فقال .« وليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله » وقال « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها » فعلم أن المعول على المقاصد ولا يكفى مجرد المعارف من غير امتثال كما تعول عليه الملحدة الباطنية وشطاح الصوفية .

وباسناد عن أبى القاسم بن على بن المحسن التنوخى عن أبيه . قال : أخبرنى جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجل يعرف بابن خفيف البغدادى شيخ الصوفية هناك يجتمعون إليه ويتكلم على الخطرات والوساوس ويحضر حلقته ألوف من الناس وأنه فاره فهم حاذق . فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب قال : فمات رجل منهم من أصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بمأتمهن غيرهن : فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص أصحابه وهم عدد كثير إلى الدار وأخذ يعزى المرأة بكلام الصوفية إلى أن قالت . قد تعزيت . فقال لها ههنا غير . فقالت لاغير قال فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم ، وتعذيبها بعذاب الهموم ، ولأى معنى نترك الامتزاج لتلتقى الأنوار ، وتصفو الأرواح ويقع الاخلافات وتنزل البركات . قال فقلن النساء إذا شئت . قال فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم فلما كان سحر خرجوا . قال المحسن .

قوله ههنا غير أى ههنا غير موافق المذهب . فقالت لاغير أى ليس مخالف وقوله نترك الامتزاج كناية عن المازجة فى الوطء وقوله لتلتقى الأنوار عندهم أن فى كل جسم نوراً الهياً . وقوله الاخلافات أى يكون لكنّ خلف ممن مات أوغاب من أزواجكن . قال المحسن وهذا عندى عظيم ولولا أن جماعة يخبرونى يبعدون عن الكذب ماحكيته لعظمه عندى واستبعاد مثله أن يجرى فى دار الإسلام ، قال : وبلغنى أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جموعهم فكفوا .

﴿ فصل ﴾ ولماقل علم الصوفية بالشرع فصدرمنهم من الأفعال والأقوال مالا يحل مثل ما قد ذكرنا ثم تشبه بهم من ليس منهم وتسمى باسمهم وصدر عنهم مثل ماقد حكينا وكان الصالح منهم نادراً ذمهم خلق من العلماء وعابوهم حتى عابهم مشايخهم .

وباسناد عن عبدالملك بن زياد النصيبى . قال : كنا عند مالك فذكرت له صوفيين فى بلادنا . فقلت له : يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا . قال ويحك ومسلمين هم.قال فضحك حتى استلقى قال فقال لى بعض جلسائه : يا هذا مارأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك ما رأيناه ضاحكا قط .

وباسناد عن يونس بن عبد الأعلى قال سمعت الشافعى يقول : لو أن رجلا تصوف أول النهار لايأتى الظهرحتى يصير أحمق.وعنه أيضاً أنه قال . مالزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد عقله اليه أبداً وأنشد الشافعى .

ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا كانوا ذئاب حقاف

وبإسناد عن حاتم قال حدثنا احمد بن أبى الحوارى . قال:قال أبو سليمان مارأيت صوفياً فيه خيرإلا واحداً عبد الله بن مرزوق . قال وأنا أرق لهم.

وبإسناد عن يونس بن عبدالأعلى يقول :مارأيت صوفياً عاقلاإلاإدريس الخولانى . قال السلمى . هو مصرى من قدماء مشايخهم قبل ذى النون .

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى : يقول صحبت الصوفية ثلاثين سنة مارأيت فيهم عاقلا الا مسلم الخواص . وبإسناد عن احمد بن أبى الحوارى يقول حدثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول سمعت عاصماً يقول : مازلنا

نعرف الصوفية بالحماق إلا أنهم يستترون بالحديث . وبإسناد عن سفيان عن عاصم يقول : قال لى وكيع لم تركت حديث هشام . قلت صحبت قوماً من الصوفية وكنت بهم معجباً . فقالوا . ان لم تمح حديث هشام قاطعناك فأطعتم : قال إنّ فيهم حمقاً . وبإسناد عن يحي بن يحي قال الخوارج أحب إلىّ من الصوفية . وباسناد عن يحي بن معاذ يقول اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين ، والفقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين . وقد ذكرنا فى أول ردنا على الصوفية من هذا الكتاب . ان الفقهاء بمصر أنكروا على ذى النون ماكان يتكلم به وببسطام على أبي يزيد وأخرجوه ، وأخرجوا أبا سليمان الدارانى ، وهرب من أيديهم احمد بن أبي الحوارى وسهل التسترى.وذلك لأن السلف كانوا ينفرون من أدنى بدعة ويهجرون عليها تمسكا بالسنة ولقد حدثنى أبو الفتح بن السامرى . قال : جلس الفقهاء فى بعض الأربطة للعزاء بفقيه مات فأقبل الشيخ أبو الخطاب الكلوذانى الفقيه متوكئاً على يدى حتى وقف بباب الرباط وقال : يعز علىّ لورآنى بعض أصحابنا ومشايخنا القدماء وأنا أدخل هذا الرباط . قلت : على هذا كان أشياخنا .

فاما فى زماننا هذا فقد اصطلح الذئب والغنم . قال ابن عقيل : نقلته من خطه وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم فعلها ، منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهى الأربطة فانقطعوا إليها عن الجماعات فى المساجد فلا هى مساجد ولا بيوت ولا خانات وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص والغناء ، وعولوا على الترقيع المعتمد به التحسين تلميعاً والمشاوذ بألوان مخصوصة أوقع فى نفوس العوام والنسوة من تلميع السقلاطون بألوان الحرير ، واستمالوا النسوة والمردان بتصنع الصور واللباس فما دخلوا بيتاً فيه نسوة فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن ثم يقبلون الطعام والنفقات من الظلمة والفجار وغاصبي الأموال كالعداد والأجناد وأرباب المكوس ، ويستصحبون المردان فى السماعات يجلبونهم فى الجموع مع ضوء الشموع ، ويخالطون النسوة

الأجانب ينصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقة ، ويستحلون بل يوجبون اقتسام ثياب من طرب فسقط ثوبه ، ويسمون الطرب وجداً ، والدعوة وقتاً ، واقتسام ثياب الناس حكما ، ولا يخرجون عن بيت دعوا إليه إلا عن إلزام دعوة أخرى يقولون أنها وجبت واعتقاد ذلك كفر وفعله فسوق . ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قربة وقد سمعنا عنهم أن الدعاء عند حدو الحادى وعند حضور المخدة مجاب اعتقاداً منهم أنه قربة وهذا كفر أيضاً لأن من اعتقد المكروه والحرام قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً والناس بين تحريمه وكراهيته ويسلمون أنفسهم إلى شيوخهم (١) فان عولوا إلى مرتبة شيخه قيل الشيخ لا يعترض عليه . فحد من حل رسن ذلك الشيخ وانحطاطه فى سلك الأقوال المتضمنة للكفر والضلال المسمى شطحاً وفى الأفعال المعلومة كونها فى الشريعة فسقاً . فان قبّل أمرداً قيل رحمة ، وإن خلا بأجنبية قيل بنته وقد لبست الخرقة ، وإن قسم ثوباً على غير أربابه من غير رضا مالكه قيل حكم الخرقة . وليس لنا شيخ نسلم إليه حاله إذ ليس لنا شيخ غير داخل فى التكليف وأن المجانين والصبيان يضرب على أيديهم وكذلك البهائم . والضرب بدل من الخطاب ، ولو كان لنا شيخ يسلم إليه حاله لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصديق رضى الله عنه . وقدقال إن اعوججت فقوموني ولم يقل فسلموا إلىّ . ثم أنظر إلى الرسول صلوات الله عليه كيف اعترضوا عليه . فهذا عمر يقول : ما بالنا نقصر وقد أمنا . وآخر يقول : تنهانا عن الوصال وتواصل ؟ وآخر يقول : أمرتنا بالفسخ ولم تفسخ ! ثم إن الله تعالى تقول له الملائكة : (أتجعل فيها) . ويقول موسى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) ، وإنما هذه الكلمة جعلها الصوفية ترفيها لقلوب المتقدمين ، وسلطنة سلكوها على الأتباع والمريدين كما قال تعالى «فاستخف قومه فأطاعوه» ولعل هذه الكلمة من القائلين منهم بأن العبد إذا عرف لم يضره ما فعل . وهذه نهاية الزندقة لأن الفقهاء أجمعوا على أنه لا حالة ينتهى إليها

(١) قوله فإن عولوا إلى قوله فى الشريعة فسقاً غير منتظم والمعنى غير خفى على المتأمل وهذه الجمل غير موجودة فى النسختين .

العارف إلا ويضيق عليه التكليف كأحوال الأنبياء يضايقون فى الصغائر .
فالله الله فى الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات . وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمال مرقعات وصوف ، وبين أعمال الخلعاء الملحدة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع . ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاؤا بوضع أهل الخلاعة .

فأول ما وضعوا أسماء و قالوا حقيقة وشريعة . وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق . فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع فى النفوس من إلقاء الشياطين . وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع . وإن سمعوا أحداً يروى حديثاً قالوا مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت . فمن قال حدثنى أبى عن جدى قلت حدثنى قلبى عن ربى فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار وأنفقت عليهم لأجلها الأموال . لأن الفقهاء كالأطباء والنفقة فى ثمن الدواء صعبة والنفقة على هؤلاء كالنفقة على المغنيات . وبغضهم الفقهاء أكبر الزندقه لأن الفقهاء يحظرونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم . والحق يثقل كما تثقل الزكاة . وما أخف البذل على المغنيات وإعطاء الشعراء على المدائح . وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث وقد أبدلوا إزالة العقل بالخمر « بشىء سموه الحشيش والمعجون والغناء المحرم » سموه السماع والوجد والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام كفى الله الشريعة شر هذه الطائفة الجامعة بين دهمثة فى اللبس وطيبة فى العيش وخداع بألفاظ معسولة ليس تحتها سوى إهمال التكليف وهجران الشرع ولذلك خفوا على القلوب ولا دلالة على أنهم أرباب باطل أوضح من محبة طباع الدنيا لهم كمحبتهم أرباب اللهو والمغنيات .

قال ابن عقيل فان قال قائل هم أهل نظافة ومحاريب وحسن سمت وأخلاق قال فقلت لهم لو لم يضعوا طريقة يجتذبون بها قلوب أمثالكم لم يدم لهم عيش والذى وصفتهم به رهبانية النصرانية ولو رأيت نظافة أهل التطفيل على الموائد ومخانيث بغداد ودماثة المغنيات لعلمت أن طريقهم طريقة الفكاهة والخداع وهل يخدع الناس إلا بطريقة أو لسان فاذا لم يكن للقوم قدم فى

العلم ولا طريقة فبم ذا يجتذبون به قلوب أرباب الأموال . واعلم أن حمل التكليف صعب ولا أسهل على أهل الخلاعة من مفارقة الجماعة ولا أصعب عليهم من حجر ومنع صدرعن أوامر الشرع ونواهيه وماعلى الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين فهؤلاء يفسدون عقائد الناس بتوهيمات شبهات العقول وهؤلاء يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان يحبون البطالات وسماع الأصوات وماكان السلف كذلك بل كانوا فى باب العقائد عبيد تسليم وفى الباب الآخر أرباب جد . قال : ونصيحتى إلى إخوانى أن لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين ولا تصغى مسامعهم إلى خرافات المتصوفين بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة الصوفية والوقوف على الظواهر أحسن من توغل المنتحلة وقد خبرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح .

قال ابن عقيل : والمتكلمون عندى خير من الصوفيه لأن المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه . فأكثر كلامهم يشير إلى إسقاط السفارة والنبوات . فاذا قالوا عن أصحاب الحديث قالوا : أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . فقد طعنوا فى النبوات وعولوا على الواقع . ومتى أزرى على طريق سقط الأخذ به . ومن قال حدثنى قلبى عن ربى فقد صرح انه غنى عن الرسول ، ومن صرح بذلك فقد كفر . فهذه كلمة مدسوسة فى الشريعة تحتها هذه الزندقة ومن رأيناه يزرى على النقل علمنا انه قد عطل أمر الشرع . وما يؤمن هذا القائل : حدثنى قلبى عن ربى أن يكون ذلك من إلقاء الشياطين فقد قال الله عز وجل : (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) . وهذا هو الظاهر لأنه ترك الدليل المعصوم وعول على ما يلقى فى قلبه الذى لم تثبت حراسته من الوساوس وهؤلاء يسمون ما يقربهم خاطراً . قال والخوارج على الشريعة كثير إلا أن الله عز وجل يؤيدها بالنقلة الحفاظ الذابين عن عن الشريعة حفظا لأصلها ، وبالفقهاء لمعانيها : وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأساً ترتفع .

قال ابن عقيل : والناس يقولون إذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية قال وأنا أقول وخراب دينه لأن الصوفية قد أجازوا لبس النساء الخرقة من الرجال الأجانب فاذا حضروا السماع والطرب فربما جرى فى خلال ذلك مغازلات واستخلاء بعض الأشخاص ببعض فصارت الدعوة عرساً للشخصين فلا يخرج إلا وقد تعلق قلب شخص بشخص ومال طبع إلى طبع وتتغير المرأة على زوجها فإن طابت نفس الزوج سمى بالديوث وإن حبسها طلبت الفرقة إلى من تلبس منه المرقعة والاختلاط بمن لا يضيق الخناق ولا يحجر على الطباع . ويقال : تابت فلانة وألبسها الشيخ الخرقة وقد صارت من بناته . ولم يقنعوا أن يقولوا هـذا لعب وخطأ حتى قالوا هذا من مقامات الرجال وجرت على هذه السنون ورد حكم الكتاب والسنة فى القلوب . هذا كله من كلام ابن عقيل رضى الله عنه فلقد كان ناقداً مجيداً متلمحاً فقيهاً .

أنشدنا أبو على عبيدالله الزاغونى قال أنشدنا أبو محمد رزق الله بن عبدالوهاب التيمى وأبو منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكرى قالا أنشدنا أبو بكر العنبرى لنفسه فى الصوفية .

تأملت اختبر المدعين ... بين الموالى وبين العبيد
فألفيت أكثرهم كالسراب ... يروقك منظره من بعيد
فناديت ياقوم من تعبدون ... فكل أشار بقدر الوجود
فبعض أشار إلى نفسه ... واقسم ما فوقها من مزيد
وبعض إلى خرقة رقعت ... وبعض إلى ركوة من جلود
وآخر يعبــــد أهواءه ... وما عابد للهوى بالرشيد
ومجتهد وقته ربه ... فان فات بات بليل عنيد
وذو كلف باستماع السما ... ع بين البسيط وبين النشيد
يئن إذا أومضت رنة ... ويزرأ منها زئير الأسود
يخرق خلقانه عامداً ... ليعتاض منها بثوب جديد
ويرمى بهيكله فى السعير ... لقلع الثريد وبلع العصيد
فيا للرجال ألا تعجبون ... لشيطان إخواننا ذا المزيد

يخبطهم بفنون الجنون … وما للمجانين غير القيود
وأقسم ما عرفوا ذا الجلال … وما عرفوه بغير الجحود
ولولا الوفاء لأهل الوفاء … سلقتهم بلسان حديد
فمالى يطالبنى بالوصا … ل من ليس يعلم ما فى الصدود
اضن بودى ويسخو به … وقد كنت اسخو به للودود
ولكن إذا لم أجد صاحبا … يسر صديق ويشجو الحسود
عطفت بودى منى إليه … فغاب نحوسى وآب السعود
فما بال قومى على جهلهم … بعز الفريد وأنس الوحيد
اذا أبصرونى بكرا رحمة … ونيران أحقادهم فى وقود
لأنى بعدت عن المدعين … ولو صدقوا كنت غير البعيد

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبا الحسين بن عبد الجبار الصيرفى نا أبو عبد الله محمد بن على الصورى قال أنشدنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر التجيبى قال أنشدنا الحسن بن على بن سيار :

رأيت قوما عليهم سمة الخـــــير بحمل الركاء مبتهلة
اعتزلوا الناس فى جوامعهم … سألت عنهم فقيل متكله
صوفية للقضاء صابرة … ساكنة تحت حكمه بزله
فقلت إذ ذاك هؤلاء هم الـ … ناس ومن دون هؤلاء رزله
فلم أزل خادماً لهم زمنا … حتى تبينت أنهم سفله
ان أكلوا كان أكلهم سرفا … أو لبسوا كان شهرة مثله
سل شيخهم والكبير مختبرا … عن فرضه لاتخاله عقله
واسأله عن وصف شادن غنج … مدلل لا تراه قد جهله
علمهم بينهم إذا جلسوا … كعلم راعى الرعاع والرذله
الوقت والحال والحقيقة والـ … برهان والعكس عندهم مثله
قد لبسوا الصوف كى يروا صلحا … وهم شرار الذباب والحفله
وجانبوا الكسب والمعاش لكى … يستأصلوا الناس شرها آكله
وليس من عفة ولادعة … لكن تعجيل راحة العطله

فقل لمن مال باختداعهم   اليهم تب فإنهم بطله
واستغفر الله من كلامهم   ولا تعاود لعشرة الجهله

قال الصورى وأنشدنى بعض شيوخنا :

أهل التصوف قد مضوا   صار التصوف مخرقه
صار التصوف صيحة   وتواجداً ومطبقه
كذبتك نفسك ليس ذا   سنن الطريق الملحقة
حتى تكون بعين من   منه العيون المحدقة
تجرى عليك صروفه   وهموم سرك مطرقة

أنشدنا محمد بن ناصر قال أنشدنا أبو زكريا التبريزى لأبى العلاء المعرى :

زعموا بأنهم صفوا لمليكهم   كذبوك ماصافوا ولكن صافوا
شجر الخلاف قلوبهم ويح لها   غرضى خلاف الحق لا الصفصاف

أنشدنا ابن ناصر أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو اسحاق الشيرازى الفقيه لبعضهم :

أرى جيل التصوف شر جيل   فقل لهم واهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه   كلوا أكل البهائم وارقصو لى

﴿ الباب الحادى عشر ﴾

﴿ فى ذكر تلبيس ابليس على المتدينين بما يشبه الكرامات ﴾

قد بينا فيما تقدم أن ابليس انما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن ابليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه . ومن العباد من يرى ضوءا أو نوراً فى السماء فان كان رمضان قال : رأيت ليلة القدر وإن كان فى غيره قال قد فتحت لى أبواب السماء . وقد يتفق له الشيء الذى يطلبه فيظن ذلك كرامة وربما كان اتفاقاً وربما كان اختباراً وربما كان من خدع ابليس. والعاقل لا يساكن شيئاً من هذا ولو كان كرامة. وقد ذكرنا فى باب الزهاد عن مالك ابن دينار وحبيب العجمى أنهما قالا : ان الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز ولقد استغوى بعض ضعفاء الزهاد بأن أراه ما يشبه الكرامة حتى

ادعى النبوة فروى عن عبد الوهاب بن نجدة الحوطى قال : ثنا محمد بن المبارك ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسان . قال : كان الحارث الكذاب من أهل دمشق وكان مولى لأبي الجلاس وكان له أب بالغوطة تعرض له إبليس وكان متعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهادة وكان إذا أخذ فى التحميد لم يصغ السامعون إلى كلام أحسن من كلامه قال : فكتب إلى أبيه يا أبتاه أعجل علىّ فإنى قد رأيت أشياء أتخوف منها أن تكون من الشياطين قال : فزاده أبوه غياً وكتب إليه . يا بنى أقبل على ما امرت به إن الله يقول: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) ولست بأفاك ولا أثيم فامض لما أمرت به . وكان يجيء إلى أهل المساجد رجلا رجلا فيذكر لهم أمره ويأخذ عليهم العهود والمواثيق ان هو رأى يرضى قبل والا كتم عليه : وكان يريهم الأعاجيب . كان يأتى إلى رخامة فى المسجد فينقرها بيده فتسبح .وكان يطعمهم فاكهة الصيف فى الشتاء ويقول: أخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرجهم إلى دير المران فيريهم رجالا على خيل ، فتبعه بشر كثير وفشى الأمر وكثر أصحابه حتى وصل خبره إلى القاسم ابن مخيمرة فقال له إنى نبي فقال له القاسم كذبت ياعدو الله فقال له أبو إدريس بئس ما صنعت إذ لم تلن له حتى تأخذه . الآن يفر وقام من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فأعلمه بأمره فبعث عبد الملك فى طلبه فلم يقدر عليه . وخرج عبد الملك حتى نزل العنيبرة [1] فاتهم عامة عسكره بالحارث أن يكونوا يرون رأيه وخرج الحارث حتى أتى بيت المقدس واختفى وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه وكان رجل من أهل البصرة قد أتى بيت المقدس فأدخل على الحارث فأخذ فى التحميد وأخبره بأمره وأنه نبي مبعوث مرسل . فقال .إن كلامك لحسن ولكن لى فى هذا نظر . قال فانظر. فخرج البصرى ثم عاد اليه فرد عليه كلامه فقال إن كلامك لحسن وقد وقع فى قلبي وقد آمنت بك وهذا هو الدين المستقيم . فأمر أن لا يحجب عنه متى أراد

(١) هكذا فى نسخة وفى نسخة أخرى الصنيبرة بصاد مهملة وقد ضبطت يد والضم والله أعلم

الدخول فأقبل البصرى يتردد اليه ويعرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حتى صار من أخبر الناس به . ثم قال له . أئذن لى فقال إلى أين قال إلى البصرة فأكون أول داع لك بها. قال فأذن له فخرج مسرعاً إلى عبدالملك وهو بالصنيبرة فلما دنامن سرادقه صاح النصيحة النصيحة . فقال أهل العسكر . وما نصيحتك قال نصيحة لأمير المؤمنين فأمر الخليفة عبدالملك أن يأذنوا له بالدخول عليه فدخل وعنده أصحابه قال فصاح النصيحة قال وما نصيحتك قال . أخلنى لا يكن عندك أحد فأخرج من فى البيت وقال له ادننى قال أدن فدنا وعبدالملك على السرير قال ماعندك قال الحارث فلما ذكر الحارث طرح عبد الملك نفسه من أعلى السرير إلى الأرض ثم قال أين هو قال : ياأمير المؤمنين هو ببيت المقدس قد عرفت مداخله ومخارجه وقص عليه قصته وكيف صنع به فقال أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس وأميرنا ههنا فمرنى بما شئت . قال : يا أمير المؤمنين ابعث معى قوماً لا يفهمون الكلام فأمر أربعين رجلا من فرغانة فقال انطلقوا مع هذا فما أمركم به من شىء فأطيعوه ، قال : وكتب إلى صاحب بيت المقدس أن فلاناً هو الأمير عليك حتى يخرج فأطعه فيما أمرك به . فلما قدم بيت المقدس أعطاه الكتاب فقال مرنى بما شئت.فقال : اجمع لى كل شمعة تقدر عليها ببيت المقدس وأدفع كل شمعة إلى رجل ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياه فإذا قلت . أسرجوا أسرجوا جميعاً فرتبهم فى أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع وتقدم البصرى إلى منزل الحارث فأتى الباب فقال للحاجب أستأذن لى على نبى الله قال فى هذه الساعة ما يؤذن عليه حتى يصبح.قال أعلمه أنى مارجعت الا شوقاً اليه قبل أن أصل فدخل عليه وأعلمه بكلامه فأمره بفتح الباب . قال : ثم صاح البصرى أسرجوا الشموع فأسرجت حتى كانت كأنها النهار ثم قال من مر بكم فأضبطوه كائنا من كان ودخل هو إلى الموضع الذى يعرفه فطلبه فلم يجده فقال أصحاب الحارث هيهات تريدون تقتلون نبى الله قد رفع إلى السماء . قال فطلبه فى شق قد هيأه سرباً فأدخل البصرى يده فى ذلك السرب فاذا هو بثوبه فاجتره فأخرجه إلى خارج ثم قال للفرغانيين اربطوه فربطوه فبينما هم يسيرون به على البريد اذ قال :

أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله . فقال رجل من الفرغانيين أولئك العجم هذا كرامتنا فهات كرامتك انت وساروا به حتى أتوا به عبدالملك فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلا فطعنه فلما صار إلى ضلع من أضلاعه فانكفأت الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون . الأنبياء لايجوز فيهم السلاح . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين تناول الحربة ثم مشى اليه وأقبل يتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنفذها فقتله. قال الوليد: بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية دخل على عبد الملك بن مروان فقال لو حضرتك ما أمرتك بقتله . قال ولم . قال إنما كان به المذهب فلو جوعته ذهب عنه . وروى أبو الربيع عن شيخ أدرك القدماء قال لما حمل الحارث على البريد وجعلت فى عنقه جامعة من حديد وجمعت يده إلى عنقه فأشرف على عقبة بيت المقدس تلى هذه الآية (قل ان ضللت فإنما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى إلى ربى) . فتقلقلت الجامعة ثم سقطت من يده ورقبته إلى الأرض فوثب الحرس الذين كانوا معه فأعادوها عليه ثم ساروا به فلما أشرفوا على عقبة أخرى قرأ آية فسقطت من رقبته ويده على الأرض فأعادوها عليه فلما قدموا على عبد الملك حبسه وأمر رجالا من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويخوفوه الله ويعلموه أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل منهم فصلب . وجاء رجل بحربة فطعنه فانثنت فتكلم الناس وقالوا ما ينبغى لمثل هذا أن يقتل ثم أتاه حرسى برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه ثم هزه وأنفذه. وسمعت من قال قال عبدالملك للذى ضربه بالحربة لما انثنت أذكرت الله حين طعنته قال، نسيت قال فاذكر الله ثم اطعنه فذكر الله ثم طعنه فأنفذها .

(فصل) وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامات فقد روينا باسناد عن حسن عن أبى عمران قال : قال لى فرقد . يا أبا عمران قد أصبحت اليوم وأنا مهتم بضريبتى وهى ستة دراهم وقد أهل الهلال وليست عندى فدعوت فبينما أنا أمشى على شط الفرات اذا أنا بستة دراهم فأخذتها فوزنتها فاذا هى ستة لا تزيد ولا تنقص . فقال تصدق بها فانها ليست لك . قلت . أبو عمران هو

ابراهيم النخعي فقيه أهل الكوفة . فانظروا إلى كلام الفقهاء و بعد الأغترار عنهم . وكيف أخبره انها لقطة ولم يلتفت الى ما يشبه الكرامة . وإنما لم يأمره بتعريفها لأن مذهب الكوفيين أنه لا يجب التعريف لما دون الدينار . وكأنه انما أمره بالتصدق بها لئلا يظن أنه قد أكرم بأخذها وإنفاقها . وباسناد عن ابراهيم الخراساني أنه قال احتجت يوما إلى الوضوء فاذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة رأسه ألين من الخز فاستكت بالسواك وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت . قلت . في هذه الحكاية من لا يوثق بروايته فان صحت دلت على قلة علم هذا الرجل إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعال السواك الفضة لا يجوز ولكن قل علمه فاستعمله . وان ظن أنه كرامة والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعا إلا أن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان وذكر محمد بن أبي الفضل الهمداني المؤرخ قال حدثني أبي قال كان السرمقاني المقري يقرأ على ابن العلاف وكان يأوي إلى المسجد بدرب الزعفراني واتفق أن ابن العلاف رآه ذات يوم في وقت مجاعة وقد نزل إلى دجلة وأخذ منه أوراق الخس مما يرمى به أصحابه وجعل يأكله فشق ذلك عليه وأتى إلى رئيس الرؤساء فأخبره بحاله فتقدم إلى غلام بالقرب إلى المسجد الذي يأوي إليه السرمقاني أن يعمل لبابه مفتاحا من غير أن يعلمه ففعل وتقدم إليه أن يحمل كل يوم ثلاثة أرطال خبزاً سميداً ومعها دجاجة وحلوى سكراً ففعل الغلام ذلك وكان يحمله على الدوام .فأتى السرمقاني في أول يوم فرأى ذلك مطروحاً في القبلة ورأى الباب مغلقاً فتعجب . وقال في نفسه : هذا من الجنة ويجب كتمانه وأن لا أتحدث به فإن من شرط الكرامة كتمانها وأنشدني :

من أطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الأسرار ماعاشا

فلما استوت حالته وأخصب جسمه سأله ابن العلاف عن سبب ذلك وهو عارف به وقصد المزاح معه.فأخذ يوري ولا يصرح،ويكني ولا يفصح. ولم يزل ابن العلاف يستخبره حتى أخبره أن الذي يجده في المسجد كرامة إذ لا طريق لمخلوق عليه . فقال له ابن العلاف . يجب أن تدعو لابن المسلمة فإنه هو الذي فعل ذلك.فنغص عيشه بأخباره وبانت عليه شواهد الانكسار .

﴿ فصل ﴾ ولما علم العقلاء شدة تلبيس إبليس حذروا من أشياء ظاهرها الكرامة وخافوا أن تكون من تلبيسه. روينا بإسناد عن أبي الطيب يقول: سمعت زهرون يقول: كلمني الطير وذاك أني كنت في البادية فتهت فرأيت طائراً أبيض فقال لي يا زهرون أنت تائه. فقلت: ياشيطان غر غيري. فقال لي: أنت تائه. فقلت: ياشيطان غر غيري. فوثب في الثالثة وصار على كتفي. وقال: ماأنا بشيطان أنت تائه أرسلت اليك ثم غاب عني. وبإسناد عن محمد ابن عبدالله القرشي قال حدثني محمد بن يحيى بن عمرو قال حدثتني زلفى قالت: قلت لرابعة العدوية يا عمة لم لاتأذنين للناس يدخلون عليك قالت وما أرجو من الناس إن أتوني حكوا عني مالم أفعل. قال القرشي: وزادني غير أبي حاتم. أنها قالت. يبلغني أنهم يقولون إني أجد الدراهم تحت مصلاى، ويطبخ لي القدر بغير نار. ولو رأيت مثل هذا فزعت منه: قالت فقلت لها إن الناس يكثرون فيك القول. يقولون إن رابعة تصيب في منزلها الطعام والشراب. فهل تجدين شيئاً فيه. قالت: يابنت أخي لو وجدت في منزلي شيئاً مامسسته ولا وضعت يدي عليه. قال القرشي وحدثني محمد بن إدريس قال قال محمد ابن عمرو. وحدثتني زلفى عن رابعة إنها أصبحت يوماً صائمة في يوم بارد قالت فنازعتني نفسي إلى شيء من الطعام السخن أفطر عليه وكان عندي شحم فقلت. لوكان عندي بصل أوكراث عالجته فإذا عصفور قد جاء فسقط على المثقب في منقاره بصلة. فلما رأيته أضربت عما أردت وخفت أن يكون من الشيطان. وبالإسناد عن محمد بن يزيد. قال كانوا يرون لوهيب أنه من أهل الجنة فإذا أخبر بها اشتد بكاؤه. وقال قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان وبالإسناد عن أبي عثمان النيسابوري يقول خرجنا جماعة مع أستاذنا أبي حفص النيسابوري إلى خارج نيسابور فجلسنا فتكلم الشيخ علينا فطابت أنفسنا ثم بصرنا فإذا بأيل[1] قد نزل من الجبل حتى برك بين يدي الشيخ فأبكاه ذلك بكاء شديداً. فلما سكن سألناه فقلت يا أستاذ تكلمت علينا فطابت قلوبنا،

(١) الأيل بضم الهمزة وكسرها والياء فيهما مشدداً التيس الجبلي.

فلما جاء هذا الوحش وبرك بين يديك أزعجك وأبكاك . فقال : نعم رأيت اجتماعكم حولى وقد طابت قلوبكم فوقع فى قلبى لو أن شاة ذبحتها ودعوتكم عليها . فما تحكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدى فخيل لى أنى مثل فرعون الذى سأل ربه أن يجرى له النيل فأجراه . قلت فما يؤمننى أن يكون الله تعالى يعطينى كل حظ لى فى الدنيا وأبقى فى الآخرة فقيراً لاشىء لى. فهذا الذى أزعجنى .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات فى كرامات الأولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل . أخبرنا محمد بن ناصر انبأنا الحسن بن أحمد الفقيه قال نا محمد بن محمد الحافظ قال نا عبيد الله بن محمد الفقيه قال أحمد بن عبد الله بن الحسن الآدمى قال حدثنى أبى قال : قال سهل بن عبد الله قال عمرو بن واصل . كذا فى الرواية والصواب قال عمرو ابن واصل قال سهل بن عبد الله صحبت رجلا من الأولياء فى طريق مكة فنالته فاقة ثلاثة أيام فعدل إلى مسجد فى أصل جبل وإذا فيه بئر عليها بكرة وحبل ودلو ومطهرة . وعند البئر شجرة رمان ليس فيها حمـــل . فأقام فى المسجد إلى المغرب فلما دخل الوقت إذا بأربعين رجلا عليهم المسوح وفى أرجلهم نعال الخوص قد دخلوا المسجد فسلموا وأذن أحدهم وأقام الصلاة وتقدم فصلى بهم . فلما فرغ من صلاته تقدم إلى الشجرة فإذا فيها أربعون رمانة غضة طرية فأخذ كل واحد منهم رمانة وانصرف . قال وبت على فاقتى فلما كان فى الوقت الذى أخذوا فيه الرمان أقبلوا أجمعين فلما صلوا وأخذوا الرمان قلت يا قوم أنا أخوكم فى الاسلام وبى فاقة شديدة فلا كلمتمونى ولا واسيتمونى فقال رئيسهم إنا لا نكلم محجوباً بما معه فامض واطرح ما معك وراء هذا الجبل فى الوادى وارجع إلينا حتى تنال ما ننال قال فرقيت الجبل فلم تسمح نفسى برمى ما معى فدفنته ورجعت . فقال لى . رميت ما معك . قلت نعم ، قال : فرأيت شيئاً قلت . لا ، قال ما رميت شيئاً إذن فارجع فارم به فى الوادى فرجعت ففعلت . فإذا قد غشينى مثل الدرع نور

الولاية فرجعت فإذا فى الشجرة رمانة فأكلتها واستقللت بها من الجوع والعطش ولم ألبث دون المضى إلى مكة فإذا أنا بالأربعين بين زمزم والمقام فأقبلوا إلىّ بأجمعهم يسألونى عن حالى ويسلمون علىّ . فقلت : قد غنيت عنكم وعن كلامكم آخراً كما أغناكم الله عن كلامى أولا فما فىّ لغير الله موضع .

قال المصنف رحمه الله : عمرو بن واصل ضعفه ابن أبى حاتم . والآدمى وأبوه مجهولان . ويدل على انها حكاية موضوعة قولهم اطرح ما معك لأن الأولياء لا يخالفون الشرع والشرع قد نهى عن إضاعة المال . وقوله غشينى نور الولاية فهذه حكاية مصنوعة وحديث فارغ ومثل هذه الحكاية لا يغتر بها من شم رائحة العلم إنما يغتر بها الجهال الذين لا بصيرة لهم . أخبرنا محمد بن ناصر قال نا السهلكى قال : سمعت محمد بن على الواعظ . قال : وفيما أفادنى بعض الصوفية حاكيا عن الجنيد قال قال : أبو موسى الديبلى ، دخلت على أبى يزيد فإذا بين يديه ماء واقف يضطرب فقال لى تعال ثم قال إن رجلا سألنى عن الحياء فتكلمت عليه بشىء من علم الحياء فدار دوراناً حتى صار كذا كما ترى وذاب قال الجنيد وقال احمد بن حضرويه ، بقى منه قطعة كقطعة جوهر فاتخذت منه فصاً فكلما تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص حتى لم يبق منه شىء ، قلت وهذه من المحالة القبيحة التى وضعوها الجهال ولولا أن الجهالة يروونها مسندة فيظنونها شيئاً لكان الاضراب عن ذكرها أولى . أنبأنا أبو بكر بن حبيب قال نا ابن أبى صادق قال ثنا ابن باكويه قال ثنا أبو حنيفة البغدادي قال ثنا عبدالعزيز البغدادى قال كنت أنظر فى حكايات الصوفية فصعدت يوما السطح فسمعت قائلا يقول (وهو يتولى الصالحين) فالتفت فلم أر شيئاً فطرحت نفسى من السطح فوقفت فى الهواء .

قال المصنف رحمه الله . هذا كذب محال لا يشك فيه عاقل فلو قدرنا صحته فان طرح نفسه من السطح حرام وظنه أن الله يتولى من فعل المنهى عنه فقد قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فكيف يكون صالحاً

وهو يخالف ربه وعلى تقدير ذلك فمن أخبره أنه منهم وقد تقدم قول عيسى صلوات الله عليه للشيطان لما قال له الق نفسك . قال إن الله يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه .

﴿ فصل ﴾ وقد اندس فى الصوفية أقوام وتشبهوا بهم وشطحوا فى الكرامات وادعائها وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم وقد روينا عن الحلاج أنه كان يدفن شيئا من الخبز والشواء والحلوى فى موضع من البرية ويطلع بعض أصحابه على ذلك فاذا أصبح قال لأصحابه إن رأيتم أن نخرج على وجه السياحة فيقوم ويمشى والناس معه فاذا جاءوا إلى ذلك المكان قال له صاحبه الذى أطلعه على ذلك نشتهى الآن كذا وكذا فيتركهم الحلاج وينزوى عنهم إلى ذلك المكان فيصلى ركعتين ويأتيهم بذلك . وكان يمد يده إلى الهواء ويطرح الذهب فى أيدى الناس ويمخرق . وقد قال له بعض الحاضرين يوما . هذه الدراهم معروفة ولكن اؤمن بك إذا أعطيتنى درهما عليه اسمك واسم أبيك وما زال يمخرق إلى وقت صلبه .

حدثنا أبو منصور القزاز قال نا أبو بكر بن ثابت نا عبد الله بن احمد ابن عمار الصيرفى ثنا أبو عمرو بن حيوة . قال : لما أخرج حسين الحلاج للقتل مضيت فى جملة الناس فلم أزل أزاحم حتى رأيته .فقال لأصحابه. لا يهولنكم هذا فأنى عائد اليكم بعد ثلاثين يوما . وكان اعتقاد الحلاج اعتقاداً قبيحاً.وقد بينا فى أول هذا الكتاب شيئاً من اعتقاده وتخليطه وبينا أنه قتل بفتوى فقهاء عصره . وقد كان فى المتأخرين من يطلى بدهن الطلق ويقعد فى التنور ويظهر أن هذا كرامة . قال ابن عقيل . وكان ابن الشباس وأبوه قبله لهم طيور سوابق وأصدقاء فى جميع البلاد فينزل بهم قوم فيرفع طائراً فى الحال إلى قريتهم يخبر بخبر من له هناك بنزولهم ويستعلمه من أحوالهم وما تجدد هناك بعدهم قبل أن يجتمع عليهم ويستعلم حالهم فيكتب ذلك اليه الجواب ثم يجتمع بهم فيخبرهم بتلك الحوادث ويحدثهم بأحوالهم حديث من هو معهم ومعاشرهم فى بلادهم ثم يحدثهم بما تجدد بعدهم وفى يومه ذلك فيقول الساعة

تجدد كذا وكذا فيدهشون ويرجعون إلى رستاقهم فيجدون الأمر على ما قال ويتكرر هذا منه فيصير عندهم كالقطعى على أنه يعلم الغيب . قال ، وما كان يفعله أنه يأخذ طير عصفور ويشد فى رجله تلفكا ويجعل فى التلفك بطاقة صغيرة ويشد فى رجل حمامة تلفكا ويشد فى طرف التلفك كتاباً أكبر من ذلك ويجعله بين يديه ويجعل العصفور بيد ويأخذ غلاما له فى السطح [1] والحمامة بيد آخر فيه مافى تلك البطاقة الصغيرة ويطلق الطائر العصفور فينظر الناس الكتاب وهو طائر فى الهواء فيروح الحمام إلى تلك القرية فيأخذه صديقه الذى هناك ثم يخبره بجميع أمور القرية وأصحابها فلما يتكامل مجلسه بالناس يشير وينادى يابارش كأنه يخاطب شيطانا اسمه بارش ويقول خذ هذا الكتاب إلى قرية فلان فقد جرت بينهم خصومة فاجتهد فى اصلاح ذات بينهم ويرفع صوته بذلك فيسرح غلامه المترصد العصفور الذى فى يده فيرفع الكتاب نحو السماء بحضرة الجماعة يرونه عيانا من غير أن يرون التلفك فاذا ارتفع الكتاب جذبه الغلام المقيد بالعصفور وقطع التلفك حتى لا يرى ويرسل العصفور إلى تلك القرية ليصلح الأمر وكذلك يفعل بالحمامة ثم يقول لغلامه هات الكتاب فيلقيه الغلام الذى فى السطح الذى قد جاءه خبر مافى القرية التى هؤلاء منها ثم يكتب كتابا إلى دهقان تلك القرية فيشد به بلفكا ويجعله فى رجل عصفور كما قدمنا ويطلقه حتى يعلو سطح المكان فيأخذه ذلك الغلام فيشده فى رجل طير حمام فيروح الى تلك القرية بذلك الكتاب فيصلح بين الناس الذين قد أتاه خبرهم بالمشاجرة فتخرج الجماعة الذين من تلك القرية فيجدون كتاب الشيخ قد وصل لهم وقد اجتمع دهاقين القرية وأصلحوا بينهم فيجىء ذلك فيخبرهم فلا يشكون فى ذلك أنه يعلم الغيب ويتحقق هذا فى قلوب العوام .

قال ابن عقيل : وإنما أوردت مثل هذا ليعلم أنه قد ارتفع القوم الى التلاعب

(١) الغلام فى بعض النسخ هكذا بالنصب وفى بعض بالرفع وعلى كل المعنى ظاهر وهو أن ابن الشباس كان يتخذ غلاماً فى السطح لأجل ما ذكر .

بالدين فأى بقاء للشريعة مع هذا الحال . قلت : وابن الشباس هذا كان يكنى أبا عبد الله والشباس هو أبوه كان يكنى ابا الحسن واسم الشباس على بن الحسين بن محمد البغدادى توفى بالبصرة سنة أربع وأربعين وأربع مائة وكان الشباس وأبوه وعمه مستقرين بالبصرة . وكانت مذاهبهم تخفى على الناس إلا أن الأغلب أنهم كانوا من الشيعة الامامية والغلاة الباطنية وقد ذكرت فى التاريخ عن ابن الشباس ان بعض أصحابه اكتشفت له نار بخيانته وزخارفه وكانت تخفى على الناس إلى أن كشفها بعض أصحابه من الشيعة الامامية الباطنية للناس فلما كشفها للناس وبينها فكان مما حدث به عنه أنه قال : حضرنا يوما عنده فأخرج جديا مشويا فأمرنا بأكله وأن نكسر عظمه ولا نهشمها فلما فرغنا أمر بردها إلى التنور وترك على التنور طبقا ثم رفعه بعد ساعة فوجدنا جديا حيا يرعى حشيشا ولم نر للنار أثراً ولا للرماد ولا للعظام خبراً. قال فتلطفت حتى عرفت ذلك وذلك أن التنور يفضى إلى سرداب وبينهما طبق نحاس بلولب فاذا أراد إزالة النار عنه فركه فينزل عليه فيسده وينفتح السرداب وإذ أراد أن يظهر النار أعاد الطبق الى فم السرداب فترى للناس .

قال المصنف رحمه الله . وقد رأينا فى زماننا من يشير إلى الملائكة ويقول . هؤلاء ضيف مكرمون يوهم أن الملائكة قد حضرت ويقول لهم تقدموا الى . وأخذ رجل فى زماننا ابريقا جديداً فترك فيه عسلا فتشرب فى الخزف طعم العسل واستصحب الابريق فى سفره فكان إذا غرف به الماء من النهر وسقى أصحابه وجدوا طعم العسل ومافى هؤلاء من يعرف الله ولا يخاف فى الله لومة لائم نعوذ بالله من الخذلان .

﴿ الباب الثانى عشر فى ذكر تلبيس ابليس على العوام ﴾

قد بينا أن ابليس انما يقوى تلبيسه على قدر قوة الجهل وقد أفتن فيما فتن به العوام وحصر ما فتنهم ولبس عليهم فيه لا يمكن ذكره لكثرته وإنما نذكر من الأمهات ما يستدل به على جنسه والله الموفق . فمن ذلك أنه يأتى إلى العامى فيحمله على التفكر فى ذات الله عز وجل وصفاته فيتشكك . وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال .

قال رسول الله ﷺ « تسألون حتى تقولوا هـذا الله خلقنا فمن خلق الله » قال أبو هريرة : فوالله انى لجالس يوماً إذ قال لى رجل من أهـل العراق هذا الله خلقنا فمن خلق الله . قال أبو هريرة . فجعلت أصبعى فى أذنى ثم صحت — صدق رسول الله — الله الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

وباسناد عن عائشة قالت . قال رسول ﷺ « ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول . من خلقك ، فيقول الله ، فيقول ، من خلق السموات والأرض ، فيقول الله . فيقول من خلق الله ، فاذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله » .

قال المصنف رحمه الله : وانما وقعت هـذه المحنة لغلبة الحس وهو أنه ما رأى شيئا إلا مفعولا . وليقل لهذا العامى ألست تعلم أنه خلق الزمان لا فى الزمان والمكان لا فى المكان فاذا كانت هذه الأرض وما فيها لا فى مكان ولا تحتها شىء وحسك ينفر من هذا لأنه ما ألف شيئا إلا فى مكان فلا يطلب بالحس من لا يعرف بالحس . وشاور عقلك فانه سليم المشاورة . وتارة يلبس ابليس على العوام عند سماع صفات الله عز وجل فيحملونها على مقتضى الحس فيعتقدون التشبيه . وتارة يلبس عليهم من جهـة العصبية للمذاهب فترى العامى يلاعن ويقاتل فى أمر لا يعرف حقيقته . فمنهم من يخص بعصبيته أبا بكر رضى الله عنه . ومنهم من يخص عليا . وكم قد جرى فى هذا من الحروب وقد جرى فى هذا بين أهل الكوخ وأهل باب البصرة على مر السنين من القتل وإحراق المحال ما يطول ذكره وترى كثيراً ممن يخاصم فى هـذا يلبس الحرير ويشرب الخمر ويقتل النفس وأبو بكر وعلى بريئان منهم . وقد يحس العامى فى نفسه نوع فهم فيسول له ابليس مخاصمة ربه فمنهم من يقول لربه كيف قضى وعاقب . ومنهم من يقول لم ضيق رزق المتقى وأوسع على العاصى . ومنهم طائفة تشكر على النعم فاذا جاء البلاء اعترض وكفر . ومنهم من يقول أى حكمة فى هدم هـذه الأجساد يعذبها بالفناء بعد بنائها . ومنهم من يستبعد البعث . ومن هؤلاء من يختل عليه

مقصوده أو يبتلى ببلاء فيكفر ويقول أنا ما أريد أصلى . وربما غلب فاجر نصرانى مؤمناً فقتله أو ضربه فيقول العوام قد غلب الصليب . ولماذا نصلى إذا كان الأمر كذلك . وكل هذه الآفات تمكن بها منهم إبليس لبعدهم عن العلم والعلماء فلو أنهم استفهموا أهل العلم لأخبروهم أن الله عز وجل حكيم ومالك فلا يبقى مع هذا اعتراض .

﴿ فصل ﴾ ومن العوام من يرضى عن عقل نفسه فلا يبالى بمخالفة العلماء فمتى خالفت فتواهم غرضه أخذ يرد عليهم ويقدح فيهم . وقد كان ابن عقيل يقول : قد عشت هذه السنين فلو أدخلت يدى فى صنعة صانع لقال أفسدتها علىّ ، فلو قلت أنا رجل عالم لقال بارك الله لك فى علمك ليس هذا من شغلك . هذا ، وشغله أمر حسى لو تعاطيته فهمته ، والذى أنا فيه من الأمور أمر عقلى فإذا أفتيته لم يقبل .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه عليهم تقديمهم المتزهدين على العلماء فلو رأوا جبة صوف على أجهل الناس عظموه خصوصا إذا طأطأ رأسه وتخشع لهم ويقولون ، أين هذا من فلان العالم ذاك طالب الدنيا وهذا زاهد لا يأكل عنبه ولا رطبه ولا يتزوج قط جهلا منهم بفضل العلم على الزاهد وإيثاراً للمتزهدين على شريعة محمد بن عبد الله ﷺ ومن نعمة الله سبحانه وتعالى على هؤلاء أنهم لم يدركوا رسول الله ﷺ إذ لو رأوه يكثر التزويج ويصطفى السبايا ويأكل لحم الدجاج ويحب الحلوى والعسل لم يعظم فى صدورهم .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه عليهم قدحهم فى العلماء بتناول المباحات وذلك من أقبح الجهل . وأكثر ميلهم إلى الغرباء فهم يؤثرون الغريب على أهل بلدهم ممن قد خبروا أمره وعرفوا عقيدته فيميلون إلى الغريب ولعله من الباطنية . وإنما ينبغى تسليم النفوس إلى من خبرت معرفته قال الله عز وجل (فان آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم) ومنّ الله سبحانه فى ارسال محمد ﷺ إلى الخلق بأنهم يعرفون حاله فقال عز وجل (لقد من الله على

المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) وقال (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) .

﴿ فصل ﴾ وقد يخرج بالعوام تعظيم المتزهدين إلى قبول دعاويهم وان خرقوا الشريعة وخرجوا عن حدودها . فترى المتنمس يقول للعامى : أنت فعلت بالأمس كذا وسيجرى عليك كذا فيصدقه . ويقول : هذا يتكلم على الخاطر ولا يعلم أن ادعاء الغيب كفر . ثم يرون من هؤلاء المتنمسين أموراً لا تحل كمؤاخاة النساء والخلوة بهن ولا ينكرون ذلك تسليما لهم أحوالهم

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه على العوام اطلاقهم أنفسهم فى المعاصى فاذا وبخوا تكلموا كلام الزنادقة . فمنهم من يقول : لا أترك نقداً لنسيئه . ولو فهموا لعلموا أن هذا ليس بنقد لأنه محرم وإنما يخير بين النقد والنسيئة المباحين فمثلهم كمثل محموم جاهل يأكل العسل فاذا عوتب قال الشهوة نقد والعافية نسيئة . ثم لو علموا حقيقة الايمان لعلموا أن تلك النسيئة وعد صادق لا يخلف . ولو عملوا عمل التجار الذين يخاطرون بكثير من المال لما يرجونه من الربح القليل لعلموا أن ما تركوه قليل وما يرجونه كثير . ولو أنهم ميزوا بين ما آثروا وما أفاتوا أنفسهم لرأوا تعجيل ما تعجلوا إذ فاتهم الربح الدائم وأوقعهم فى العذاب الذى هو الخسران المبين الذى لا يتلافى . ومنهم من يقول الرب كريم والعفو واسع والرجاء من الدين فيسمون تمنيهم واغترارهم رجاء وهذا الذى أهلك عامة المذنبين . قال أبو عمرو بن العلاء : بلغنى أن الفرزدق جلس إلى قوم يتذكرون رحمة الله فكان أوسعهم فى الرجاء صدرا فقالوا له : لم تقذف المحصنات . فقال : أخبرونى لو أذنبت إلى والدىّ ما أذنبته إلى ربى عز وجل أتراهما كانا يطيبان نفساً أن يقذفانى فى تنور مملوءاً جمرا . قالوا لا إنما كانا يرحمانك . قال : فأنى أوثق برحمة ربى منهما . قلت : وهذا هو الجهل المحض لأن رحمة الله عزوجل ليست برقة طبع ولو كانت كذلك لما ذبح عصفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد إلى جهنم . وبإسناد عن عباد قال : الأصمعى كنت مع أبى نواس بمكة فإذا أنا بغلام أمرد يستلم الحجر الأسود . فقال لى أبو نواس . والله لا أبرح حتى أقبله عند الحجر الأسود.

فقلت : ويلك اتق الله عز وجل فإنك ببلد حرام وعند بيته الحرام فقال : ما منه بد . ثم دنا من الحجر فجاء الغلام يستلمه فبادر ابو نواس فوضع خده على خد الغـلام فقبله وأنا أنظر فقلت ويلك أفى حرم الله عز وجل فقال دع ذا عنك فإن ربى رحيم ثم أنشد يقول :

وعاشقان التف خـداهما عند استلام الحجر الأسود
فاشتفياً من غير أن يأثما كأنما كانا على موعد

قلت. انظروا إلى هذه الجرأة التى نظر فيها إلى الرحمة ونسى شدة العقاب بانتهاك تلك الحرمة . وقد ذكرنا فى أول الكتاب هذا أن رجلا زنى بامرأة فى الكعبة فمسخا حجرين . ولقـد دخلوا على أبى نواس فى مرض موته فقالوا له تب إلى الله عز وجل فقال إياى تخوفون حدثنى حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ . لكل نبى شفاعتى وإنى اختبأت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى . أفترى لا أكون أنا منهم .

قال المصنف رحمه الله وخطأ هذا الرجل من وجهين . أحدهما أنه نظر إلى جانب الرحمة ولم ينظر إلى جانب العقاب . والثانى أنه نسى أن الرحمة إنما تكون فسائب كما قال عز وجل (وإنى لغفار لمن تاب) وقال (ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون) وهذا التلبيس هو الذى يهلك عامة العوام وقد كشفناه فى ذكر أهل الإباحة .

﴿ فصل ﴾ ومن العوام من يقول. هؤلاء العلماء يحافظون على الحدود فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا فأمرى أنا قريب وكشف هـذا التلبيس أن الجاهل والعالم فى باب التكليف سواء فغلبه الهوى للعالم لا يكون عذراً للجاهل . وبعضهم يقول . ما قدر ذنبى حتى أعاقب . ومن انا حتى أؤاخذ ، وذنبى لا يضره وطاعتى لا تنفعه وعفوه أعظم من جرمى كما قال قائلهم :

من أنا عند الله حتى إذ أذنبت لا يغفرلى ذنبى

وهذه حماقة عظيمة كأنهم اعتقدوا أنه لا يؤاخذ إلا ضداً أو نداً . ثم ما علموا أنه بالمخالفة قد صاروا فى مقام معاند ، وسمع بن عقيل رحمه الله رجلا يقول ، من أنا حتى يعاقبنى الله، فقال : له أنت الذى لو أمات الله جميع

الخلائق وبقيت أنت لكان قوله تعالى (ياأيها الناس) خطاباً لك . ومنهم من يقول ، سأتوب واصلح ، وكم من ساكن الأمل من أبله فاختطفه الموت قبله ، وليس من الحزم تعجيل الخطأ وانتظار الصواب . وربما لم تتهيأ التوبة وربما لم تصح وربما لم تقبل ثم لو قبلت بقي الحياء من الجناية أبداً . فمراراة خاطر المعصية حتى تذهب أسهل من معاناة التوبة حتى تقبل . ومنهم من يتوب ثم ينقض فيلج عليه إبليس بالمكائد لعلمه بضعف عزمه . وبإسناد عن الحسن أنه قال : إذا نظر إليك الشيطان ورآك على غير طاعة الله تعالى فنعاك وإذا رآك مداوماً على طاعة الله ملك ورفضك وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه عليهم أن يكون لأحدهم نسب معروف فيغتر بنسبه فيقول : أنا من أولاد أبو بكر . وهذا يقول . أنا من أولاد علي . وهذا يقول : أنا شريف من أولاد الحسن أو الحسين أو يقول . أنا قريب النسب من فلان العالم أو من فلان الزاهد وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين. أحدهما : أنهم يقلون من أحب إنساناً أحب أولاده وأهله . والثاني : أن هؤلاء : لهم شفاعة وأحق من شفعوا فيه أهلهم وأولادهم . وكلا الأمرين غلط أما المحبة فليست محبة الله عزوجل كمحبة الآدمين وإنما يحب من أطاعه فإن أهل الكتاب من أولاد يعقوب ولم ينتفعوا بآبائهم ولو كانت محبة الأب تسرى لسرى إلى البغض أيضاً . وأما الشفاعة فقد قال الله تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) ولما أراد نوح حمل ابنه في السفينة قيل له « إنه ليس من أهلك » ولم يشفع إبراهيم في أبيه ولا نبينا في أمه وقد قال ﷺ لفاطمة رضي الله عنها . « لا أغنى عنك من الله شيئاً » ومن ظن أنه ينجو بنجاة أبيه كان كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه .

﴿فصل﴾ ومن تلبيسه عليهم أن يعتمد أحدهم على خلة خير ولا يبالي بما فعل بعدها . فمنهم من يقول : أنا من أهل السنة وأهل السنة على خير ثم لا يتحاشى عن المعاصي . وكشف هذا التلبيس أن يقال له إن الاعتقاد فرض والكف عن المعاصي فرض آخر فلا يكفي أحدهما عن صاحبه . وكذلك

تقول الروافض : نحن يدفع عنا موالاة أهل البيت وكذبوا فإنه إنما يدفع التقوى . ومنهم من يقول أنا ألازم الجماعة وأفعل الخير وهذا يدفع عني وجوابه كجواب الأول .

﴿ فصل ﴾ ومن هذا الفن تلبيسه على العيارين في أخذ أموال الناس فإنهم يسمون بالفتيان ويقولون : الفتى لا يزنى ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة ومع هذا لا يتحاسون من أخذ أموال الناس وينسون تقلي الأكباد على الأموال ويسمون طريقتهم الفتوة . وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ويجعلون إلباس السراويل للداخل في مذهبهم كإلباس الصوفيه للمريد المرقعة وربما يسمع أحد هؤلاء عن ابنته أو أخته كلمة وزر لا تصح وربما كانت من محرض فقتلها ويدعون أن هذه فتوة . وربما افتخر أحدهم بالصبر على الضرب . وباسناد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه كان يقول : كنت كثيراً أسمع والدي أحمد بن حنبل يقول: رحم الله أبا الهيثم فقلت من أبو الهيثم ؟ فقال أبو الهيثم الحداد : لما مددت يدي إلى العقاب وأخرجت للسياط إذا أنا بانسان يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي: تعرفني قلت لا ، قال أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار مكتوب في ديوان أمير المؤمنين إني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين ، قلت : أبو الهيثم هذا يقال له خالد الحداد . وكان يضرب المثل بصبره . وقال له المتوكل ما بلغ من جلدك قال املأ لي جرابي عقارب ثم أدخل يدي فيه وأنه ليؤلمني ما يؤلمك وأجد لآخر سوط من الألم ما أجد لأول سوط ولو وضعت في فمي خرقة وأنا أضرب لاحترقت من حرارة ما يخرج من جوفي ولكنني وطنت نفسي على الصبر ، فقال له الفتح ويحك مع هذا اللسان والعقل ما يدعوك إلى ما أنت عليه من الباطل . فقال أحب الرياسة . فقال المتوكل نحن خليدية . وقال الفتح أنا خليدي . وقال رجل لخالد يا خالد ما أنتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضرب . فقال بلى يؤلمنا ولكن معنا عزيمة صبر ليست لكم . وقال داود بن علي لما قدم بخالد اشتهيت أن أراه

فمضيت إليه فوجدته جالساً غير متمكن لذهاب لحم إليتيه من الضرب وإذا حوله فتيان فجعلوا يقولون . ضرب فلان ، وفعل بفلان كذا ، فقال لهم . لا تتحدثون عن غيركم افعلوا أنتم حتى يتحدث عنكم غيركم .

قال المصنف رحمه الله : فانظروا إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء فيصبرون على شدة الألم ليحصل لهم الذكر ولو صبروا على يسير التقوى لحصل لهم الأجر والعجب أنهم يظنون لحالهم مرتبة وفضيلة مع ارتكاب العظائم .

﴿ فصل ﴾ ومن العوام من يعتمد على نافلة ويضيع فرائض . مثل أن يحضر المسجد قبل الأذان ويتنفل فإذا صلى مأموماً سابق الإمام . ومنهم من لا يحضر فى أوقات الفرائض ويزاحم ليلة الرغائب . ومنهم من يتعبد ويبكى وهو مصر على الفواحش لا يتركها . فإن قيل له قال : سيئة وحسنة والله غفور رحيم وجمهورهم يتعبد برأيه فيفسد أكثر مما يصلح . ورأيت رجلا منهم قد حفظ القرآن وتزهد ثم حب نفسه وهذا من أفحش الفواحش.

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على خلق كثير من العوام يحضرون مجالس الذكر ويبكون ويكتفون بذلك ظناً منهم أن المقصود الحضور والبكاء لأنهم يسمعون فضل الحضور فى مجالس الذكر . ولو علموا أن المقصود إنما هو العمل وإذا لم يعمل بما يسمع كان زيادة فى الحجة عليه. وانى لأعرف خلقاً يحضرون المجالس منذ سنين ويبكون ويخشعون ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده من المعاملة فى الربا والغش فى البيع والجهل بأركان الصلاة والغيبة للمسلمين والعقوق للوالدين وهؤلاء قد لبس عليهم إبليس فأراهم أن حضور المجلس والبكاء يدفع عنه مايلابس من الذنوب . وأرى بعضهم ان مجالسة العلماء والصالحين يدفع عنكم . وشغل آخرين بالتسويف بالتوبة فطال عليهم مطالهم . وأقام قوماً منهم للتفرج فيما يسمعونه وأهملوا العمل به .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على أصحاب الأموال من أربعة أوجه . أحدها : من جهة كسبها فلا يبالون كيف حصلت وقد فشا الربا فى أكثر معاملاتهم وأنسوه حتى أن جمهور معاملاتهم خارجة عن الاجماع وقد روى

أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « ليأتين على الناس زمان لا يبالى المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام » والثانى : من جهة البخل بها فمنهم من لا يخرج الزكاة أصلا إنكالا على العفو. ومنهم من يخرج بعضها ثم يغلبه البخل فينظر أن المخرج يدفع عنه . ومنهم من يحتال لاسقاطها مثل أن يهب المال قبل الحول ثم يسترده . ومنهم من يحتال بإعطاء الفقير ثوباً يقومه عليه بعشرة دنانير وهو يساوى دينارين ويظن ذلك الجهل أنه قد تخلص . ومنهم من يخرج الردىء مكان الجيد ومنهم من يعطى الزكاة لمن يستخدمه طول السنة فهى على الحقيقة أجره . ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغى فيقول له إبليس ما بقى عليك فيمنعه أن يتنفل بصدقة حباً للمال فيفوته أجر المتصدقين ويكون المال رزق غيره .

وبإسناد عن الضحاك عن ابن عباس قال : أول ماضرب الدرهم أخذه إبليس فقبله ووضعه على عينه وسرته وقال بك أطغى وبك أكفر . رضيت من ابن آدم بحبه الدينار من أن يعبدنى. وعن الأعمش عن شقيق عن عبدالله قال : إن الشيطان يرد الإنسان بكل ريدة فإذا أعياه اضطجع فى ماله فيمنعه أن ينفق منه شيئاً . والثالث من حيث التكثير بالأموال فإن الغنى يرى نفسه خيراً من الفقير وهذا جهل لأن الفضل بفضائل النفس اللازمة لها لا بجمع حجارة خارجة عنها كما قال الشاعر .

غنى النفس لمن يعقل خير من غنى المال
وفضل النفس فى الأنفس ليس الفضل فى الحال

والرابع فى إنفاقها . فمنهم من ينفقها على وجه التبذير والإسراف، تارة فى البنيان الزائد على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان وزخرفة البيوت وعمل الصور . وتارة فى اللباس الخارج بصاحبه إلى الكبر والخيلاء ، وتارة فى المطاعم الخارجة إلى السرف . وهذه الأفعال لا يسلم صاحبها من فعل محرم أو مكروه وهو مسئول عن جميع ذلك .

وباسناد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « ياابن آدم لا تزول قدماك يوم القيامة بين يدى الله عز وجل حتى تسأل عن أربع عمرك فيما

أفنيته وجسدك فيما أبليته ومالك من أين اكتسبته وأين أنفقته . ومنهم من ينفق فى بناء المساجد والقناطر إلا أنه يقصد الرياء والسمعة وبقاء الذكر فيكتب اسمه على ما بنى ولو كان عمله لله عز وجل لاكتفى بعلمه سبحانه وتعالى ولو كلف أن يبنى حائطاً من غير أن يكتب اسمه عليه لم يفعل . ومن هذا الجنس إخراجهم الشمع فى رمضان فى الأنوار طلباً للسمعة ومساجدهم طول السنة مظلمة لأن اخراجهم قليلا من دهن كل ليلة لا يؤثر فى المدح ما يؤثر فى إخراج شمعة فى رمضان ولقد كان أغناء الفقراء بثمن الشمع أولى ولربما خرجت الأضواء الكثيرة السرف الممنوع منه غير ان الرياء يعمل عمله ، وقد كان احمد بن حنبل يخرج إلى المسجد وفى يده سراج فيضعه ويصلى . ومنهم من إذا تصدق أعطى الفقير والناس يرونه فيجمع بين قصده مدحهم وبين إذلال الفقير . وفيهم من يجعل منه الدنانير الخفاف فيكون فى الدينار قيراطان ونحو ذلك وربما كانت رديئة فيتصدق بها بين الجمع مكشوفة ليقال قد أعطى فلان فلاناً ديناراً وبالعكس من هذا كان جماعة الصالحين المتقدمين يجعلون فى القرطاس الصغير ديناراً ثقيلا يزيد وزنه على دينار ونصف ويسلمونه إلى الفقير فى سر فاذا رأى قرطاساً صغيراً ظنه قطعة فاذا لمسه وجد تدوير دينار ففرح فاذا فتحه ظنه قليل الوزن فاذا رآه ثقيلا ظنه يقارب الدينار فاذا وزنه فراه زائداً على الدينار اشتد فرحه فالثواب يتضاعف للمعطى عند كل مرتبة . ومنهم من يتصدق على الأجانب ويترك بر الأقارب وهم أولى وباسناد عن سليمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « الصدقة على المسكين صدقة والصدقة على ذوى الرحم اثنتان صدقة وصلة » . ومنهم من يعلم فضيلة التصدق على القرابة إلا أن يكون بينهما عداوة دنيوية فيمتنع من مواساته مع علمه بفقره ولو واساه كان له أجر الصدقة والقرابة ومجاهدة الهوى . وقد روى عن أبى أيوب الأنصارى قال قال رسول الله ﷺ « إن أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح » .

قال المصنف رحمه الله ، وانما قبلت هذه الصدقة وفضلت لمخالفة الهوى فان من تصدق على ذى قرابة يحبه فقد اتفق على هواه . ومنهم من يتصدق

ويضيق على أهله فى النفقة . وقد روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى وأبدأ بمن تعول » وباسناد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «تصدقوا فقال رجل عندى دينار فقال تصدق به على نفسك . قال عندى دينار آخر قال تصدق به على زوجتك قال عندى دينار آخر قال تصدق به على ولدك . قال عندى دينار آخر قال تصدق به على خادمك . قال عندى آخر قال أنت أبصر به » . ومنهم من ينفق فى الحج ويلبس عليه ابليس بأن الحج قربة وإنما مراده الرياء والفرجة ومدح الناس . قال رجل لبشر الحافى . اعددت ألفى درهم للحج . فقال: احججت؟ قال نعم، قال: اقض دين مدين قال: ما تميل نفسى إلا الى الحج قال مرادك أن تركب وتجىء ويقال فلان حاجى . ومنهم من ينفق على الأوقات والرقص ويرمى الثياب على المغنى . ويلبس عليه ابليس بأنك تجمع الفقراء وتطعمهم وقد بينا أن ذلك أن مما يوجب فساد القلوب ومنهم من إذا جهز ابنته صاغ لها دست الفضة ويرى الأمر فى ذلك قربة وربما كانت له ختمة فتقدم مجامر الفضة ويحضر هناك قوم من العلماء فلا هو يستعظم ما فعل ولا هم ينكرون اتباعا للعادة . ومنهم من يجوز فى وصيته ويحرم الوارث ويرى أنه ماله يتصرف فيه كيف شاء وينسى أنه بالمرض قد تعلقت حقوق الوارثين به . وباسناد عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ « من حاف عند الوصية قذف فى الوباء » والوباء واد فى جهنم . وعن الأعمش عن خيثمة قال: قال رسول الله ﷺ « ان الشيطان يقول ما غلبنى عليه ابن آدم فلن يغلبنى على ثلاث آمره بأخذ المال من غير حقه وآمره بانفاقه فى غير حقه ومنعه من حقه » .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على الفقراء فمنهم من يظهر الفقر وهو غنى فان آضاف إلى هذا السؤال والأخذ من الناس فانما يستكثر من نار جهنم . اخبرنا ابن الحصين باسناده عن محمد بن فضيل عن عمارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « من سأل الناس أموالهم تكثراً فانما يسأل جمراً فليستقل منه أو ليستكثر » وإن لم يقبل هذا الرجل من الناس شيئاً وكان مقصوده باظهار الفقر أن يقال رجل زاهد فقد رآى . وإن

كتم نعمة الله عنده ليظهر عليه الفقر لئلا ينفق فى ضمن بخله الشكوى من الله .

وقد ذكرنا فيما تقدم أن رسول الله ﷺ رأى رجلا بادى الهيئة فقال « هل لك من مال . قال نعم . قال فلتر نعمة الله عليك » . وإن كان فقيراً محقاً فالمستحب له كتمان الفقر وإظهار التجمل فقد كان فى السلف من يحمل مفتاحاً يوهم أن له داراً ولا يبيت إلا فى المساجد .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيس إبليس على الفقراء أنه يرى نفسه خيراً من الغنى إذ قد زهد فيما رغب ذلك الغنى فيه وهذا غلط وان الخيرية ليست بالوجود والعدم وانما هى بأمر وراء ذلك .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على جمهور العوام بالجريان مع العادات وذلك من أكثر أسباب هلاكهم . فمن ذلك أنهم يقلدون الآباء والأسلاف فى اعتقادهم على ما نشئوا عليه من العادة فترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة على ما كان عليه أبوه ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ . ومن هذا تقليد اليهود والنصارى والجاهلية أسلافهم وكذلك المسلمون يجرون فى صلاتهم وعباداتهم مع العادة فترى لرجل يعيش سنين يصلى على صورة ما رأى الناس يصلون ولعله لا يقيم الفاتحة ولا يدرى ما الواجبات ولا يسهل عليه أن يعرف ذلك هواناً بالدين ولو أنه أراد تجارة لسأل قبل سفره عما ينفق فى ذلك البلد ، ثم ترى أحدهم يركع قبل الإمام ويسجد قبل الإمام ولا يعلم أنه إذا ركع قبله فقد خالفه فى ركن فإذا رفع قبله فقد خالفه فى ركنين فبطلت صلاته وقد رأيت جماعة يسلمون عند تسليم الإمام وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شىء وذاك أمر لا يحمله الإمام فتكون صلاته باطلة . وربما يترك أحدهم فريضه وزاد فى نافلة . وربما أهمل غسل بعض العضو كالعقب وربما كان فى يده خاتم قد حصر الأصبع فلا يديره وقت الوضوء ولا يصل الماء إلى ما تحته فلا يصح وضوؤه وأما بيعهم وشراؤهم فأكثر عقودهم فاسدة ولا يتعرفون حكم الشرع فيها ولا يخف على أحدهم أن يقلد فقيها فى رخصته استقلالا منهم للدخول تحت حكم الشريعة . وقل

أن يبيعوا شيئاً إلا وفيه غش ويغطيه عيب . والجلاء يغطى عيوب الذهب الردىء حتى أن المرأة تضع الغزل فى الانداء وتنديه ليثقل وزنه .

ومن جريانهم مع العادة أن أحدهم يتوانى فى صلاته المفروضة فى رمضان ويفطر على الحرام،ويغتاب الناس ، وربما لو ضرب بالخشب لم يفطر فى العادة لأن فى العادة استبشاع الفطر .ومنهم من يدخل فى الربا بالاستئجار فيقول معي عشرون ديناراً لا املك غيرها فان أنفقتها ذهبت وأنا أستأجر بها داراً وآكل أجرة الدار ظناً منه إن هذا الأمر قريب .ومنهم من يرهن الدار على شيء ويؤدي ويقول هذا موضع ضرورة وربما كانت له دار أخرى وفى بيته آلات لو باعها لاستغنى عن الرهن والاستئجار ولكنه يخاف على جاهه أن يقال قد باع داره أو انه يستعمل الخزف مكان الصفر . ومما جروا فيه على العادات اعتمادهم على قول الكاهن والمنجم والعراف وقد شاع ذلك بين الناس واستمرت به عادات الأكابر فقل أن ترى أحداً منهم يسافر أو يفصل ثوباً أو يحتجم إلا سأل المنجم وعمل بقوله ولا تخلو دورهم من تقويم وكم من دار لهم ليس فيها مصحف . وفى الصحيح عن النبي ﷺ انه سأل عن الكهان « فقال : ليسوا بشيء .فقالوا يارسول الله إنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً . فقال رسوله الله ﷺ . تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فينقرها فى أذن وليه نقر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة .

وفى صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » وروى أبو داود من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برىء مما أنزل على محمد ﷺ » ومن جريانهم مع العادات كثرة الإيمان الحانثة التى أكثرها ظهاروهم لا يعلمون فأكثر قولهم فى الإيمان حرام عليّ ان بعت، ومن عاداتهم لبس الحرير والتختم بالذهب ، وربما تورع أحدهم عن لبس الحرير ثم لبسه فى وقت كالخطيب يوم الجمعة ، ومن عاداتهم إهمال انكار المنكر حتى أن الرجل يرى أخاه أو قريبه يشرب الخمر ويلبس الحرير فلا

ينكر عليه ولا يتغير بل يخالطه مخالطة حبيب ، ومن عاداتهم أن يبنى الرجل على باب داره مصطبة يضيق بها طريق المارة وقد يجتمع على باب داره ماء مطر ويكثر فيجب عليه إزالته وقد أثم بكونه كان سبباً لأذى المسلمين ، ومن عاداتهم دخول الحمام بلا مئزر وفيهم من إذا دخل بمئزر رمى به على فخذه فيرى جوانب أليتيه ويسلم نفسه الى المدلك فيرى بعض عورته ويمسها بيده لأن العورة من السرة إلى الركبه ثم ينظر هؤلاء إلى عورات الناس ولا يكاد يغض ولا ينكر . ومن عادتهم ترك القيام بحق الزوجة وربما اضطروها إلى أن تسقط مهرها ويظن الزوج أنه قد تخلص بما قد اسقطته عنه . وقد يميل الرجل إلى إحدى زوجتيه دون الأخرى فيجوز فى القسم متهاونا بذلك ظناً ان الأمر فيه قريب فقد روى أبو هريرة . رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من كانت له امرأتان يميل إلى إحديهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر احدى شقيه ساقطاً أو مائلا » ومن عادتهم اثبات الفلس عند الحاكم ويعتقد الذى قد حكم له بالفلس أنه قد سقطت عنه بذلك الحقوق وقد يوسر ولا يؤدى حقا . ومنهم من لا يقوم من دكانه بحجة الفلس إلا وقد جمع مالا من أموال المعاملين فأضربه ينفقه فى مدة استتارة وعنده إن الأمر فى ذلك قريب . ومما جروا فيه على العادات أن الرجل يستأجر ليعمل طول النهار فيضيع كثيراً من الزمان إما بالتثبط فى العمل أو بالبطالة أو بإصلاح آلات العمل مثل أن يحد النجار الفأس والشقاق المنشار ومثل هذا خيانة إلا أن يكون ذلك يسيراً قد جرت العادة بمثله . وقد يفوت أكثرهم الصلاة ويقول أنا فى إجارة رجل ولا يدرى أن أوقات الصلاة لا تدخل فى عقد الإجارة . وقلة نصحهم فى أعمالهم كثيرة ومما جروا فيه على العادة دفن الميت فى التابوت وهذا فعل مكروه وأما الكفن فلا يتباهى فيه بالمغالاة ينبغى أن يكون وسطا . ويدفنون معه جملة من الثياب وهذا حرام لأنه إضاعة للمال ويقيمون النوح على الميت ، وفى صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : « أن النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » ومن عاداتهم اللطم وتمزيق الثياب وخصوصاً

النساء . وفى الصحيحين أن النبي ﷺ قال : ليس منامن شق الجيوب ولطم الخدود ودعى بدعوى الجاهلية، وربما رأوا المصاب قدشق ثوبه فلم ينكروا عليه لابل ربما أنكروا ترك شق الثوب وقالوا ما أثرت عنده المصيبة.ومن عاداتهم يلبسون بعد الميت الدون من الثياب ويبقون على ذلك شهراً أوسنة وربما لم يناموا هذه المدة فى سطح.ومن عاداتهم زيارة المقابر فى ليلة النصف من شعبان وإيقاد الدار عندها وأخذ تراب القبر المعظم . قال ابن عقيل لما التكاليف على الجهال والضغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم كفار عندى بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالألواح وكتب الرقاع فيها يامولاى أفعل بى كذا وكذا وأخذ التراب تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ولا تجد فى هؤلاء من يحقق مسألة فى زكاة فيسال عن حكم يلزمه : والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكهف ولم يتمسح بآجرة مسجد المأمونية يوم الأربعاء ولم يقل الحالون على جنازته أبو بكر الصديق أو محمد وعلى . ولم يكن معها نياحة . ولم يعقد على أبيه أزجاً بالجص والآجر ولم يشق ثوبه إلى ذيله ولم يرق ماء الورد على القبر ويدفن معه ثيابه .

﴿ فصل ﴾ وأما تلبيس إبليس على النساء فكثير جداً وقد أفردت كتاباً للنساء ذكرت فيه ما يتعلق بهن من جميع العبادات وغيرها وأنا أذكر ههنا كلمات من تلبيس إبليس عليهن فمن ذلك أن المرأة تطهر من الحيض بعد الزوال فتغتسل بعد العصر فتصلى العصر وحدها وقد وجبت عليها الظهر وهى لا تعلم وفيهن من يؤخر الغسل يومين وتحتج بغسل ثيابها وغسلهم ودخول الحمام : وقد تؤخر غسل الجنابة فى الليل إلى أن تطلع الشمس . فإذا دخلت الحمام لم تتزر بمئزر وتقول ما دخل إلىّ إلا القيمة . وربما قالت أنا وأختى وأمى وجاريتى وهن نساء مثلى فممن أستتر وهذا كله حرام . فإن تخير الغسل بغير عذر لا يجوز ولا يحل للمرأة أن تنظر من المرأة

مابين سرتها وركبتها ولو كانت ابنتها وأمها إلا أن تكون البنت صغيرة فإذا بلغت سبع سنين استترت واستتر منها وقد تصلى المرأة قاعدة وهى تقدر على القيام فالصلاة حينئذ باطلة . وقد تحتج بنجاسة فى ثوبها من بول طفلها وهى تقدر على غسله ولو أرادت الخروج إلى الطريق لتهيأت واستعارت وإنما هان عندها أمر الصلاة وقد لا تعرف من واجبات الصلاة شيئاً ولا تسأل . وقد ينكشف من الحرة ما يبطل صلاتها وتستهين به . وقد تستهين المرأة بإسقاط الحبل ولا تدرى أنها إذا أسقطت ما قد نفخ فيه الروح فقد قتلت مسلماً وقد تستهين بالكفارة الواجبة عليها عند ذلك الفعل فانه يجب عليها أن تتوب وتؤدى دينه إلى ورثته وهى غرة عبد أو أمة قيمتها نصف عشر دية أبية أو عشر دية الأم ولا ترث الأم من ذلك شيئاً ثم تعتق رقبة فان لم تجد صامت شهرين متتابعين . وقد تسيء الزوجة عشرتها مع الزوج وربما كلمته بالمكروه وتقول هذا أبو أولادى وما بيننا هذا وتخرج بغير إذنه وتقول ما خرجت فى معصية ولا تعلم أن خروجها بغير إذنه معصية . ثم نفس خروجها لا يؤمن منه فتنة . وفيهن من تلازم القبور وتحد لا على الزوج وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : لا يحل لامرأة تؤمن بالله ورسوله أن تحد على ميت إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً . ومنهم من يدعوها زوجها إلى فراشه فتأبى وتظن هذا الخلاف ليس بمعصية وهى منهية عنه لما روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فباتت وهو عليها ساخط لعنتها الملائكة حتى تصبح » أخرجاه فى الصحيحين وقد تفرط المرأة فى مال زوجها ولا يحل لها أن تخرج من بيته شيئاً إلا أن يأذن لها أو تعلم رضاه . وقد تعطى من ينجم لها بالحصى ويسحر ومن تعمل لها نسخة محة وعقد لسان وكل هذا حرام ، وقد تستجيز ثقب آذان الأطفال وهو حرام فان أفلحت وحضرت مجلس الواعظ فربما لبست خرقة من يد الشيخ الصوفى وتصالحه فصارت من بنات المنبر فخرجت إلى عجائب ، وينبغى أن نكف عنان العلم اقتصاراً على هذه النبذة فان هذا الأمر يطول ولو بسطنا لنبذ المذكورة فى هذا الكتاب أو شيدنا ردنا على من رددنا

عليه بالأحاديث والآثار لاجتمعت مجلدات ، وإنما ذكرنا اليسير ليدل على الكثير وقد اقتنعنا فى ذكر فاحش القبيح من أفعال الغالطين بنفس حكايته دون تعاطى رده لأن الأمر فيه ظاهر والله يعصمنا من الزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل بمنه وكرمه .

﴿ الباب الثالث عشر ﴾

(فى ذكر تلبيس إبليس على جميع الناس بطول الأمل)

قال المصنف رحمه الله : كم قد خطر على قلب يهودى ونصرانى حب الإسلام فلا يزال إبليس يثبطه ويقول لا تعجل وتمهل فى النظر فيسوفه حتى يموت على كفره وكذلك يسوف العاصى بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه الإنابة كما قال الشاعر :

لا تعجل الذنب لما تشتهى   وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سوفه ، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه . فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال استرح ساعة أو انتبه العابد فى الليل يصلى فقال له عليك وقت . ولا يزال يحبب الكسل ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل فينبغى للحازم أن يعمل على الحزم والحزم تدارك الوقت وترك التسوف والاعراض عن الأمل فإن المخوف لا يؤمن والفوات لا يبعث وسبب كل تقصير فى خير ، أو ميل أن شر طول الأمل فان الإنسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشر والاقبال على الخير إلا أنا يعد نفسه بذلك ولا ريب أنه من الأمل أن يمشى بالنهار سار سيراً فاتراً ومن أمل أن يصبح عمل فى الليل عملا ضعيفاً ومن صور الموت عاجلا جد ، وقد قال ﷺ « صل صلاة مودع » وقال بعض السلف : أنذركم سوف فإنها أكبر جنود إبليس : ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل كمل قوم فى سفر فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجس متأهباً للرحيل : وقال المفرط سأتأهب فربما أقمنا شهراً ، فضرب بوق الرحيل فى الحال فاغتبط المحترز واغتبط الآسف المفرط فهذا مثل الناس فى الدنيا

منهم المستعد المستيقظ فإذا جاء ملك الموت لم يندم ومنهم المغرور المسوف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة فإذ كان فى الطبع حب التوانى وطول الأمل ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى مافى الطبع صعبت المجاهدة إلا أنه من انتبه لنفسه علم أنه فى صف حرب وأن عدوه لا يفتر عنه فإن افتر فى الظاهر بطن له مكيدة وأقام له كميناً ونحن نسأل الله عز وجل السلامة من كيد العدو وفتن الشيطان وشر النفوس والدنيا انه قريب مجيب جعلنا الله من أولئك المؤمنين .

تم والحمد لله أولا وآخرا

كلمة لمصححه وناشره

للمرة الأولى

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله ومن تمسك بهديه وولاء .

أما بعد فيقول مصحح هذا الكتاب وناشره « محمد منير الدمشقى الأزهرى » قد تم بحول الله وتوفيقه طبع « كتاب تلبيس إبليس » لعالم الآفاق وواعظ العراق الإمام الحافظ الكبير أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله وجعل الجنة مأواه .

وقد بذلت جهدى فى تصحيحه ومراجعة أصوله وكان لدىّ حين شرعت فى طبعه للمرة الأولى نسختان خطيتان مختلفتا التاريخ ووفقت للمرة الثانية بنسخة ثالثة فجاءت هذه الطبعة خيراً من سابقتها بكثير والحمد لله فنشكر الله على جزيل نعمه وسوابغ منه . والله أرجو القبول فإنه خير مسؤول .

صحيفة	
٢	خطبة الكتاب
٣	بدء اختلاف العقائد وتشعب الاهواء . حكمة بعثة الرسل
٤	التحذير من مكايد ابليس وسبب وضع الكتاب
٤	حقيقة الديانة الاسلامية
٥	تقسيم الكتاب وتراجم أبوابه
٥	(الباب الأول) فى الأمر بلزوم السنة والجماعة
٦	الآثار الوازدة بأن يدالله مع الجماعة
٧	افتراق بنى اسرائيل الى ٧٣ فرقة
٨	الترغيب فى السنة وأهلها
١١	(الباب الثانى) فى ذم البدع والمبتدعين
١٣	الكلام فى الارجاء والنهى عنه
١٤	أهل الأهواء والنهى عن مخالطتهم
١٥	تعريف السنة وتعريف البدعة
١٥	شىء من خبر بشر المريسى
١٦	نفور السلف من كل مبتدع ومبتدع يصادم الشرع
١٨	بيان انقسام أهل البدع
١٨	أصول الفرق الاسلامية الـ٧٣ فرقة وبيانها فرقة فرقة
٢٣	(الباب الثالث) فى التحذير من فتن ابليس ومكايده وما ورد فى ذلك
٢٣	التفاضل وأنه أول ما عرض لابليس لعنه الله
٢٤	التحذير من نصح ابليس بعكس القضية عليه
٢٥	تحريشه بين المصلين وخبره مع يحي ابن زكريا عليهما السلام
٢٦	خبره مع راهب بنى اسرائيل حتى حمله على الكفر بواسطة المرأة
٢٩	خبره مع الراهب وتشبهه له بالمسيح عليه السلام
	خبره مع نوح عليه السلام وركوبه فى السفينة
٢٩	خبره مع موسى عليه السلام ونصيحته له
٣٠	أخبار متفرقة عن ابليس ومكايده
٣٦	الشيطان وأولاده الخمسة ووظائفهم فى الاغراء
٣٣	بيان أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم
٣٥	الاخبار الواردة بالتعوذ منه
٣٧	(الباب الرابع) فى معنى التلبيس والغرور
٣٩	﴿ الباب الخامس ﴾ فى ذكر تلبيسه العقائد والديانات
٣٩	ذكر تلبيسه على السوفسطائية وتقرير مذهبهم والرد عليهم بما يقنع
٤٣	ذكر تلبيسه على الطبائعين
٤٤	ذكر تلبيسه على الثنوية
٤٥	ذكر تلبيسه على الفلاسفة
٤٥	مذهب أرسطاطاليس بقدم العالم

صحيفة

٤٦ مذهب سقراط بالعلة والعنصر والصورة

٤٧ مذهب القائلين بأن الله لا يعلم إلا نفسه ومذهب ابن سينا

٤٧ إنكار الفلاسفة بعث الأجساد ورد الأرواح إليها

٤٩ فصل فيمن لبس عليهم من أهل الاسلام فاتبعوا مذهب الفلاسفة

٥٠ تلبيسه على أصحاب الهياكل

٥١ الكلام على عبادتهم للكواكب والأصنام

٥٢ تلبيسه على عباد الاصنام وتوليتهم

٥٥ الاصنام عند العرب وتعدادها

٥٦ أول من غير دين إسماعيل من العرب

٥٧ الأصنام التي كانت حول الكعبة

٥٩ أخبار عبادة العرب الحجارة والنار

٦١ خبر عبادة أهل الهند الاصنام

٦٢ ذكر تلبيسه على عابدى النار

٦٢ أخبار زرادشت وأول بيوت النار وعباد القمر

٦٣ تلبيسه على الجاهلية بمذاهب شتى

٦٤ ذكر من تمسك بالتوحيد من العرب وعاداتهم وبدعهم

٦٥ تلبيسه على جاحدى النبوات

٦٥ مذاهب البراهمة فى إنكار النبوات وقد ألقى إبليس اليهم ست شبهات وبيانها مفصلة والجواب عنها

صحيفة

٦٨ الرد على الملحدين المتسترين بالاسلام كابن الراوندى ومن شاكله

٦٩ مذاهب البراهمة وإزهاق أرواحهم

٧٥ تلبيسه على اليهود ومخالفاتهم فى الدين وإنكارهم التسبيح وصفات نبينا محمد رسول الله ﷺ

٧٣ تلبيسه عل النصارى فى التثليث

٧٣ من تلبيس إبليس على اليهود والنصارى قولهم لا يعذبنا الله لاجل أسلافنا

٧٤ تلبيسه على الصابئة وحكاية مذهبهم

٧٥ تلبيسه على المجوس فى قولهم بالثنوية

٧٧ تلبيسه على المنجمين القائلين بالفلك

٧٨ تلبيسه على جاحدى البعث وبيان شبهم والرد عليهم

٨٠ تلبيسه على القائلين بالتناسخ

٨١ تلبيسه على أمتنا المقلدين فى العقائد ورأى المؤلف فى التقليد والاجتهاد

٨٢ النهى عن الخوض فى علم الكلام

٨٣ حكايات من سخافات المعتزلة

٨٤ مذهب محمد بن كرام والرد عليه

٨٤ رجوع مناطقة المتكلمين إلى مذهب السلف الصالح

٨٥ الرد على المجسمة ومن وقف مع الظواهر الحسية

صحيفة
٨٨ فصل فى أن الطريق السليم ما كان عليه الرسول ﷺ واصحابه
٩٠ تلبيسه على الخوارج وخبر ذى الخويصرة
٩٠ مبدأ الخوارج وخروجهم على على
٩١ شبههم ومناظرة ابن عباس لهم
٩٣ قصص من أخبارهم فى مذهبهم
٩٤ فصل فيما تفرع عنهم من المذاهب الباطله وذكر رؤوس أهلها
٩٦ فصل فى رأى الخوارج أنه لا تختص الامامة بشخص إلا أن يجتمع فيه العلم والزهد وان كان من اخلاط الناس
٩٧ تلبيسه على الرافضة فى عقائدهم
٩٩ غلوهم فى على ووضعهم أحاديث فى فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه
٩٩ نبذ مما انفردت به الامامية فى الدين
١٠٠ خطبة على فى الشيخين أبى بكر وعمر
١٠٢ تلبيسه على الباطنية وذكر فرقهم مفصلة وهى ثمانية
١٠٢ منهم الاسماعيلية وخبر زعيمهم
١٠٤ ومنهم القرامطة وأخبارهم
١٠٥ ومنهم الخرمية والتعليمية
١٠٦ فصل فى ذكر السبب الباعث لهم على الدخول فى هذه البدعة
١٠٧ حيلهم فى استزلال الناس الى دعوتهم

صحيفة
١١٠ فصل فى ظهور الباطنية ثانياً
١١١ فصل فى ابن الراوندى وإلحاده وبيان زنادقة عصرنا وملحدته وسبب سريان الالحاد فيهم
١١٢ الباب السادس فى تلبيسه على العلماء تلبيسه على القراء والقراءة الشاذة
١١٣ القراءة بالتلحين وحكمها
١١٣ النهى عن القراءة على قانون الاغانى
١١٤ تلبيسه على المكثرين من روايته مع عدم الفقه فيه وحكايات عنهم الرواية للشهرة
١١٦ تلبيسه على المكثرين من الرواية للشهرة
١١٧ تلبيسه عليهم بقدح بعضهم ببعض طلباً للتشفى
١١٨ تلبيسه عليهم بروايات الموضوعات وعدم التنبيه عليها
١١٨ تلبيسه على الفقهاء لجهلهم بالكتاب والسنة
١١٩ إدخالهم أوضاع الفلاسفة فى جدلهم واعتمادهم على ذلك الأوضاع
١٢٠ المناظرة وآدابها والمراد منها
١٢١ الفتوى وتحرج السلف منها وورعهم فى الاقدام عليها
١٢١ تلبيسه عليهم فى مخالطتهم الامراء والسلاطين
١٢٢ المدارس الموقوفه للمتشاغلين بالعلم فلا ينبغى لغيرهم النفقة منها
١٢٣ تلبيسه على الوعاظ والقصاص

صحيفة

وآفاتهم

١٢٥ من آفاتهم حب الرياسة واختلاط الرجال بالنساء فى مجالسهم

١٢٦ تلبيسه على أهل اللغة والادب بأنهم على شيء من العلم

١٢٧ حكاية أبى إسحق الزجاج مع الوزير

١٢٨ تلبيسه على الشعراء

١٢٩ تلبيسه على الكاملين من العلماء

١٣٠ تلبيسه على المحكمين فى العلم بالكبر

١٣٠ تلبيسه عليهم بطلب علو الصيت

١٣١ الباب السابع فى تلبيسه على الولاة والسلاطين

١٣٤ الباب الثامن فى تلبيسه على العباد فى العبادات

١٣٥ تلبيسه عليهم فى الاستطابة والحدث

١٣٥ تلبيسه عليهم فى النية والأسراف فى الماء

١٣٧ تلبيسه عليهم فى الاذان بادخال زيادات لم تشرع اتخذت الآن ديناً

١٣٧ تلبيسه عليهم فى الصلاة والوسوسة فى النية والتكبير كعمل بعض الشافعية المعتوهين الآن

١٤٠ تلبيسه على بعضهم فى مخارج الحروف

١٤٠ تلبيسه على المتعبدين فى صلاة الليل

١٤٢ كراهية التعبد فى المساجد للتعرف

١٤٢ تلبيسه عليهم فى قراءة القرآن

صحيفة

١٤٣ تلبيسه عليهم فى الصوم. والسنة فى نفله

١٤٤ تلبيسه عليهم فى الحج

١٤٦ تلبيسه على الغزاة من وجوه

١٥٠ ﴿ الباب التاسع ﴾ فى تلبيسه على الزهاد والعباد وتمهيد المؤلف لهذا الباب بما يعجب المطلع عليه

١٥١ تلبيسه عليهم فى الاعراض عن العلم

١٥١ تلبيسه عليهم فى المطعم والملبس

١٥٢ الرياء وبيان ظاهره وخفيه

١٥٤ فصل ومن آفات المتزهدين الانقطاع فى المسجد أو الرباط وتركهم تسريح اللحية

١٥٦ ومن آفاتهم لبس الثوب المخرق

١٥٧ ومن تلبيسه اعتمادهم على واقعاتهم

١٥٨ حكاية حاتم البلخى وعيبه على العلماء

١٦٠ الباب العاشر فى تلبيسه على الصوفية

١٦١ أولية الصوفية وسبب تسميتهم

١٦٢ خبر أهل الصفة ونسبة الصوفى اليهم

١٦٣ ظهور إسم المتصوف والمراد منه عندهم

١٦٤ تلبيسه عليهم نصدهم عن العلم تدوين مذهب التصوف وبدعهم ورسومهم

١٦٥ نقد كتاب الصفوة وإحياء العلوم

صحيفة

١٦٥ ذكر مصنفاتهم وطرف من أخبارها
١٦٧ النهى عن مطالعة كتب المحاسى
١٦٧ إنكار المصريين على ذى النون المصرى والبسطامى
١٦٧ الانكار على سهل التسترى
١٦٨ فصل فى نقد غلطات الصوفية
١٦٩ تلبيسه عليهم فى سوء الاعتقاد
١٧٠ الانكار على الخراز فى مؤلفه كتاب السر
١٧١ الحلوليون وكلماتهم فى الحلول
١٧١ حكايات عن الحلاج وإباحة دمه باتفاق علماء عصره قاطبة
١٧٢ تعصب جهلاء الصوفية للحلاج
١٧٣ حكاية أبى شعيب المقفع المبتلى
١٧٣ تلبيسه عليهم فى الطهارة والصلاة
١٧٤ تلبيسه عليهم فى المساكن وبناء الأربطة
١٧٥ تلبيسه عليهم فى الخروج عن الاموال والتجرد عنها
١٧٨ رد المصنف عليهم وتقريره لشرف المال والاستدلال بالشرع والعقل
١٧٩ أغنياء الصحابه
١٨١ فصل جمع المال الحلال
١٨٢ وجوب ادخار المال وكراهية تبديد.
١٨٣ التوكل وان ثقة القلب بالله تعالى
١٨٥ الاستعطاء والسؤال وقبح ذلك
١٨٦ تلبيسه عليهم فى لباسهم المرقعات والفوط

صحيفة

١٨٧ تلبيسه عليهم فى الترسم والتنعم
١٨٨ حكايات عن الصوفية طالبي الدنيا
١٨٩ الانكار عليهم المرقعات ومرقعة ابن الكرينى
١٩١ الرد عليهم فى لبس المصبغات
١٩٢ النهى عن لباس ثياب الشهرة ووصفها
١٩٤ الانكار عليهم لبسهم الصوف
١٩٨ فصل فى أن لباس السلف الثياب المتوسطة
٢٠٠ فصل فى اللباس الذى يزرى بصاحبه يتضمن إظهار الزهد
٢٠١ فصل فى أستحباب تجويد اللباس والتزين للاخوان
٢٠٢ فصل فى تخريقهم الثياب وتقطيعها
٢٠٣ مناظرة الشبلى لابن مجاهد ونقد المؤلف لها
٢٠٤ حكايات عنهم فى إضاعتهم المال فى غير وجهه
٢٠٥ تقصيرهم الثياب وتبذلهم فى اللبس
٢٠٦ ذكر تلبيسه عليهم فى المطعم والمشرب وتقشفهم
٢٠٦ ذكر طرف مما فعله قدماؤهم
٢٠٩ فصل وكان منهم من لا يأكل اللحم
٢١٠ نقد كتاب أبى طالب المكى المسمى بقوت القلوب
٢١١ نقد المصنف لما حكاه عن تقشفهم
٢١٣ فصل فى أن الجوع يضر بالشبان

صحيفة
٢١٤ فصل فى اضرار تناول الاطعمة الرديئة
٢١٦ فصل فى الماء الصافى واضرار الماء الكدر
٢١٧ ذكر حالة الصوفية فى زمن المؤلف
٢٢٢ تلبيسه عليهم فى السماع والرقص والوجد
٢٢٣ الحدو عند العرب وأصل الحداء
٢٢٤ الغناء المباح والغناء المحظور
٢٢٥ مذاهب الائمة فى الغناء
٢٣١ التغبير عندالصوفية وأصل تسميته
٢٣٧ ذكر الادلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منهما من القرآن والسنة والمعنى
٢٣٧ الشبه التى تعلق بها من أجاز السماع
٢٣٨ نقد المصنف على الصوفية فى السماع
٢٤٠ احتجاجه على محمد بن طاهر اباحته السماع
٢٤٥ احتجاج المؤلف على أبى حامد الغزالى فى اباحته السماع
٢٤٨ احتجاجه على القشيرى فى اباحته
٢٤٩ تكفير ابن عقيل لمن قال ان الدعاء عند حدو الحادى مجاب
٢٥٠ تلبيسه عليهم فى الوجد ونقد ذلك
٢٥٢ حال الصحابة عند سماع القرآن والوعظ
٢٥٦ حال من لم يقدر على دفع الوجد
٢٥٨ حكم التصفيق والطرب عند السماع

صحيفة
٢٥٨ فصل فى أحوال الصوفية حال رقصهم
٢٦١ أحكام الخرق المرمية حال وجدهم
٢٦٣ أحكام تقطيعهم الثياب المطروحة
٢٦٤ تلبيسه عليهم فى صحبة الاحداث
٢٦٦ حكم النظر الى الامرد
٢٦٨ رد ابن عقيل على من قال بالاستمتاع بالنظر
٢٧٠ حكايات عنهم فى صحبة الاحداث
٢٧٤ بيان أن كل من فاته العلم تخبط وأشد تخبطا منه من فاته العمل وتحصل على العلم
٢٧٥ فصل فى بيان أن السلف كانوا يبالغون فى الاعراض عن المرد
٢٧٦ فصل فى بيان أن صحبة الاحداث أقوى حبائل الشيطان
٢٧٧ فصل فى عقوبة النظر الى المردان
٢٧٨ تلبيسه عليهم فى ادعاء التوكل وقطع الأسباب وترك الاحتراز فى الاموال
٢٨١ فصل فى أن التوكل لا ينافى الكسب والأخذ بالاسباب
٢٨٤ فصل فى أن السلف كانوا يأمرون بالكسب
٢٨٥ فصل فى بيان تشبث القاعدين عن التكسب بتعللات قبيحة وتفصيلها والرد عليهم
٢٨٧ تلبيسه عليهم فى ترك التداوى

صحيفة

٢٨٨ تلبيسه عليهم فى ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة
٢٩٠ تلبيسه عليهم فى التخشع ومطأطأة الرأس واقامة الناموس
٢٩٢ تلبيسه عليهم فى ترك النكاح
٢٩٥ الاضرار الذى يعترى تارك النكاح
٢٩٦ تلبيسه عليهم فى ترك طلب الاولاد
٢٩٧ تلبيسه عليهم فى الاسفار والسياحة
٢٩٨ فصل فى الخروج على الوحدة
٢٩٩ تلبيسه عليهم فى دخول الفلاة بغير زاد
٣٠٣ سياق ما جرى للصوفية فى أسفارهم وسياحتهم من الافعال المخالفة للشرع
٣٠٣ حكاية أبى حمزة حين نزل فى البئر
٣٠٥ بيان ما وقع لبعض الصوفية فى سفره
٣١٧ تلبيسه عليهم فيما يفعلونه اذا قدموا من السفر
٣١٨ تلبيسه عليهم إذا مات لهم ميت
٣٢٠ تلبيسه عليهم فى تركهم التشاغل بالعلم
٣٢٥ تلبيسه على جماعة باعدامهم كتب العلم بالدفن وإلقائها بالماء
٣٢٧ إنكارهم على من تشاغل بالعلم

صحيفة

٣٣٠ تلبيسه عليهم فى كلامهم فى العلم ونبذة من كلامهم فى القرآن
٣٣٧ كلامهم فى الحديث وغيره وتأويلهم المخالف للنصوص
٣٤١ تلبيسه عليهم فى الشطح والدعاوى
٣٥٠ جملة مروية من أفعالهم المنكرة
٣٦٣ فصل ومن الصوفية الملامتية
٣٦٣ فصل ومن المندسين فى الصوفية الاباحية تشبهوا بهم حفظاً لدمائهم
٣٦٤ شبه الإباحية وهى ستة ونقدها
٣٦٩ حكاية مذهب ابن خفيف البغدادى شيخ الصوفية
٣٦٩ سبب نفور أهل العلم من المتصوفة
٣٧١ ذم ابن عقيل لهم وحكايته أفعالهم
٣٧٥ ما قيل فيهم من الشعر
٣٧٧ الباب الحادى عشر فى تلبيسه على المتدينين بما يشبه الكرامات
٣٧٨ خبر الحارث الكذاب ودعواه النبوة
٣٨٠ فصل فى المغترين بما يشبه الكرامات
٣٨١ فصل فى تحذير العقلاء بما يشبه الكرامات
٣٨٣ الحكايات الموضوعة فى الكرامات
٣٨٤ فصل فى مخاريق الحلاج وابن الشباس
٣٨٧ (الباب الثانى عشر) فى تلبيسه على العوام

صحيفة

٣٨٧ تلبيسه عليهم فى التفكير بذات الله تعالى من حيث هى
٣٨٨ تلبيسه عليهم فى مخالفتهم العلماء ومنه تقديمهم المتزهدين على العلماء
٣٨٩ ومنه اطلاقهم أنفسهم فى المعاصى
٣٩١ تلبيسه عليهم فى اعتمادهم على أنسابهم
٣٩٢ تلبيسه على العبادين أهل الفتوى

صحيفة

٣٩٣ تلبيسه عليهم فى مجالس الذكر
٣٩٤ تلبيسه عليهم فى الأموال والصدقة
٣٩٦ تلبيسه عليهم بالجريان مع العادات
٤٠٠ تلبيسه على النساء
٤٠٢ ﴿ الباب الثالث عشر ﴾ فى تلبيسه على الناس أجمعين بطول الأمل